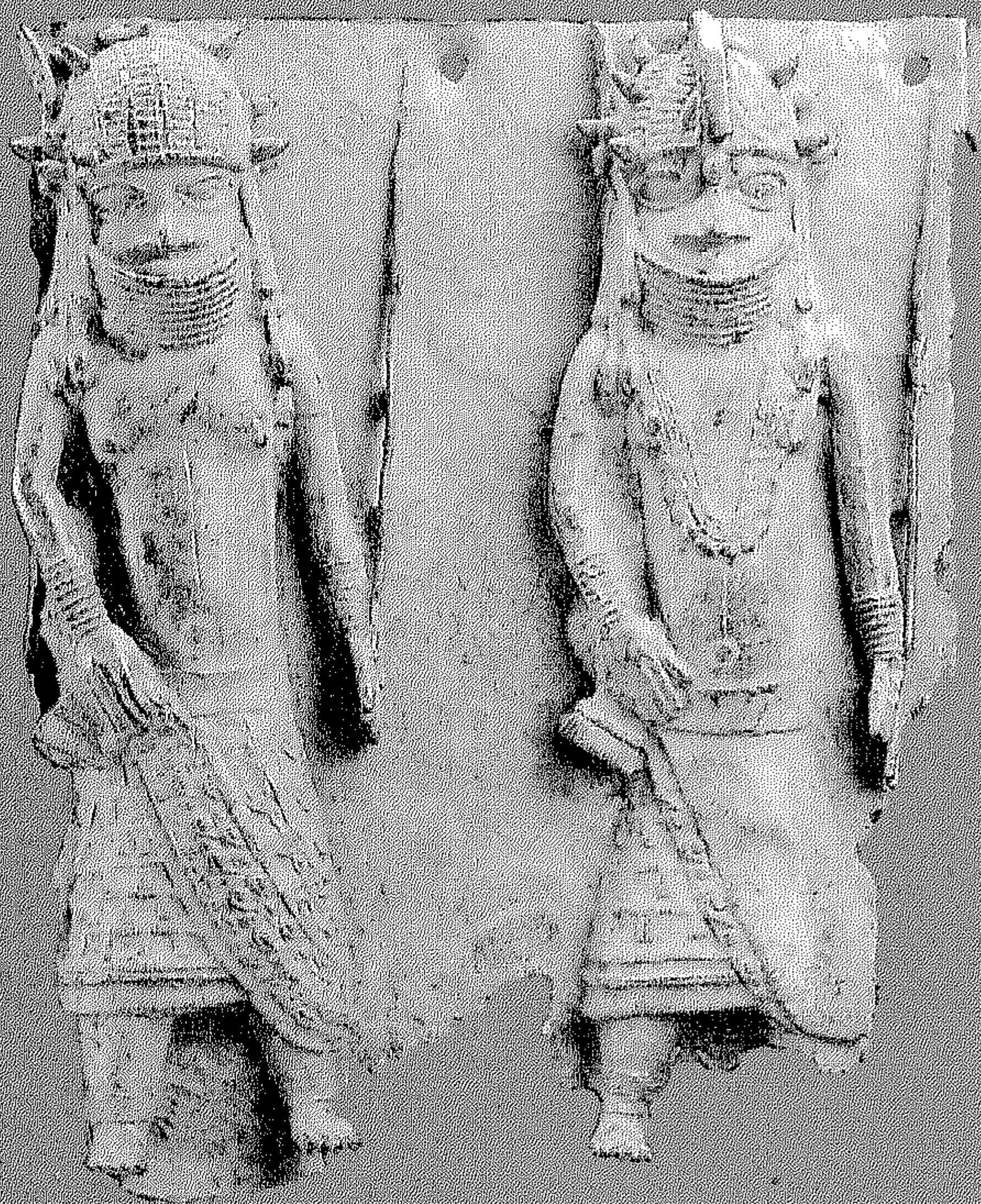


إريك أكسيلون أشعر الرحلات في جنوب أفريقيا



ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ



المكتبة المصرية العامة للكتاب



إهداء ٢٠٠٦
الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة

الألف كتاب الثاني

نافذة على الثقافة العالمية

الإشراف العام
الأستاذ / سمير سرخان
رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير
أحمد صليحة

سكرتير التحرير
عزت عبد العزيز

الإخراج الفني والغلاف
محسنة عطية

أشهر الرحلات في جنوب أفريقيا

تحرير

إريك أكسيلون

ترجمة

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ



المطبعة المشرقية - القاهرة - مصر

١٩٩٨

هذه هي الترجمة العربية الكاملة لكتساب :

SOUTH AFRICAN

EXPLORERS

by

ERIC AXILON.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الترجمة	٩
رحلة سيمون فان ديرستل	
جبال النحاس	٣٧
رحلة كارل بيرك	
بلاد الناماكوا الكبرى	
حملة هندريك هوب الى ناماكوا لاند الكبرى	٥٠
اندرو سبارمان (الهوتنتوب والبشمن)	٦٧
جون بارو	
حملة بيتر تروتر ووليم سمرفيل الى اللاتاكو ونهر	
الأورانج	٨٩
رحلة وليم بورشال	
نهر الفال	١٢٣
رحلة قصيرة من كلارووتر الى ملتقى النوجاريب	
(الأورانج) ومنه الى الكى جاريب (الفال)	١٢٤
أحداث ومفاجآت على شاطئ نهر الكى جاريب	١٤٧
رحلة جون كامبيل - ١	
نهر هارتز	١٦٨

الموضوع	الصفحة
رحلة الى ما وراء النهر العظيم من لاتاكو الى مالابيز .	١٦٩
مدينة مالابيتزى .	
مقابلات مع اهل المدينة - رايبم فى مقتل الدكتور كوان .	١٧٧
رحلة جون كامبيل - ٢	
كوريشنين	١٩٦
رحلة هنرى فين	
شاكنا ملك الزولو	٢١٠
رحلة الان جاردينر	
البراكنزييرج	٢٢٤
رحلة روبرت موفات - ١	
ماكابا	٢٤٥
رحلة اخرى - روبرت موفات - ٢	
الزعيم موسيليكاس	٢٧٨
رحلة وليم كورنوالز هاريز	
الى نهر الفال	٣٠٤
لقاء مع اومتومبيت ورحلة عبر جبال كاشان الى	
الجنوب الشرقى	٣١٥
اكتشاف نوع جديد من الظباء والرحيل النهائى من جبال	
كاشان متجهين الى نهر الفال	٣٢٢
رحلة لويس تريشاردت	
منحدر براكنزييرج	٣٣٦

الموضوع	الصفحة
رحلة ولیم كوتون اوزویل	
بحسيرة نجامی	٣٤٨
رحلة جيمس شایمان	
الاقتراب من شلالات فكتوريا	٣٦٥
رحلة فرايسيس جالتون	
بلاد الأوفامبو	٣٧٩
رحلة شارلز اندرسون	
نهر اوكافانجو	٤١٣
رحلة ديفد ليفنجستون	
شلالات فكتوريا	٤٣٠
رحلة فريدريك سيلوز	
عن شعب الماشوكولومبوى	٤٤٧
دليل المصطلحات والتعابير الأفريقية الواردة بالرحلات	٤٧٣

مقدمة الترجمة

تلك عشرون رحلة غطت جنوب أفريقيا بمعناها الجغرافى
الواسع الذى يشمل الآن اتحاد جنوب أفريقيا وناميبيا
وزامبيا وزمبابوى وموزمبيق وأنجولا على مدى أكثر من
مائتى عام .

ويلاحظ أن الرحلات الأولى ركزت على الجغرافيا
الفلكية والمواقع وتضاريس المنطقة والامكانات المتوفرة بها .
ومن الطبيعى أن تحدد المواقع خاصة فى الرحلات الباكرة
وفقا لخطوط الطول والعرض لصعوبة تحديدها بالنسبة
لمواقع أخرى معلومة (شمال كذا أو جنوب كذا) وان
كنا فى الواقع لم نفهم خطوط الطول وخطوط العرض التى
حدد بها دير ستل الرحالة الهولندى مواقعته (قام برحلته
سنة ١٦٨٥ - ١٦٨٦ م) .

أما الرحالة كارل برنك Carel Brink صاحب الرحلة
الثانية (١٧٦١ م) فكان مرافقا لحملة شبه عسكرية رأسها
هنريك هوب لمتابعة الكشف فيما وراء الأورانج .

لكن الرحلات التى تمت فى القرن التاسع عشر تزخر
بالملاحظات البشرية الذكية ، وتتناول العادات والتقاليد
والعقائد من خلال لمحات ذكية .

ولأن جغرافية المنطقة أضحت معروفة وتناولتها كتب عديدة ، لذا فقد ركزنا في مقدمتنا هذه على الملاحظات البشرية الرائعة من خلال منظور بشري عام .

هيئة اتخاذ القرارات وحل المشكلات :

وفي القرن الثامن عشر ، شهدنا تجربة انسانية جديدة بالتوقف عندها والتمعن فيها ، فنحن نعرف أنه في سنة ١٧٧٢م انضم الرحالة اندرو سبارمان الى هيئة شكلها في جنوب أفريقيا جيمس كوك لحل مشكلات المستوطنين الجدد مع البيئة الجديدة ، واتخاذ القرارات العملية السريعة ، وكانت هذه اللجنة مشكلة من ذوي خبرات وتجارب في مجالات مختلفة وقد كان سبارمان على سبيل المثال مهتما بالعلوم الطبيعية ودارسا للطب (راجع رحلة سبارمان) .

هذه الرحلات وملاحظات في الاجتماع البشري :

صحيح ذلك القول الذي مؤداه أننا لا يمكن أن نفهم (الانسان) في مرحلته الحضارية المتطورة اذا لم نفهمه في مرحلته البدائية ، تماما كاستحالة فهم الانسان (الرجل) أو (المرأة) دون فهم الانسان (الطفل) ، فحاجات الطفل ودوافعه وغاياته هي على نحو ما نفس حاجات البالغين رجالا ونساء ، مع فارق واحد وهو أن حاجات الطفل ودوافعه أوضح ويتم التعبير عنها ببساطة وبشكل مباشر ، كما أن ردود فعله مباشرة وواضحة في غالبها ، وكلما زاد عمر (الطفل) غطى حاجاته ودوافعه بأغطية حضارية أو مدنية أو ثقافية (سمها ما شئت) كثيرا ما يجد المرء نفسه في حاجة الى ازاحتها - أي هذه الأغطية - ليجد الحقيقة مجردة عارية .

والأمر كذلك بالنسبة للشعوب في مرحلتها البدائية ،
والشعوب التي بلغت شأوا حضاريا كبيرا ، وتغطيها رحلة
أندرو سبارمان وهي الرحلة الثالثة في هذه المجموعة أمثلة
صارخة تؤيد ذلك ، فقد خصص سبارمان جانباً من رحلته
لجماعتين بدائيتين أو لشعبيين بدائيين من شعوب جنوب أفريقيا
هما البشمق والهوتنتوت .

حقيقة العراة :

يحدثنا سبارمان أن الهوتنتوت ليسوا عراة كما قد
نتوهم ، وإنما هم — رجالا ونساء — يدهنون أجسادهم
بالشحوم المخلوطة بقليل من السناج (السخام) ويظل هذا
الدهان والسخام على أجسادهم (أو أجسادهن) طبقة بعد
طبقة فهم لا يزيلونه أبدا ، وتتراكم الأتربة والقاذورات على
أجسادهم شيئا فشيئا حتى تشكل طبقة عازلة بين الجسم
والهواء ، فتقى الجسم الحرارة والبرودة وتجعله يحتفظ
بحرارته الداخلية (مكيفة) . فمن نظرهم عراة من الهوتنتوت
مثلا ، ليسوا عراة على الحقيقة وإنما هم يلبسون رداء من
الوساخة والشحوم ان صح التعبير ، ويختلط العرق بهذا
الرداء فيجده ، وقد يتساعل المرء ألا يحسون بشيء قليل أو
كثير من القرف نتيجة الرائحة المنبعثة ، وهنا نبادر بالقول
أن الهوتنتوى (أو الهوتنتوية) يحس بسعادة وهو يعطر
نفسه بمساحيق الأعشاب التي يرشها ويدعكها برأسه وسائر
جسده ، ورائحة هذه الأعشاب قوية ونفاذة ومنتنة .

وان صح ما يقال ان مجتمعات العراة في المدنية الحديثة
تطالب بغشاء مطاطي أو لدائني يغلف الجسم البشري فيغنيه
عن الثياب التقليدية ، ويقيه — أى هذا الغشاء أو الدهان —

أثر الجو المحيط من حرارة وبرودة ، اتضح لنا أن الانسان في مرحلته البدائية هو الانسان في مجتمعات المدنية الحديثة .
الأهداف هي الأهداف ، والرغبات هي الرغبات سواء غطى جسمه بشحوم وسخام أم بدهان من مادة لدائية أو خلطة من مواد كيمياوية .

الدلكة السودانية :

وإذا كان الهوتنتوت لا يكفون عن دهان أجسامهم بالشحوم والسخام لحمايتها من الحر والبرد ، فإن ذلك ليس - فيما يبدو - هو السبب الوحيد ، إذ يتم تجديد التشحيم أو السخام وإضافة العطور خاصة الزيتية ، في أوقات بعينها ونقصد بها أوقات الأنس واللقاء بين الرجال والنساء ، ولا زالت عادة دهان الجسم كله بالشحوم والعطور الزيتية موجودة بوضوح عند الشعب السوداني ، وهو شعب غير بدائي ، وترتبط عادة الدهان هذه - ويسمونها السودانيون الدلكة - بيوم معلوم في الأسبوع ، أو بيومين ، وإن كانت ليلة الخميس من الليالي المؤكدة ، حيث يشم المرء رائحة الدلكة بوضوح في اليوم التالي من كل سوداني عابر .
ورائحة الشحوم والعطور التي يستخدمها الهوتنتوت قد تكون غير جميلة لأنوف الذين لم يألّفوها ، لكنها على أية حال مقبولة بل ومحبة لدى أصحابها لارتباطها بهذا (الشيء) المحبب للرجال والنساء على سواء .

وليس أدل على أن البشرية قد مرت جميعا بالمراحل نفسها ، أن كلمة السخام والتسخيم لازالت موجودة في كثير من اللهجات العامية في البلاد العربية للدلالة على الفعل الجنسي ، ولارتباط تسخيم الجسم وتشحيمه أو دلكه بهذه

المناسبة المذكورة آنفا ، وجدنا هذه المفاهيم الأنثروبولوجية المرتبطة بمرحلة ما من طفولة البشرية قد تسرب حتى الى اللغة الفصحى ، فالسخام لم يرتبط فى العربية الفصحى بالهباب أو اللون الأسود أو الضغينة فحسب ، وانما ارتبط أيضا بكل ما هو طرى لين مريح . لنقرأ معا لابن منظور فى مادة سخم فى لسان العرب (ثوب سخام اذا كان لين المس ، والسخام كل شئ لين . . وخمر سخام لينة سلسة ، وشراب سخام وطعام سخام أى لين مسترسل) . انتهى ما اقتطفناه من ابن منظور ، ومن باب استخدام الكلمة فى موضعها أيضا أن نقول امرأة سخام أو مسخمة أى لينة مسترسلة . ألم اقل فى أكثر من دراسة سابقة ملحقة بكتب الرحلات ان الملاحظات الانثروبولوجية خاصة تلك المتعلقة بطفولة البشرية ضرورية الضرورة كلها لفهم كثير من الأمور الدينية والاجتماعية بل واللغوية ، والمثال المذكور آنفا والمتعلق بالسخام والتسخيم خير دليل على أهمية الملاحظات الأنثروبولوجية لفهم كثير من التعبيرات اللغوية السائدة .

الحاجة والأصالة :

ويدعو الرحالة أندرو سبارمان أهله الأوربيين للتعلم من الهوتنتوت كيفية صنع النعل أو الحذاء من قطعة جلد واحدة ، ويعده مزايا هذا النعل الهوتنتوى ويخاطب الأوربيين قائلا انه لا بأس مع التعلم من هذا الشعب البدائي ، فالمهم أن يكون الشئ مفيدا سواء تعلمنا طريقة صنعه من مصانع باريس الراقية أو من أدغال أفريقيا .

خصائص عرقية فى حاجة الى دراسة :

لم يعد مقبولا لدى علماء النفس ذلك الربط بين الصفات الفيزيكية (الخواص الشكلية) للانسان وصفاته الخلقية وغير الخلقية ، ولم يعد واردا مثلا الربط بين درجة الذكاء والطول أو القصر أو حتى حجم الرأس ، لكن هناك ملاحظات واضحة عن اتصاف بعض الأجناس بخصائص خلقية (بضم الخاء) بعينها ، فالرحالة سبارمان بعد أن يحدثنا عن كثير من الصفات السيئة (أو التي رآها هو سيئة) فى البشمن يؤكد لنا مستغريا أن كل العبيد البشمن الذين تم استرقاقهم أو الحاقهم بالخدمة فى بيوت المستوطنين الأوربيين لم يستريحوا للحياة الرغدة التي تفوق حياتهم السابقة من حيث وفرة الطعام والكساء . الخ فكانوا يدبرون أمر هروبهم ، لكن الغريب - كما يقول سبارمان - أن أحدا منهم لم يفكر فى سرقة أى شيء من بيت السيد الأوربي الذي يخدمه رغم أن السرقة لن تكلفه جهدا لأن كل شيء متاح أمامه . (طبعا هذا لا ينفي أن البشمن مولعون بسرقة الماشية من القبائل الأخرى) .

ولعل هذا الشيء نفسه يذكرنا بأهل النوبة قبل اختلاطهم بغيرهم ، اذ كانت البنوك تعهد اليهم بنقل الأموال من مكان الى مكان بإطمئنان تام ، وكان يكفي أن يقول هذا النوبي ان المال قد ضاع منه أو فقد حتى يصدق الجميع دون طلب دليل أو اثبات ، وكانت شهادة النوبي مأخوذا بها أمام المحاكم كدليل لا يرد . كان هذا بطبيعة الحال قبل اختلاطهم بأهل المدن واندماجهم بهم . والشيء نفسه معروف عن جماعة (المهارة) أو (المهرين) وأصلهم من اليمن وحضرموت ،

كانوا باعة جوالين فى دول الخليج والاحساء ، ورغم أنهم كانوا حفاة ممزقى الثياب الا أن شهادتهم لم تكن ترد ، فالمهرى يؤتمن - فيما يقولون - على أموال الدنيا كلها ، لكن أهل الخليج كانوا يقولون دوماً (آمن المهرى على مال قارون ، لكن لا تأتمنه على امرأة مهما كانت دميمة) فالمهرى ان ائتمنته على مال رده اليك . . لكن احذر منه على الزوجة والابنة والأم . . . ولم يقل الخليجيون ذلك من فراغ .

هناك اذن بعض الصفات لصيقة ببعض الجماعات البشرية . أهى مسألة لا تعدو كونها تراثا أو تعليما وتربية ، أم أنها مسألة مرتبطة ببعض الصفات الجسدية أو التركيب الكيميائى للجسم ؟! ان الملاحظات التى يسورها هؤلاء الرحالة تثير كثيرا من الأفكار ، وتدعو للبحث والتأمل .

الدين والأفاقون :

وفى ظروف كظروف مجتمعات جنوب أفريقيا فى هذه القرون الأولى (١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) حيث كثر الغرباء الوافدون من بلاد أوروبية شتى ، ومن مذاهب دينية شتى ، وحيث يسعى الجميع الى تأسيس حياة جديدة ، وحيث الطموح بلا حد ، وحيث النجاح والفشل ، وحيث البحث عن طرائق جديدة لاكتساب الثروة ، مهما كانت هذه الطرائق ، يظهر الأفاقون ، ولدينا مثال صارخ لأفاق كان مزورا للأوراق المالية . انه ستيفانوس البولندى ذو الأصول الميوناية الذى استطاع أن يهرب من سجنه أكثر من مرة ، وانضم لأكثر من ارسالية تبشيرية وسرق القسس ، وسخر من المبشرين ، لكن هذا المتشرد وجد فى النهاية أن أفضل طريق

للكسب هو أن يصبح نبيا وصاحب دعوة وأنشأ معبدا ، فقدم
الأهالي له الأضاحي وطالب باحضار الجميلات الى معبده ليبتن
منه فيمنحهن البركة ليلا . . والغريب أن الرحالة جون بارو
يخبرنا أن هذا الأفاق نجح في تأسيس دين جديد بين أهل
البلاد من الهوتنتوت . . لقد فسر هذا النبي المزيف المدعو
ستيفانوس الانجيل بطريقة غير مألوفة ، وكان المؤمنون
بكراماته يعتقدون أنه قريب من الله .

عود الى السخام والتشعيم :

ويصف لنا الرحالة بورشل Burchell كيف أن
البشمن والهوتنتوت اذا ظفروا بوجبة لحم دسمة من صيد
سمين ، كان الواحد منهم يمسح الدهن المتبقى من اكله في
ذراعيه وساقيه وفخذه ، بل انه لا يكتفى بذلك وانما يعمد
الى تلويث نفسه - وبوفرة - بالدماء والروث ، ويدلك بها
كل جزء في جسمه تطوله يداه .

الدلالات الأولى للألوان :

يحدثنا الرحالة وليم بورشل Burchell أنه التقى
بفتاة بشمنية ثرية ، وكانت مغرورة جدا ولديها احساس
شديد بتميزها ، فقد لطخت جسمها وشعرها بكميات كبيرة من
الشحم ، وأضافت لشعرها كمية كبيرة من المفرة (بتسكين
الغين) الحمراء فأصبح شعرها أحمر بشكل واضح ، ويذكر
الرحالة ملاحظة غريبة وهي أن البشمنين الرجال لم يكونوا
مقبولين على هذه البشمنية الجميلة ، وربما كان هذا بسبب
اللون الأحمر ، فهو لون يحمل التهديد والوعيد كما وضع
لنا رحالة آخر هو جون كامبل Campbell الذي نفضل
أن ننقل عنه بعض الفقرات الدالة في هذا الصدد ، والحديث

عن البشمن (. . .) وكانت وجوه بعضهم ملطخة باللون الأحمر بشكل مربع (. .) وكان ذلك لارهاب الغرباء فقد يكونون أعداء . نستنتج من هذا أن الأصل البدائي لدهان الوجه باللون الأحمر هو التهديد وليس الاغراء ، فإذا دهن الرجل البدائي (أو المرأة البدائية) وجهه باللون الأحمر ، فهو يهدد ويحذر ، لكن الأمور تطورت بعد ذلك - خاصة بالنسبة للنساء - فأصبح طلاء الشفتين والوجنتين باللون الأحمر نوعاً من الاغراء ، وقيل من بين ما قيل تفسيراً لذلك ، ان النساء يحاولن التشبه بالورود والزهور ، لكن الورود والزهور ليست جميعاً حمراء ، والأقرب الى الصحة هو العودة للأصول البدائية (البشرية فى طفولتها) لنقول ان صبغ الشفاه والوجنات باللون الأحمر كانت فى البداية نوعاً من طلب الحماية وصد الرجال (المعتدين) ، لكن يبدو أن هذا التهديد لم يضلح مع الرجال ، فالواحد منهم يزعم فى نفسه أنه سيع لا تغلبه غلبة أو هكذا يتهياً له ، ومن هنا كان اللون الأحمر على الشفاه والوجنات لاثارة روح التحدى ، فالأصل فى الاغراء هو الضعف والتظاهر بالمرض ، وخفض الصوت ، والتكسر والتهديج والتألم ، وما الى ذلك ، ومن هنا فقد ارتبطت الدعوة للرذيلة بهذا كله ، فالشفاه سوداء (لا دم فيها) وهذا ضعف ، والوجنات زرقاء أو صفراء (وهو كناية أيضاً عن الضعف) . .

فى علم الاجتماع الأسرى :

لاحظ واحد من الرحالة أنه رغم أن بيت البشمنى منخفض جداً ويشبه نصف بيضة ، وله مدخل صغير يتسع - يشق النفس - لدخول البشمنى صاحب الكوخ ، ومن

المعروف أن البشمن قصار نحال - ومع صغر البيت على هذا النحو إلا أن الرجل منهم يعيش فيه مع زوجاته أو زوجتيه . ويمكننا أن نتصور أن هذا ممكن بالنهار ففي الغابة والمناطق المحيطة بالكوخ متسع ، لكن كيف يكون الحال بالليل فالكوخ منخفض صغير كنصف بيضة ، ومن المؤكد أن الهمسة وحتى اللمسة تتردد في أرجائه ، فكيف تجتمع فيه الزوجتان أو الزوجات ، ومع هذا فإن رجالتنا يذكر لنا أنه شاهد زوجتين (ضرتين) تدخنان التوباكو بسعادة فائقة وألفة كاملة . مسألة في حاجة إلى تأمل ، وفي حاجة إلى استقصاء حالات مماثلة في المجتمعات البدائية حتى يمكن تفسير الظاهرة .

الكلاب :

والمتصفح لبعض الرحلات يجد أن للكلاب مع بعض الرحالة دورا لا ينبغي اغفال تسجيله ، ففضلا عن الحراسة فبعضها - ببعض التدريب - يمكنه أن يساعد في كشف الجريمة ، والتعرف على بعض الحيوانات حتى بمجرد رؤية عظامها ، كما يقوم بالارشاد الى مواضع المياه ، ويدل أحيانا على الطريق ، حتى أن واحدا من الرحالة الذين يضمهم هذا الكتاب قد كتب ما يشبه الترجمة (قصة حياة) كلب رافقه وراح يؤرخ لمعلوماته ومعارفه وكأنما هو يسرد حياة واحد من العلماء ، ولم يخف هذا الرحالة جزعه وحزنه العميق عند وفاة كلبه هذا اثر حادث أليم اذ حطمت عجلات العرببة التي تجرها الثيران رأسه فهشمته تماما . ومن باب الاستطراء يمكننا القول ان المجتمعات الجديدة (في توشكى مثلا) قد تلعب الكلاب فيها دورا ايجابيا مما يستلزم مصححة لها ، وادارة للتدريب للاستعانة بها في الحراسة وغير الحراسة ، وتشجيع الأسر المستوطنة على اقتناء كلاب من ثوعيات خاصة .

وما الى ذلك • والحقيقة أن ولّيم بورشل قد لاحظ أثناء رحلته لنهر الفال أن الكلاب تتصرف بشكل أقرب ما يكون للتنبؤ أو توقع الأحداث قبل كل رحلة يقوم بها ، فقد كانت تهز ذيولها فرحة وتبدو عليها البهجة قبل الرحلة التي يكثر فيها الصيد وينعم الجمع الجميع فيها بلحم وفير •

حفر لصيد الحيوانات :

وتعلم الأوروبيون من أهل البلاد حفر حفر مناسبة وتغطيتها ببعض الأغصان والفروع ، ووضع وتد قاتل وسط الحفرة وذلك للايقاع بالحيوانات التي يريدون اصطيادها • • انها أفكار جيدة بالنسبة لمجتمعات ناشئة في مناطق نائية للايقاع بالذئاب وغيرها ولا بأس أن تكون هذه الأفكار مستقاة من مجتمعات بدائية ، فعلى حد قول واحد من الرحالة : لا يهم أن تكون الفكرة من باريس أو لندن ، أو مجتمعات الهوتنتوت ، انما المهم أن تكون فكرة مفيدة •

وظائف أخرى للثياب - دروس من الشعوب البدائية :

الفكرة الشائعة أن الأصل في الثياب أنها تقي من الحر والبرد ، أو حتى ستر العورة (فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) لكن المتأمل في حياة الشعوب البدائية (البشرية في مرحلة طفولتها كما تتبدى لنا من خلالهم) يجد معاني أخرى تشرى التجربة الانسانية فقد وصف لنا بورشل مثلاً في رحلته لمنطقة نهر الفال بعض لباس الهوتنتوت بما يفيد وظيفة أخرى - بل وظائف - خاصة بالنسبة للمرأة الهوتنتوية التي يتدلى منها من الخلف مجموعة من السيور (الخيوط) من جلود الحيوانات ، وتسمى الكاروس الخلفي ، ويقول

بورشل ان هذا الكاروس يفيد لابسته عند الجلوس اذا كانت الأرض مبللة ، ومع كثرة الاستخدام تشابكت سيور (خيوط) هذا الكاروس . . لم يعد الكاروس اذن يخفى ما يراه اخفاؤه ، وانما أصبح بمثابة مقعد للجلوس ، ولاحظ رحالة آخر أن قطعة الجلد التى تتدلى لتغطى عورة الرجل الأمامية أو الخلفية لا تخفى فى حقيقة الأمر شيئاً ، وخلص الى أن هذه القطعة من الجلد تتحرك بشدة عند الجرى ، فاستنتج أن المقصود منها هو التهوية ، فهى بحركتها تحدث تياراً هوائياً يريح مؤخرة الرجل أو مقدمته .

واذا كانت كثرة الشحوم التى يطلى بها الجسم وما عليها من سخام تفيد فى عزل الجسم عن تأثير الجو حرا وبردا ، فانها تشير أيضا الى وضعية اجتماعية ، فهى تعنى أن الرجل البشمنى أو الهوتنتوى ثرى (فى رغد من العيش) بدليل توفر الشحوم لديه . .

وهذه الفكرة لم تنتف تماما ، فقد ظلت الدلالات الاجتماعية للثياب قائمة منحدره لنا من طفولة البشرية ، ولنضرب أمثلة : فالسودانى التقليدى مثلا يعبر عن عظمته وعلو شأنه بحجم عمامته ، فهو يلف حول رأسه قطعة كبيرة من القماش قد تبلغ خمسة أمتار طولا ، فكلما كبر رأسه دل هذا على علو شأنه ، ولا علاقة لكبر العمامة بحر أو برد ، والفلسطينى التقليدى أو الشامى عموما ، كان الى عهد قريب يلف حول خصره وجزئه الأسفل قطعة قماش طويلة جدا قد يبلغ طولها عشرة أمتار أو يزيد ، فكلما تضخمت مؤخرته لفرط ما لف حولها من قماش دل هذا على علو شأنه وثرائه ، فشأنه وثراؤه مرتبط بمؤخرته .

وعرض الكم فى الثوب يعد فى مصر لدى الفلاح
التقليدى والبدوى التقليدى دليلا على علو الشأن فكلما كان
طرف كم (بضم الكاف) ثوبه عريضا واسما دل ذلك على
رخاء الحال ، أو كان صاحب الثوب يريد القبول : انظروا
ان لدى من الامكانيات ما يجعلنى أشتري قماشاً كثيراً * والأمر
غير منفصل عن « التشحيم » و « التسخيم » أيضا فالصعيدى
التقليدى كان الى عهد قريب يعتمد اسقاط بعض الدهن أو
الزيت على ثوبه وهو يأكل ، فيبدو الثوب « قدرا » من وجهة
نظر الذين لا يدركون الأبعاد الأثنروبولوجية للأمور ،
والحقيقة أن هذه النظرة تثير سخرية هذا الرجل « المسخم »
أو « المشحم » أو « المزيث » لأن المسألة بالنسبة له ليست
قدارة وإنما هو يريد أن يعبر عن أن بيته من البيوت التى
لا تخلو من « الخير » ، وأى خير أفضل من « الدهن »
و « الشحم » و « السمن » و « الزيت » .

وفى دول شبه الجزيرة العربية يلعب « البشت » دورا
اجتماعيا وهو شئ كالعباءة كان فى الأصل يطرح على الكتفين
اتقاء للبرد، لكنه بعد ذلك خف ورق ولم يغن من برد أو يمنع
من برد - وبقيت دلالة الاجتماعية ، وأحيانا يكتفى صاحب
البشت بحمله مطويا على ذراعه ، ولسان حاله يقول : « اننى
من أصحاب البشوت * * أفسح لى الطريق * » فصاحب البشت
مقضية حاجته لا محالة فى المصالح الحكومية أو أن البشت
أحد أسباب قضاء حاجته ، ولا يبعد كثيرا عن التسخيم
والتشحيم قيام البدوية فى سيناء وغير سيناء باستقبال بول
الناقة فوق رأسها ، فبول الناقة بل والجمال هو عند البدو
نوع من العطور ، لكنه أيضا بالاضافة الى ذلك اشعار لمحدثه
انه يملك ناقة وجملا بمجرد تشمم هذه الرائحة الطيبة
لدلالاتها على النعمة والثراء .

وبعض جماعات جنوب أفريقيا (راجع رحلة سيلوز)
المرأة تماما يستحى الواحد منهم اذا لم يكن فى أذنه
شوكة ، ويتساءل سيلوز هل هذه الشوكة تعد ثيابا ، والمقصود
طبعاً شوكة نباتية تخترق الأذن . لا بد - إذن - من وجود
تراث ما متعلق بهذا ، قد تكون الشوكة رمزا للاحترام . .

تصنيف الشعر :

والتصنيف لهذه الرحلات يلاحظ أن كل المودات
(القصات) المنتشرة بين الرجال اليوم لها أصول فى
الثقافات البدائية ، وكان الأصل فى طريقة صف الشعر هو
تمييز قبيلة عن قبيلة أو طبقة عن طبقة ، فطريقة تصنيف
الملوك والزعماء والنبلاء تختلف بالضرورة عن طريقة
تصنيف العامة ، ولا بد أن يكون الزعيم أو الملك متفردا على
نحو خاص حتى عن بقية أفراد البيت الملكى . وهذه الأهداف
العملية لم تختف حتى فى حضارات أكثر حداثة ، فالشلولوح
(نوع من تشريط الوجه) فى السودان له دلالات قبلية فهو
يميز أفراد قبيلة أو جماعة عن أفراد قبيلة أو جماعة أخرى ،
تماما كما تعمد القرويات فى مصر لوضع صبغ أحمر أو
أزرق أو بأى لون كان لتمييز كتاكيتهن عن كتاكيتهن جاراتهن .
لأن الكتاكيتهن كلها تتجول فى الحارة بحرية . إلا أن الهدف
فى الحضارات الحديثة قد يتغير مع بقاء الممارسة البدائية
أو القديمة ، فإذا كان بعض الرحالة يذكرون أن ارتداء
الرجال والنساء - فى بعض الأحيان - تنورات (أو جيوبات)
مكونة من خيوط أو شرائط جلدية ، يقصد بها أحداث
(تهوية) لمؤخراتهم أو مؤخراتهم عند الجرى ، فالمؤكد أن
الأمر ليس كذلك بالنسبة لهذا النوع نفسه - وإن لحقه

بعض التطور - من الجيبات (أو التنورات) التى تلبسها النساء المعاصرات ، فالجيبية مكونة من شرائط تتحرك بحركة الأنسة أو السيدة فتكشف عن ثوب آخر أسفلها . .
ليس المقصود اذن هو التهوية ، فليست هناك مساحات واسعة للجري كما فى الغابة أو المرج الأفريقى . . كما أن المقصود ليس هو التدفئة . .

الدين والانتاج :

إذا كان الخوف اللاعقلانى لدى الشعوب البدائية قد عاقها عن الانتاج ، بالاضافة طبعاً لعوامل أخرى كثيرة كانتفاء الدافع للانتاج وقسوة المناخ . . الخ ، فإن المتصفح لهذه الرحلات يستطيع ببساطة شديدة أن يدرك - بوضوح لا يحتمل الشك - ان الدوافع الدينية والايمان العميق كانا وراء هذه الجهود الخارقة لهؤلاء الرحالة العلماء ، بصرف النظر عن دوافع دولهم وعن الأبعاد الاستعمارية أو التجارية ، فقد كان الرحالة موفات يراعى أيام السبوت (جمع سبت) ويرى عدم العمل بها تأسيساً بالعهد القديم ، والرحالة تريشارت يقرر بشكل حاسم عدم العمل فى أيام الآحاد (جمع أحد) احتراماً ليوم الصلاة فى العقيدة المسيحية ، أما الرحالة العظيم لينفنجستون ، فقد جعل هدفه - بشكل واضح - هو هداية الشعوب (القبائل) التى مر بها الى المسيحية ، وقد تأثر كثيراً لأن أحد أهل البلاد غطاه بغطائه الشخصى عندما وجده يرتعد من البرد ، وذكر أن هؤلاء الناس على قدر من الطيبة وحسن الطوية بحيث يمكن

هدايتهم للأديان السماوية • كل هذا لا ينفي بطبيعة الحال أن الهدف الأساسي من الكشف الأوربي لأفريقيا هو استعمارها ، بل والمتاجرة في أهلها ، فقد شهدت القارة أكبر نزيف بشري وتم ترحيل أهلها ليعملوا خدما في البيوت في البرتغال واسبانيا ، وليؤسسوا بعرقهم المزارع الواسعة في الأمريكتين ، لكننا هنا نميز بين الدوافع الفردية لدى بعض الرحالة ، والأهداف الاستعمارية لدولهم • وهذا في الواقع أمر مفهوم ، ففي حالة الاقدام على مشروع جسر ، أو اقتحام أرض مجهولة ، أو بداية حياة جديدة ، فان الدافع الديني يشكل - بلا شك - وازعا يهون الصعاب ، ومن الحمق تفريغه من محتواه •

الشجرة الأم :

لا شك أن التطور العلمي الهائل خاصة في مضممار هندسة الخلية وعلوم البيولوجيا ، قد يكون دافعا للانسان لمزيد من التواضع فلا نظنه سيصغر خده بعد اليوم للحضارات البدائية ، وانما سيبحث في جنباتها عن بقايا علم بائد ، لذا لا نظنه سيسخر كثيرا من اعتقاد الدامارا (راجع رحلة جالتون) بأن شجرة ضخمة هي أمهم وأباهم في الوقت نفسه وأنهم يتعبدون حولها راقصين ، وهناك آية قرآنية تشير الى امكانية التكاثر اللاجنسي للكائنات الحية (والله أنبتكم من الأرض نباتا) سورة نوح / آية ١٧ •

التاريخ الطبيعى :

وتقدم لنا رحلة وليم كورنوالز هاريز Harris
مثالا على دور الرحالة العلماء فى الاضافة للعلم ، لا العلم

الجغرافى أو الأنثروبولوجى إفحسب وانما العلم الطبيعى
أيضا فقد اكتشف الرحالة آنف الذكر نوعا جديدا من الطيأء ،
فأحس بفخر شديد ، لنقرأ مما ما يقول : « * * فقبل مغادرة
هذا الفردوس (منطقة قرب نهر الفال) جللت بحوثى
بإضافة رائعة لفهرس عالم اللبونات Mammalia ، فقد
نزلت للصيد فى ١٣ ديسمبر (١٨٣٦م) ومعى سلاح ثقیل
كنت قد حصلت علیه من السيد موفات - لأن بندقیتى ذات
الماسورتین كان بها خلل - وقد نزلت بهذا السلاح الثقیل
واعتبرته السهم الأخير الباقى ، وكانت جماعتنا تطارد فیلا
جریحا بكل طاقتها ، فجذب انتباهها قطع من الطيأء السوداء
سوادا غیر عادى * * فتفحصتها عن طریق التلسكوب واكتشفت
أنها جديدة تماما بالنسبة لعلم الحيوان * * * عبثا يمكنى أن
أصف شعورى وأنا أخوض هذه التجربة فبعد أيام ثلاثة من
المطاردة المرهقة والقلق المحموم * * وجدت نفسى - أخيرا -
أمتلك فعلا ما يعد إضافة ثرية للتاریخ الطبيعى » ثم یشرع
هذا الرحالة فى وصف هذا الحيوان وصفا دقيقا مما يطالعه
القارئ فى رحلته هذه *

حياة الرواد :

أحس روبرت موفات بالسعادة عندما صعد الى مساكن
الوطنیین التى أقاموها فوق شجرة ضخمة ، وأقام بالفعل فى
واحد من هذه الأكواخ ، فقد كانت الشجرة ضخمة تضم
أكواخا عدة ، ووصف لنا محتویات الكوخ البسيطة ، وكان
الرجل جوعان فقدمت له امرأة تسكن فى الكوخ المجاور
(فوق الشجرة أيضا) مسحوق الجراد ، فتناوله بسعادة * لم
یطلب موفات أن يعيش كما كان يعيش فى لندن ، وانما وجد
فى الظروف الجديدة ما يدعوہ للتكيف مع حياة جديدة ،

ولم تكن المسألة مسألة رغبة في التكيف فحسب وإنما كان الرجل يحس بسعادة حقيقية . . فهل تساعد هذه الرحلات رواد مشروعنا القومي (توشكى) على أكل الجراييع (أو اليرابيع) وهى حيوانات يأكلها البدو بتلذذ واضح ، وهى على أية حال لحوم أو مواد بروتينية لا تختلف فى قيمتها ومذاقها عن لحوم الضأن والماشية ، كما أنها ليست من المحرمات التى حرمها الاسلام أو المسيحية . وهل سيأنفون من أكل الجراد وهو محل شرعا ، كما أنه طعام كان محبوبا وشائقا للعرب الأثرياء (عزب البترول) خاصة قبل ظهور هذا الذهب الأسود . وكان يحفف ويبيع بالوزن أو المكيال .

شكرا للحمار والثور :

لا يكاد المطالع لهذه الرحلات يجد واحدا من الرحالة لم يستغن بالثيران والعربات التى تجرها الثيران ، والحمير والعربات التى تجرها الحمير فى انتقاله وانتقال رفاقه ونقل أمتعته ، ثم يأتى دور الخيول متأخرا نسبيا . لقد فرضت الظروف الطبيعية خاصة الغطاء النباتى ذلك ، مع أن رحلة سيلوز تمت فى أواخر القرن التاسع عشر . ومن هنا لاحظنا أن معظم الرحالة كانوا خبراء فى معاملة هذه الحيوانات كما كانوا خبراء فى اصلاح عجلات العربات الكارو التى تجرها الثيران أو الحمير . ومع كل هذا التطور فى وسائل المواصلات فى هذا القرن العشرين ، فلا غنى - فى حالات كثيرة ، عن الحمير والخيول والبغال والجمال لا لتركيبها وزينة فحسب ، وإنما ستصل بنا الى أماكن لم نكن لنبلغها بالسيارة وغيرها . . فالسيارة فى حاجة الى طرق معبدة أو معقدة ، وليس الأمر كذلك بالنسبة للجمل وغيره من الدواب . . أن هذه الرحلات

بمثابة دروس لرواد المشروعات الكبرى فى الصحراء ،
والمناطق الغائية •

الزعيم :

وتقدم لنا هذه الرحلات صورة نابضة لزعيم وثنى (وطنى)
وطريقة فرضه لذاته على شعبه • انه شاكا الذى قام
— بلا شك — بأعمال جليلة لتوحيد شعب الزولو ، ومع هذا
فقد كان نموذجا لا يختلف عن نموذج الدكتاتور الذى ظهر
فى فترات لاحقة حتى القرن العشرين ، فشاكا هو الزعيم
« المحترم والمحبوب والمبجل » من كل شعب الزولو ، فالشمس
اشراقته ، والليل غضبته ، والمطر رضاؤه ، والقحط سخطه ،
وعندما أصيب شاكا فى محاولة لاغتياله ، فرضت اجراءات
غريبة وصارمة :

— قتل رجال شاكا عددا كبيرا لأنهم لم يبكوا كما ينبغى
أن يكون البكاء •

— تم قتل عدد من الرجال والنساء لأنهم كانوا يبكون
وهم جلوس •

— تم بقر بطون الحوامل ، فكيف تحمل النساء وشاكا
مصاب •

— تم تحريم كل اتصال جنسى بين الرجال والنساء ،
فان ظهرت شواهد على ممارسة هذه اللذة تم اعدام الرجل
والمرأة •

— منع نحر الماشية لاطعام الناس ، فلا لحوم وشاكا
مصاب •

وبعد أن تأكد أن شاكا بخير وأنه سيتمثل للشفاء تغير
الوضع (. . .) لقد دلت الشواهد كلها الآن على أن شاكا قد
عوفي تماما ، فنحر الزعماء والقادة الذبائح كأضحيات ،
وفي اليوم التالي فعلت نساء الزعماء الشيء نفسه ، ثم نحر
شاكا الذبائح وقدمها لروح أبيه المتوفى (. راجع تفاصيل
ذلك في رحلة هنرى فين .

ولطرافة موضوع الزعامات التقليدية هذا ، نؤثر أن
نكمل من مراجع أخرى (١) حقائق إضافية عن شاكا
زعيم الزولو .

شاكا يحطم مزيدا من الأمم :

. . . بعد انهيار الندواندوى ، أصبح شاكا أكثر الحكام
قوة وجبروتا في بلاد الزولو ، فقد هزم كثيرا من القبائل
وأخضعها لسلطانه ، بينما تحركت قبائل أخرى لمناطق نائية
حيث أسست أوطانا جديدة . واشتعلت حروب لا نهاية لها
عبر منطقة واسعة . فقد هوجمت الناتال على سبيل المثال
خمس مرات ، في سنة ١٨١٧ ، ١٨١٨ ، ١٨١٩ ، ١٨٢٤ م
قبل أن يتم اسقاطها وتحطيمها نهائيا . وحتى الملك سوبهوزا
Sobhuza ملك النجوين Ngwane ، والملك موشيش
Moshesh ملك الباسوتو Basuto قد اعترفوا بسيادة شاكا
بدفعهم اتاوة منتظمة ، أما التسونجا Tsonga وبقية السكان
الأصليين في الناتال فقد اعترفوا بسلطان شاكا أيضا ، وإن
كانوا من الناحية العملية مستقلين ، ذلك هو شاكا في
ذروة مجده .

(١) جديون ، س وير ، تاريخ جنوب أفريقيا ، الرياض ، ١٩٨٦ م . ترجمة
د . عبد الرحمن الشيخ ، والمؤلف أستاذ بجامعة نيروبي .

لقد كان طموح شاكا هو ابادته جيرانه وأعدائه ومد سلطانه ، لهذا فقد قاسى البوندو Pondo والاكروسا Xhosa والتمبو Thembu من هجماته القاسية وغزوه لبلادهم . ومن الناحية العملية تأثرت كل بلاد الزولو والناتال والمناطق الساحلية تأثيرات مباشرة بهذه الحروب . ومهما يكن من أمر ، ففي سنة ١٨٢٣ م ، رغم أن الحروب كانت ما تزال مستمرة ، إلا أن ذروة المفيسين (حروب شاكا) كانت قد بدأت تنحدر .

الاتصالات مع الانجليز :

لقد شهد عام ١٨٢٤م تطورا جديدا في سياسة شاكا ، فقد تحقق من المكاسب التي يمكن أن تعود عليه اذا كون علاقات طيبة مع المجتمع الانجليزى التجارى الصغير فى ميناء ناتال الذى أصبح فيما بعد ميناء دربان . فالتجارة مع الانجليز ستمكنه من الحصول على الأسلحة النارية ذات القيمة الفائقة . لقد قرر شاكا أن يكسب تأييد ومساندة هذا المجتمع الانجليزى فى الميناء ، ففي سنة ١٨٢٤م منح جانبا مما يعرف اليوم باسم ناتال ، لتاجر انجليزى يسمى فارويل Farewell مقابل تقديم مساعدة طيبة له وقد أصبح التجار البيض فى المنطقة المتنازل عنها من رعايا شاكا وحاربوا معه رغم أنهم تركوا يعيشون بمفردهم معظم الوقت . وقد أثبتت مساعداتهم العسكرية له جدواها عندما عاود الزولو محاربة الندواندوى فى سنة ١٨٢٦م والبيجي Beje فى سنة ١٨٢٧م . وفى الحالتين أوقعوا بأعدائهم خسائر كبيرة ، اذ فقد الندواندوى حوالى ٦٠٠٠ رأس ماشية وفقد البيجي قطعانا كثيرة . ونتيجة هذا تحلل الندواندوى كمجتمع

موحد ، وكان زعيمهم زويدي قد مات قبل ذلك بعام ، أي
سنة ١٨٢٥م .

موت شاكا :

لقد أصبحت أيام شاكا معدودة ، وقد سبقته أمه إلى
العالم الآخر سنة ١٨٢٧م وقد أثر موت أمه ناندی Nandi
عليه تأثيرا شديدا فأعلن الحداد في كل البلاد طوال العام
وخلال فترة الحداد كان محظورا على كل النساء السماح
لأزواجهن بمضاjectهن . ولمدة حوالي شهور ثلاثة منع الناس
من شرب الحليب . وتم اعدام آلاف الرجال والنساء لأنهم
لم يشتركوا في الحداد أو لم يظهره بالشكل الكافي . كما
وجهت التهم إلى آخرين بأنهم كانوا في موت ناندی راغبين ،
وهؤلاء تم اعدامهم أيضا ، كما تم اعدام كل امرأة حبلى .

وفي مطلع العام التالي قام أخوا شاكا وهما مهلنجانا
Mhlangane ودنجان Dingane بالتعاون مع مبهوبا Mphopa
وهو أحد الزعماء القريبين منه Induna بطعنه طعنات أودت
بحياته . وكانت كلماته الأخيرة التي انتزعها في سكرات
الموت بينما كان يسقط على الأرض :

(أوه ، ماذا فعلت لكم يا أولاد أبي !)

هذه الرحلات وتاريخ المنطقة :

تغطي هذه الرحلات أكثر من مائتي سنة فقد بدأنا
برحلة ديرستل ١٦٨٥م أي في الربع الأخير من القرن السابع
عشر إلى رحلة سيلو Selous ١٨٨٨م أي في الربع الأخير
من القرن التاسع عشر .

وسبق أن قدمنا للقارئ العربي في كتاب آخر في هذه
السلسلة نفسها رحلة داجاما وتقرير دوز سانتوس ،

وكلاهما مرتبطان بجنوب أفريقيا بمعناها الجغرافي
الواسع ، . . لقد كانت جنوب أفريقيا ميدانا لصراع قوى
أوروبية مختلفة ، وتمثل هذا في جنسيات الرحالة : برتغاليون
(سانتوس) وهولنديون (دير سفل) وانجليز (ليفجتون
وغيزه) ، وقد أصبح تاريخ المنطقة معروفا طرقته مراجع
كثيرة ، لكننا خدمة لمن يريدون تذوق هذه الرحلات نورد ثبنا
بأهم الأحداث التاريخية ذات الصلة بالمنطقة حتى أواخر
القرن التاسع عشر (حيث رحلة أندرسون ، ورحلة
سيلوز) .

- ١٤٩٧ (١) فسكو دي جاما يبحر حول الكيب .
- ١٥٩٣ البانتو يصلون الى نهر أومتاتا Umtata
- ١٦٠٠ تأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية .
- ١٦٠٢ تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية .
- ١٦٥٢ جان فان ريبك يصل لخليج نيبيل .
- ١٦٥٧ المستوطنون البيض الأول يمنحون الأراضي . وفي
هذا العام تم استيراد العبيد من جاوه ومدغشقر .
- ١٦٧٩ سيمون فان ديرستل يصبح حاكما Commander في
الكاب . .
- ١٦٨٨ الهيجونوت يصلون للكاب .
- ١٦٩٩ وليم فان دير ستيل يصبح رئيسا للكاب (تم استدعاؤه
سنة ١٧٠٧ ل) .
- ١٧١٣ معاهدة أوترخت والنهاية المؤقتة للحروب الأوروبية
- ١٧٣٧ الارسالية المورافية Moravian Brethren تبني محطة
ارسالية في Batavian's Kloof

(١) هذا التاريخ ميلادي .

- ١٧٨٠ الحدود الشرقية لمستعمرة الكاب - الى نهر فش *
- ١٧٨٣ مولد شاكا *
- ١٧٩٤ افلاس شركة الهند الشرقية الهولندية *
- ١٧٩٥ الاحتلال البريطاني الأول *
- ١٨٠٢ صالح اميان : مستعمرة الكاب تنتقل لحكم جمهورية باتافيا *
- ١٨٠٦ الاحتلال البريطاني الثاني *
- ١٨١٢ حدود المستعمرة تمتد لتشمل الزوروفلد *
- ١٨١٥ (تقريبا) موشيشن* يصبح حاكما على الباسوتو *
- ١٨١٦ شاكا يصبح حاكما للزولو *
- ١٨١٨ نداندوى بقيادة زويدى تلاقى الهزيمة أمام شاكا *
- بداية حروب المفيسين *
- ١٨١٩ الدكتور فيليب يصل للكاب *
- ١٨٢٠ المستوطنون الانجليز الأول يصلون للكاب *
- ١٨٢١ مزيليكاوى يثور ضد شاكا *
- ١٨٢٤ جانب من الناتال ، يتنازل عنه شاكا للانجليز *
- ١٨٢٥ (تقريبا وما بعدها) النديبيلى بقيادة شاكا يهاجمون عبر نهر الفال *
- ١٨٢٦ حدود مستعمرة الكاب تمتد الى نهر الأورانج *
- ١٨٢٨ الانجليزية هي اللغة الرسمية / صدور اللائحة الخمسينية / موت شاكا فى بلاد الزولو / دنجان يتولى حكم الزولو *
- ١٨٣٣ تحرير العبيد / تأسيس محطات (مراكز) تبشيرية جنيدة فى Marija و Beersheba .

- ١٨٣٤ الحرب السادسة من سلسلة حروب الكافير / الدستور الجديد يبدأ فى عهد الحاكم السير بنيامين دربان .
- ١٨٣٥ توسعات حدودية أخرى بناء على اقتراحات دربان لكن الحكومة البريطانية رفضت الاعتراف بها / بدء الزحف العظيم (الهجرة البويرية الكبرى / بيت رتيف يطلب أراضى من دنجان .
- ١٨٣٦ الدفعة الثانية والثالثة من الزاحفين البوير تغادر الكاب . النداندوى بقيادة زوانجندابا يصلون ما يعرف اليوم باسم مالاوى .
- ١٨٣٧ البوير بقيادة بوتجيتير Potgieter يهزمون النديبيلي ويهاجرون شمالا الى ما يعرف اليوم باسم روديسيا .
- ١٨٣٨ رتيف يطلب أراضى من دنجان مرة أخرى / دنجان يلقي هزيمة على يد البوير فى معركة نهر الدم .
- ١٨٤٠ النداندوى بقيادة زوانجندابا يصلون الى ما يعرف باسم تنزانيا / موت سوبهزرا فى بلاد السوارى .
- ١٨٤٢ تأسيس جمهورية الناتال .
- ١٨٤٥ ضم الناتال لمستعمرة الكاب . مسواتى يمنح البوير مزيدا من أراضى السوازي .
- ١٨٤٦ موشيش يعقد معاهدة مع بريطانيا لدعمه فى صراعه مع البوير .
- ١٨٤٨ المنطقة الممتدة بين نهري الأورانج والفسال ودراكنبرج تلحق بمستعمرة الكاب .
- ١٨٥٠ الباسوتو يحققون نصرا على البوير .
- ١٨٥٢ ميثاق نهر الرمال يمنح البوير الحكم الذاتى شمال نهر الفال (جمهورية جنوب أفريقيا) بريطانيا

تغزو الباسوتولاند / تعدد النحاس يبدأ في
سبرنجبوكفونتين Springbokfontein .

١٨٥٣ موشيش يهزم مانتاتيز .

١٨٥٤ ميثاق بلومفونتين يمنح الحكم الذاتي للمستوطنين
في منطقة نهر الأورانج Orange River Sovereignty .

١٨٥٦ موت شانجان في سوازيلاند .

١٨٥٧ البوير يهاجمون الباسوتو ويستولون على أراض
كثيرة / اتخاذ خطوات نحو الاتحاد الفدرالي في ظل
سير جورج جراي ، حاكم المستعمرة .

١٨٥٨ - ١٨٧٠ توحيد الترنسفال .

١٨٦٦ البوير يهاجمون الباسوتو مرة أخرى ويستولون على
مزيد من الأراضي .

١٨٦٧ اكتشاف الماس في جريكالاند الغربية .

١٨٦٨ موت مزيليكازي ، حاكم النديبيلي / لوپنجولا يخلفه /
باسوتولاند تصبح محمية بريطانية .

١٨٦٩ اكتشاف الماس في كمبرلي .

١٨٧٠ سيسل رودس يصل للكامب .

١٨٧١ جريكالاند الغربية محمية بريطانية .

١٨٧٢ رودس يذهب الى كمبرلي .

١٨٧٣ سيتيووايو Cetewayo يلقي اعتراف بريطانيا به
كحاكم للزولو .

١٨٧٥ موت مسواتي في بلاد السوازي .

١٨٧٦ البيدي بقيادة سيكوكوني يهزمون الترنسفالين .

١٨٧٧ الزولولاند وجمهورية جنوب أفريقيا تلحقان
بريطانيا .

- ١٨٧٨ قانون الحفاظ على السلام لنزع سلاح الأفريقيين) .
- ١٨٧٩ الزولو يهزمون الانجليز في معركة أيزاندهلوانا
Isandhlwane .
- ١٨٨٠ حرب البنادق في الباسوتو / الحروب الاستقلالية في
في الترنسفال / ضم الجريكالاند الغربية لمستعمرة
الكاب .
- ١٨٨١ البوير يهزمون بريطانيا في معركة تلال ماجوبا
Majuba ميثاق بريتوريا / تكوين شركة المناجم
التضامنية De Beers Consolidated Mines LTD.
- ١٨٨٢ نفي سيتيووايو / دينيزولو يخلفه / تأسيس الألمان
أنجرا بكويت Angra Pequena في جنوب غرب
أفريقيا / انتخاب كروجر رئيسا للترنسفال .
- ١٨٨٤ اكتشاف الذهب في وتووترسراند .
- ١٨٨٥ الحاق البتشيوانالاند ببريطانيا .
- ١٨٨١ افتتاح خط سكك حديد الترنسفال - خليج دلجوا .
- ١٨٩٠ موت مبانديني في السوازيلاند / بانو يخلفه /
رودس رئيسا لوزراء الكاب / روديسيا منطقة
بريطانية / .
- ١٨٩١ - ١٨٩٢ افتتاح خط سكة حديد (الناتال -
الترنسفال) خط بريتوريا - خليج ديموا /
بريتوريا - الكاب / الكاب - راند .
- ١٨٩٣ شركة جنوب أفريقيا البريطانية تهزم النديبيلي /
الهوتنتوت يثورون ضد الحكم الألماني في جنوب
غرب أفريقيا .
- ١٨٩٤ ضم الناتال لدولة الزولو . ضم السوازيلاند
للترنسفال .

١٨٩٥ حملة جيمسون / رودس يتنحى / خط سكك حديد
الناتال يتم افتتاحه .

١٨٩٦. برفقية تهنة من Kaiser فى ألمانيا الى الرئيس
كروجر بمناسبة هزيمة حملة جيمسون .

١٨٩٧ ملند مندوب سام بريطانيا فى الكاب .

١٨٩٩ - ١٩٠٢ الحرب الانجليزية البويرية .

١٨٩٩. (ديسمبر) هزيمة الانجليز فى كولنسو وستورمبيرج
ومناجر سقوتشاين .

١٩٠٠ (فبراير) احتلال بلومفنتين (يونية) سقوط
بريتوريا .

واخيرا نرجو أن يجد القارئ الشغوف بضروب أخرى
من المعرفة والآداب فائدة فى هذه الرحلات التى يعد بعضها
بمثابة دروس فى رياضة القنص ، كما لا يخفى أن عدداً من
الرحالة الذين تضمهم هذه المجموعة اتسم عرضهم بالطرافة
والجصان .

وعلى الله قصد السبيل

د . عبد الرحمن عبد الله الشيخ

رحلة

سيمون فان دير ستل

SIMON VAN DER STEL

جبال النحاس

ولد سيمون فان دير ستل في موريشيوس ، وكا ابنًا لقائد تلك المحطة ، وتلقى تعليمه في امستردام ، واصبح قائدا للراس في سنة ١٦٧٩ م ، وسرعان ما طور مركز الاستيطان بها الى مستعمرة ، وقد ظهرت رحلة ستل الى جبال النحاس باللغتين الانجليزية والهولندية ، والنص التالي من كتاب « يوميات رحلة ستل الى تاماكالاند ١٦٨٥ - ١٦٨٦ م » الذي نشر سنة ١٩٣٢ م في لندن وديبلن

Simon van der stel's journal of his expedition to Namaqualand 1686 edited by G. Waterhouse. Longman, London ; Hodges Dublin, 1932.

١٦٨٥ م - أغسطس :

السبت ، ٢٥ أغسطس - في الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم غادرنا - ومعنا أمتعتنا - قلمة رأس الرجاء الصالح ، معتمدين على الله ذاكرين اسمه - آمين - وكانت

القوة تتكون من سبعة وخمسين رجلا أبيض كما يتضح من
القائمة المرفقة .

وكان من بينهم داين مانجل Mangle وهو أمير
ماكاسر Macassar ، ومعه خادمه ، بالإضافة الى ثلاثة
خدم سود للقائد الشرفى Honorable Commander وكانت

قافلتنا تتكون من عربة تجرها ستة خيول ، وثمانية حمير
وأربعة عشر حصانا للركوب ومدفع ميدان محمول على
عربة field piece وثمانى عربات من النوع ذى العجلتين لحمل
الأثقال تجر الواحدة منها دابة ، وسبع عربات مغطاة ، تحمل
أحداها قاربا ، وتسعة وثمانين ثورا من ثيران التحميل
والسحب ، بالإضافة الى قوة حماية مواكبة لنا مكونة من
ستة من أهل البلاد بعرباتهم التى تجر الواحدة منها ثمانية
ثيران ، وكان على هذه القوة المرافقة أن تتركنا عند نهر
الفيل Elephant's River بعد أن قطعنا ميلا وخمس الميل (★)

عسكرنا فى موضع يسمى قرية (كرال) Hooje Kraal هوج

(★★) حيث التحق بنا الرئيس الشرفى (القائد
الفخرى) فى الساعة الرابعة بعد الظهر وكان بصحبته السيد
أندرياس دى مان Andries de Man والمستول الثانى الكابتن

هيرونيوس كروس Hieronimus بالإضافة الى عدد من
أعضاء المجلس ، وآخرين أقل رتبة . واستعرض القائد
الفخرى المجموعة بأسلحتها الكاملة ، وقد حيناه ومن

(★) الميل المستخدم هنا يساوى حوالى ١٦٤ ميلا انجليزيا تشريعيا (الميل التشريعى
يساوى ٥٢٨٠ قدما أو ١٧٦٠ ياردة) - (المترجم) .

(★★) راجع مادة كرال فى دليل المصطلحات بآخر الكتاب - (المترجم) .

معه بإطلاق ثلاث طلقات دفعة واحدة . وكان خط العرض
حيث نحن الآن هو ٢٠°٣٤' .

الخميس - ١١ أكتوبر :

(حوالى تسعة أميال الى الشمال من الدورنبوش أو نهر
جرين the Doornbosch or Green River) (★) لقد غادرنا
المعسكر هنا فى الساعة السابعة واتخذنا طريقنا نحو واد
ضيق شديد انحداره بين جبلين شاهقين ورحنا نصلعد بشىء
من المشقة ولما وصلنا للقمة وجدنا هذين الجبلين مسطحين
(مستويين) تماما ، ولما تقدمنا وصلنا الى الجبال التى كان
يتحتم على أولوف بيرج Olof Bergh أن يعود منها رحلته فى سنة
١٦٨٣ ، وقد قدرنا أن هذه الجبال تمتد لميل أو ميلين عن
أيامتنا ، وهى جبال شاهقة بشكل لا يصدق وهى لا تعدو
كونها كتلا صخرية ضخمة مصمتة شديدة الانحدار لا يمكن
تسلقها . وبعد أن قطعنا نصف الميل - من هنا - وصلنا الى
موضع كان يتحتم علينا فيه أن نعسكر فلم نكن قد صادفنا
قبل الوصول لهذا المعسكر فوق هذه الهضبة سوى مستنقعات
ساخت فيها الدواب والعربات واضطربنا لمرات عدة لسحب
ثور قوى ، وقد أدى هذا الى اصابتنا بالارهاق ، وظهر
الارهاق - كذلك - على الدواب فبدت خائرة القوى . ويرجع
السبب فى أن الطرق فوق هذه الجبال وبينها لا يمكن المرور
بها ، أن الأمطار التى هطلت أثناء الرياح الموسمية الماضية ،
لم يكن من الممكن أن تتسرب فى هذه الأرض الصخرية ،

(★) ترجمته كما لا يخفى النهر الأخضر ، لكن الكتب العربية دأبت على عدم
ترجمة الأسماء فى هذه الأنحاء ، فهى تذكر نهر فش QSI: ٤٤ ليس نهر السمك
ونهر جرين وليس النهر الأخضر . . . وهكذا ، وربما كان ذلك لأن الاسم الأجنبى صار
فى حد ذاته علما - (المترجم) .

وانما كان لابد من الانتظار حتى تبخرها أشعة الشمس ، وهذا يتطلب وقتا طويلا ، ومن ثم فإن الطرق في هذه البقعة تظل صعبة الاجتياز أو بالأحرى مستحيل اجتيازها لفترة طويلة . لقد كان الموسم المطير الماضي - كما أخبرنا أماكاس Amaquas هو موسم المطر الوحيد الذي روى هذه المنطقة في أربع سنين . لقد كان المعسكر غاصا بالحشائش والمياه ، أما وقودنا فكان من أشجار شوكية صغيرة تنمو على طول المجازى المائية هنا . أما تقديراتنا لخط سيرنا فهو (٦°) شرق الشمال الشرقي - ميلان ، وقد رنا أننا عند خط عرض ٣١° ٢٩' وخط طول ٦٩° ٣٧' (★) .

الجمعة ١٢ أكتوبر :

ارتأى القائد الفخرى أن نمكث هنا ، فقد كانت القافلة منهكة ولم يكن بمقدورنا أن نجازف بالتقدم دون القيام باستطلاع الطريق ، ولذلك فقد أرسلنا ضابط النظام (الرقيب) ومعه ستة آخرون لاستطلاع الطريق ، فعاد بعد الظهر ليقرر لنا أن الطريق أفضل - يقينا - من الطريق التي قطعناها في اليوم السابق فلم تكن هناك أراض مستنقعية الا قليلا . كان الجو هذا اليوم رطبا جدا وغاصا بالضباب ، والسماء مليدة بالسحب .

السبت ١٣ أكتوبر :

في الساعة السادسة والنصف من صباح هذا اليوم جمعنا معسكرنا في جو ضبابي واتخذنا طريقنا نحو حيد

(★) عن مدى دقة هذه التقديرات ، راجع المقدمة - (المترجم) .

الجبل ودرنا حوله ، ومن ثم دخلنا سيلا (واديا ضيقا) عميقا جدا بين جبلين صخريين شاهق ارتفاعهما ، وكانت تنساب من الجبلين مجار مائية مأوها عذب سائغ ، وكانت المسافة المنحدرة في هذا الوادى تبلغ الميل طولا ، وكانت مليئة بالأحجار غير الثابتة التى تتدحرج الى الجزء الأدنى . ومن هذا المكان تابعنا مسيرنا حتى وصلنا الى نهر صغير فعبرناه وأقمنا معسكرنا على جانبه الآخر . لقد كان الموضع الذى عسكرنا فيه سهلا بهيجا تحيطه تلال منخفضة كستها الأعشاب والأشجار وبها مصادر مياه وفيرة . لقد كان الطريق الذى أتينا منه شاقا ومتعبا فى غالبه باستثناء بعض المناطق السبخة (المستنقعية) هنا وهناك التى تمكنا من عبورها دون مشقة . وقد أتى بعض الوطنيين فمعسكروا قبالتنا على الشاطئ الآخر وتصبوا معسكرهم وكان يتكون من ثلاثة كرات *Krals* (مساكن مؤقتة يعدها أهل البلاد لاقامتهم) ، وكانوا يقصدون باقامتهم فى مقابلنا أن يبادلونا بما يملكون من حليب قليل وماشية . لقد كان موقعنا التقريبى فى هذا اليوم هو ٤ درجات شمال الشمال الشرقى بميل وثلاثة أرباع الميل . عند خط عرض ٢٨° ٢٩' وخط طول ٥٢° ٣٧' .

الأحد ١٤ أكتوبر :

لقد مكثنا فى هذا الموضع — كما سبق أن ذكرنا — لاجراء مزيد من الاتصالات مع جماعات الأماكوا *Amaquas* . وقد كللنا هذه الاتصالات بأن نجحنا فى عقد اتفاق معهم وفقا للشروط والشهادات التالية :

— أن نعيش معا (نحن وهم) فى سلام .

— ألا تحارب جماعات الأماكوا بعضها بعضا ، وأن يكفوا عن شن مزيد من الحروب ، وإذا حدث وتجاوز الأماكوا هذا الشرط فإن الشركة الموقرة ستمد يد العون للجانب الذى تراه على حق .

— وأكثر من هذا فإن الشركة الموقرة ستنبه جماعات الهوتنتوت Hottentos والهيسيكوا Hesiquas والجريجرىكوا Gregriqua وغيرهم من رعايا الشركة فى منطقة الكاب (الرأس) وستحذرهم من القيام بأى عمل عدائى ضد الأماكوا Amaquas حتى يتمكنوا (أى الأماكوا) من اتخاذ طريقهم الى رأس الرجاء الصالح ليقوموا بأعمال تجارية مع الشركة الموقرة .

ولم نعقد مع الأماكوا Amaquas اتفاقا بشأن جبل النحاس لأننا لم نعرف بعد الظروف المحلية ولا كيف نبدأ بحثنا عن ميناء ، لذا فالأمر مؤجل حتى نقوم بمزيد من الاستقصاءات . وقد عرض الزعيم أوديسون Oedesson خدماته ليقدم لنا معلومات كاملة وليد لنا الى مكان جبل النحاس . ولدى هؤلاء نوع خاص من الصمغ يجمعونه من الأشجار كما أن لديهم بعض الرمال التى تتألق كالزجاج ، ويمكن للمرء أن يحكم بأنها حاوية على المعادن .

وقد صرح الزعماء المحليون وأهل البلاد العاديون — بالاجماع — بأنهم يحصلون على هذه الرمال من نهر يسمونه نهر ايش Ean وهو نهر عميق جدا — حسب تقديراتهم — بالقرب من البحر ، كما انه سريع الجريان جدا . ويقولون انه على بعد رحلة قوامها عشرة أيام من جبل النحاس ، وقد

تقدر القائد (الكوماندا) الجليل انه على خط العرض نفسه
الذى يقع عليه نهر فيجيتى العظيم Vigiti magni . ويقطن
على الضفة اليمنى لهذا النهر حتى ساحل البحر قبائل متعددة
من الهوتنتوت ، لكن أهل البلاد أخبرونا أنه يستحيل علينا
أن نصل اليه بواسطة العربات التى تجرها الدواب .

وبمناسبة عيد ميلاد قائدنا الجليل ، فقد أطلقنا النار
على ثلاث دفعات احتفالا بهذه المناسبة ، وكنا نطلق طلقة
مدفع عقب كل دفعة . ولما علم الأماكوا عزفوا موسيقاهم
احتفالا بهذه المناسبة . وكانت آلاتهم الموسيقية عبارة
عن قصبات (غابات) طويلة مجوفة (مزامير) تعطى
كل منها نغمة مختلفة ، ويمكن مقارنة نغماتها بنغمات
الأرغن . لقد وقفوا فى حلقة مكونة من عشرين
شخصا وفى وسط الحلقة شخص يحمل فى يده عصا
طويلة نحيلة وراح يقود فريق المغنين ويضبط الايقاع ،
وقد راعى جميع المغنين والعازفين توجيهاته على نحو
صحيح وراحوا يرقصون وقد وضع الواحد منهم يدا على
أذنه بينما قبض بالآخرى على المزمارة مثبتا اياه بين الشفتين .
وخارج حلقة العازفين يقف رجال ونساء يصفقون تجاوبا مع
موسيقا العازفين وكانت حركة الراقصين والمصنفين حول
حلقة العازفين حركة رقيقة لا تتناسب مع كونهم من المتوحشين
(البدائيين) واستمر عزفهم ورقصهم طوال النهار وقد أمر
قائدنا المبجل ببيع ثور لياكل منه زعمائهم القبليون
العازفون والراقصون بعد الانتهاء مما هم فيه من عزف
ورقص ، وقدم لهم قائدنا أيضا بعض مشروب العرق (شراب
مسكر) ليعودوا الى مقارهم (كاراتهم) وهم سعداء . وفى
هذا اليوم بادلونا بالماشية . وقبل المساء عسكرت الى

جوارنا جماعة أخرى بهدف أن يقدموا لنا الحليب مقابل حصولهم على التبناك .

الاثنين ١٥ أكتوبر :

بقينا في موقعنا لتعرف ما اذا كانت الجماعة التي وصلت أخيرا ترغب في مبادلة أشياء أخرى . وفي هذه الأثناء وصلت جماعة أخرى وأعطتنا ماشية مقابل ما قدمناه لها ، وبعد الظهر بدأنا نستعد للرحيل ، وأقبل زعماء الأماكوا في اليوم التالي - مرة أخرى - ومعهم الموسيقيون ليستأذنوا قائدنا المبجل في الرحيل . وكان اسم واحد منهم أوديسون ، واسم زعيم آخر هابي Haby . وقد اقترح هؤلاء الزعماء أن يقدموا لنا كل المعلومات التي نريدها فقدم لهم قائدنا المبجل ثلاثة خراف وزجاجات قليلة من العرق (شراب مسكر) مما جعلهم - وموسيقييهم - مرحين طوال الليل .

الثلاثاء ١٦ أكتوبر :

غادرنا معسكرنا في السابعة صباحا واتخذنا طريقنا صوب الشمال حتى وصلنا لواء صغير سرنا فيه حتى أفضى بنا إلى جبل صخري فلما هبطنا من فوقه ألقينا أنفسنا نسير على طول نهر صغير فمعسكرنا على شاطئه ، وأينما وجهنا النظر لم نكن نرى شيئا خلا الجبال الصخرية الشاهقة ، لقد كان الطريق الذي سلكناه جيدا تماما إلا أنه كان في معظمه رمليا كثير النحى تنمو فوقه شجيرات منخفضة . وكان النهر الأنث ذكره غامرا بالمياه المتعشة وكان شاطئاه تغطيهما الشجيرات الشوكية كما توفرت الأعشاب بكميات طيبة . وقد مكثنا هنا لأن زعماء الأماكوا أخبرونا أننا لن نجد بعد ذلك عشباً

ولا ماء وأن الطريق بعد ذلك سيكون مليئا بالأحجار غير
الثابتة .

وبعد الظهر تسلق ضابط من جماعتنا (Quertermaster)
واحدا من الجبال الأنف ذكرها ، ومن موقعه فوق الجبل رأى
البحر (المحيط) ناحية الجنوب على بعد حوالي اثني عشر ميلا
أو ثلاثة عشر ميلا . وقدر أننا قطعنا (هذا اليوم) نحو
الشمال $2\frac{3}{4}$ ميل ، وقدر خط العرض $19^{\circ} 29'$ وقدر خط
الطول $50^{\circ} 37'$.

الأربعاء ١٧ أكتوبر :

غادرنا المعسكر فى الساعة السادسة والنصف واتخذنا
طريقنا بجذاع النهر الأنف ذكره حتى وصلنا الى واد عميق
اتخذنا طريقنا فيه . لقد كان الطريق ضيقا مليئا بالجلاميد
(الأحجار المكورة) غير الثابتة ، وقد صعدنا فى هذا الوادى
بمشقة بالغة حتى وصلنا الى حيد جبل آخر شاهق ارتفاعه ،
وكان اتجاه الوادى الضيق الى الشمال الشرقى . ولما هبطنا
الطريق وجدناه أكثر صعوبة من الطريق السابق الذى صعدنا
فيه فقد كان أشد ضيقا وأكثر امتلاء بالجلاميد غير الثابتة ،
لذا فقد انعرفت عدة عربات من عرباتنا وتحطمت فكنا
مضطرين لاقامة معسكرنا فى بطن الوادى بجوار نهير
صغير . كان مأواه غير سائغ وتعتريه ملوحة وكانت
الشجيرات والحشائش متوفرة فى المكان على نحو ما . لقد
أحاطتنا الجبال الجرداء الا من شجيرات الصبار ، ولم نعد
نرى سواها . وكان تقديرنا للاتجاه والمسافة هو 8° شرق
شمال الشمال الشرقى . أما تقديرنا لخط العرض فهو
 $12^{\circ} 09'$ ، وتقديرنا لخط الطول هو $56^{\circ} 37'$.

الخميس ١٨ أكتوبر :

وغادرنا معسكرنا هذا فى الصباح وسرنا فوق تلال
حجرية مختلفة حتى وصلنا الى جانب جبل تناثرت عليه أحجار
ضخام غير ثابتة بأعداد كبيرة ولما سرنا عند سفحه وصلنا الى
نهر كبير حيث كنا مضطرين للتوقف وإقامة معسكرنا لأن
عرباتنا التى تهشمت فى اليوم السابق قد انشطرت على هذه
الصخور فتعين علينا اصلاحها ، وقد أتاحت لنا الآن فرصة
طيبة لتحقيق هذا الغرض فالنهر الذى توقفنا عنده تحفه
أشجار شوكية وأشجار أخرى لا ندرى أسماعها ، وكان هذا
النهر ضحلا وماؤه تعتريه بعض الملوحة ، أما عرضه فحوالى
عشرين قصبة (القصبة ٥٠ ردة أو ٢٩ ر٠ متر)
وكان العشب متوفرا فى هذا المكان . وكان تقديرنا للمسافة
والاتجاه هو شمال بشرق خمسة أثمان ميل ، وتقديرنا لخط
العرض ٥٧ ر ٥٧ ° أما خط الطول فكان عند ٢٩ ر ١٠ ° .

الجمعة ١٩ أكتوبر :

غادرنا المعسكر فى السادسة والنصف وكان الطقس
جميلا واتخذنا طريقنا مساحلين للنهر الآنف ذكره فى
اتجاه غربى بميل للشمال مقداره نصف ميل
وعند هذه النقطة عبرناه وصعدنا مرتفعا وسرنا خلال
الجبال حتى وصلنا لأرض منخفضة حيث وجدنا أنفسنا
مضطرين للسير فى واد متوسط العمق واستطعنا أن نجتاز
بغرباتنا دون أن تتحطم ، وبينما كنا نهبط متحدرا فى هذا
الوادى كان الطريق يتخذ اتجاهها شماليا مباشرا حتى وصل
بنا الى منخفض مسطح ينبع فى اتجاهه الى الشرق وكان علينا
أن نمسك هنا لأن أخبارا وصلتنا أننا لن نصل الى أى مصدر

ماء هذا اليوم . لقد كانت المنطقة التي سلكنها هذا النهار ليست أكثر من أرض رملية محصوصبة (بها حصى كثير) تقطعها المجارى المائية المختلفة التي كانت فى هذا الوقت جافة تماما . وكان معسكرنا يحصل على الماء والعشب وأخشاب الوقود بين الحين والحين ، وقدرنا مسيرنا والمسافة التي قطعناها بميلين ونصف الميل فى اتجاه الشمال الغربى . عند خط عرض ٢٩ر٥ ° خط طول ٥٦ر٣٧ ° تقريبا .

السبت ٢٠ أكتوبر :

جمعنا معسكرنا فى الساعة السادسة والنصف واتخذنا طريقنا حول احدى المرتفعات وذلك لتعاشى صعود جبل شاهق واتخذنا طريقا شرقيا حتى مدخل واد صغير فكرنا فى السير فيه لكننا وجدنا ذلك محالا نظرا للصخور غير الثابتة على جانبي التلال شديدة الانحدار المحيطة بهذا الوادى الصغير ، فاضطررنا للعودة أدراجنا واتجهنا غربا حتى أتينا الى مكان قريب من سفح جبل شاهق ، فسرنا حذاء هذا السفح حتى وجدنا ينبوعا لا يجف طوال العام كما قال لنا الأماكوا Amaquas . ولما تابعنا مسيرنا عبرنا سهلا ثم مررنا

بتلال صخرية قليلة اضطررنا لتعاشيها بالدوران حولها ثم وصلنا الى مجرى مائى صغير وعسكرنا عنده . لقد كانت المنطقة التي قطعناها لا تختلف عن المنطقة التي ذكرناها بالأمس ، فرغم أن الماء توفر لدينا الا أن العشب والأخشاب كانا نادرين ، وقدرنا الاتجاه والمسافة بميلين (٤ ° باتجاه الشمال الشرقى) وقدرنا خط العرض ٥٢ر٢٨ ° وخط الطول ٥٧ر٣٧ ° .

الأحد ٢١ أكتوبر :

غادرنا المعسكر فى الساعة الخامسة والنصف واتخذنا طريقنا شرقا صاعدين منحدرًا وغيرنا اتجاهنا عدة مرات حتى وصلنا الى سهل فلما عبرناه وصلنا الى جبل مرتفع كان يبدو ككتلة صلبة واحدة ويوجد فوق قمته - كما أخبرنا الأماكوا - نبع ، عذب مأؤه جدا وغادرنا هذا الجبل عن أيامنا وسرنا مرة أخرى فى سهل عريض جدا حتى وصلنا الى واد ضيق فلما دخلناه ألفينا أنفسنا قد وصلنا لهدفنا - انها جبال النحاس ، فعسكرنا أمام الوادى الضيق مباشرة فى أحد هذه الجبال التى كان ينساب من أحد عيونها ماء بارد سائغ مذاقه جدا . وعلمنا بعد ذلك أن هذه العين تنبجس من تل صخرى على مرمى طلقة بندقية من جبال النحاس هذه ، وكان مجرى المياه المناسبة تحفه الأشجار والشجيرات والبوص (الغاب) ، والأرض هنا رملية وحصائية وفى عدة أماكن منها - على عمق قدمين - وجدنا طميا جيدا ، يمكن تشكيله لليونته . وقدرنا خط العرض هنا ٢٨° ٥٢' وخط الطول ١٨١° ٢٨' وخط العرض الملحوظ ٢٩° ٠' وبذلك يكون الاتجاه الى الشمال الشرقى (٤٣/٤ ميل) .

الاثنين ٢٢ أكتوبر :

بدأ قائدنا الجليل ورئيس الجيولوجية فى تفحص الجبال وكشفها فاتجه القائد شرقا واتجه رئيس الجيولوجيين غربا ، وبدأ العمل فى مواقع مختلفة لفحص الطبيعة المعدنية للصخور . لقد كان لون الجبال من قممها الى سفوحها بلون الزنجار (صدا النحاس) ، بالاضافة الى أن فحص بعض

الصخور المنفصلة قد أعطى قائدنا الجليل ورئيس
الجيولوجيين أملا كبيرا فى وجود شىء مهم يستحق العناية ،
وعلى أية حال فان رئيس الجيولوجيين بعد أن قضى فترة فى
الفحص عبر عن رأيه فى أن البحث لم يسفر عن نتائج
مرضية فخاب أملنا . وعلى العكس من ذلك فان قائدنا الجليل
كان متفائلا وأشار لرئيس الجيولوجيين الى المواقع التى يجب
عندها البحث ، وتقرر بدء العمل فى التنقيب فى اليوم
التالى .

الثلاثاء ٢٣ أكتوبر :

بدأ الجيولوجيون العمل عند طلوع النهار فى موقعين
فوجدوا أنفسهم على عرق معدنى عريض عرضا غير معتاد ،
فلما حفروا لمسافة أعمق ظهر المعدن بشكل أفضل (أنقى) .
وفى هذه الأثناء أرسل القائد المبجل عددا من الرجال ليروا
امكانية الحصول على المياه والأخشاب فلم يكن أى منها
بالقرب منا ، فليس أمامنا الا شجيرات الصبار وشجيرات
ضئيل حجمها . وعند عودة الرجال أخبرونا أنهم وجدوا على
بعد يتراوح بين ميلين وأربعة أميال فى مواضع مختلفة فى
الجبال عددا من المجارى المائية الجافة تنمو فيها الأشجار
الشوكية الجافة وأنواعا أخرى من الأشجار ذوات الأخشاب
المتينة ولكنهم لا يعرفون أسمائها ، ومن ثم فقد أرسل القائد
عدة عربات لجلب الأخشاب لاعداد فحم نباتى وذلك لاختبار
العينات وشمها ، فهذه الأخشاب مناسبة تماما لهذا الغرض .
لقد كان موقع جبال النحاس الى الشمال الشرقى من قلعة رأس
الرجاء الصالح على بعد ٧٥ ميلا و ١٦ دقيقة بالضبط
(٢٤ دقيقة أو ٩١٢ قصبة فوق الأفق الحقيقى) .

الأربعاء ٢٤ أكتوبر :

وواصل الجيولوجيون عملهم ، وفى هذه الأثناء أرسل القائد رئيس الجيولوجيين مع آخرين ليتسلقوا أكثر الجبال ارتفاعا وهو يقع الى الغرب ليتفحصوا طبيعته ويكتشفوا مبادئه ، فلما وصلوا لقمته لم يروا حولهم الا جبالا شاهقة وعرة تفصلها بين الحين والحين مسطحات مستوية . وفى هذه الأثناء أخبرنا الأماكوا انه يوجد جبل آخر على بعد حوالى ثلاثة أميال ، وهو بدوره بلون الجنزار (بضم الجيم) فقرر القائد ارسال الرقيب (ضابط النظام) وعدد قليل من الجيولوجيين والجنود ، ومسئول الاشارة ليتأكدوا من ذلك . وبعد الظهر ذهب القائد المحترم لتفقد العمل فوجده يسير على قدم وساق .

الخميس ٢٥ أكتوبر :

فى الثالثة والنصف صباحا غادر ضابط النظام مع عشرة رجال الى الجبل المذكور آنفا وعادوا فى حوالى الساعة السادسة مساء وقد جلبوا معهم بعض الأحجار لها المظهر نفسه الذى للأحجار التى وصفناها لتونا وقرروا لنا ما هو أكثر من هذا اذ قالوا انهم وجدوا المعدن فى أحد السهول وقالوا انه لا يوجد ماء فى هذا السهل ولا بالقرب منه مع أنهم - أثناء سيرهم - وجدوا مسيلات ومجارى مائية تحفها أشجار شوكية ، وأضافوا شارحين قائلين ان الطريق غير صالح للعربات التى تجرها الدواب ، فالوديان الصغيرة عميقة جدا وجوانبها شديدة الانحدار . والمسافة من موقعنا هنا ، وكذلك الاتجاه هو ٦° غرب شمال الشمال الغربى - ٢٣/٤ ميل خط العرض الملاحظ ٢٥ر٢٨° . خط الطول ١٦١ر٣٨°

وتم تجهيز الخشب وتكويمه لعمل الفحم ، وكان القائد المحترم مايزال مشغولا مع عدد قليل من الرجال في تفقد الجبال في مواضع مختلفة ووجد أن المعدن هو نفسه في كل موضع عاينه .

الجمعة ٢٦ أكتوبر :

بدأ القائد المحترم في بناء أفران الاختبار فشغله ذلك طول النهار ، وكان العمل في الحفر يسير سيرا حثيثا .

السبت ٢٧ أكتوبر :

في الساعة العاشرة ، جد الجيولوجيون في حمل العينة الأولى واحرقها ، وكانت عملية ناجحة فقد دلت بوضوح على وجود المعدن ، وأخذ القائد المحترم بعضا من المعدن المصهور ليتأكد من جودته .

الأحد ٢٨ أكتوبر :

عند طلوع الصباح ركب القائد المحترم وكبير الجيولوجيين وعدد قليل من الرجال ليتفقدوا الجبال الممتدة الى الشرق ووجدوا أنها تمتد لعدة أميال ورأوا عروق المعدن مع بروزات على طولها ، وكلها لها لون الزنجار (صدا النحاس) ، وفي هذه الأثناء كان الجيولوجيون يعملون بجد .

الاثنين ٢٩ أكتوبر :

في منتصف النهار تقريبا أحرق الجيولوجيون عينتين أخريين فأظهرتا معدنا ممتازا وقرر القائد المحترم - مرة أخرى - أن يصهر العينات فوجد أنها تحتوى على النحاس .

رحلة

كارل برنك

CAREL BRINK

بلاد الناماكوا الكبرى

حملة هنريك هوب Hendrik Hop الى ناماكوا لاند الكبرى
Great Namaqualand

ولد هنريك هوب سنة ١٧١٦م ، وعمل بالزراعة في بارل Paarl
وعمل بعد ذلك ضابطا في فرقة فرسان رأس بيجير Cape Burgher
Cavalry ورقى الى رتبة قائد . وقد حضر جاكوبس كوتسي
Jacobus Coetsee تدريبات قوات الطوارئ (الميليشيا)
في ستيلنبوش Stellenbosch في اكتوبر سنة ١٧٦٠م . وكان من
الممكن وقتها ان يعتزم هوب متابعة كشوف كوتسي فيما وراء نهر
الاورانج وان يجد متطوعين من بين مواطنيه (اهل بلده) ، ووافق
المجلس السياسى (مجلس تقرير السياسة Council of Policy)
على الحملة الكشفية في يونيو ١٧٦١ م .

وقد وصل الالماني كارل برنك الى الكاب (الرأس) سنة ١٧٥٨م
وعمل مساعدا في سكرتارية مجلس العدالة Court of Justice
وفي سنة ١٧٦٠ م عين في وظيفة مساعد مساح ورأسم خرائط ، (*)
وقد امره المجلس السياسى ان يصحب هوب ، وان يعد خريطة عن
المنطقة المكتشفة وان يكتب يوميات الرحلة . وقد نشرت يومياته
بالهولندية والالمانية والفرنسية والانجليزية . والمقتطفات التالية
من كتاب الدكتور ١٠١٠ موسوب Mossop الموسوم باسم يوميات

become a heem road

(*) ثمة فقرة لم نستطع ترجمتها وهي :

برنك ورينيوس Rhenius (نشره في مدينة الكاب فان ريك ،
سنة ١٩٤٧ م) .

وكانت مجموعة الرحلة مكونة من سبعة عشر أوروبيا وثمانية
وستين من الهولنديين المخلطين ، تجمعوا عند نهر أوليفانت Olifant
وانطلقوا في رحلتهم في ١٢ أغسطس سنة ١٧٦١ م في خمس عشرة
عربة تجرها الدواب .

الأحد ١٣ سبتمبر :

لقد مررنا بوادي حزام النحاس ووجدنا عند مخرجه
جبال النحاس التي مسحها الميجل سيمون فان دير ستيل
der stel سنة ١٦٨٥ م . ويقال - بشكل عام - انها ستة
تلال ناتئة من السلسلة الجبلية المرتفعة التي يظهر لونها في
بعض المواضع بلون الزنجار . وقد رأينا آثار بعض
الحفائر بها ، وكانت أعمق حفرة بطول قامة الرجل . وإلى
يمين الطريق وجدنا عام ١٦٨٥ محفورا في الصخر .
وتابعنا رحلتنا خلال سهل عريض واسع ومررنا بثلاثة
تلال أخرى تحتوى على خام النحاس ، وأقمنا معسكرنا عند
آخرها . أما عن الاتجاه والمسافة فإلى شمال الشمال الشرقي
١٥ ميل . وخط العرض ١٧°٢٩ ، وخط الطول
١٤°٣٧ .

الثلاثاء ١٥ سبتمبر :

غادرنا حزام النحاس الآنف ذكره وعسكرنا عند تبع
يقال له بورت Poort

الاتجاه والمسافة : شمالا ١٣/٤ ميل . خط العرض .
١٠°٢٩ . خط الطول ١٤°٣٧ .

الأربعاء ١٦ سبتمبر :

سرنا من عند النبع الآنف ذكره وعسكرنا عند مجرى
صغير كان جافا ، ووجدنا نبع ماء تعثرى مياهه الملوحة .
الاتجاه والمسافة : شمالا ، $2\frac{1}{4}$ ميل . خط العرض 29° .
خط الطول $14^{\circ} 37'$.

الجمعة ١٨ سبتمبر :

واصلنا رحلتنا عبر سهل رملي ولم نجد فيه ماء لشرب
دوابنا ، فوجدنا انه من الضروري أن نجد في المسير ،
فوصلنا في صبيحة ١٩ سبتمبر على مرأى من سلسلة جبال
شاهقة تمتد على طول النهر العظيم **Great River**
فتركنا ماشيتنا ودوابنا تستريح قليلا . وقرب الماء وصلنا
الى النهر العظيم الآنف ذكره حيث وجدناه ينساب بنعومة بين
شاطئين متحدرين ، وكانت الجبال الشاهقة تحفه من
الجانبين . وكان شاطئ النهر مكسوين بأشجار الصفصاف
Willows والأشجار الشوكية . ويبلغ متوسط عرض
النهر ١٠٥٢ قدما بالقياسات المستخدمة في نهر الراين
Rhineland feet الا انه في الموسم المطير يفيض على الجانبين
ويصبح غاصا بالأسماك التى من بينها سمك الشبوط الذى
يشبه الأسماك من النوع نفسه الموجود فى بلادنا ، ولا زالت
أعداد كبيرة من أفراس النهر تعيش فى هذا النهر . أما عن
الأمور الأخرى المتعلقة بالنهر فانه ينبع من عند خط عرض
 25° م جنوبا وينساب - جنوبا - بشكل مباشر ، وبعد أن
يصبح له رواقد صغيرة على الجانبين يتجه للجنوب ثانية عند
خط عرض 28° ثم يتجه غربا الى المحيط . ويسميه أهل
البلاد العين **Ein** كما يطلقون عليه لفظ شارى **Charie**

بينما نجد في خرائط مختلفة عن هذه المنطقة عند هذا الخط من خطوط العرض يشار الى هذا النهر باسم نهر القديس أنطوني .

اتجاهنا والمسافة التي قطعناها : شمال الشمال الشرقي بخمسة أميال . خط العرض $28^{\circ}42'$ خط الطول : $37^{\circ}22'$

الاثنين ٢١ سبتمبر :

اتخذنا الاستعدادات لنقل عرباتنا وأدواتنا من ناماكوالاند الصغرى الى ناماكوالاند الكبرى .
الثلاثاء ٢٢ سبتمبر :

وتابع المساح مع جاكوب كوتسى Coetsee الرحلة بهدف دراسة منحني النهر والمنطقة الممتدة حتى مصبه ، فوجدنا أن الجبال الشاهقة والشديد تحدوها في بعض المواضع تقترب من النهر اقترابا كاملا فيصبح من المستحيل أن يمر الانسان على جانبي النهر ، ومن ثم فقد بحثنا عن طريق أكثر ملائمة خلف هذه الجبال ، وبعد أن واصلنا مسيرنا متقدمين مدة يومين خلال سلاسل حجرية صعبة لا ماء فيها ، وجدنا ممرا ضيقا يؤدي الى النهر . لقد كان هذا هو الوضع الذي يأوى اليه البوسجييمان (البشمن) Bosjemans حيث كانت هناك دلائل تشير الى أنهم عسكروا هنا منذ فترة غير بعيدة ، واكتشفنا أيضا عدة مواضع مسطحة على جانب النهر ترعى فيها أفراس النهر ، وتمتد هذه السلاسل المرتفعة موازية للنهر ، فكنا غير قادرين على رؤية نهايتها غربا ، لذا فلم نكن متأكدين من وجود مياه للشرب خلفها ، فكان علينا أن نكف عن مواصلة البحث في هذه المنطقة ، فعدنا للمعسكر يوم السبت الموافق ٢٦ سبتمبر فأخبرونا ان القائد أرسل بعض

أفراد ناماكوا الصغرى الذين تبعونا الى ناماكوا الكبرى يوم ٢٣ سبتمبر ليخبروا الناس هناك بوصولنا . وقد عاد هؤلاء الرجال مع خمسة عشر رجلا من أهل ناماكوا الضخام (أو ناماكوا الكبرى) بعد أن ذبح اثنان منهم ثورا ، وذبح الآخرون خرافا . وأكثر من هذا فإن النهر العظيم قد ارتفع عشر بوصات فى ٢٣ سبتمبر رغم أن الأمطار لم تسقط هنا . وفى يوم ٢٥ سبتمبر هبت الرياح الغربية بشدة وتسببت فى ارتفاع موجات النهر ، فكان من الضروري أن نؤجل عملية سحب غرباتنا عبر النهر هذا اليوم . وأرض الناماكوا الصغرى (الناماكوا الصغار) تمتد بين نهر جرون Groene والنهر العظيم ، ويحدها من الغرب المحيط ويحدها من الشمال بلاد ناماكوا الكبرى (الناماكوا الضخام) ومن الشرق بلاد البشمان وتمتد - أى بلاد الشمان - الى الجنوب من بلاد الناماكوا الصغار من خط عرض ٢٨° ٤٢' الى خط عرض ٣٠° ٣٠' وبين النهرين أنفى الذكر نجد بلاد الناماكوا الصغرى بلادا جافة ورملية ليس بها نهر دائم الجريان. وأنهار زيوارتدورن Zwartedoorn وجرون Groene (١) ونهر الرمال Sand river تعتبر هى الأنهار الرئيسة وهى تنبع من الجهات الشمالية الشرقية لسلسلة الجبال المرتفعة وتجري غربا الى المحيط خلال جبال صخرية عالية لا ينمو بها عشب ولا نبات . ومن بين هذه الجبال جبل النحاس الشهير الذى زاره الموقر سيمون فان دير ستيل سنة ١٦٨٥ . وليس من أخشاب هنا باستثناء أخشاب الأشجار الشوكية على طول شواطئ الأنهار ، أما فى السهول فتنبو شجيرات منخفضة معظمها شجيرات لبنية milk-bush وهؤلاء الناماكوا

(١) هو النهر الأخضر Green .

الذين يسكنون هذه الأنحاء فى الغاية من الكسل والجبن ، ولا يمتلكون الا قليلا من الماشية ويعيشون فى فقر مدقع ومع هذا فانهم يتعرضون يوميا لعدوان البوسجيمان (البشمن Bosjemans) الذين يسلبونهم حياتهم وقطعانهم . ولهذا الأسباب فان أحوالهم تتدهور من سيىء الى أسوأ . وينشى انه فى غضون سنوات قلائل سيتمكن البوسجيمان (البشمن) اللصوص من اقتلاعهم عن آخرهم .

الثلاثاء ٢٩ سبتمبر :

وعبرنا مع النهر دون كوارث ومعنا كل عرباتنا ، وكان معنا حوالى مائة من الناماكوا الصغرى رجالا ونساء وأطفالا ، كانوا قد رافقونا لزيارة أصدقائهم فى بلاد الناماكوا الكبرى . لقد اهتبلوا هذه الفرصة فاصطحبونا خوفا من ان يقتلهم البوسجيمان (البشمن) وما كانوا ليحسروا على عبور النهر بدوننا . وكان بين الناماكوا الصغار الذين صاحبونا واحد من الناماكوا الضخام الذين صاحبوا جاكوبس كوتسى منذ عام لبلاد الناماكوا الصغار ، وبالأمس عندما كان يعبر النهر مع قطعانته تعرض لحادث مؤسف ولقى حتفه غرقا . وقرب المساء تابعنا رحلتنا فسرنا بعرباتنا التى تجرها الدواب خلال واد ضيق شديد انحدره وعسكرنا عند مجرى مائى صغير وجدنا ماءه غير عذب (كلين - جا - أوبيس Klein-Ga-obis) . اتجاهنا والمسافة : شمال شرق بشمال ، ١ ١/٢ ميل . خط العرض ٣٦ ر ٢٨ ° . خط الطول ٢٦ ر ٣٧ ° .

الأربعاء ٣٠ سبتمبر :

واصلنا مسيرنا مرة أخرى بين جبال صخرية حتى وصلنا الى مقر اقامة (كرال) الهوتنتوت Hottentots حيث وجدنا

ينبع ماء مأؤه مختلط بالطين بشكل واضح . وأصدر القائد هنا أوامر بخصوص المقايضة وتناوب الحراسة الليلية بحيث كان معلوما أن كل رجل - مهما كان عدد الثيران التي يسحبها - لا يحق له أن يقايض بأكثر من ستة ثيران في المرة الواحدة وأن على رجلين أورييين ومعهم بعض الهوتنتوت المخلصين أن يظلوا ساهرين للحراسة - طوال الليل .

الاتجاه والمسافة : شمال الشمال الشرقي $3\frac{1}{2}$ ميل :
خط العرض : 24° إلى 28° - خط الطول 34° إلى 37° .

الخميس ، أول أكتوبر :

غادرنا المعسكر الآنف ذكره وتقدمنا بين الجبال حتى وصلنا إلى نهر ليون Leeuwen River (ويسمى أيضا نهر هوم Houm River) الذي ينبع من برجفونين Berghfontein شمالا ، ويصب في النهر العظيم الذي يقع إلى الجنوب الشرقي منه . وترجع تسميته بنهر ليون إلى كثرة عدد الأسود هنا ، ويوجد على طول شاطئ هذا النهر أشجار ذوات أخشاب حمراء وشجيرات شوكية . لقد وجدنا مجرى هذا النهر (نهر ليون) جافا لكننا رأينا على طول شاطئيه ما يدل على أنه - في الموسم المطير - يصبح ممتلئا جدا بالمياه . لقد وصلنا اليوم إلى قرية (كرال) الناماكوا الكبرى . وبدأ السكان مدعورين وقد رأوا بعضنا يركب الخيول ، فولوا الأدبار جميعا ، فلم نجد في الأكواخ أحدا إلا رجلا هرما وامرأة كانا في حال ذعر شديد لكنهما اطمأنا وصارا مرحين عندما قدمنا لهما الداغا dagga . والتوباكو، ولما علم الهاربون بذلك من الصغار الذين انسلوا للمكان يلاحظون الأمور ، تسللوا إلى أكواخهم الواحد اثر الآخر ،

وبعدها أظهروا أنفسهم بمظهر الشجعان أمامنا • وقد نصبنا
معسكرنا الى جوار بركة ماء •

• خط العرض : ٢٨ر١٨ °

• خط الطول : ٣٦ر٣٧ °

الأحد ٤ أكتوبر :

سرنا على طول نهر ليون Leeuwen وعسكرنا عند
نبع يسمى فوجلفونتين Vogelfontein (Aluries-fontein)
وهنا تنتهى الجبال وتبدأ سهول واسعة معشوشبة •

• خط العرض ٢٨ر١٠ °

• خط الطول ٢٩ر٢٧ °

• الاتجاه والمسافة : شمال شرقى ١٣ ميل

الاثنين ٥ أكتوبر :

واصلنا المسير على طول شاطئ النهر ثم عسكرنا عند
نبع ماء دائم تدفقه ، وفى بعض الأحيان يكون ماؤه دافئاً
ومنى ثم فهو ملائم للاستحمام • ويقع هذا النبع على بعد
حوالى مائة خطوة من الشاطئ الشرقى للنهر فى مرتفع صخرى،
وماؤه ييبقى كأنه يغلى وله طعم ملحي الى حد ما وهو الآن على
أية حال ذو طعم غير مستساغ • وقد وجدنا التربة هنا سمراء
ضاربة للصفرة ويوجد الملح الى جوار الماء ويمكن الحصول
عليه جافاً - أى الملح - على عمق اصبع • وقد شاهدنا هنا
أول زرافات ، وكانت أحداها انثى فأرديناها قتيلة ،
وأمسكنا بصغيرها ، ورحنا نتفحص جسد الزرافة القليل
فوجدناه يشبه كثيراً جسد البقرة ، رغم أن رأسها ورقبتها

يشبهان رقبة الحصان ورأسه . وكان ارتفاعها من الحافر الى الرأس سبعة عشر قدما ، ونسبة طول الجسم لارتفاعه ١ : ٢٥ ، وأكثر من هذا فأننا إذا وضعنا في اعتبارنا قصر الجسم مقارنة بسائر الأعضاء الأخرى بالإضافة الى طريقة حركة الزرافة غير المعتادة ، اتضح لنا أنه لا يمكن استخدام هذا الحيوان في غرض عملي مفيد ، أما فيما يتعلق بالأمور الأخرى عن هذا الحيوان فهو أبيض في المنطقة حول الرقبة وأجزاء جسمه الأمامية بها بقع بنية غير داكنة ، أما الجزء الخلفي من جسمه فيبقعه البنية أكثر دكائة ، وله قرنان يبلغ طول الواحد منهما قدما ويمكنها أن ترعى في الأراضي المنخفضة رغم انها قد تسير على ركبها نظرا لارتفاع جسمها من الأمام ، كما تحصل على غذائها من أوراق الأشجار العالية

خط العرض ٢٨° ٥٠

خط الطول ٣٧° ٤١

ولم نتقدم الا ميلا ونصف الميل في اتجاه شمال الشمال الشرقي .

السبت ١٠ أكتوبر :

غادرنا نبع الماء الدافئ وسرنا مرة أخرى على طول شاطئ النهر حتى بركة تعترى مياهها الملوحة فقصدنا قضاء الليل هنا الا أن الماء لم يكن متوفرا في المكان ففكرنا أنه من الأفضل مواصلة المسير ليلا حتى ريتفونتين Rietfontain غير أن ذلك ان كان ملائما لجمعنا الا انه غير ممكن بالنسبة لعربات الشركة الموقرة وغير مناسب للماشية والدواب المرافقة ، ومن هنا فقد مكثنا حيث هذه البركة المالح مأوها والتي أشرت اليها آنفا . وفي هذه

الأثناء ماتت الزرافة الصغيرة التي قتلنا أمها رغم كل محاولاتنا المحافظة على حياتها .

الاتجاه والمسافة : شمال الشمال الغربى $2\frac{1}{2}$ ميل .

خط العرض $27^{\circ}56'$.

خط الطول $37^{\circ}37'$.

الأحد ١١ أكتوبر :

تبعطنا عربات الشركة الموقرة الى ريتفونتين (دابى جابيس Dabi-gabis) . انه المكان الذى بدأ منه جاكوبس كوستى Coeste رحلة العودة فى العام الماضى .

الاتجاه والمسافة : شمال الشمال الغربى . ٣ أميال .

خط العرض $27^{\circ}45'$.

خط الطول $37^{\circ}32'$.

الثلاثاء ١٣ أكتوبر :

حركنا معسكرنا نصف ميل الى الشمال الشرقى حتى فيرسفونتين Verssefontein . ومرة أخرى نقلنا معسكرنا نصف ميل الى انشمال الغربى الى وادى ريت Rietvalley وهو يقع - أيضا - فى بطن جاف من بطون نهر ليون الآنف ذكره .

الجمعة ١٦ أكتوبر والسبت ١٧ من الشهر نفسه :

لقد مكثنا نستريح هنا ، وفى هذه الأثناء اصطاد المواطن جان باد نهرست زرافة . لقد كانت ذكرا ، وفيما يلى قياساتها :

الارتفاع من الحافر الأمامى حتى الأكتاف ١٠ أقدام
الارتفاع من الأكتاف الى الرأس ٧ أقدام
الطول من الكتف الى الذيل ٥ أقدام و ٦ بوصات
الارتفاع من الحافر الخلفى حتى العجيزة ٨ أقدام و ٥ بوصات
من العجيزة للذيل قدم واحدة و ٦ بوصات .

الأحد ١٨ أكتوبر :

غادرنا المعسكر الآنف ذكره وأقمنا معسكرا آخر عند
رينوستر فونتين Renosterfontein وعلى بعد ساعتين
تنتهى السهول العشوشية ويظهر جبل ذو قمة مسطحة .

الاتجاه والمسافة : ١¼ ميل .

خط العرض : ٢٨ر٢٧° .

خط الطول : ٣٢¼ر٣٧° .

الخميس ٢٢ أكتوبر :

غادرنا معسكرنا ومررنا بأحدى قرى الهوتنتوت
وأصبحنا مرة أخرى فى سهل فبقينا فيه يوم ٢٣ أكتوبر
بجوار نهر ليون .

المسير والمسافة : شمال شرق ، ٤ أميال .

خط العرض : ١٦ر٢٧° .

خط الطول : ٣٨ر٣٧° .

السبت ٢٤ أكتوبر :

حركنا معسكرنا ربع ميل للشمال الى بارلهوندر فونتين

. Parelhoenderfontein

.

.

الأربعاء ٢٨ أكتوبر :

سرنا بين جبال قممها مسطحة وعسكرنا عند نهر
دراجى Draaiji River حيث وجدناه جافا وهو يفرغ ماءه
فى الموسم المطير فى اتجاه الجنوب الشرقى فى النهر الكبير
وقد وجدنا مروجاً حسنة بين الجبال ، وأشجاراً ضخمة
حمراء أخشابها تحف مجرى النهر .

خط العرض $10^{\circ} 27'$

خط الطول $61^{\circ} 37'$

المترجم :

وقرر قائد الرحلة أن يستفتى كل المرافقين له فيما
يتعلق بالاستمرار فى الرحلة حتى الالتقاء بشعب (قبيلة)
مكسوة (ترتدى ملابس مثلنا) ولون جلودهم أقل دكانة
ويميل الى الصفرة ، وقد تحدث الناماكوا عنهم لكن أحداً
منهم لم يذكر أنه رآهم أو تحدث معهم ، لذا لم يجد هؤلاء
الرحالة ضرورة لمتابعة المسير حتى الالتقاء بهم خاصة وأن
دليل الرحلة أكد صعوبة الطريق وكثرة الأخطار ، لكنهم
عادوا فقررُوا الاستمرار فى اكتشاف المناطق القريبة منهم
لبضعة أيام ثم العودة .

الأربعاء ٢ ديسمبر :

عاد جاكوبس كوستى وبيترماريز من المهمة التى أرسلهما القائد من أجلها وهى البحث عن طريق وجلب المياه من نهر فش (نهر السمك) وقررا أنهما وصلا الى نهر فش بعد رحلة ركبا خلالها ثلاثة أيام وأنهما سلكا طريقا جيدا لكن الماء به شحيح حتى ان الهوتنتوت الذين يعيشون حوله يحصلون على الماء بحفر الأرض ويسقون مواشيهم فى مجراه ، وهذا لا يمنع من امكانية الرعى بشكل مقبول على شاطئيه . وقرر الرجلان أن الهوتنتوت هناك يمتلكون قطعانا كبيرة من الماشية ، وأنهم يصطادون الحيوانات الضخام خاصة الفيلة المتوفرة هناك بكثرة .

الأحد ٦ ديسمبر :

كنا الآن على بعد $120\frac{1}{4}$ ميل شمال رأس الرجاء الصالح ، والى الغرب من خط الطول المار به بخمسة أميال وثلاثة أرباع الميل ، وعلى بعد $21\frac{3}{4}$ ميل شمال المنطقة التى وصل اليها مواطننا جاكوجرس كوستى سنة ١٧٦٠ م . أما المعلومات الأخرى التى يجب ذكرها فان كل المنطقة من النهر الكبير The Great River حتى هنا تعرف باسم بلاد الناماكوا الكبرى ، وتمتد غربا حتى ساحل المحيط وشمالا الى أرض القديس توما St. Thomas وشرقا الى البريكوا وجنوبا الى بلاد البريكوا والجريكوا Briqaas & Griquas وجنوبا الى بلاد الناماكوا الصغرى . وتقع بين خطى عرض 25° و 28° جنوبا ، أما فيما يعلق بطبيعة المنطقة فهى تتكون فى غالبها من جبال صخرية عالية فى الجنوب والغرب ، أما فى الشمال والشرق فتتكون من سهول

معشوشية تتوافر فيها أعداد كبيرة من الفيلة والزراف
والحمر الوحشية ووحيد القرن والجاموس واليتل الأفريقى
الضخم (الهرتبيست) والكودو Kudus والجمسبوك *
Gemsbok (تسمى أيضا الجمزيوكة - مهاة كبيرة من
مهى أفريقيا الجنوبية) أما الأنهار التى تجرى فى هذه
البلاد فهى : النهر العظيم The Great River ونهر فش Fish
(نهر السمك) بالإضافة الى نهري ليون دراى Leeuwen-Draay
وجامو Gammô

ويسمى النهر العظيم أيضا بنهر شارى ونهر عين Eyn
وهو النهر الوحيد الذى يجرى ماؤه طوال العام ، انه ينبع
من عند خط عرض ٢٥° ثم ينساب جنوبا ويتصل به من
الغرب فرعا دراى وليون ، وعند خط عرض ٢٨° بشكل
منحرف وينساب بعد المنحنى الى الغرب مباشرة حتى يصل
للمحيط مشكلا خط تقسيم بين الناماكوا الكبرى والبريكوا
والأينيكوا Briquas and Eynicquas (شعوب نهر أورانبج
أو عين Eyn) فى الشرق ٦ وبين الناماكوا الصغرى فى
الجنوب * ونهر فش أيضا ينبع عند خط عرض ٢٥° تقريبا
وينساب مباشرة نحو الجنوب فى قلب المنطقة وبعد أن يشهد
آزره باتصال جامو Gammô به من شاطئه الشرقى
يتصل بالنهر العظيم (نهر شارى) قرب المحيط * ويجف نهر
فش تماما خلال فصل الصيف بل انه يظل شبه جاف فى
الشتاء اذا هطلت الأمطار بمعدل أقل من المعتاد ، وهو
ما ينطبق كذلك على نهري ليون وجامو * وتحف شواطئ
هذه الأنهار فى معظم المواضع أشجار الصنصاف والأشجار
الشوكية وأنواع أخرى من الأشجار فى ارتفاع أشجار
البلوط رغم أن خشبها قريب الشبه جدا من الخشب البرازيلى

الأحمر وأوراقها أشبه بأوراق أشجار التمر هندي tamarind
وهي ثمر قرونا كالأهلة تضم خبوبا بنية اللون . . .

الاثنين ٧ ديسمبر :
جمعنا معسكرنا ، وبدأنا رحلة العودة . . .

أندرو سبارمان

ANDREW SPARRMAN

الهوتنتوت والبشمن

رأى أندرو سبارمان جبل تابل Table لأول مرة وهو صبي - وذلك أثناء رحلة إلى الصين * وكان مهتما بالعلوم الطبيعية ، ودرس الطب في جامعة أيسلا Uppsala ، وقد وصل سبارمان إلى جنوب أفريقيا سنة ١٧٧٢ وظل لا يتوغل إلى أبعد من بارل Paarl حتى دعاه جيمس كوك Cook لينضم إلى هيئة اتخاذ القرارات وحل المشكلات ، وذلك كخبير في علوم النبات والحيوان * وبعد قيامه بجولة بحرية حول القارة القطبية الجنوبية سافر إلى جنوب أفريقيا وجاب أنحاء في عامي ١٧٧٥ و ١٧٧٦ م * والمقتطفات التالية مترجمة من كتاب « رحلة سبارمان إلى رأس الرجاء الصالح وفي اتجاه القطب الجنوبي وحول العالم خاصة في مناطق الهوتنتوت والكافير في الفترة من ١٧٧٢ إلى ١٧٧٦ م » الذي نشره - في لندن - روبنسون ، سنة ١٧٨٥ م *

Sparrman's Voyage to the Cape of Good Hope, towerds the Antractic Polar Circle, and round the World, but chiefly into the Country of the Hottentots and Caffres from the year 1772 to 1776 (Vol. I, Robinson, London. 1785).

« ربما كانت هذه هي أفضل فرصة متاحة يمكنني فيها أن أقدم معلومات دقيقة — على نحو ما — عن هذا الجنس من البشر ، وأعني به السكان الأصليين لأقصى الطرف الجنوبي للقارة الأفريقية ، ويطلق عليهم اسم الهوتنتوت ، وهم طوال القامة كمعظم الأوروبيين ، إلا أنهم أكثر نحالة وهذا يرجع إلى أنهم لا يتناولون إلا القليل من الطعام ، ولا ينخرطون في أعمال شاقة ، وأيديهم صغيرة وكذلك أقدامهم إذا قورنت بأعضائهم الأخرى ، فلم أر خلقا على هذا النحو قبل ذلك ، وربما أمكننا القول إن صغر الأيدي والأقدام من خواص هذه الأمة . وأصل أنوفهم منخفض جدا والمسافة بين العينين أبعد مما هو الحال عند الأوروبيين ، وأطراف أنوفهم مسطحة شيئا ما . وأحداق عيونهم نادرا ما تكون ذات لون فاتح ، لكنها — بشكل عام بنية داكنة وتقترب أحيانا من اللون الأسود . أما جلودهم فبنية مشوبة بصفرة تشبه جلود الأوروبيين المصابين باليرقان أصابة شديدة ، وعلى أية حال فإن هذا اللون لا يلاحظ في بياض عيونهم . شفاه الهوتنتوت ليست غليظة كتلك الشفاه الغليظة التي يراها المرء عند جيرانهم الزنوج والكافير والموزمبيقيين . وباختصار فإن حجم فم الواحد منهم معتدل مزدان غالبا بصفى أسنان كأجمل ما يكون . . . ويبدو رأس الواحد منهم مغطى بالسواد فشعورهم كالصوف المجعد ، لكن ليس تماما ، ومن لا يعرفهم يظن أن هذا ليس شعرا ، وعلى أية حال فإنه أقرب للصوف من شعر الزنوج ، وقلمنا يوجد في أجسامهم شعر خلا ذلك الذي في رؤوسهم . »

لباس الهوتنتوت ، ودهن أجسامهم بالدهن والسخام :

ولأكمل الصورة التى قدمتها لكم عن الهوتنتوت لابد أن أصف لكم لباسهم وطريقتهم فى دهن أنفسهم فهم يدهنون أجسامهم ويلطخونها كلها تماما بالدهون المخلوطة بقليل من السناج (السخام) ، ولست أعنى أنهم يزيلون هذا الدهان المخلوط بالسخام بعد الدهن بفترة قلت أم كثرت وإنما - على العكس - هم لا يزيلونه إطلاقا ، فلم أر واحدا منهم أبدا يستخدم أى شئ لتنظيف جلده اللهم الا عند تشحيم عجلات عرباتهم فهم يزيلون ما تلطخت به أيديهم من زفت وقار باستخدام روث الأبقار - هكذا ببساطة ، وفى الوقت نفسه فانهم يدهنون أذرعهم بالاضافة الى أكتافهم بالدهون والسخام ، فتتجمع الأتربة والأوساخ الأخرى بالضرورة على هذه الدهون وذلك السخام الذى يدهنون به أجسامهم بالاضافة لما تفرزه أبدانهم من العرق ، وبذا فهم يكونون مغلفين دائما بما يسهم بنصيب غير قليل فى تغيير ألوان جلودهم من اللون البنى الفاتح المصفر الى البنى الغامق الذى تعتريه صفرة ممتزجا بدكائه القذارة والأوساخ .

وكان الذى ساعدنى على اكتشاف أن اللون الحقيقى لبشرة الهوتنتوت هو اللون البنى الفاتح المشوب بصفرة أن قلة من زوجات الفلاحين من المستوطنين البيض كن متسمات بالتشكك والوسوسة طلبن من بنتين أو ثلاث من بنات الهوتنتوت حك جلودهن حتى لا يوسخن الأطفال الذين تقوم هؤلاء البنات برعايتهن ، أو ليقمن بأية أعمال أخرى تتطلب النظافة .

وقد أكد عدد كبير من المستوطنين البيض انه رغم حك الهوتنتوت (كشط طبقة الدهون والقذارة من فوق أجسامهم)

«واجبارهم على الغسل والاستحمام فان مناظرهن لا تصبح أفضل مما كانت عليه ، فهولاء المستوطنون البيض يعتقدون أن لون جلد الهوتنتوت الطبيعي (بنى فاتح مصفر) لا يقل بشاعة من وجهة نظرهم على تسخيم الهوتنتوت أنفسهم بالدهون والسناج غير أن الواحد من الهوتنتوت اذا ما تسخم (دهن بالزيت والسخام) يبدو أقل عريا من الهوتنتوتى غير المسخم وأكثر اكتمالا ، وأن الجلد الهوتنتوتى غير المسخم يبدو وكأن به خلا تماما كالحداء غير المطلق (غير الملمع بالورنيش) وسواء كانت هذه الفكرة فكرة (التسخيم) قد وجدت بحكم العادة أو بحكم طبيعة الأشياء فاننى سأنتقل الى الحديث فى موضوع آخر متصل بها .

وبالاضافة للسعادة التى يحس بها الهوتنتوتى وهو يدهن نفسه بالزيت ويسخمها بالسناج ، فانه يحظى بسعادة أخرى وهو يعطر نفسه فى الوقت نفسه (بينما هو يدهن جسمه ويسخمه) بمساحيق الأعشاب التى يرشها ويدعكها على رأسه وسائر جسده ، ورائحة هذه الأعشاب العطرية قوية ونفاذة ومنتنة . انها أشبه برائحة الخشخاش مختلطة برائحة البهارات . والنباتات التى يستخدمونها لهذا الغرض هى أنواع مختلفة من الديوسمه (★) ويسمىها الهوتنتوت بوكو bucko ، ويعتبرونها ذات قيمة كبيرة فى شفاء الأمراض . وبعض هذه الأعشاب والبهارات فى المناطق القريبة من الكيب (الرأس) الا أن واحدا منها من نوع خاص يقال انه ينمو حول نهر جود Goud ذو قيمة كبيرة جدا لدرجة أنهم يبادلون قدرا قليلا منه بخروف .

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية :

buck o plant, Diosma من اليونانية بمعنى عطر إشارة الى رائحة ورقها

وتعرف باسم عطره (بكبر الطام) وديسمه (بكسر الدال وضم الياء وتسكين السين) . (المترجم)

وهؤلاء الهوتنتوت بجلودهم المدهونة بالدهون والمسخمة بالسخام والمعلقة بالبوكو قد حموا أنفسهم بهذه الطريقة من آثار الهواء الضارة ، وقد يعتبرون أنفسهم متغطين تماما كما لو كانوا يلبسون أثوابا . ومن ناحية أخرى فإن رجال الهوتنتوت ونساءهم ميالون للعرى ، فهم عراة الا من غطاء بسيط يغطي أجزاء بعينها من أجسادهم .

وبالنسبة للرجال فإن هذا الغطاء البسيط يتكون من كيس أو لسان مصنوع من الجلد مصمم وكأن المطلوب منه أن يبدى ما يراد إخفاؤه ، فهذه القطعة الجلدية أو اللسان الجلدى لا يثبت الا من طرفه الأعلى بحزام غير عريض وغير محكم . انه لا يحجب حجابا محكما ما وراءه ، وعندما يمشى الهوتنتوى أو يتحرك يصبح هذا اللسان لا قيمة له ، فكل شيء ساعته يظهر . ويسمون هذه القطعة (اللسان الجلدى الذى من المفترض أنه يغطي العورة) بالاسم الهولندى جاكال Jackal وهو اسم حيوان من فصيلة الثعالب منتشر فى المنطقة وذلك لأن هذا اللسان الجلدى يعد من جلد هذا الحيوان بحيث يكون الجانب المكسو بالشعر هو الظاهر (والجانب غير المكسو بالشعر مواجه للعورة) .

والقطعة الأخرى التى يتطلبها الوقار من الرجال ، هى عبارة عن شريطين من الجلد تتدلى - بشكل عام - من أسفل العمود الفقرى لتصل الى الأفخاذ ، وتتخذ كل منهما شكل مثلث متساوى الساقين ، وقد ثبت رأس المثلث فى الحزام الذى ذكرناه آنفا ، وقاعدة المثلث لا يزيد عرضها عن ثلاثة أصابع ، على أقصى تقدير ، وتتدلى هذه الشرائط باهمال وبغير احكام . ولا تعتبر هذه الشرائط الجلدية ملابس يعول عليه فهى تتحرك وتخشخش (تحدث صوتا) وتكشف ما كان ينبغى

اخفاؤه عندما يجرى الهوتنتوي ، وربما كان المقصود منها أن تقوم بدور المروحة فتسبب (لؤخرته) شيئا من البرودة .

وبين الهوتنتوت - كما هو بين سائر البشر المنتشرين على الكرة الأرضية لابد أن يكون الجنس اللطيف أكثر حياء . فالنسوة في أمة الهوتنتوت هذه يغطين أجسادهن بشكل أفضل مما يفعل الرجال ، فهن يضعن على عوراتهن دائما قطعتين ولا يكتفين بقطعة واحدة ، وغالبا ما يضعن ثلاثا . وهذه القطع معمولة من جلد مشعم بشكل جيد ومثبت حول أجسادهن بسير جلدي ويشبه غالبا منزر (بلوزة) سيداتنا (الأوربيات) ، والقطعة الخارجية هي دائما الأكبر حجما ، وتتراوح بين عشر بوصات وأكثر من قدم ، وهي - بشكل عام - القطعة الأجل ، ويزينها كل حين بخرزات زجاجية تتخذ أشكالا مختلفة . فتفوق الجنس اللطيف في اللباس والزينة ، وقدرته على التفنن والابداع ليبدو في أحسن منظر مسألة تبدو حتى بين الهوتنتوت الأجلاف .

وفيما يتعلق بالجوانب الأخرى للباس الهوتنتوت ، فإن الواحد منهم يضع فراء خروف على صدره ، جاعلا الجزء ذا الوبر الى الداخل أى الى ناحية صدره ، وإذا لم يكن الجو باردا جعله على كتفه في وضع مهملي ، وأحيانا يتركه يتدلى حتى بطة الساق (ربلتها) وبذلك يكون الجزء الأدنى من الصدر والبطن والأجزاء الأمامية من الساقين والأفخاذ - عارية ، الا أنهم يحكمون لفه حول أجسادهم عندما يكون الطقس باردا وممطرا فيصبح الجزء الأمامي من البدن مغطى الى حد ما الى ما تحت الركبة .

ولأن فراء خروف واحد لا تكفى لتحقيق هذا الغرض فانهم يخطون قطعة فراء بأطراف قطعة فراء أخرى، وبتعبير

أدق يثبتونها بالأخرى (أو يصلونها بها) بسير جلدى أو أوتار رقيقة . وفي الشهور الدافئة يلبسون هذا الفراء أحيانا وقد جعلوا الجزء الصوفى (ذا الصوف) الى الخارج (غير مواجه للجسم) ، وان كان الغالب أنهم اذا اشتد الحر خلعوا هذا الفراء تماما وحملوه على أذرعهم . وبشكل عام فان الهوتنتوت لا يحمل الواحد منهم عبء تغيير هذا الفراء (ويسمونه كروس Krosse) وهى كلمة هولندية لكنهم ينطقونها بشكل محرف) وانما يكتفى بواحد وهو يستخدمه أيضا كغطاء عند النوم . وهم ينامون على الأرض مباشرة (دون فراش) ويسحب الواحد منهم نفسه لأقرب كومة خاصة اذا كان الجو باردا ويتدثر بهذه الكروس - كما يسمونها (والاسم الهولندى الصحيح Kaross) فهى تكفى غطاء له .

ولا تختلف الكروس التى تستخدمها المرأة عن تلك التى يستخدمها الرجل الا أن لكروس المرأة حافة ناتئة تستخدم كقلنسوة أو كيس تضع الواحدة منهن فيه طفلها الصغير وتحمله بين الحين والحين فوق كتفها ، وهى عادة منتشرة لدى بعض الأمم الأخرى .

ولا يضع الرجال فوق رؤوسهم غطاء رأس خاص ، ولا أتذكر أنى رأيت أكثر من اثنين يضع الواحد منهما فوق رأسه (كاب) معمولا من الجلد المشحم ، وكان منزوع الفراء ، أما الذين يعيشون قريبا من المستوطنين البيض فيلبسون قبعات أوربية وقد أمالوها جانبا أو دلوا كل زواياها .

والنسوة على الشاكلة نفسها فهن غالبا حاسرات الرأس وان غطت الواحدة منهن رأسها بكاب (طاقيّة) مخروطية ليس

لها سن مدبب فى أعلاها (كالطربوش - مخروط ناقص)
وهن يعملن غطاء الرأس هذا دون أى خياطة من جزء من
أمعاء بعض الحيوانات وهن يستخمنه بالدهن والسناج ،
وبعض أغطية الرأس النسائية هذه خشنة بينما بعضها الآخر
ناعم كالمخمل ، والأهم من كل ذلك ان شكله جميل * وهن
يضعنه فوق (الكاب) حليات أخرى فى بعض الأحيان ، وهذه
الحلى قد تكون على شكل اكليل بيضاوى أو قد يكون - بعد اذن
القارىء - على شبه تاج مصنوع من جلد الجاموس بحيث
يكون الجانب المغطى بالشعر البنى الى الخارج ، ويبلغ عرض
هذا التاج حوالى أربعة أصابع من أعلاه ، ويحيط بالرأس
ويمكن أن يغطى جانبا ضئيلا من الجبهة ، وجانبا من العنق
من الخلف ، وذلك دون أن يغطى (أى هذا التاج) الجزء
الأعلى من الكاب (الطاقية) الأنف ذكرها ، وحافتا هذا
الاكليل وكذلك جزؤه السفلى الذى يقوم عليه وجزؤه العلوى
دائما ما تكون ناعمة ومستوية ومزدانة ببعض الأصداف
الصغيرة من نوع السيبريا *Cyprea* يزيد عددها على
الثلاثين ، وهى الى حد ما متقارب بعضها من بعضها الآخر ،
وقد جعلن جزءها الأبيض وفتحاتها الى الخارج * وبين
صفى الأصداف أنفى الذكر يوجد صف آخر أو صفان
صفان متوازيان أو متموجان أو مشكلان بطريقة زخرفية
أو أخرى * ومن السهل أن نتصور مدى الجمال الذى تبعثه
هذه الأصداف فى نفس الرائي وهى مصفوفة على فراء
الجاموسة البنى ، كما يمكن تصور مدى مباهاة المرأة
البوتنتوية المسخمة (المدهونة بالدهن والسخام) على أقرانها
وهى تضع فوق رأسها هذا الكاب وذاك الاكليل *
وآذان الهوتنتوت غير مزينة بأية أقراط أو حلى أخرى ،
وكذلك أنوفهم ، مع أنهما - الآذان والأنوف - من بين الملامح

المتوحشة ، وعلى أية حال فانهم أحيانا يزينون أنوفهم برسم
خط من السخام (السناج) عليها ، أو برسم بقعة من
الرصاص الأحمر عليها ، وهذا نادر الحدوث فى الواقع الا
أيام الأعياد والاحتفالات ، ففي هذه الأيام يضعون هذا
اللون الأحمر على أنوفهم وشيئا منه على وجناتهم (★) .

وأعناق الرجال عارية ، أما أعناق النساء فمزينة بعقود
من جلد مكشوف يحمل ثمانى أو عشر صدقات وهم يعتبرون
ذلك حلية جميلة جدا ، وهذه الصدقات التى يبلغ حجم الواحدة
منها حجم حبة الفول بيضاء اللون وبها بقعة سوداء يختلف
حجمها من صدفة لأخرى ، ولم أستطع أن أعرف على وجه
اليقين ان كانت من نوع الأصداف الذى يندرج تحت اسم
nerita albicile أو نوع *Excuvia* أم لا ، لأنهن لا يستخدمنها
بصورتها الطبيعية وانما يصقلنها . ويبدو هذا العقد على
شكل قلادة ، وهن - بالتأكيد - يسخنن رقابهن قبل وضع
هذه القلادة حولها ، الا أن عددا من النسوة لا يستخدمن هذه
القلادات نظرا لثمنها المرتفع فعادة ما تباع هذه الأصداف
بما لا يقل عن خروف ثمننا للصدفة الواحدة كما أنها - كما
يقال - لا يمكن الحصول عليها الا من أبعد منطقة فى ساحل
كافريا *Caffria* .

ويبدو الجزء السفلى فى الجنسين ذكرانا واناثا ، هو
الجزء الرئيسى الذى يودون لفت انتباه الجنس الآخر اليه ،
بتزيينه بحلى براقة تلفت النظر فرغم أنهم مولعون بالزينة
ويشترون الخرز الزجاجى من أوربا خاصة الخرز الأزرق
والأبيض بحجم حبة الحمص الا أن النسوة قلما يضعنه فى

(★) اكسيد الرصاص الاحمر Red-Lead - (المترجم) .

قلائد حول العنق ، أما الرجال فلا يفعلون ذلك إطلاقاً ، وإنما كلا الجنسين يضعن صفا أو صفيين من هذه الخرزات حول الوسط ثم أدنى من ذلك على البلوزات الجلدية أو الفراء الآنف ذكره .

وفى ختام الحديث عن الزينة نشير الى حلى يستخدمها الجنسان وهى حلقات (أساور) يضعها الرجال والنساء حول أذرعهم وسيقانهم . ومعظم هذه الحلقات معمولة من شرائط جلدية سميكة غالبا ما تقطع بشكل دائري ويضربونها ويعرضونها للنار فتغدو متينة وتحفظ بالانحناء المطلوب ، وكانت هذه الحلقات هى التى أعطت انطبعا عالميا لاقى قبولا واسعا مؤداه أن الهوتنتوى يلف هذه الحلقات حول ساقيه ليأكل بعضها بين الحين والحين ، ويلبس الرجال ما بين خمس أو ست من هذه الحلقات حول ذراعيه بعد الرسغ ، لكنهم نادرا ما يلبسونها حول سيقانهم ، والسيدات من الطبقات الراقية يلبسن عددا كبيرا منها حول أذرعهن وسيقانهن - خاصة سيقانهن حتى إن هذه الحلقات تغطى ساق الواحدة منهن من القدم الى الركبة . ولهذه الحلقات سماكات مختلفة فهى أحيانا فى سمك ريشة الأوزة وأحيانا ضعف ذلك أو تزيد عنها بمقدار ثلاث مرات . وأحيانا تتكون الحلقة من قطع من الجلد متصلة لتكون حلقة واحدة اذ لا بد أن يضع اللابس يده أو قدمه فيها اذا أراد لبسها . وهم يضعون هذه الحلقات فى سيقانهم دون تنسيق خاص فالحلقة تتلو الأخرى سواء كانت واسعة أو ضيقة وغالبا ما تكون أوسع من عمود الساق بحيث تهتز عندما يسير اللابس ، ويتحرك .

ويمكن أن نتصور بسهولة أن هذه الحلقات تسبب اضطرابا وارتياكا للسيدات الراقيات سواء في لبسها أو عند إعدادها ، ولن نذكر مزيدا مما تسببه من أرباك . لكنها طبيعة البشر فبدءا من الهوتنتوت كشعب خام غير متطور حتى الشعوب التي وصلت في العلوم والفنون حد الكمال - تجدهم جميعا ميالين إلى السقوط في حبائل (مودات) أو طرز من الملابس غير عملية وغير مفيدة بل وتقيد أبدانهم وأطرافهم .

وتعتبر الحلقات من الحديد والنحاس خاصة النحاس الأصفر - بسمك ريشة الأوزة - أكثر ملاءمة وجمالا وقيمة من هذه الحلقات (الأساور) الجلدية ، وعلى أية حال فانهم أحيانا يلبسون هذه الأساور المعدنية خاصة في أذرعهم ، ويتراوح عدد ما يلبسه الواحد منهم منها ما بين ست إلى ثمان أساور - ولا يسمح للبنات (الأنسات) في لبس أى من هذه الحلقات حتى يصبحن قايلات للزواج .

والرحالة العابر خلال منطقة ذويلندام Zwellendam يميل إلى مهاجمة بنات الهوتنتوت البالغات ستة عشر ربيعا أو سبعة عشر ، متهما إياهن في عفتهن ، بل والنساء عامة ، إلا أنه يقال - على أية حال - انهن يرفضن هباته وهداياه (أى هبات الرحالة أو المسافرين وهداياه) خاصة لهذا السبب لأن كبار السن في القرية Craal لم يسمحوا لها بعد بلبس هذه الأساور ، وسواء كان هذا العرف سائدا في كل القرى الأخرى Craals أم لا ، فهذا مالا أدريه ، إلا أنه يبدو لي أن كل البنات في كل القرى لا يلتزم بالضرورة بهذا العرف (القانون) .

ونادرا ما يلبس الهوتنتوى أى حذاء . . . وكذلك كل
 الفلاحين الأفريقيين African (الأفريكان) وكذلك - كما
 سمعت - الایثونیان Ethonians واللیفونیان Livonians
 وبعض الفنلندر finlanders ، لذا لا أستطيع التأكيد
 على ما اذا كان ذلك اختراعا هوتنتويا أو انهم تأثروا فى
 ذلك بالهولنديين ، والجلد الذى تصنع منه هذه الأحذية غير
 مكسو ، ويكون الجانب الذى به الشعر الى الخارج ولا يخضع
 لأية عمليات صناعية سوى الضرب والترطيب ، فاذا كان من
 نوع سميك ومتين - كجلود الجاموس مثلا - ترك لعدة
 ساعات منقوعا فى روث البقر وبذلك يصبح ناعما ومرنا
 ثم يشحمونه لزيادة المرونة والنعومة ، ومن هذا الجلد يتم
 عمل الحذاء على النحو التالى : يأخذون قطعة من الجلد على
 شكل مستطيل ، أعرض وأطول شيئا ما عن قدم الشخص
 المراد عمل حذاء له ، ويتم عقد الزاويتين الأماميتين معا
 وتخطان لتغطية الأجزاء الأمامية من القدم ، وقد يستغنى
 عن هذه الحياكة التى تؤدى لتغطية مقدم القدم ليصبح
 الحذاء حتى الأصابع فقط وذلك بوصل جانبي المستطيل من
 الأمام بسير مأخوذ من مفصل الركبة الخلفية لرجل بعض
 الحيوانات . والآن لجعل هذه القطعة من الجلد ترتفع من
 أطرافها مقدار بوصة على جانبي القدم وتحكم عليها ،
 تثقب أطراف الجلد مدار القدم ويمرون فى هذه الثقوب
 خيطا جلديا ليضم الحافيتين معا ، وليكون الجزء الخلفى
 قويا متينا فانهم يثنون الجلد للداخل ويضغطونه ويرفعونه
 ليكون موازيا للعقب . وأطراف الخيط الجلدى وهو الخيط
 الرابط أو الضام تمر فى ثقوب الجانبين على التوالى ، والتى
 أصبحت بارتفاع بوصة تقريبا ، ثم يسحب طرفا السير

الجلدى للامام ليعقدا فوق مشط القدم أو عقد السير
(الرباط) ان كان ذلك ضروريا ليكون أكثر احكاما بشكل
متقاطع فوق مشط القدم ومن ثم سحبه تحت السير (سحب
طرفى السير تحت السير نفسه) واخراجه من الخلف (مؤخرة
الحذاء) ثم سحبه مرة أخرى الى أعلى فوق كاحل القدم ثم
لفه فوق الساق نفسها اذا رغب اللابس .

وأحذية من هذا النوع لا تخلو بالتأكيد من المزايا فهى
محكمة على القدم كما انها تحفظ لها شكلها ، ويمكن ببساطة
الاحتفاظ بها ناعمة لينة بموالة لبسها ، واذا ييست خاصة
من الأطراف فمن السهل علاج ذلك بطرقها وازافة قليل من
الشحم لها ، وهى خفيفة وتسبب تهوية للقدم لأنها لا تغطيها
كلها كما فى حالة الأحذية التى اعتدناها (الأوربية) ، ومن
السهل ارتداؤها وليس فيها حياكة (خياطة) وهى متينة
ومطواعة ، وهذه الأحذية ويسمونها أحذية الحقول أكثر متانة
من الأحذية المعتادة لأنها معمولة من الجلد الخام الذى لم
يتعرض للنيران التى تسبب الانزلاق فى الصحراء الأفريقية
الحارقة وتكون عرضة للتمزق فى المناطق اليايسة والصخرية ،
بالاضافة الى أن أحذية الحقول هذه أرخص تكلفة لأن الجلد
المصنوعة منه خام ويمكن للشخص أن يصنع لنفسه بنفسه
حذاء فى غضون ساعة أو ساعتين وسنمتع بمزايا هذه
الأحذية اذا أدخلناها لبلادنا (الأوربية) خاصة فى الصيف ،
وهى ملائمة للبحارة لخفتها ، ومن ثم فهى مفيدة ونافعة
لهم . ولقد أحضرت معى للوطن زوجا منها كنت ألبسهما فى
رجلاتى ، وأظهرهما كنماذج للأحذية اشباعا لرغبة من يميل
الى امتلاك حذاء مثلهما . انه حذاء نافع سواء جلب من
باريس أو من بلاد الهوتنتوت التى تستحق - بدورها - أن
نهتم بها ونحاكيها .

والهوتنتوت الذين يعيشون في هذه الأنحاء أو في
المستعمرات الهولندية نادرا ما يحملون أى سلاح ، ففى أى
مكان يمكن للواحد منهم أن يدبر لنفسه رمحا ليدفع عن
نفسه الذئاب ، ويسمون الرمح هاسا جاى Hassagai

ومساكنهم بسيطة بسيطة ملابسهم وهى تتناسب مع
حياة الرعى والتجوال ، ومسكن الواحد منهم لا يستحق أن
يوصف إلا بأنه كوخ إلا أنه ربما كان رحبا ومناسجا كالخيام
أو مساكن البطارقة وهو كاف - على الأقل - لاحتياجات
الهوتنتوى ورغباته والذي يمكن النظر اليه كإنسان سعيد
لذا فهذا الكوخ - ببساطة شديدة - يرضيه * والبساطة
المفرطة لبیت الهوتنتوى ربما كانت هى السبب أن كل البيوت
فى القرية الهوتنتوية متشابهة تماما ، ويلتقى المرء هنا
بنماذج معمارية لا تثير الحسد بأية حال من الأحوال فالمساواة
فى الحظوظ وفى السعادة على نحو ما تسعد هؤلاء الناس
ولا يمكن إلا أن تشفى صدورهم من هذا الداء السام (الحسد) *

وكل كوخ تم تشييده كالتى : بعض الأكواخ مستدير
والأخرى مستطيل وهى تشبه الأقبية أو خلايا النحل وقطر
الواحد منها من ثمانى عشرة قدما الى أربع وعشرين ،
وارتفاع الكوخ منخفض حتى عند منتصف القوس (السقف
المقنطر) ، فالارتفاع قلما يسمح للرجل المتوسطة قامته
بالوقوف منتصبا إلا أن انخفاض السقف والباب الذى لا يزيد
ارتفاعه عن ثلاث أقدام لا يسبب أى ازعاج للهوتنتوى الذى
لا يجد صعوبة فى الانحناء والسير على أربع كما أنه يميل
للرقاد أكثر من ميله للوقوف *

ويوجد موضع ايقاد النار فى وسط كل كوخ وبذلك لا تتعرض جدران الكوخ كثيرا لخطر النيران ، كما أن موضعه هذا يتيح للمتعلقين حوله رقودا أو جلوسا أن يستمتعوا بالدفع على نحو سواء .

وباب الكوخ بانخفاضه الأنف ذكره هو المدخل الوحيد نهارا وفى الوقت نفسه فانه المخرج الذى يخرج منه الدخان ليلا ، وقد تعود الهوتنتوى على بيته هذا وألفه فهو لفرط طفولته يراه وكأنه يرفرف حوله ، فهو بيت كامل لا عيب فيه ولا يسبب له أى ازعاج من وجهة نظره وهو مستلق على ظهره فى وسطه بين سحب داكنة تغلفه وكأنه قنفذ وقد تدثر بفراء الخروف ، وهو الآن مضطرب بين الحين والحين للخروج من تحت دثاره ليثير النيران بعصاه أو يشعل بيته Pipe منها . أو يقلب قطعة اللحم التى يشويها على الفحم .

والمواد التى تشيد منها هذه الأكواخ من الصعب تدبيرها بكل المقاييس ، والطريقة التى يتم تجميع هذه المواد بها لتكون كوخا دقيقة وغير مصطنعة وتستحق اطراءنا للهوتنتوى ، وهى ملائمة لشخصيته ، فشكل السقف المقنطر كما وصفته أنفا يتألف من بوص (خيزران أو غاب) وأغصان صغيرة ، أما البوص فيتم ثنيه ليعطى الشكل المقنطر (المقوس) الملائم ، والبوصة الواحدة قد توضع كلها أو تقطع قطعاً ، وبعضها مواز للأخرى أو متقاطع معها ، ويتم تقوية هذا التشكيل من البوص بحزام من الأماليد (الأغصان اللينة) تطوق أطراف البوص بشكل دائرى ، وكلا الأدوات : الأماليد والبوص من نوع Cliffortia Conoides (★) التى تنمو

(★) لم نجد لها مقابلا فى معاجم النبات المتوفرة بين أيدينا - (المترجم)

بكثرة فى هذه المنطقة بالقرب من الأنهار * ثم يتم بسط حصر (جمع حصيرة) بدقة وانضباط فوق هذا التشكيل المتشابك ليغطيه كله ، وتغلق الفتحة المخصصة للباب بجلد على مقاسها اذا كان ذلك مناسباً أو بقطعة من الحصر ، وتصنع هذه الحصر من نوع من السمار وأعواد وتشد هذه الأعواد وهذا السمار الى بعضه بخيوط وأوتار أو نوع من خيوط القنب كتلك التى أتاحت الفرصة لهم الحصول عليها من الأوربيين * وتتيح لهم هذه الخيوط أن يجعلوا الحصيرة بالطول الذى يرغبون فيه ، أما العرض فيتحكم فيه طول السمار أى من ست أقدام الى عشر * ويقوم المستوطنون البيض Colonists الآن بعمل حصر من النوع نفسه لوضعها فوق أقمشة الأشرطة التى تغطى عرباتهم التى تجرها الدواب ، وذلك لحمايتها من التمزق والاحتكاك ، كما يستخدمونها للحماية من الأمطار *

وعندما يفكر الهوتنتوتى فى فك منزله والانتقال بكوخه الى مكان آخر ، فانه يضع كل الحصر والجلود والأعواد فوق ظهر احدى مواشيه ويرحل * انه منظر يبدو للغريب هائلا وصعبا ومضحكا حقا *

وطريقة صف الأكوخ وتوزيعها فى القرية (كراى) أو العشيرة تتخذ شكل دائرة وأبواب الأكواخ الى الداخل وبذلك تتكون ساحة توضع فيها الماشية ليلا ، ويتم حفظ الحليب الطازج واللبن المتخثر فى قرب جلدية وهذه القرب يكون فيها جانب الجلد الذى يحوى الشعر الى الداخل لأنهم يعتبرونه الجانب الأنظف * وفى بعض المناطق الشمالية مثل روجفيلد Roggeveld وبوكفيلد Bokveld حيث الأرضى جافة Carrow or dry يعمل الهوتنتوت وكذلك المستوطنون البيض Colonists فى مجال الرعى *

وثمة نوع من الهوتنتوت يسمون البشمن (★) boshies-men وترجع تسميتهم بهذا الاسم لسكانهم المناطق الغابية والجبلية ، وهؤلاء البشمن يعيشون - على نحو خاص - حول كامديبو Cemdebo وسنيبير Sneeberه يعدون أعداء ألداء للحياة الرعوية ، وبعض خصائصهم أنهم يعيشون على الصيد والسلب ، ولا يدعون أى حيوان على قيد الحياة ولو لليلة واحدة ، وبذلك جعلوا من أنفسهم جنسا مكروها من بقية البشر وهم ملاحقون ومطاردن كالحوانات المتوحشة التى قلدوا طباعها . وبعض هؤلاء البشمن بقى على قيد الحياة وتم استرقاقه ، أما أسلحتهم فسهام سامة يتم إطلاقها من قسى (جمع قوس) صغيرة ، ويصل مداها الى مائتى خطوة ، وتصيب الهدف باحتمال كبير على بعد خمسين خطوة أو حتى مائة ، ومن هذه المسافة يقتلون الحيوان الذين يريدون أكله ، ويتسللون بعد ذلك لسرقته ، ومن هذه المسافة أيضا يقتلون أعداءهم ، بل وحتى الحيوانات المفترسة القوية كالأسود ، فيسقط الأسد - ذلك الحيوان النبيل - بسهمهم هذا الذى قد يحتقره الرائي ولا يلقي اليه بالا . ويحدث كل هذا والهوتنتوي (يقصد البشمنى - المترجم) أمن فى منخبه متيقن من مفعول سمه ، اذ يقال انه لا ينتظر أكثر من دقائق معدودات ليكون متأكدا أن الحيوان المفترس الذى أطلق عليه سهمه قد مات .

لقد ذكرت أن أقواسهم كانت صغيرة فطول الواحد منها

(★) استقر الباحثون فى مختلف المجالات الانثروبولوجية والتاريخية والجغرافية البشرية أن البشمن جلس مستقل مختلف عن الهوتنتوت وليسوا فرعا منهم . راجع مقدمة المترجم - (المترجم) .

لا يزيد في الواقع عن ياردة ، وقلما يزيد سمكه عند الوسط
عن بوصة واحدة ، ومقدمته مدببة جدا وكذلك مؤخرته
(انه مدبب جدا من الطرفين) ولا أستطيع الجزم بنوع
الخشب الذى يصنعونه منه ، الا انه يبدو بشكل ملحوظ أنه
ذو طبيعة (أى الخشب) مرنة ، أما أوتار القوس الذى
رأيتة فمن الطنب Sinews وبعضها الآخر من نوع من القنب
hemp أو من بعض الألياف الداخلية لبعض الخضروات ،
ومعظم هذه الأوتار معمول بشكل ينم عن الإهمال والقدارة ،
فمفعول سلاحهم هذا الفتاك يعتمد على السم أكثر من اعتماده
على جودته واتقانه .

أما السهام فيبلغ طول الواحد منها قدما ونصف قدم ولها
نفس سماكة القوس وهى معمولة من قطعة بوص طولها قدم
واحد ، وعند القاعدة أو الطرف الذى يلتقى بوتر القوس
يوجد تقويس (ثلم) مناسب لتثبيت وتر القوس ، وفوق
هذا الثلم مباشرة توجد وصلة فى البوصة ربطت حولها
خيوط لتقويتها (أى لتقوية البوصة) والطرف الآخر للسهم
مزود بعظمة منعمة جدا ومضقولة ويبلغ طولها من خمس
بوصات الى ست ، وعند أسلة العظمة (طرفها المستدق) تم
ربط قطعة من ريش الطيور وثبتت بشدة بخيوط . وفائدة
هذه القطعة من ريش الطيور هو ألا يسهل اخراج السهم من
لحم العدو حتى يعطى فرصة أطول لسريان السم . . .

وعلى أية حال فانه ليس من المعتاد أن ينتهى السهم
بعظمة مدببة فحسب وانما تقطع العظمة بحيث تكون مربعة
من أعلاها (وليس مدببة) ثم يثبت فيها مثلث دقيق من
الحديد ويربط مكان الاتصال ويغطى ويلطخ ثم يحك ويفرك
وينعم حتى يتوغل السهم بشكل أعمق داخل اللحم . ولأن

العظمة التى ذكرتها آنفا ليس بها أية فجوة فاننى لم أستطع معرفة من أى حيوان هى ، وتبدو هذه العظمة فى السهم بنية داكنة مليئة بالثلم والعروق ribs ، ولم أرها أبداً بيضاء كالعاج الا فى سهمين أو ثلاثة من الأسهم التى أحضرتها معى ، لقد بدت هذه العظام فى الأسهم الأخيرة وكأنها حقا من العاج . ويمكن أن ننهى حديثنا بالقول ان هذه العظمة فى السهم ذى الرأس الحديدى المدبب لها وظيفة رئيسية هى حفظ الثقل والاتزان . لذا فعمل السهام يستلزم من الهوتنتوت (يقصد البشمن - المترجم) جهدا كبيرا .

والكنانة (الجعبة التى يحملون فيها السهام) يبلغ طولها قدمين ويبلغ قطرها أربع بوصات، وهذه الكنانة - من خلال ما رأيته ومن خلال تأمل الكنانتين اللتين أحضرتهما معى - عبارة عن فرع شجرة مجوف أو من لحاء شجرة نزع بشكل دائرى وهذا هو الأكثر احتمالا ، وقاعدة الكنانة وغطاؤها مصنوعان من الجلد ، والكنانة مدهونة من الخارج بمادة دهنية تصبح يابسة عندما تجف . وكلتا الكنانتين اللتين جلبتهما معى قد جددت فتحتهما بجلد الثعبان ، وقد قيل لى انه جلد الحية الصفراء التى تعد أكثر الحيات سمية فى المنطقة . وتضم كل كنانة اثنى عشر سهما ، واسطوانة من حجر التجليخ أو الشحذ وهو حجر رملى لاستخدامها فى شحذ الرأس الحديدى للسهم وفرشاة لوضع السم وعدد قليل من العصى تختلف فى سماكتها لكنها جميعا بطول السهام . ولا أدرى فيم يستخدمون هذه العصى ، ويحصلون على السم من أنواع مختلفة من الحيات ، وأكثرها سمية هى الأفضل لديهم سواء كانوا سيضعون هذا السم على سهامهم لقتال

الأعداء أو لصيد الطرائد ، لأن الهوتنتوت (١) يعرفون جيدا
أن تناول الطرائد المسممة بسم الثعبان غير مؤذ إطلاقا .

ومساكن هؤلاء الناس المعادين للحياة الرعوية (البشمن)
— بشكل عام — غير مقبولة تماما كعاداتهم وقيمهم . فهم
كالحيوانات البرية يستعيضون عن سكنى البيوت بسكنى
الغابات والأحراش والكهوف ، ويقال ان بعضهم أسوأ بكثير
من الحيوانات حتى أن غائطهم وبولهم يكون ملاصقا
لسكناهم ، ومعظمهم عراة تماما ، الا أنهم اذا استطاعوا
الحصول على جلد أى نوع من الحيوانات فان الواحد منهم
يضعه على بدنه بدءا من الأكتاف ويتركه يصل الى أدنى
أكتافه كيفما اتفق ، ويظل الواحد منهم محتفظا به حتى
يتساقط مزقا . ولأنهم لا يعرفون الزراعة تماما كالقردة
فهم مضطرون للتجوال فوق التلال وفى الوديان بحثا عن
جذور نباتات برية معينة وبحثا عن البذور اليابسة ،
والنباتات (التى يأكلونها دون طهى) حتى يقيموا أود
أنفسهم . . .

وموائدهم — على أية حال تضم أحيانا يرقات الحشرات
أو يرقات الفراش ، ونوع من النمل الأبيض (the termites)
والجراد الصغير والثعابين وبعض أنواع العنكبوت . ومع
كل هذا التنوع فى الطعام فان البشمنى — بلا شك — يصبح
فى حاجة للطعام بين الحين والحين ، ويجوع لدرجة أنه
يقضى معظم وقته قابعا فى الظل . ولقد اعترتنى دهشة غير
قليلة عندما رأيت لأول مرة فى لونغكلوف bongekloof
صبيا بشمنيا وكل ما فيه ذابل زاو وضئيل بشكل رهيب :

(١) يقصد البشمن كما سبق ان أوضحنا — (المترجم) .

وجهه وذراعا وسيقانه وجسده ، حتى أننى ظننته مصابا بالحمى التى كانت منتشرة فى هذه الأنحاء . . . والأمر لا يحتاج سوى الى أسابيع قليلة لجعل شخص من هذا الجنس البائس مزدهرا منتعشا أو حتى سميئا ، فمعدتهم قوية بدرجة كافية تجعلها تهضم كميات كبيرة من الطعام الذى يحشرونه حشرا سريعا ، حتى انك تظن الواحد منهم يقذف سهامها أكثر مما تظنه يأكل .

واصطياد العبيد من هذا الجنس مسألة صعبة الى حد ما ، وتتم على النحو التالى : يجتمع بعض الفلاحين الذين يحتاجون الى خدم * ويقومون برحلة الى حيث يعيش البشمن ، ويستطلعون ومعهم واحد من الهوتنتوت Lego-Hottentots أو واحد من البشمن سبق اصطياده وتعود الأمانة والاخلاص فى خدمتهم - يستطلعون مخايبىء أو مواضع اقامة البشمن ، وأفضل طريقة لاكتشافها هو ملاحظة آثار الدخان المنبعث من نيرانهم ، وهم يتجمعون فى تجمعات تتراوح بين عشرة الى خمسين أو مائة شخص ما بين صغار وكبار ، ولا شك أن الفلاحين يختارون ليلة مظلمة حتى يتمكنوا من الانقضاض عليهم بستة رجال أو ثمانية يوزعون أنفسهم حول تجمع البشمن (الكرال وتعنى القرية) على مسافة غير بعيدة ، ثم يطلقون طلقة من بنادقهم أو طلقتين فيدب الذعر فى قلوب هؤلاء الهمج (البشمن) فلا يجرؤ الا أشجعهم وأذكاهم على اختراق حلقة الحصار ، فيسعد الأسرون بالتخلص منهم بهذه البساطة الشديدة وتزداد سعادتهم بسبب غياب هؤلاء الناس وجبنهم وايقاعهم أنفسهم فى ظل العبودية . . وعلى أية حال فانهم فى البداية يعاملون البشمن المسترقين بطريقة لطيفة ويمازج المنتصرون بين التهديد والوعيد ، ويقومون - اذا

أمكن - باصطياد بعض الطرائد الكبيرة لأسراهم ، كالجاموس
أو بقر البحر وما الى ذلك ، فان هذا الاغراء بالاضافة لقليل
من التوبياكو ، يجعل البشمن ينشغلون باستمرار بالأكل حتى
يصلوا الى مقر اقامة المستوطنين البيض وهم فى حالة من
المرح والابتهاج . وفى مساكن المستوطنين يجدون وجبات
الحلوى الفاخرة واللحوم ومعها قدر كبير من السمن ،
والقمح المسلوق فى الحليب (البليلة) والسجق (النقانق) .
ولا مراء فى أن مثل هذه الوجبات تجعل البشمنى - كما
قلت سابقا - سميناً فى غضون أسابيع قليلة . ومع أية حال
فان البشمنى سرعان ما يجد هذه الحياة الطيبة مبعث غيظ
بسبب تدمير سيده وسيدته فيصفونه بين الحين والحين أنه
شيطان ساحر tguzeri أو شقى مريبك t'gaunatsi
وأحيانا تحل عليه قليل من اللعنة وبعض الضربات بسبب
اهماله وبلادته وكسله تلك الصفات التى تبدو أنها ولدت
معه أو انها طبيعة فيه فهو بالطبيعة والتعود يكره كل أنواع
العمل ، والآن وقد غدا سميناً ، فان كسله يزداد ، ولأنه ألف
حياة التجوال فان ضبط حركته يصبح غير ممكن ، ويشعر
بالحنين الى حرите ، ولا عجب اذن أن يعمل معظمهم على
استردادها بالهرب ، لكن ما هو جدير بالعجب حقاً ان أحداً
من هؤلاء الأشرار البائسين اذا ما هرب من الخدمة أو الرق
وهو الأقرب للصحة - فانه لا يأخذ معه أى شىء لا يخصه
(لا يسرق) .

جون بارو

JOHN BARROW

حملة بيتر تروتر ، ووليم سمر فيل

الى اللاتاكو ونهر الأورانج

Latteko and Orange river

رغم أن جون بارو ولد سنة ١٧٦٤ م من والدين فقيرين إلا أنه أصبح مراقب حسابات لمجموعة من مجموعات بعثة اللورد ماركتنى Macartney التجارية لامبراطور الصين ، واصطحبه الى الكاب (الراس) فى جنوب افريقيا كسكرتير عندما أصبح - أى ماكرتنى حاكما للمستعمرة - وقد قام بارو بجهود كشفية فى مناطق القبائل الناطقة بلغة البانتو كما بذل جهدها لجمع المعلومات عن طبوغرافية المناطق الشرقية ، وقد وصف بارو جهوده هذه بالاضافة الى رحلته لبلاد الناماكوا فى كتاب (داخل جنوب افريقيا Interior of Southern Africa ثم عمل بارو بعد ذلك كسكرتير ثان فى الادميرالية Admiralty وكان احد مؤسسى الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية - والنص التالى من مطبوع Barrows, voyage to Cochinchina الحق به تقارير عن رحلات قام بها سنة ١٨٠١ وسنة ١٨٠٢م لقر زعيم البوتسوانا (لندن) ١٨٠٦ م .



• • فى هذا المجتمع المختلط أتيحت للجماعة فرصة طيبة لمقابلة شخصين كان فى امكانهما تقديم خدمات

أساسية • أحدهما كان اسمه ميكلانجو Miklango وهو من أهل بوشوانا Booshuana وكان يتحدث قليلا من الهولندية ، وكان راغبا في الالتحاق بالمجموعة كمترجم لكنه لم يكن يعرف الطريق التي تؤدي الى بلاده (بوشوانا) أبدا • أما الثاني فكان رفيقه ماكاوتا Makauta الذي كان يعرف المنطقة جيدا وكان مستعدا ليكون مرشدا للمجموعة ، والتحق بالحملة أيضا فلاح هولندي اسمه كروجر Kruger وكان التحاقه بنا في هذا المكان • وكانت المجموعة تنظر اليه كرجل ذي فوائد جمة ، فقد مارس هو وأخوه في فترة باكورة من حياته تزوير الأوراق النقدية مستغلين براعتهما في التزييف ، وقد عوقبا بالنفي طوال حياتهما في جزيرة روبن Robben في مدخل خليج تابل Table لكنهما لم يمكثا في منفاهما طويلا فقد تمكنا من الهرب مستخدمين قاربا من الجلد الجاف واتخذا سبيلهما الى القارة واختبا في منطقة البوسهوانا Booshuanas ولاقى الأخ الأكبر حتفه تحت أقدام فيل ، أما الأخ الأصغر وهو الرجل الحالى المرافق لنا فعاش بين البدائيين في المناطق المحيطة بالمستعمرة كمتشرد وطريد للعدالة زهاء عشرين عاما ، ولما علمت المجموعة بوضعه حملت معها له عضوا مشروطا من مجلس العدالة في الكاب فقد شفعت له معاناته الطويلة والحاجة لخدماته في الظروف الراهنة •

وقد انضم الى الحملة هنا بالاضافة الى الأشخاص المنوه عنهم آنفا اثنا عشر شخصا من قرى الهوتنتوت Kora Hottentots وبصحبته ثمانية وأربعون ثورا من ثيران الجر ليحلوا محل ستة وسبعين ثورا أصبحت مرهقة مستنفدة الطاقة ، وواصلت المجموعة سيرها في ١٢ نوفمبر ١٨٠١ م ،

وبعد أن تفرقوا فى الظلام وضلوا طريقهم فى الصحراء التقى الجميع - لحسن الحظ - عند مجرى مائى فى مساء ١٥ نوفمبر . وفى اليوم التالى بادرهم بالحديث ستة من البوسجما Bosjemans (البشمن) العراة كانوا - كالعادة - يستجدون قليلا من الطعام . وقضت المجموعة الليل عند ماكاتامى Maketame والكلمة تعنى نبع البطة Duck-spring وبالقرب منه لفت انتباه المجموعة تل مخروطى متفرده (ليس من تلال أخرى مجاورة له) اكتشفوا فيه كهفا عميقا تعيش فيه أسراب كاملة من طيور القمرية (بضم القاف وتسكين الميم وكسر الراء) أو حمامات القمرية التى تغطى أعشاشها الشجيرات التى تكاد تسد مدخل هذا الكهف . وكانت أرضية الكهف مغطاة بالمغرة (بفتح الميم وتسكين الغين) البنية الضاربة للحمرة وتكثر بها الميكة (بفتح الميم وتسكين الياء ، وهى مادة شبه زجاجية) (★) يستخدمها الكرا Koras (وهم من الهوتنتوت) ذوو اللون البنى والبوسهوانا Booshuanas ذوو اللون الأسود - يستخدمونها معا - البوسهوانا والكرا - فى تسخير أنفسهم ، فتبدو جلودهم لامعة لا تبعد فى صقالتها ولمعانها عن لمعة البرونز وصقالتها . ووراء هذا التل بقليل واصلت المجموعة سيرها حتى وصلت الى نبع ماجاجا Magaaga والكلمة تعنى نبع جبل الحديد وقد أغرى اسم الجبل بعضا من المجموعة ليصعدوه ويتفحصوا صخوره وأحجاره وأخذوا معهم بوصلة جيب . وبشكل عام فإن الكتل الصخرية كانت تتكون من أحجار ثقيلة تحتوى بشكل واضح على خام الحديد ، ووجدوا أن بوصلتهم تتأثر بشدة ، فاذا وضعوا ابرتها على بعض هذه

(★) ما بين القوسين توضيح من المترجم .

الأحجار الحديدية (التى تحتوى على الحديد) فانها (أى ابرة البوصلة) تفقد تماما قطبيتها polarity وتشير فى اتجاهات مختلفة ، وأحيانا تشير الى عكس الاتجاه الذى من المفترض أن تشير اليه ، وتهتز اهتزازا شديدا فى بعض الأحيان ومرة تدور دورانا مفاجئا ، واستنتجوا من ذلك أن الصخور تحتوى حديدا وطنيا (ذا طابع خاص) أو - وهو الأقرب للصحة - له خواص مغناطيسية * وعلى أية حال ، فإنه لم يظهر انهم اكتشفوا أية عينة من الحديد لها طابع وطنى مميز .

وبعد أن طاردوا فى هذه الجبال وفى الممرات التى تفضى اليها بعض الطرائد الأكبر حجما مثل الهرتبيس (التيتل بتشديد التاء وفتحها وتسكين الياء) والقبوقز (بفتح القاف وتسكين الواو - وهو نوع من الظباء معروف فى جنوب أفريقيا) والنعام ، وصلوا وقد حل المساء الى شواطئ بحيرة كوسى Koussie التى يبلغ محيطها عدة آلاف من الأقدام ويحفرها حزام من القصب reed المرتفع تتخلله فى عدة مواضع مجموعات من أشجار المموزا Karro mimoso الجميلة (★) ولاحظت المجموعة بالقرب من حواف البحيرة عددا من الفجوات أحدثها البوشجيمان (البشمن) Bosjemans كشراك لاصطياد حيوانات الصحراء البرية التى تأتى للبحيرة لتروى ظمأها وفى إحدى هذه الفجوات أو الحفر وجدت المجموعة ظبيا من نوع الظباء الصخرية (★★) وقد لاقى حتفه ، وبدا كأنه لم يسقط فى الحفرة الا منذ ساعات قليلة .

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية : الميموزا مثل السنط المبيض Acacia de la lbata والمستحية Mimosapudica وذكر المعجم أنواعا أخرى .

(★★) وهو ظبى يألف العيش فى المناطق الصخرية وهو مشهور فى جنوب أفريقيا Steenbok - (المترجم) .

وما كادت المجموعة تفادر شواطئ البحيرة حتى لاحظت على البعد قطيعا من الجاموس البرى يتقدم فى اتجاه الموضع الذى كانوا يعسكرون فيه ، فتم الاعداد فى الحال لاستقبال فوج الجاموس هذا ، فلما اقتربت هذه الحيوانات الضخام بما فيه الكفاية أطلقت المجموعة بنادقها تجاهها فكان مما يبعث على السرور سقوط ثلاث منها * لقد كانت الجاموسة ضخمة جدا حتى ان واحدة منها كانت تكفى المجموعة كلها ، بل ويفيض منها * وواصلت المجموعة الرحلة حتى حل الليل دون أن تجد مصدرا للمياه فاضطروا للتوقف نظرا لما اعتري ثيران الجر من تعب وارهاق *

وقبل أن يغمر نور الصباح المكان واصلت المجموعة سيرها فوق سهل صحراوي عريض كان لا يخلو على أية حال من أشجار نحيلة متناثرة ، وبدأ أفراد المجموعة هذا النهار - على أية حال - مسرورين ، فقد عوضهم عن الارهاق والتعب رؤية مناظر شائقة جدا فقد كانت الزرافات تخب خبىا غير بعيد عنهم ، كانت خطواتها غريبة غير بارعة وبدأت للمجموعة خطوات قصيرة ، لكن عندما طاردوها وجدوها تخطى الأرض بسرعة مخلقة مرعاها ورائها بمسافة بعيدة * لقد شرعت مجموعتنا فى مطاردة هذا القطيع بمجرد رؤيته * وكان القطيع يتكون من تسع زرافات كبيرات وزرافتين صغيرتين *

وكان الأمل أن تضطاد مجموعتنا الزرافتين الصغيرتين على الأقل لكن هيهات فقد كانت سرعة الزرافات تفوق سرعة أسرع الجياد فاخفتت الزرافات عن الأنظار دون أن يصيب المطاردون منها شيئا *

ولأننا ظللنا مسافرين - حتى الآن - ثمانى عشرة ساعة دون توقف ، كما مضت ثلاثون ساعة ولم تذق الدواب والماشية طعم الماء ، لذا فقد كانت سعادتنا غامرة كما كان ابتهاج الدواب والمواشى شديدا ، عندما وصلنا لنبع ماء كان هو الأوفر ماء والأعذب والأشد صفاء من بين كل الينابيع التى صادقناها طوال الرحلة ، اكتشفت المجموعة بعد هذا النبع بميلين نبعاً آخر أفضل من السابق ، ومن المحتمل أن يكون بحق لا مثيل له فى كل أفريقيا الجنوبية فى حدود علمنا حتى الآن ، انه لا يتدفق من كهوف صخرية ولا من بوابة مقامة على نهر فحسب وانما مما لا يعد من الينابيع المنبعثة من سطح واسع ممتد من الرمال الكوارتزية والحصى البلورى مكونا فيما لا يزيد عن مائة خطوة من منبعه مجرى مائيا لا يقل عرضه عن ثلاثين قدما ولا يقل عمقه عن قدمين . ويسمى هذا المجرى كورمانا Kourmana أو نهر بوسهوانا Booshuana ويتخذ هذا النهر اتجاهها شماليا (يجرى ناحية الشمال) .

ولأن المجموعة أصبحت الآن داخل تخوم منطقة البريكوا Briequa فان المفوضين من الحكومة وجدوا أنه من الأفضل أن يرسلوا الدليل موكاوتا Mocauta الى أول قرية ليعلمهم بقرب وصول الحملة ويطلب منهم أن يرسلوا من يحيط زعيم الأمة (زعيم القبيلة) بذلك . وقبل أن يحل الظلام عاد الدليل الى العربات التى تجرها الدواب وقد صحبه أربعة من مواطنيه (قبيلته أو شعبه) وقضوا الليل فى معسكر متواضع . وعلمت جماعتنا من هؤلاء الرجال أن قبيلتهم يسميها الكرا Koras عادة باسم البريكوا Brieques أما الاسم الذى يتداولونه هم فيما بينهم ويطلقونه على أنفسهم فهو البوسهوانا Booshuanas ، وفى فترة الصباح

قدم أربعة آخرون من هذه القبيلة كان يشار إلى أحدهم باعتبار زعيمه وأخا للملك . وكان اسمه سيراكوتى Serakottie . وقد استضافتهم مجموعتنا وقدمت لهم خروفا وكثيرا من التوباكو الذى استطابوه جدا . لقد سروا جدا وأصبحوا منتعشين حتى أنهم قضوا الليل كله يغنون ويرقصون .

ومكثت المجموعة بعض الوقت على ضفاف نهر كورمانا الجميل ريثما تستريح الكواب والماشية التى أنهكها طول السفر ، ثم تقدموا فى اليوم الثالث والعشرين من الشهر ومروا خلال أدغال منتشرة من أشجار الميموزا التى كانت هى الأشجار الوحيدة التى تبدو فى هذه المنطقة ، ويقال ان الزراف شغوف بالرعى فيها ، وتوقفت المجموعة فى المساء عند نبع آخر صاف ووافر ماءه يسمى مابولى Mapoolie وعند هذا الماء استقبلت مجموعتنا وفدا مفوضا من الملك أفضى الى مجموعتنا بأن الملك فى انتظارنا ويترقب وصولنا بشغف . لقد بدا وجه المنطقة الآن مختلفا اختلافا كبيرا عما كان عليه حتى الآن . لقد غدا مكسوا بالحشائش وبالأدغال وميموزا الزراف Mimosa Camelopardalis وقد بسطت فروعها كمظلة ضخمة وشكلت ملمحا ملحوظا ومتميزا للمنطقة . وكانت الطرائد من مختلف الأنواع وافرة ففى كل ساعة كنا نرى قطعانا من التياتل الأفريقية ذوات الرعوس الضخام والقرون المعقوفة gnoos والكواشا quachas*

وفى الخامس والعشرين من الشهر أدت رحلة يومية من تلك الرحلات التى تقوم بها المجموعة الى الوصول لنبع آخر

(*) لم نستطع ايجاد المقابل العربى لها فى المعجم المتاحة بين ايدينا . (المترجم) .

وافر ماؤه يسمى جاتيكاما Gataikamma وكلما تقدمت
 المجموعة وجدت المنطقة أفضل مما كانت عليه وزادت
 حيواناتها البرية من كل نوع خاصة من الأنواع المعروفة في
 الجنوب الأفريقي . ولأن الأدلاء أخبروا المجموعة أنه لم يبق
 على مقر الزعيم إلا رحلة قوامها نصف يوم ، فقد رثى أنه
 من المناسب أن تتوقف العربات ، وأن يتقدم اثنان من
 المفوضين من الحكومة على ظهرى حصانين ، وتم اختيار
 هدية للزعيم حملاها معهما في إحدى حقائب الظهر (الحقائب
 التى يعلقها المسافر على ظهره) مع قرابى مسدسيهما
 واصطحبا معهما مترجما ، وفى حوالى منتصف النهار دخلا
 مدينة كبيرة مكونة من أكواخ ، وكان قد مرا وهما فى
 طريقهما لهذه المدينة عبر حقول واسعة مزروعة بطريقة
 بدائية ، ولم تكن المدينة منظمة إذ صفت الأكواخ بطريقة
 غير منضبطة فليس بينها ما يمكن تسميته بالشارع ،
 وحول كل كوخ سور من أوتاد خشبية مستدقة . وكانت
 رؤية تجمع بشرى سكانى كبير - بعد هذه الرحلة الطويلة
 الشاقة - أمرا غير متوقع لكنه حظى برضى المشاركين فى
 الرحلة ، ففي منطقة منعزلة كجنوب أفريقيا حيث لا يلتقى
 المرء إلا بعدد قليل من البشر البائسين ، لابد أن سروره
 وسعاده تتضاعفان إذا التقى بمجتمع بشرى كبير ، يبدو
 الناس فيه فى حال أكثر ارتياحا . وكان المندوبان المفوضان
 ومن معهما يركبان حصانين يسيران بخطى سريعة بين
 الأكواخ ، ويسبق الركب المترجم ومبعوثو الملك الذين أتوا
 - قبل ذلك - لابلأغنا بترحيبه بالمقابلة ، وسرعان ما وصل
 المندوبان المفوضان الى البقعة التى انتظر فيها الزعيم وحوله
 حكماء الشعب (كبار السن the elders of the people

لاستقبالهما . كان الرجل الجليل واسمه موليها بان Mooliahaban جالسا وسط حاشيته فى موضع يحيط به سور من أوتاد خشبية ، مستدقة أطرافها ، وكانت البقعة المسورة مستديرة ، وقد استقبل الرجل الجليل المندوبين المفوضين بترحاب وبدون أى ارتباك أو تكلف ، وتقبل هديتهما التى أثارت فضول الحكماء elders المحيطين به كذلك أثارت اهتمام الجموع التى تجمعت بأعداد كبيرة فى ذلك الوقت حول السور المحيط بالمكان ، لقد فحصوا كل جزء من أجزاء الهدية بدقة وبدوا راغبين فى معرفة كيفية استخدامها . وقدم الملك وجماعته كمية من اللبن المتخثر للمندوبين المفوضين مقابل هديتهما . ولما انتهت مراسم التعارف دعا الزعيم المندوبين لمنزله الخاص وقدمهما لزوجتيه وأولاده الاثنى عشر ، ومشى خلق كثير خلف المندوبين ، لكن النسوة كن فيما يبدو - هن الأكثر عددا بين الحشود ، والأكثر فضولا . لقد راحوا (ورحن) يتفحصون شعر المندوبين عن قرب وبدوا غير مقتنعين انه شعر طبيعى بل كانوا ميالين الى أنه شعر ذيل حيوان أو آخر تم تثبيته فى الرأس .



وعند وصول العربات التى تجرها الدواب قرب نهاية اليوم ، نصبت المجموعة خيامها على بعد ستمائة خطوة الى الجنوب من المدينة على شاطئ النهر الذى يجرى خلال المدينة ، وزار المعسكر بضع مئات من الشعب كانوا جميعا يبدوون مبتهجين غاية الابتهاج لأن الفرصة سنحت لهم لالقاء نظرة على الغرباء ، وكان بعضهم فضوليا جدا لكن بغير اضطراب اذ سيطر كل منهم على نفسه تماما وسيطر على انفعالاته . وقد جلبت النسوة حليبا فى قرب جلدية وفى

أوعية خشبية وفخارية كان يكفي لاستهلاك الحملة كلها ، وكلما اقترب الليل بدأ الناس رويدا رويدا يغادرون المعسكر وخذ أفراد مجموعتنا للراحة برباطة جأش وهدوء دون قلق أو خوف على سلامتهم الشخصية . ومدينة ليتاكو Lettekoo تقع على خط عرض 30° $26'$ جنوبا وعلى خط طول 27° شرقا ، ويمر نهر في وسطها وهو نهر موسمي بمعنى أن عرضه يتغير بتغير المواسم فقد يكون بعرض القناة وقد يتسع اتساعا كبيرا وتغزر مياهه . ومحيط المدينة كمحيط مدينة الكاب (الرأس) إذا ضممنا لها كل حدائق وادي تيبيل Table Valley ، لكن نظرا لعدم انتظام الشوارع وكذلك نظرا لانخفاض المباني ، فقد كان من المستحيل التأكد من عدد المنازل على نحو دقيق أو قريب من الدقة ، وعلى أية حال فإنها لا تقل عن الفين أو ثلاثة آلاف مسكن . وكل المساكن لها المساحة نفسها تقريبا ولها التصميم نفسه أيضا ، ولا تختلف في شيء عن منزل الزعيم غير أن منزل الزعيم أكثر اتساعا من مساكن الآخرين بقدر غير كبير . أما عدد السكان رجالا ونساء وأطفالا فيتراوح بين عشرة آلاف الى خمسة عشر ألف نسمة . ونادرا ما تكون هذه الأرقام المدورة (المقفلة) دقيقة . وقد اختلف تقدير المندوبين المفوضين بعد خمسة عشر يوما فكان تقدير أحدهما أن المدينة لا يزيد سكانها عن عشرة آلاف بينما قدر الآخر أنهم خمسة عشر ألفا ، وكانت تقديراتهما معتمدة على مقارنة بعض الملاحظات ، وربما كان الرقم الأقرب للصحة هو متوسط الرقمين آنفي الذكر . وكانت الأرض التي يشيد عليها أي منزل تمثل دائرة مكتملة يتراوح قطرها بين اثنتي عشرة قدما الى خمس عشرة ، وقد تم ذلك الأرضية ورفعها عن مستوى سطح الأرض بحوالي أربع بوصات .

وحوالى ربع الدائرة وهى المساحة التى تشكل واجهة المنزل
تمثل مساحة مكشوفة ، والثلاثة أرباع الباقية مسورة بطمى
وحجارة ويبلغ ارتفاع هذا السور حوالى خمس أقدام ، وبشكل
عام فان واجهات المنازل تطل ناحية الشرق ، والى جوار الجدار
الدائرى الداخلى الذى يمر بمركز الدائرة (الكبيرة) ويعتمد
على نصف القطر نفسه (نصف قطر الدائرة الكبيرة) يقطع
حوالى ثلث المحيط لعمل غرفة • توضع فيها الأشياء ذوات
القيمة لديهم كالملابس الجلدية والحلى العاجية والرماح
والسكاكين وغيرها من المواد الأساسية • وفى هذه الغرفة
أيضا يقضى كبار السن فى الأسرة راحتهم الليلية وينام
الأطفال فى شرفة (فيراندنا Viranda) نصف مغلقة
تمتد لتشغل ثلثى محيط الدائرة •

والمنزل كله مغطى بسقف على شكل خيمة يعتمد على
دعامات مبنية فى الجدار (السور) وفى واجهة المنزل تشكل
هذه الأعمدة مع السقف ما يشبه الرواق • والسقف كله
مشكل - بعناية من حزم من الغاب (البوص أو القصب)
وأعواد الهلقوس (يضم الهاء وتسكين الواو وهو نبات من
الفصيلة النجيلية) وتربط هذه الأحزمة بسيور جلدية ،
ولكل البيوت سياج من غاب قوى أو من أعواد الهلقوس أو
من أعواد خشبية ، وثمة صومعة طينية كبيرة الى جوار غرفة
السكن ومقامة على بقعة مرتفعة من الأرض وتستخدم هذه
الصومعة لخزن الحبوب • وهذه الأجران تشبه فى شكلها
جرار الزيت الكبيرة وسعة الواحدة من بعضها لا تقل عن
٢٠٠ جالون ، ويرفعها - أى الصومعة أو الجرن - عن
الأرض ثلاث قوائم ارتفاع القائمة منها من ستة أقدام الى

(*) ما بين القوسين توضيح للمترجم •

ثمانية ، والصومعة أو الجرن - مثلها مثل المنزل نفسه ،
مغطاة بسقف مدبب (خيمى الشكل) من القش .

ومنزل البوسهوان ليس سيئا اذا وضعنا فى اعتبارنا
ظروف المناخ . أما من حيث الأناقة والمتانة فربما كان جيدا
أيضا فهو يشبه الكازى Casae أو المنازل الأولى التى كانت
تبنى فى الامبراطورية الرومانية ، وربما كان هذا المنزل
الأفريقى أقوى فى تشييده وأساساته ووسائل الراحة به من
معظم الكبائن الأيرلندية الى يضطر الفلاحون البائسون
للزحف عبر البرك المائية الصغيرة للوصول اليها . فكوخ
البوسهوانا ليس مرتفعا فوق أرضية مكوكة من الطين
فحسب ، وانما قد تم اعداد أرضية المسكن كله بحيث ينحدر
الماء الى مدخل المنزل ، كما أن المطبخ مشيد فى المساحة
المكشوفة ، وبذلك لا يتعرض داخل المنزل للدخان
والسخام ، وينعم البوسهوانى بالراحة فى الظل فعادة ما يشيد
هذا الكوخ تحت فروع أشجار الميموزا الممتدة ، ويحظى كل
فرع من فروعها بالعناية ذات الطابع الدينى (بتقديس)
فلا ينزع فرع من فروعها أو يكسر فى أى ظرف من الظروف
رغم أن أخشاب الوقود قد يتعذر الحصول عليها الا بعد قطع
مسافات طويلة .

ومن المحتم على تجمع بشرى كبير فى بقعة محاطة
بالصحراء القاحلة يرتادها بين الحين والحين بعض البدائيين
المتوحشين ، وقد انقطعت سبل المواصلات بينه وبين المناطق
الحضرية الأخرى - لا بد أنه - أى هذا التجمع البشرى
المتعزل - قد ضمن لنفسه الاحتياجات الضرورية من وسائل
الاعاشة . وأحد المصادر الكبرى التى يحصلون منها على
طعامهم هى مواشيهم ، التى يأكلون من لحومها وان كان هذا

يحدث نادرا ، ويتناولون الألبان وهي متخثرة غالبا ، وهم لا يحفظون هذه الألبان المتخثرة في سلال من أعشاب يابسة كما يفعل الكافير الشرقيون Eastern Kaffers وإنما يحفظونها في قرب جلدية وجرار فخارية . وتزخر المنطقة بالظباء Antelopes من النوع المعروف في جنوب أفريقيا بالاضافة الى وحيد القرن والجواميس والكواشا Quacha وهم يحصلون على هذه الحيوانات بالمطاردة أو بنصب الشراك وهم لا يراعون شروطا خاصة في الحيوانات التي يأكلون لحومها ، فهم يأكلون الذئب وحيوانات ابن آوى كما يأكلون آكل النمل myrmecophaga والقطط والنمور والزراف ، والمنطقة مليئة بالنعام وطيور الحبارى (يضم الحاء وفتح الباء) وطيور الطيهوج (بتشديد الطاء وفتحها وتسكين الياء وهي من رتبة الدجاج) ودجاجات الأرض (دجاجات غينيا) Ghinea fowls وطيور الحجل (بفتح الحاء والجيم) لكن كل هذه الوفرة في الحياة الحيوانية قد تعجز عن سد حاجة هذا العدد الكبير من الغذاء لذلك فقد لجأوا لطلب معونة المساعد الذي لا يبخل والمورد الذي يسد جوع الجموع . انه الزراعة . وهم يزرعون الحبوب بشكل رئيسي ، وقد أحضر المندوبان المفوضان عينات من هذه الحبوب تشتمل على ذرة المكانس holcus Sorghum (★) وتبدو بذوره الحمراء وكأنه من جنس نبات الساكهارات Sacccharatus واللوبياء Dolichos وهي تشبه الكادجان Cadjan والفاصوليا Phoseolus ، ويبدو أن هذه الحبوب المختلفة تبذر معا في حقل واحد (أى لا يزرع كل نوع منفصلا عن

(★) عن معجم الشهابي : ذره المكانس ويسمى أيضا Sorghum Vulgare . أو broomcorn يزرع لصنع المكانس من عشاكيلها أما بذورها فتأكلها الطيور والافنام .
وغنى عن القول انها تزرع في هذه المنطقة ليأكلها الانسان - (المترجم)

الأنواع الأخرى) وعند النضج يتم حصادها وتخزن في الأجران (الصوامع) الطينية دون فصل بينها . ثم يأخذون منها لاستخدامها دون فصل بين الحبوب المختلفة أيضا ويحمصونها ويأكلونها بعد التحميص أحيانا ، وأحيانا أخرى يسلقونها في الحليب . ومن السهل أن نستنتج أن فن الزراعة عند هؤلاء الناس لا زال في أدنى مراحله . وفي الحقيقة فإن العمل الوحيد الذي ينجزونه في الأرض هو عزقها وهو عمل كل للنساء ، ويباشرنه بأداة بدائية تشبه المجرفة على نحو ما ، وهي عبارة عن قطعة مسطحة من الحديد مثبتة بعقدة الكيزي الكافيري Keffer Kere وتستخدم هذه الأداة كمجرفة وفأس في آن ، فإذا ثبتت حافة قطعة الحديد هذه بحيث تقف على زواياها اليمنى مع اليد أصبحت مجرفة ، وإذا تمت ادارتها (لفها) لتكون موازية لليد فإنها تكون عندئذ فأسا .

لكن البوسهوانا لم يتدرجوا في سلم الحضارة تدرجا مرضيا في المجالات الأساسية التي تمدهم بأسباب الحياة بوفرة ، ونعنى بها الزراعة والرعى والصيد ، انهم غير شاعرين بأية حال بما يمكن أن توفره لهم هذه المصادر من عيش هنئ ورفاهية . فمعاطفهم الجلدية التي يرتدونها شتاء ناعمة ومرنة ودافئة وهم يزينونها بشكل متتابع بجلد القطط ذى الفراء وجلود حيوانات الزبديات Viverridae كالنموس والرباح (بتشديد الراء وفتحها) (★) وغيرها من الحيوانات الصغيرة ، أما في الصيف — عندما يسرون عراة فانهم نادرا ما يعرضون أبدانهم لأشعة الشمس ، وانما يحمل الواحد منهم مظلة معمولة من ريش النعام العريض

(★) انظر معجم الشهابي لمصطلحات العلوم الزراعية — (المترجم) .

مثبت في طرف عصاة • وهم يغيرون طريقة طهيهم للطعام
 سواء كان لحما أو غلالا ، مرة بالسلق ومرة بالشى وقد
 يسحنون الحبوب ويجعلونها دقيقا ويغلونها ممزوجة
 بالخليب • ويحظى التوباكو بتقدير شديد منهم ، فالرجال
 والنساء على سواء مولعون بسحب دخان نبات التبغ بمد
 تمريره في المسام الذي يصب عادة في قرن بقرة أو عنده
 (ظبي أفريقي ضخم) ثم يوضع أنبوب (بوصة) في جانب
 القرن (ينقب القرن بحيث تصل البوصة الى الداخل) •
 وهم مولعون — على النحو نفسه — بالسعوط (النشوق) •
 وتتكون هذه المادة (السعوط) من نباتات مثيرة (منبهة)
 مختلفة تجفف ثم تسحن (تسحق) وغالبا ما تخلط برماد
 خشب محترق ، ويضعون من هذا الخليط المسحق شيئا في
 راحة اليد ويستنشقونه بفتحات أنوفهم من خلال بوصة أو
 ريشة طائر ، ويظنون يستنشقون ويسحبون المسحق
 بالطريقة الأنف ذكرها حتى تجرى الدموع على وجناتهم •
 وحتى الأطفال في سن الرابعة أو الخامسة يستنشقون
 السعوط (النشوق) بالطريقة ذاتها • ويزينون أجسامهم
 بعناية برسوم وزخارف يرسمونها بطمي أبيض ومغرة
 حمراء (أكسيد الحديد المائي ، والمغرة بفتح الميم وتسكين
 الغين) (★) ويقصون شعورهم أحيانا بطريقة خاصة تاركين
 خصلة وسط الرأس (على تاج الرأس) ولا تختلف هذه
 القصة عن القصة (الحلقة) المعروفة هذه الأيام ، ويثبتون
 على جانبي الرأس بشكل قائم ريشتين من جناحي غرنوق
 (كركى) Numidian Crane وأحيانا ذيلي أرنب أو قطعة
 منفوخة من مثانته (مثانة الأرنب) distended bladder (؟)

(★) ما بين القوسين توضيح للمترجم •

و من مثانة أى حيوان صغير آخر (★) . وغالباً ما يعلق الواحد منهم فى احدى أذنيه قرطاً من صفائح نحاسية على شكل مثلث ، أما القلائد فمن أسنان الأسود والنمور وأنيابها . ويصنع الرجال حلقات من العاج من أنياب البفيلة ويضعونها (يلبسونها) حول الجوانب العليا من أذرعهم أما النسوة فيلبسن حلقات من جلد قد تكون غير محلاة وقد تكون محلاة بالخرز وقطع النحاس ، ويضعنها حول أذرعهن أو سيقانهن . ويعلق كل رجل سكيناً موضوعة بقرباب - بسير جلدى - حول رقبته . وعموماً ما يبلغ نصل السكين حوالى ست بوصات طولا ، وبوصة عرضاً . وهذا السكين مسنن (محدد) من الناحيتين (★★) أما المقبض فمن خشب وأحياناً من عاج ، وفى هذه الحال الأخيرة فإنها غالباً ما تتخذ شكل خرطوم الفيل . وكانت مجموعة الحملة قد أخذت معها عدداً من السكاكين المعتادة ليبادلوا بها ، لكن البوسهوانا ثمنوها بثمن بخس . ذاكرين أن سكاكينهم أفضل بمقدار الضعف لأن الواحدة منها ذات حدين بينما سكاكين البيض للواحدة منها حد واحد . والحقيقة أن السكين يعد أداة نافعة من أدواتهم خاصة بالنسبة لقوم يعيشون على الصيد وقطع جذور النباتات ، ويقدر البوسهوانا ثروة شخص ما بقدر امتلاكه للماشية والسكاكين والخرز ، فهذه الأشياء هى النقد والعملية فى ليتاكو Lettako .

والمرأة البوسهوانية لا تمارس - فقط - عملية عرق الأرض وحصد الفلال ودرسها وتقشيرها ووضعها فى

(★) ربما كان المقصود هو أخذ فراء الأرانب أو فراء غيرها من الحيوانات الصغيرة ونفخه ووضعها منفوخاً على جانبي الرأس - (المترجم) .
 (★★) يقصد خنجر كما هو واضح - (المترجم) .

الصوامع التى قمن - أى النسوة بتشبيدها بأنفسهن - وانما تقمن بالاضافة الى ذلك كله بجمع معظم المواد اللازمة لتشبيد المسكن واعدادها لتكون صالحة للغرض المنشود ، أما الرجال فيقضون شطرا من أوقاتهم فى الصنيد ، وتجهيز الجلود واعداد المعاطف والأحذية وهم وحدهم الذين يهتمون بالماشية ومنتجات البانها .

وبعد وصول مجموعة الحملة بأيام قلائل اتاحت الفرصة لها لحضور مراسم زواج ، وقد وجهت لهم الدعوة ، وشهدوا الأفراح والمهرجانات المصاحبة للزواج . ففى الوقت المحدد ذهبت المجموعة الى ساحة واسعة دائرية يحيطها سور من أعمدة خشبية مدببة أعاليها ، وهناك استقبلهم الزعيم المبجل بود وسط حكماء المكان (كبار السن elders) وكان يقف عن يمين الزعيم مجموعة من النساء الشابات ، كما كان يقف عن يمينه مجموعة من الرجال الشبان يكاد يكون عددهم مساويا لعدد النساء الشابات الواقفات عن يمينه . وكانوا يلبسون ثيابا ذوات طابع خيالى . وجلست جموع المشاهدين فى حلقة مغلين وسط الساحة فارغا . وتقدم الرجال الذين تم اختيارهم للقيام بطقوس الزواج وشعائره الى وسط الحلقة وبدأوا فى استعراض مهاراتهم ، وكان لرقصهم تأثير فريد وكان بعضهم يرتدى نوعا من التناير (البلوزات) تغطى المنطقة من الخصر الى الركبة وهى معمولة من ريش النعام الأسود والأبيض وقد صنف الريش بحيث يتلو بعضه بعضا ، وآخرون يضعون أحزمة من جلد مختلفة أشكالها حول أبدانهم تمتد من الرقبة حتى ريلة (بطة) الساق وقد خيط فى أطراف هذه الأحزمة ذيول حيوانات ابن آوى وذيول قطط وذيول حيوانات أخرى

كالزباد والرماح والنمس Viverra ، وقد دهنوا أجسامهم
 بالظمى الأبيض والأحمر والأصفر . وأثناء دوران
 الراقصين تتجه الذيول وريش النعام نحو الزوايا اليمنى من
 الجسم ، ويبدو أن الهدف منها (الذيول والريش) هو منع
 الجسم من السقوط ، وأن تتحرك بشكل أفقى مع كل وضع
 وحركة من حركات الجسم . وتصاحب حركاتهم أغان بدائية
 صاخبة تتوقف فى فترات الراحة التى تقوم فيها النسوة
 بالاجابة بصوت أكثر رقة على أغاني الرجال فيبدو ردهن
 وكأنه رد على الاستروفية antistrophe (فى المسرح
 الشعرى اليونانى القديم) ولا تخلو أغانيهن بأية حال من
 طابع الاتساق اللحنى (الميلودى) . وتقوم النسوة بتشجيع
 الراقصين وابداء الاعجاب برقصهم بالتصفيق لهم كل حين .
 وما أن ينتهى الرقص حتى يتم توزيع المأكولات كاللحم
 المسلوق والبليلة (الهلقوس وهو نوع من الحبوب المسلوق
 فى الحليب) - على الضيوف وبعد ذلك يصطحب العريس -
 الذى كان واحدا من الراقصين - عروسه الى منزله ويعود
 المدعوون الى مساكنهم راضين بالاحتفال الذى كسر حدة
 الحياة الرتيبة .

لقد تأثر المندوبون المفوضون تأثرا طيبا بالنظام
 واللياقة اللتين يدير بهما البوسهوانا مثل هذه المراسم ،
 وكل مناسباتهم فى الواقع ، فالبوسهوانا لا يعوزهم التناسق
 والنظام ، وهو أمر قد تفتقده مثل هذه المجتمعات السعيدة .
 ويلتقى موليشابان (الزعيم) مع الحكماء (كبار السن) فى
 المناسبات لفض أية منازعات من التى قد تحدث أحيانا وهى
 أمر لا مناص منه فى مثل هذه التجمعات الكبيرة .

ويبدو أن نظام حكومتهم أبوى Patriarchal
 تماما فلا بد أن يكون الزعيم بطبيعة الحال رجلا يؤلهه الشعب
 ومن ثم فإن له حق تسمية من يخلفه ، وهو يتحسس رغبات
 الشعب وميولهم باستماعه للحكام (كبار السن) وهو
 يصدر التعليمات ويضع التنظيمات بناء على نصائحهم
 ومشورتهم ، كما أنه يغيرها لما هو أفضل ليحقق الرضا العام
 وليكتسب لنفسه شعبية . ولا يستطيع أى شاب أن يتقدم الى
 مجلس الملك ، فبروتوكول مجلسه قائم على مبادئ البساطة
 البدائية حيث كبر السن والسلطة مصطلحان مترادفان .
 وغالبا ما يكون هذا فى معظم الأمم واللغات ، وإذا شعر أى
 فرد فى المجتمع انه مظلوم ولم يقنع بقرار المجلس (مجلس
 الملك) فإن له مطلق الحرية أن يدبر أمره بنفسه ويحمل
 معه كل ممتلكاته ويفادر الجماعة (القبيلة أو القطيع) .

الدين :

ولا يبدو أن لديهم أى شكل محدد أو نظام خاص
 للعبادات الدينية بالمفهوم الواضح لدى الأوربيين ، رغم أنهم
 يمارسون بعض العادات التى توارثوها عن آبائهم ، فهم
 يراعون عادة ختان الذكور من منظور دينى ، ويراعون
 الرقص فى دائرة طوال الليل إذا كان القمر بدرا . وثمة
 أمم قليلة بلغت من التوحش والبدائية مبلغا يجعلها لا تكون
 واعية بوجود قوة توجه أمور الطبيعة ولها هيمنة مطلقة
 عليها (أى على هذه الأمم) . وبعض الأمم تعزو لهذه القوة
 اختلاف حالات (خواص) الشخص (تغير أحواله) وآخرون
 يفترضون أن الشخص نفسه هو المهيمن على كل حالة من
 حالاته . ومعظم الأمم تعترف بالروح الطيبة والروح
 الشريرة وهم يجدون الروح الطيبة فى دفء الشمس وضوء

القمر القضي وزخات المطر التي تشيع الخصب والنماء ،
ويجدون الروح الشريرة في صوت الرعد وفي الأشعة
الحارقة وفي عصف الرياح وفي السيول المدمرة ، ولما كان
الخوف هو والد الخرافة وأما ، فان الروح الشريرة عادة
ما تلقى توقيرا واحتراما أكثر مما تلقاه الروح الخيرة ،
ويبدو أن هذا هو ما عليه الحال عند البوسهوانا ، ومن المحتمل
أن يكون توقير الروح الشريرة مرحلة باكرة شهدتها كل
الأمم فأثام جوبيتر Jupiter (★) وشروره قد تم تسجيلها
قبل فضائله ومناقبه ومزاياه فقد أربب برعده قبل أن يطمئن
بخطيته الأبوية .

ويمكن اعتبار البوسهوانا - بكل المقاييس - قد
اجتازوا القاصد بين مجتمع الأمم البدائية المتوحشة ومجتمع
الأمم المتحضرة ويمكن اعتبارهم بالتالي أنهم قد وصلوا
لمرحلة من السمو الأخلاقي تجعل من الممكن أن يتقبلوا
المبادئ السامية للدين المسيحي ، ولو حتى البسيط منها .
ويمكن للمبشرين استغلال حماسهم في الحصول على بعض
المزايا ، وهنا يحصل أول الحاصدين على المحصول الوفير
here a plentiful harvest is offered to the first reapers who
may present themselves.

ويمكن أن نعزو - الى حد كبير - تلك النزعة للود
والسلام السائدة بين الناس هنا الى المساواة ، فالمنازل في
لاتاكو Lattakoo متشابهة تقريبا لا تختلف الا في الجهد
الذي يبذله الواحد منهم لتحسين مسكنه ومد الظل اليه .
ولكل فرد أن يزرع من الأرض ما يشاء . أما كثرة أعداد
الماشية فيعتمد على مدى اهتمام الشخص وحسن ادارته ،

(★) جوبيتر كبير الآلهة عند اليون - (المترجم)

كما أن كمية الملابس (الجلدية) المطلوب منه أن يوفرها
لأسرته في الشتاء تعتمد على مهارته ونشاطه في مضمار
الصيد .

ويمكن أن تنطبق هذه الأبيات الشعرية الجميلة على
أحوال هذا الجنس السعيد من الكافير kKaffers في جنوب
أفريقيا كما انطبقت يوما ما على فلاحى سويسرا :

مع أن كوخ الكافيرى فقير
ومع أن ولائمه بسيطة
فانه يشعر أن ما لديه من قليل كثير
فهو لا يرى قصرا فخما يناطح رأسه
وينجبل تواضع كوخه
ويكشف حقارته .

تعليق المحرر للربط بين وقائع الرحلة :

ومكث المندوبون المفوضون في المدينة (لاتاكو)
خمس عشرة يوما ، وخططوا لزيارة البارلو Barraloos
وهي قبيلة الى الشمال ، لكن هذه القبيلة كانت تمثل مجموعة
شرسة ومضرة ومريية . وقد حصل المندوبون على ما يزيد
قليلًا عن مائة رأس من الماشية وقد دفعوا مقابل كل رأس ،
رطلين أو ثلاثة من الخرز .

وقد كان الفلاحون boors (المرافقون للحملة)
الذين وجدوا بعض التسلية في قضاء الوقت بين البوسهوانا

— يخرجون يوميا في جماعات للاصطياد ، وكانوا يحضرون معهم ما اصطادوه ، وكان من الظباء antelopes المعروفة لديهم جيادا ، الا أنهم ذات يوم أحضروا معهم زوجا من الحيوانات من جنس غير معروف اطلاقا لكل أفراد الحملة . وكان البوسهوانا يسمون هذا الجنس من الأيائل باسم بالا Palla . وهو يشبه الى حد ما القوقز . (فتح القاف وتسكين الواو — وهو ظبي جنوب أفريقي رشيق) الا أنه أضخم أما ارتفاعه فثلاث أقدام وثلاث بوصات ، أما طول الجسم من الرأس الى أصل الذيل فأربع أقدام وثلاث بوصات أما القرنان فطول الواحد منهما ست عشرة بوصة ويشبه القيثارة ، وهو متشكل من حلقات عند طرفه . وطول الأذن ثمانى بوصات وهى مكسوة خاصة من أطرافها بالشعر الأسود ، وشفته بيضاوان وثمة خطوط سوداء أسفل منتصف الوجه ، وثمة بقعة بيضاء فوق كل عين — طول الذيل ست عشرة بوصة رونه بنى مع وجود خصلة بيضاء عند طرفه ، وأقدامه بيضاء ومع الساقين الخلفيتين مساحة قاسية (صلبة) بشكل ملحوظ عليها خصلة شعر سوداء فوق نتوء مفصل الركبة . ولون بدنه بنى عميق يصبح باهتا شيئا ما عند الجانبين أما البطن والأجزاء الداخلية من الساقين (التى تواجه الداخل) فبيضاء خالصة . وهذا الظبي الجميل سريع سرعة الظبي من نوع Springbok تقريبا الا أن طريقته فى العدو مختلفة . وطباعه معتدلة ويمكن تطويعه بسهولة كحيوان أليف كما يمكن تدريبه ، وقد أحضرت مجموعة الحملة للكتاب (مدينة الرأس) معها أنثى ناضجة من نوع هذا الظبي لكنها سرعان ما ماتت بعد وصولها ، وذلك بسبب ملاقته من تعب وإرهاق أثناء الرحلة ، ويمكن القول ان ظبي بالا Palla هذا من الحيوانات التى تعيش فى

قطيع gregarious لكن لم يحدث الا نادرا أن رأينا
ثلاثة منها أو أربعة ترعى معا .

وفى ١٢ ديسمبر غادرت الحملة مدينة ليتاكو Leetakoo
أسفة لوداع هؤلاء الناس الودودين الكرماء فقد سحب
بعضهم عرباتنا لمسافات طويلة ، وتجمع عدة آلاف منهم فوق
المرتفعات المحيطة ، وفى اليوم التالى ، وصل الحملة رسولان
من ليتاكو ، وقد جلبا معها هدية من موليهايان عبارة
عن ثورين سمينين ، وأعادا ثورين كانا قد فقدنا من الحملة
وشردا ، وكان الرسولان يحملان فى الوقت نفسه رسالة من
الزعيم مؤداها أنه سيسعد كثيرا ان قامت الحملة بزيارة
أخرى فى العام القادم حيث تكون قطعانه قد نمت بحيث
يمكنه أن يقايض على عدد أكبر مما قايض عليه هذا العام .

وعادت الحملة من الطريق نفسه الذى أتت منه ولم
يكن لديها سبب للسرعة ، فكان لدى أفرادها متسع للملاحظة
وجه المنطقة . لقد كانت تكسوها الحشائش والشجيرات
والأشجار المختلفة أنواعها خاصة أشجار الميموز الوارفة
ظلالها والتى يحلو للزرافات أكل أوراقها وأماليدها .
وكانت بعض هذه الأشجار غاصة تماما بأعشاش طينور
صغيرة من نوع (جنس) اللوكسيا Loxia أو من جنس
Grossbeak (★) وهى تعيش بشكل جماعى وبأعداد
كبيرة مشكلة بذلك ثروة عامة ، فتحت سقف واحد مكون من
سوق نباتات جافة اصطف بضع مئات من الأعشاش لكل منها
نفق يؤدى الى أسفله ، وهذه الممرات الضيقة قد تمت حمايتها
بنباتات جافة شائكة بحيث يصعب ادخال الرأس فيها دون
أن يجرح .

(★) لم نستدل على المقابل العربى فى المعجم المتاحة لدينا - (المترجم)

وتزخر السهول بالنعام والظباء (من نوع القوقز)
والهريست والكواشا Quacha ، وكان من حظ الفلاحين
الهنديين ان اصطادوا حيوانا لم يكن معروفا لآى واحد
فى الحملة ولم يسبق لواحد من الاختصاصيين فى العلوم
الطبيعية وصفه ، ويسميه البوسهوانا باسم كوكون Kokoon
وهو يشبه فى مظهره العام حيوان الجنو Gnoo الا أنه
أكبر حجما منه . ويبلغ ارتفاعه أربع أقدام واحد عشر
بوصة ، وطوله من الرأس الى العجز خمس أقدام وذيله ذو
الشعر الأسود الطويل يبلغ ثلاث أقدام وثلاث بوصات ، وهو
يشبه ذيل الحصان ، أما رقبته فغليظة بشكل غير عادى
بالنسبة لجسده . وشعر عنقه لا يشبه اطلاقا شعر عنق الجنو
Gnoo ، إذ انه ينسدل على كتفيه بل يصل الى منتصف
ظهره ، وجبهته مغطاة بزوائد عظمية كراس الجاموسة ،
وتشكل هذه الزوائد العظمية فى الواقع قاعدة لقرنيه التى
تستدير للخلف وتنتهى مدببة كقرون حيوان الجنو Gnoo
ومن منتصف جبهته الى الأنف يوجد نتوء (أو بروز) محدب
مغطى ضلعه (أى ضلع هذا النتوء) بشعر أسود طويل ،
وعلى كل وجنة من وجنتيه الى الأدنى من العين بقليل توجد
بقعة دائرية قطرها أكبر من بوصة - عارية تماما ، وتبدو
من خلقته الأصلية (ليست بفعل طارئ مرضى) وسطح
جسمه مغطى بحزم من الأوعية الدموية والشرابين الدقيقة
ينز منها مادة بيضاء لزجة ، وتحت هذه الغدد مباشرة تكمن
جذور خصلات الشعر الأسود ، ولهذا الحيوان لحية سوداء
طويلة كلحية حيوان الجنو Gnoo وتغطي هذه اللحية
رقبة الحيوان من الذقن الى الصدر ، أما فمه وأنفه فيشبهان
فم الثور وأنفه الا أنهما أعرض وأكثر تسطيجا ، ولون
جسمه بشكل عام رمادى شاحب ، وليس لهذا الحيوان سرعة

الجنو Gnoo ونشاطه ولا روحه * وقد رسم السيد دانييل Daniell هذا الحيوان غير العادى رسما دقيقا ، وقد نجحت المجموعة فى اصطلياد عدد من حيوانات الجنو الجميلة فى نزهااتهم القصيرة ، وقد لاحظت مجموعة الصيادين هذه أنه فى أكثر من مرة ، شاهدوا أن حيوان الجنو هذا عندما يصاب بجرح ويحاصره مطارذوه فانه عموما ما يصدر صوت شخير من منخريه ويخرج منهما كمية كبيرة من اليرقات البيضاء الصغيرة Small white maggots ، للواحدة منها - فى بعض الأحيان - حجم ومظهر حبة البندق * .

وقد اقتنص فريق الصيد نفسه حيوانا من حيوانات الكوشا quacha له لون كريمى ، وكان جسمه كله مغطى بخطوط بنية داكنة ، وقد كان الظن أنه نوع فريد لكن سرعان ما تم اصطلياد أعداد أخرى لها اللون نفسه ، وذات يوم تم اصطلياد فعل وأنثاء ، وكانا مخططين تماما ولم يكن لدى المجموعة شك كثير فى أنهما متفردان وليس لهما مثيل فبذلت الجهود للابقاء على واحد منهما حيا لكن هذه الجهود - لسوء الحظ - لم تكلل بالنجاح ، وكانت النية متجهة لاحتضار هذا الحيوان الى مدينة الرأس (الكاب) * .

والفلاحون (الهولنديون) فى ضواحي المستعمرة يصطادون أحيانا حيوان الكوشا Quacha بالطريقة نفسها التى يصطاد بها أسبان بونس ايرس Buenas Ayres الخيول البرية بأن يطاردوها ويقذفوا حول رأس الحيوان منها بحبل أو سير جلدى * * *

تعليق المحرر للربط بين وقائع الرحلة :

وفى ١٤ ديسمبر غادرت الحملة طريقها السابق وتقدم أفرادها هابطين مع نهر كورومان Kuruman لمسافة طويلة . وعند عودتهم الى نهر الأورانج عند مخاضتهم الأصلية (المكان الذى كانوا يجمعون خوض النهر عندها) قابلوا كبشيرير Kicherer الذى اقترح عليهم أن يتابعوا الرحلة لاثني عشر يوما أو أربعة عشر هابطين مع نهر الأورانج الى مراكز الكول الزائفين the basterd kok حتى يكون لهم الحرية الكاملة فى جمع عدد كبير من الماشية ، وقد أخذت المجموعة بهذه النصيحة وقرر مسئولوها أن يعودوا للكتاب (الرأس) عن طريق بلاد الناماكوا Namaqualand وقد أعفى المندوبون المفوضون البوير (الفلاحين) من ذلك .



• • ولم يهبط مستوى النهر الهبوط الكافى الذى يسمح لعربات الحملة التى تجرها الدواب بعبوره عبورا آمنا قبل ٢٨ يناير ، وما كادت العربات تصل للمشاطىء المقابل حتى ارتفعت المياه فى النهر عدة أقدام مع أن المطر لم يهطل واستمر التيار بعنف وارتفع الماء وتضاءل احتمال امكانية عبوره بسرعة ، وكان عبوره - على أية حال - أمرا ضروريا من هذا الموضع حتى تتمكن الحملة من مواصلة الرحلة ، لذا فان هوتنتوت الكرا Kora Hottentot شرعوا فى اسقاط الأشجار وربط جذوعها الى بعض حتى تعبر عليها العربات • لقد كانوا يعملون بنشاط وهمة ومهارة فى وضع هذه الأخشاب (الجذوع) وهنا تم اكتشاف أن المخاضة

أكثر انخفاضاً من مستوى قاع النهر ، فأعدوا ممراً دون حوادث ، وقبل أن يصلوا الى الموضع الذى يقصدونه كانوا مضطرين لعبور هذا النهر العريض السريع جريانه مالا يقل عن ست مرات ، وقد تعرضوا فى المرة الأخيرة لخطر بالغ وكانوا عرضة للغرق بسبب ارتفاع المياه فى النهر ارتفاعاً مفاجئاً بمقدار خمس أقدام أو ست .

لقد حدث تغير فى سطح الأرض أثر فى مسار بقية الرحلة التى كانت أحياناً مساحلة للنهر وأحياناً بعيداً عنه . وكانت أشجار الميموزا الشائعة منتشرة فى كل مكان . وكانت بعض هذه الأشجار محملة بأعشاش الطيور التى تعيش فى أسراب ، وبدأت بعض هذه الأشجار على البعد وكأنها (مدود) (★) وظهرت على المرتفعات نماذج جميلة من نباتات الصبار والفربيون Eupharbias (★★) وثمة وفرة من هذا النبات الأخير خاصة (الفربيون) الذى يبدو أن الهوتنتوت يستخدمونه لتسميم منابع المياه لاهلاك أعدائهم . وثمة قرى متعددة لجماعة هوتنتوت الكرا Kora Hottentots تقع على طول الطريق ، وقد بدأ السكان فى كل مكان سعداء بقطعانهم الصغيرة وأكواخهم المتواضعة فهم دائماً مبتهجون وتغمرهم روح المرح . وهم لا يكفون عن قضاء أغلب الليل فى الرقص والغناء منذ يكون القمر بدرأ الى أن يصير محاقاً .

(★) بفتح الميم وتسكين الدال وكسر الواو - وهى كلمة عامية مصرية وربما لها أصول فصوى ولم نجد أفضل منها ترجمة لعبارة like many hay ricks

(الترجم) :

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية - نبات له لبن ضار وهو على عدة أنواع منه الشبرم وفربيون الشمس .

وفى ١١ فبراير وصلت الحملة الى الوضع الذى تقصده حيث وجدوا قرية كبيرة يسكنها خليط من الأجناس : كافر ، هوتنتوت وأخلاط من كل جنس ، ويعلم هؤلاء جميعا الزعيم كوك kok وهو واحد من هؤلاء الناس ويعرف فى مستعمرة الرأس باسم باستارد Bastard ويقال انه ولد نتيجة علاقة بين أحد سكان الكاب Colonist وهوتنتوية (★) وتشير كل الدلائل الى أن هذه المجموعة ثرية بقطعان الماشية لكنهم يشكون من أنهم - مؤخرا - بدعوا يعانون من زيادة أعمال السلب والنهب التى يقوم بها بها قاطع طريق يعرف باسم أفريكانر Africaaner وهم يتحسبون لزياراته القادمة خاصة أنه قام أخيرا بضم عدد من المتشردين وطريدى العدالة فى مستعمرة الرأس الى عضابته .

ستيفانوس الأفاق :

وقد انضم مؤخرا الى عصاية اللصوص الرهيبة تلك شخص أو شخصية خطيرة غير عادية . ولعله من الشائق أن نعرض لجانب من حياته . انه ستيفانوس وهو بولندى المولد لكنه من أصول يونانية ، وبعد أن قضى فترة فى خدمة بعض الفرق الألمانية العسكرية المرتزقة rired دبر لنفسه عملا فى الكاب كمساعدة يقال . حيث مال لاستغلال مهارته فى تزيف الأوراق النقدية الحكومية ، ولم يكن تنفيذ ذلك أمرا هينا ، فالبطاقة (يقصد ورقة النقد) تدمغ فى هولندا وهناك تغطى بورق رسم من تركيبة خاصة ، أما الأرقام والقيمة فتسجل على البطاقة (الورقة النقدية) بمعرفة

(★) أو العكس فالعبارة لا توضح

the ifspring of a connection between a Colonist & a Hottentot.

الضابط العام Public officer في الكاب ، ويوقع ثلاثة
من أعضاء مجلس العدالة Cort of Justice على كل ورقة
نقدية ولكل توقيع من هذه التوقيعات الخاصة ذيل زخرفي
خاص يوضع في نهاية الاسم (التوقيع) ، وكانت هذه
التوقيعات والرموز (الزخرفة الخاصة في نهاية كل اسم)
معروفة في سائر أنحاء مستعمرة الرأس . وقد استطاع
ستيفانوس أن يقلد كل هذا تقليدا محكما وأن يمرر عملته
المزيفة طوال الوقت . وأخيرا - على أية حال - تم كشف
التزييف ، وهددت حياة ستيفانوس وأدين ووضع في
غيابات السجن حتى يحين ميعاد اعدامه ، وعلى أية حال فإن
نزعتة للأعمال غير العادية ازدهرت في سجنه هذا ، فاستطاع
بأبرة صدئة وجدها في جدار سجنه ، وباستخدام منضدة
صغيرة أن يحفر بالتدريج ثقباً مربعاً في خشب الساج القاسي
البالغ عرضه ثلاث بوصات ، ومن خلال هذا الثقب تمكن
من الهرب ، ولكي يروغ من شك سجنانه ولا يلفت انتباهه ،
فمن المفترض أنه كان يبتلع كل صباح نشارة الخشب التي
ظل طوال الليل يستخرجها بأبرته ، كما كان يملأ الفراغ
الذي أحدثه بفتات الخبز .

الأفاق يبشر بالانجيل :

ولما تجاوز حدود المستعمرة دون أن يكتشف أمره ، بل
دون أن يشك به أحد أو يتعرش به وصل الى مؤسسة
(منشأة) كيشيرير Kicherer على نهر ساك Sack river وابتدع
عدة قصص ذات طابع ديني وقابلة للتصديق عن هاتف
لا يقاوم يأتيه ويدعوه للهداية والرحمة فقرر أن يبشر
الوثنيين بالانجيل ، واستقبله ارساليو مؤسسة كيشيرير

الآنف ذكرها بأذرع مفتوحة ، لكن كيشيرير - على أية حال - سرعان ما اكتشف من خلال معاينة سلوك ستيفانوس أنه قد وضع ثقته في غير محلها ، وأنه كان كريما مع من لا يستحق الاكرام . ويبدو أن هذا اليوناني قد صمم تصميمًا مرعبًا على قتل مضيفه (المبشر) والاستيلاء على ممتلكاته القليلة ، فتسلل ذات ليلة إلى غرفته ، وبينما كان يقترب من سريره ، اتضح - لحسن الحظ أن المبشر - كان مستيقظًا لم ينم ويبدو أنه كان على قدر من الشك في ضيفه ، ومدركًا سوء نواياه فانطلق نحوه فجأة في الظلام ووبخه لنكرانه الجميل ، وتمثل المبشر مبادئ السماحة والعفو في المسيحية فأرسله بعيدا عنه دون أن يلحق به أذى ، في الوقت الذي كانت كلمة واحدة منه (أي من هذا المبشر) كفيلة بأن تجعل أتباعه المخلصين يمزقون هذا اليوناني أربا أربا . وقام المبشر بتزويد هذا اليوناني باللحوم والتوباكو وأمدّه بما يساعده على القيام برحلة بعيدا عنه ، فأعطاه قداحة (صوان وقطعة صلب) لاشعال النار ، وقليلًا من البارود ، ونسخة من الكتاب المقدس وأوصاه بأن يوليه - أي الكتاب المقدس - عناية جادة .

النبي المزيف :

ولكن النوايا الطيبة لهذا المبشر ذهبت سدى على يد هذا المتشرد اليوناني ، الذي لم يكن فسادَه وسوء طويته يقلان بحال من الأحوال عن براعته وقدرته على التزييف ، لقد قرأ الكتاب المقدس ، ويبدو أنه استغل ما حصله من معلومات لأغراض غير طيبة ، فعند وصوله واستقراره بين الكرا koras (المقصود الكرا الهوتنتوت) أعلن أنه نبي مرسل وأكد لهم أنه قطع آلاف الأميال سريعا ليكون

بشارة لسعادتهم • وبنى معبدا عند حافة دغل كثيف من أشجار الميموزا وأقام مذبحا وشجع هؤلاء الناس الأغبياء على تقديم أضحياتهم التي كانوا يختارونها من بين أفضل ما فى قطعانهم ويقوم هذا اليونانى باحراق جزء من الأضحية بمراسم مبجلة وقورة ، ويخصص ما بقى من الأضحية لنفسه (يجعلها من نصيبه هو) ، وكان أحيانا ينتهز فرصة العواصف الرعدية أو فيضان النهر فيغالى فى طلباته من الأضاحى بل ويجدها فرصة مناسبة فيطلب احضار الفتيات الشابات العذراوات الى المعبد، وواصل هذا اليونانى سخريته بالدين (المسخرة الدينية) الى ما هو أبعد فنخلف الغابة بمسافة قليلة كان يوجد جبل (تل) ذو ارتفاع غير قليل ، وكان هذا القس الجليل (★) وفقا لطقوس دينه المبتدع - يصعد هذا الجبل كل صباح بمفرده ، وعند قمة الجبل كان يبدو للناس أسفل الجبل مغلفا بغلالة من الدخان ، سواء كان ذلك بفعل اشعاله النار فى الحشائش الجافة أو بأشغال بعض البارود ، لقد كان يصعد هذا الجبل ليتلقى الوحي من السماء كما كان يوهم هؤلاء الهوتنتوت الجهلاء ، لكن الحقيقة أنه كان يصعد الجبل كل صباح كى يلقى نظرة ماسحة على السهول الجنوبية ليتأكد مما اذا كان ضباط العدالة (مسئولو العدالة) officers of justice يجدون فى اثره أم لا ، فاذا ما ظهرت عربات تجرها الدواب على البعد أدرك أن العدالة تجد فى طلبه فيولى هاربا •

وقد وصلت أخبار هذه الممارسات الدينية غير الصحيحة بالتفصيل للمبشرين بالكتاب المقدس فقرروا ضرورة القبض على هذا المجرم - اذا كان ذلك ممكنا وتسليمه للعدالة ، لكن

(★) السخرية واضحة من التعبير - (المترجم) •

هذا الأفاق الماكر علم بخطتهم فهجر معبده وقطعانه واتجه نحو الساحل الغربى للقارة وعند حدود المستعمرة (مستعمرة الكاب) تعرف عليه فلاح هولندى فسجنه (حبسه) وتظاهر هذا الأفاق أنه استسلم له وأنه يرغب فى تسليم نفسه للعدالة فى الكاب (مدينة الرأس) فسمح له الفلاح الهولندى بالنوم فى عربته ، ورد ستيفانوس الجميل للفلاح الهولندى بأن قطع رقبتة بالسكين ذات ليلة وانسل هارباً الى الحوض الأدنى لنهر أورانج وهناك انضم الى افريكانر Africaaner صاحب العصابة الآنف ذكره .

المجرم الأفاق ينجح فى تأسيس دين جديد :

ان هناك احتمالات كبيرة قائمة فى أن يكون هذا البائس الفاجر قد تمكن من تأسيس دين جديد مخلط ، جانب منه يهودى وجانب منه يونانى (أورثوذكسى) على رأسه ستيفانوس نفسه ، دين يتسلمه الخلف عن السلف فى شعب جاهل كالهوتنتوت . لكن هذا لم يثر حماس الارسبالية ويحفز جهودهم لاحباط عمله هذا . وما هو التفكير العلمى عن أصل هذا المجتمع الذى يمنع من أن نكتشف مستقبلاً ظهور دين مخلط غريب المنشأ ؟ ان هناك خطر الضلال والضياع الذى يمكن أن تتوخى له كل الأمم الجاهلة اذا تخلت عن عاداتها وأفكارها التى ورثتها عن الأجداد وألقت بنفسها للدجالين والماكرين وذوى الأغراض .

وفى قرية (كرال) كوك ارتفعت الشكوى وتعمالت اللعنات ضد هذين اللصين (افريكانر وستيفانوس) وقد حفز هذا المندوبين المفوضين أن يقدموا لهذا المجتمع ما يستطيعون تقديمه من مساعدة بارسال حملة مسلحة ضد

هذين المعتدين الوغدين واحضارهما حين أو ميتين • وقد
صحب السيد سومرفيل Somerville والسيد دانييل
Daniel هذه الحملة المسلحة لمسافة قصيرة هابطين النهر
وعادا بعد ثلاثة أيام ، وبعد ذلك عادت قوة مسلحة من
الهوتنتوت والباستارد Bastards وقد غنمت عددا قليلا
من الثيران والأبقار والخراف الا أنهما لم يقتلا اللصين أو
يقبضا عليهما فقد فرا ومعهما العصا إلى داخل الغابات •
ومن بين أشياء أخرى أحضروها معهم ، جلبوا كرات
نحاسية حمراء كانت من بين ذخائر العدو وتركها خلفه
بحكم الضرورة •

وبدا المنديون المفوضون في التجهيز لرحلة العودة
للكاب بعد أن بقوا في هذه البقعة زهاء شهر جمعوا خلالها
عددا قليلا من الماشية دل عليها السكان مراعين الا يلحقوا
ضررا بأسرهم بمزيد من المقايضة على الماشية ، ونظرا لأن
موقع الحملة الآن كان في هذه البقعة على النهر ، فان أقرب
طريق للكاب هو ذلك الطريق الذي يمر عبر بلاد الناماكوا
Namaqua فاصطحبوا معهم اثنين من البوسجمان
Bosjemans ليسيروا في هذا الاتجاه عبر سهول كارو
Karoo ، وحتى يتأكدوا من امكانية مواصلة الرحلة
عبر هذا الطريق بقطعانهم ذوات العدد ، فقد أرسلوا من
يسبقهم لجمع المعلومات والعودة وبعد عدة أيام عاد هؤلاء
الذين أرسلوا لاستكشاف الطريق ومعهم معلومات لا تدعو
للاطمئنان فقد قالوا ان كل ما مروا به من ينابيع وأنهار
كانت جافة تماما حتى أنهم هم أنفسهم كادوا يهلكون لقلّة
الماء • • ومضى ثم فقد اتخذ قرار بالعودة من الطريق الذي

أتوا منه بعبور نهر الأورانج وأن يتلمسوا طريق العربات
فى الطريق التى أتوا منها ، واستأذنوا من الهوتنتوت الكورا
والباستارد والبوسجمان الذين كانوا قدموا المساعدة فى كل
الظروف ، وقامت المجموعة بإرضائهم وبعث السرور فىهم ،
ثم اتخذت طريقها للعودة فى ١١ مارس صاعدة ازاء النهر
عابرة اياه فى المواضع نفسها التى تم عبوره فيها فى رحلة
القدوم .

رحلة

وليم بورشيل

WILLIAM BURCHELL

نهر الفال

THE VAAL RIVER

وليم بورشيل - الذى ولد فى انجلترا حوالى ١٧٨٢م . عمل كناظر
مدرسة تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية وعمل كعالم نبات
فى سانت هيلينا St. Helena فى الفترة من ١٨٠٥ الى ١٨١٠
وعلم بأمره الحاكم جانستر Janssens هاوكل اليه كشف
المناطق الداخلية فى جنوب افريقيا . وقد غادر مدينة الكاب
(الراس) فى يونية ١٨١١ م واتجه عن طريق الروجفيلد
Roggeveld الى كلارووتر Klaarwater
(مدينة الجريكوا Griquatown) ومن هناك اتخذ
الطريق المباشر الى جراف رينيت Graaf-Reinet
ليدبر لنفسه تعزيزا وعاد الى كلارووتر Klaarwater متخذاً
الطريق الواقع الى أقصى الشرق . ومن كلارووتر اكتشف ما وراء
كورومان Kuruman لكن هذا الجزء من عمله لم يسجل .
وقد جمع بورشيل جلود ما يزيد على ثمانين نوعاً من الحيوانات ،
كما جمع ٢٦٥ نوعاً من الطيور المختلفة وقدم ما يزيد على ٥٠٠
رسم للبشر والحيوانات والطيور والنباتات والمشاهد . والفقرات
التالية التى يصف فيها زيارته لنهر نوجاديب Nu-Gariep
(وهو نهر الأورانج) ونهر كى جاريب Ky Gariep
(وهو نهر الفال) من الكتاب التالى الذى سجل فيه رحلاته
ووسمه بالعنوان التالى :

Travels in the Interior of Southern Africa.
Vol. 1. London, Longmans, 1824.

رحلة قصيرة من كلاروتتر
الى ملتقى النوجاريب (الأورانج) ومنه
الى الكى جاريب (الفال)

٢٤ أكتوبر :

بدأنا رحلتنا بعد بعض التأخير والانشغال فى تجميع كل أفراد الفريق المسافر - بعد منتصف النهار بقليل ، وكان اتجاهنا شرقيا ، وبلغ عدد عرباتنا التى تجرها الدواب عشرة ، منها عربتان لى وعربية للسيد جانز Jans وعربتان لآدم كوك Kok تحملان زوجته وأسرته وعربية لويلم بيرندز Williem Berends ، أما العربات الأربع الأخرى فلهوتونتوت من أماكن مختلفة كان من بينهم ماجرز Maagers قائد قطيعى الذى توفى فيما بعد . كانت النسوة والأطفال من مختلف الأعمار يشكلون ثلث عددنا ، وكانت خيولنا وخرافنا وماعزنا وكلابنا مختلطة معا مشكلة كتيبة مشاة مختلطة .

وقد أحضر بعض الصيادين زوجاتهم وأطفالهم أملا فى أن يحظوا بوليمة من لحم فرس النهر الدسم وكان هناك كثيرون كانوا يأملون فى الشئ نفسه (وليمة من لحم فرس النهر) تطوعوا لتقديم خدماتهم كسائقين ومرشدين ، أو قائدى قطيع من المواشى أو الدواب .

بل ان الكلاب التى كانت تسير فى اثرنا ، كانت بدورها متطوعة فلا بد أنها أحسست أن هذه الرحلة القصيرة

سيتوفر فيها لحم كثير ، والا فكيف أحست هذه الحيوانات
البائسة النحيلة بالانتعاش والقوة وراحت تحرك ذيولها
حركات سريعة ، وراحت تقفز حولنا بمرح وبهجة منذ بداية
رحلتنا القصيرة هذه .

ولم آخذ معي الا ثلاثة كلاب أحدها كان كلب صيد
نشط أحضرته من تلباج Tulbagh ، وأصبح منذ ذلك
الوقت رفيقي الصغير المخلص ، وكنت أدعه ليمرح دقائق
قليلة اذا كان التعب قد بلغ مبلغا يحول بين استخدامه ،
وكانت مواهب هذا الكلب الظريف قد جعلته أليفا ودودا مع
رجالي أيضا فلم تكن قدم غريبة تقترب من عربتى ليلا الا
ونبهنا بنباحه الغاضب ، لكن شاء القدر أن أحرم سريعا من
هذا النباح وكانت هذه الرحلة التى استمتع فيها استمتعا
كثيرا هى رحلته الأخيرة .

أما الكلبان الآخران ، فكانا كبيرين فى حجمهما وقد
أهداهما لى السيد كرامر Kramer رفيق السفر ، وكان
أحدهما من سلالة كلاب الأيائل (الكلاب التى تستخدم فى
صيد الأيائل Stag-hound) أما الكلب الآخر فكان كلبا
ضخما ذا آذنين كبيرتين بيضاوين متدليتين ، وكان ببذنه
بقعتان بنيتان أو ثلاث ، وكان شعره كالأسلاك Wiry hair
(لعله يقصد أنه حاد ويابس) ، وكان خطمه (★) (بفتح
الخاء وتسكين الطاء) مغطى بالشعر (وكأنما له لحية
'bearded muzzle') (★★) وخلال رحلتنا من السكاب
(الرأس) سعد هذا الكلب كثيرا بصحبتى وكان يتبعنى

(★) الخطم هو أنف الحيوان وفكاه .

(★★) ما بين القوسين توضيح من المترجم .

أينما ذهبت ولم يعد يستجيب لنداء صاحبه الأول رغم أنه وحده الذى كان يقدم له كل الطعام . وفى كلاروتر Klaerwater أقام حيث أقيم واعتزل أصدقاءه القدامى تماما ، لذلك فقد أصبحت أنا صاحبه فى النهاية ، وغدا مقبولا منى كما غدوت مقبولا منه .

لقد كان هذا الكلب - بعد ذلك - أعظم رحالة من جنس الكلاب - تعرفت به . انه جدير بأن أسجل تاريخه ومآثره فى هذه الصفحات ، حتى يكون قدوة تحذو حذوها كل الكلاب المرافقة لأى رحلة علمية . وقد استطعت أن أجمع قليلا من المعلومات عن حياته الأولى فلم أعرف إلا أنه ولد فى تولباچ Tulbagh ولم يستطع جامع سيرته أن يعرف الاسم الذى حمله فى بواكير حياته وظلت حياته أثناء الصغر عادية حتى بلغ مرحلة النضج doghood فهجر الأسرة التى نشأ بين ظهرانيها لسبب غير معروف وألحق نفسه بخدمة السيد كرامر Kramer الذى أطلق عليه اسم وانتر و Wantrouw نظرا لحاجته الواضحة للثقة فى سيده الأول .

ورغم أن القدر قد خطط له - فيما يبدو - للاقامة مع الارساليين المبشرين فى كلاروتر Klaarwater إلا انه سرعان ما كره رتبة حياته معهم ، فتركهم وبدأ منذ تركهم مرحلة جديدة فى حياته فحصل بعض المعلومات عن الحيوانات (أصبح دارسا لعلم الحيوان) (★) أما معلوماته فى علم النبات فكانت قليلة جدا ، ولم يكن يعلم شيئا البتة فى علم الحشرات . لقد كان هذا الكلب تواقا لانتهاز أية فرصة لتطوير معلوماته فى علم الحيوان ، وقد قدم نفسه للحملة

(★) الحديث هنا عن الكلب - (المترجم) .

كعالم فى علم التشريح المقارن آملا فى أن يكون عارفا
بالأجزاء الداخلية لكثير من الحيوانات النادرة والحيوانات
التي سبق تقديم وصف دقيق لها .

وبمجرد أن بدأت أفهم لغته — كانت كل المناقشات التي
كنت أجريها معه فى علم الحيوان تعتمد على الايماء والايحاء
والحدس Sagacy — وجدت أنه أمر يؤسف له أنه لم ينشر
أبدا ملاحظاته وهو أمر أراه حقا له ، فمن حقه أن تنسب
هذه الملاحظات له وأن تنشر بأية لغة يمكن ترجمتها اليها .
وكان أجره (راتبه) كافيا لتكاليفه أثناء الرحلة ، الا أنه
بالتأكيد كان (أى هذا الأجر) أقل من الخدمات التي
يؤديها .

وقد أعد الكلب وانترو مجموعة كبيرة من عظام
الحيوانات النادرة ، ونظفها (مما علق بها من لحوم) ، وهى
مجموعة عظام ذات قيمة كبيرة بحيث أنها جديرة بأن توضع
فى أى متحف ، وهى مفيدة الى حد كبير للعلم فى انجلترا
ويمكن أن توضع فى أقبية المتحف البريطانى لتحظى — أى
العظام — بالشرف نفسه الذى حظيت به جلود هذه
الحيوانات (١) خاصة أن هذه المجموعة من العظام لن تحتاج
لأى حشو (اعداد) stuffing وبالتالى لن تكلف المتحف
أموالا لصيانتها وتقديمها ليلقى الجمهور نظرة عليها .

ان مغامراته المتعددة ، وهروبه من مواقف صعبة بشق
النفس وملاحظاته عن الرجال والأحوال يمكن أن يصوغها

(١) عند عودتي لانجلترا احضرت معى مائة وعشرين من جلود الحيوانات كانت
هى ثمرة اهتمامات بعلم الحيوان فى رحلاتى الافريقية ، فى أبريل ١٨١٧ م .

كاتب بلغة جيدة ليستغرق كتابا من قطع الربع له سماكة مناسبة ، ويوكل نشره لأحد بائعى الكتب فى الطرف الغربى للمدينة (١) وفى الوقت نفسه يوصى بنشر ملخص له (لهذا الكتاب) دورية Quarterly review الربع سنوية . ولما كان الكلب وانترو ليس لديه أية فكرة عن الرسم والطباعة الحجرية (بالحفر على الحجر - الطباعة الليثوجرافية) الا أن ناشر كتابه يجب أن يستعين ببعض الفنانين لرسم الرسوم التوضيحية والاسكتشات على أن يكتب بوضوح انها من وضع الكلب وانترو . ان هذا الكتاب اذا تم تحريره بطريقة صحيحة وبسيطة وجرى الاعلان عنه فسيحقق رواجاً .

وعلى أية حال فانه يبدو فى الوقت الحاضر أن مثل هذا العمل لن يكون متاحاً أمام المتعلمين لأن عدداً كبيراً من كتب الرحلات قد صدر مؤخراً ولأن مؤلفى الكتب مشغولون - لذا فقد استأذنته (أى استأذن الكلب) أن أدخل - بين الحين والحين - قليلاً من حكاياته ونوادره وبعض مغامراته الأساسية فى كتب رحلاتي ، فحق اذن ذلك القول :

mea namo

Scripta legat, Vulgo recitare timentis, ob hanc rem, Quod Sunt, quos genus hoc minimé juvat ; utpote plures Culpari dignos.

كيف أصبح هذا الكلب متعرفاً على لغة Haracè (؟) ليس من السهل تخيل ذلك ما دامت الفرصة لم تسنح له لحضور المحاضرات فى الجامعات . لكنه بالفعل متعرف عليها :

Nunc itaque, et versus, et Caetere Ludicra, Pono.

(١) لا شك أن فى هذه العبارة ايماءات غير مفهومة لذا كان من الضرورى ايراد المقابل الانجليزى لها .
... and published by a bookseller at the West and of the Town.

وما كدنا نقطع مالا يزيد عن اثني عشر ميلا حتى
كسرت احدى عجلات عربية القائد ، فاضطربنا للتوقف وتم
ارسال رجال فوق خيولهم ليعودوا الى قرية الهوتنتوت
(الكرال) لاجضار قطعة حديد خاصة لوضعها بدلا من تلك
التي كسرت .

وكانت معظم عربات الهوتنتوت فى حالة غير جيدة :
متقلقلة وقد كسرت بعض اجزائها حتى اننا كنا نتوقع لها
أن تتعرض لحوادث فى الطريق ، فتم لف سيور من الجلد
حول اجزاء مختلفة منها ، تلك الاجزاء التى تشكل المتانة
الرئيسية للعربة والتى وضع عليها (أى على هذه الاجزاء)
اصحابها امتعتهم الثقيلة . وعلى أية حال فقد كانت احدى
العربات جديدة تماما ، وكذلك كانت العربة التى بادلناها
- عند جبال أسبيستوس Asbestos - بعربتى اذ أن مالکها
الأصلى قد جرب - فى الغالب - متانتها وقوتها وأخضعها
للتجربة وقادها بطيش يدعو للدهشة فوق الصخور والحفر
ومر بها فوق كل ما يمكن أن يصادف المرء فى الطريق .

كان كل ما حولنا هنا قاحلا أجذب لا ماء ولا شجر وهذا
ما أخرنا ما يزيد على الساعات الثلاث فى هذه البقعة مما
سبب لنا الغيظ الشديد ، فلم يكن لدى من وسيلة اقضى بها
هذه الساعات المملة ولا حتى التقاط بعض الزهور ، لكن
بمجرد أن حملنا الماء فى العربات وأوقدنا النيران وصنعنا
الشاي ، تلاشت حرارة النهار ، وكان شرب الشاي فى هذا
الوقت ضروريا وليس مجرد رفاهية .

وكان من المحال أن نقضى الليل فى هذه البقعة لانعدام
الماء فيها ورغم أن المساء كان يزحف علينا زحفا حثيثا قبل

أن تصلح العجلة المكسورة ، الا أننا واصلنا المسير مرة أخرى بعد اصلاح العجلة . كانت المنطقة صخرية تماما وان كنا نلمح أحيانا أدغالاً من أشجار يبلغ ارتفاعها ثمانى أقدام تتخللها الحشائش . وكان السطح فى عدة مواضع شكلاً من مسطحات طبيعة من أحجار داكنة تتخللها حفر قليلة (١) .

وبعد أن قطعنا ما يزيد على العشرين ميلاً دون أن نجد ماء ، اهتدينا - على ضوء القمر - لنبع صغير فى موقع جميل تحيط به أشجار الكارو Karro الشوكية . وكان مسئولو قطعان الماشية والخراف قد سبقوا العربات فى الوصول اليه بساعتين ، وقام مسئولو القطعان هؤلاء بجمع الحطب المتوفر بكثرة ، وأشعلوا النيران فى أكثر من موضع ، فلما وصلنا وجدنا مكاناً مريحاً . وفى هذه المناطق يحس المرء وهو يستقبل هواء الليل بفرح اذا قارنه بحرارة النهار الشديدة .

٢٥ أكتوبر :

يحمل الموضع اسم نبع سبوجسلانج Spuigslang وتعنى نبع نفت الأفعى اذ يقال ان أنواعاً من الأفاعى تخرج لعباً ساماً فى هذا البئر اذا حدث أن دخل بعضه فى العين أصيبت بالعمى ما لم تغسل بسرعة وبماء وفير . ويقطن البشمن Bushmon بقرب هذا النبع ويرى المرء فى كل مكان الحفر التى أعدوها للايقاع بالطرائد . انهم يحدثون قدراً من الارباك فى المنطقة بحفرهم هذه التى توضح أنهم فى بعض المناسبات يصبحون نشطين جداً، ويتم عبور الحفرة بالمرور فوق جسر من الفروع والأغصان تم اعداده بحيث

(١) وصف هذه الصخور بين شرطتى كلمة اعتراضية بأنها

!Colorer iron

(المترجم)

لا تستطيع الظباء أو البقر الوحشى antelopes - ويسمونهم
كواكا Kwakas - أن تمر فوقه بسهولة ، والظباء أو
البقر الوحشى هو طريدهم المفضلة .

ويمتد الخط على هذا النحو لميل أو ميلين ، وفى كل
موضع ملائم يتم ترك فتحة (مساحة) يوجد مقابلها حفرة
عميقة تم تغطيتها بعناية بالفروع والحشائش بحيث لا يمكن
تمييزها والاستدلال عليها خاصة عندما تنمو الأغشاب حولها
وفيهما . ويبلغ عمق الحفرة عامة حوالى ست أقدام ويبلغ
طولها مثل ذلك أما عرضها عند السطح فحوالى ثلاث أقدام
لكن هذه الحفرة تضيق شيئاً فشيئاً حتى تصل للقاع بحيث
لا تتسع الا لقدم (حافر) واحد ، أو بتعبير آخر ، تعد هذه
الحفرة لتكون مناسبة لحجم الحيوان (البقر الوحشى أو
الظبى) بحيث تسع جسمه ورأسه عند السقوط ، بينما تقيد
الساقين بحيث لا يستخدمهما الحيوان فى انقاذ نفسه . وفى
بعض الأحيان تثبت عصاة لها رأس مدبب من أعلى فى باطن
الحفرة لايذاء الحيوان المسكين ، لكن هذا نادر الحدوث ،
وربما كانوا لا يستخدمون هذه العصى المدببة كثيراً مخافة
أن تصيبهم هم أنفسهم بأذى فقد يسقط أحدهم فى إحدى
هذه الحفر أثناء الجرى السريع فى المنطقة ، ويطلق الهوتنتوت
الذين يتحدثون الهولندية على هذه الحفر اسما مغلطا من
الهولندية ولغتهم اذ يسمونها كيزى جات Kysi-gat
أو Thysi-gat والمقطع الأول هوتنتوى .

وتجولت وحدى بين الأدغال وأخذت معى بندقيتين
احتياطاً اذ يبدو - بشكل عام - أن لا طرائد من نوع جديد
هنا ، ومع هذا فقد صادفت نوعاً جديداً من طيور الصرد

(بضم الصاد وفتح الراء) (★) وهو طائر جميل لدرجة كبيرة ، جسده من أسفل قرمزي فاتح ، وبقية جسده أسود جميل ، وثمة خط أبيض أسفل كل جناح من جناحيه وبالإضافة الى بعض الريش الأبيض القليل على ظهره .

ورأيت هنا لأول مرة مجموعة شجيرات مورقة تشبه شجر البقس (بفتح الباء وتسكين القاف) (★★) ويسميه الهوتنتوت جارى Guarri وتثمر ثمرا يؤكل . . .

وخرج فيليب وقد اعتراه القلق ليبعث عنى اذ رأى أن خروجي بمفردى يعد من قلة التدبير خاصة فى منطقة يتردد عليها البشمن دائما ، ولما لم يكتشف وجودى اعتقد أن خطرا حاق بى ، وأكد لديه ذلك أنه لم ير البشمن اذ عد عدم ظهورهم دليلا على أنهم ارتكبوا عملا عدوانيا ضدى . .

وقد زارتنا مجموعة صغيرة من الكرا Koras وحاس زيارتهم ودودة وقدمنا لهم قليلا من الفلايين . ولم نكن نتوقع من هذه القبيلة (Koras) شرا ، كما أن حضورهم لم يكن ليثير فينا أى خوف .

وقد أحضرت احدى النساء فى مجموعتنا كمية كبيرة من نبات جميل ينمو هنا بوفرة ، بعد أن علمت شغفى بجمع

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية : جنس طير من الفصيلة الصردية ورتبة الجواثم المشرومة المناقير ، وهى قريبة من العقعق تاكل صغار الطير ، وتعد من الطيور المضرّة - (المترجم) .

(★★) ويسمىها معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية أيضا شمشماء والمقابل الأوربى لها box tree أو Buxus ، ومنها عدة أنواع مثل Murraya و Myrsine و Tristanya والبقس الدائم الخضرة وهو المقصود هنا غالبا اسمه العلمى Buxus Sempervirens . - (المترجم) .

الزهور • لقد كان هذا النبات جديدا تماما ، وقد دفعها لجمعه لونه البرتقالي الجميل ، فالهوتنتوت مثلهم فى ذلك مثل الأوربيين - لا يرون فى النبات جمالا الا اذا كانت زهوره زاهية ذوات ألوان جميلة •

وبعد أن واصلنا رحلتنا ، أصبح الطريق صخريا صعبا حتى أننا لم نستطع التحكم فى رجرجة العربات ، لقد كانت الرجرجة عنيفة فلم نتحملها ، واضطرت الى السير على قدمى طوال الطريق تقريبا مع أن درجة الحرارة كانت حتى فى الظل لا تقل عن ٨٨° وأن المسافة التى استغرقتها الرحلة هذا النهار كانت سبعة عشر ميلا • وفى مثل هذه الظروف فإن منظر النهر الذى رأيناه على البعد من فوق هذه الحيود الصخرية لا يمكن الا أن يكون باعثا على البهجة وداعيا الى العبور •

واتخذت بعض عرباتنا طريقا مليئا بالصخور يصعب اجتيازه ، مما تسبب فى تعطيلنا زهاء نصف الساعة ، فاهتبلت الفرصة لجمع بعض النباتات الجديدة • لقد وجدت هنا للمرة الأولى بعض الأكاسيا *Acacia* (★) من نوع *A. heteracantha* ويمكن تمييزها بحجمها ونموها مما جعل من السهل التعرف عليها • لقد كان يبلغ ارتفاع الشجرة من هذا النوع عشرين قدما • وقطر ساقها ثمانى عشرة

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية • سنط أو اقاقيا ، وكلمة الاقاقيا من أصل يونانى ، وكلمة السنط موجودة فى المصرية القديمة والقبطية والعبرية • وهناك أكثر من ٤٠٠ نوع من السنط تنبت فى المناطق الحارة ، ويطلق أيضا اسم *Acacia* على نوع من الشجر اسمه الصحيح *Robinia* ، وقد عدد المعجم أنواعا عديدة من الاكاسيا ، فلتراجع - (المترجم) •

بوصة وتشكل فروعها مظلة تشبه الرأس ، ومجموعة أشجار الأكاسيا هذه تشكل معا منظرا جميلا رائعا جليلة ملامحه .

وكلارووتر Klaarweter وهي المنطقة التي كنا نسافر خلالها هذا اليوم واليوم السابق - تقع في مستوى أعلى من المنطقة التي يجري فيها النهر ويفصلها عنه جروف صخرية (منحدرات) تمتد ناحية الشمال الشرقي ، وبعد أن هبطنا هذه الجروف واصلنا سيرنا ليل وميلين فوق أرض أكثر استواء وفي طريق أيسر قطعنا ، وقبل أن يحل الظلام مباشرة وصلنا إلى شاطئ نهر جاريب Gariep أو النهر العظيم Great River وهنا سحبنا كل العربات تحت أشجار الأكاسيا غير بعيد عن ملتقى نهر نو جاريب Na-Gariep أو النهر الأسود Black River خط العرض في هذه البقعة ٢٩°٤٦ و ٢٩°٤٦ جنوبا .

٢٦ أكتوبر :

ولأنني كنت راغبا في أن أتوقف في هذا المكان ليوم أو يومين ، فقد كرست وقتي هذا الصباح لاختيار موضع جميل أضع فيه عربتي وآوى إليه لأخلو لنفسي - وإذا أمكن من دون ازعاج . وعلى بعد مائتي ياردة وجدت مكانا منعزلا منعش الهواء ظليلا منبهجا بين بعض أشجار الأكاسيا الضخام من نوع روينيا Royena (★) على حافة دغل من الأشجار من النوع نفسه (الأكاسيا) ، فجعلت اثني عشر رجلا

(★) في معجم الشهابي أن أشجار الروينيا Robinia لا علاقة لها بالأكاسيا ، وإنما هي نوع مستقل وسميت بهذا الاسم نسبة إلى اسم عالم نبات معروف هو Robin . ولا ندري هل المقصود بكلمة Royena هنا هي Robinia أم أنها من جنس الأكاسيا - (المترجم) .

يسحبون عربتي أو بالأحرى منزلي ، فتمكنوا من ذلك ببغض المشقة لأن أفرع الأشجار كانت تعوقهم بعض الشيء ، وكانت عربتي في موقعها الجديد في الظل تماما اذ كانت أشعتها المحرقة قد جعلت درجة الحرارة ٩٤° مما جعلنا ممتنين كثيرا للأشجار التي قدمت لنا حمايتها العطوف من هذه الأشعة الحارقة .

وعندما بدأت مسحا لما حولى ، كان أول ما استرعى انتباهي بغير قليل من الدهشة هو الارتفاع الهائل لمستوى مياه النهر ، ارتفاعا يفوق المنسوب المعتاد . وكانت عرباتنا تقف على قمة الشاطئء الشامخ في موقع مشابه للموقع الذى وضعته عند وصولي للمرة الأولى الى نهر جاريب Gariep وحتى فى هذا المستوى لم يكن الماء ليبعد أكثر من ياردتين أسفل أقدامنا ، ولم نر أيا من أشجار الصفصاف ، لكن أفرعها العليا بدت لنا ، أما الأفرع الأخرى والسيقان فقد غمرها ماء النهر تماما . وحتى أشجار الأكاسيا التى تشكل الصف الثانى (بعد الصفصاف) فقد بدت كما لو كانت تسبح فى مجرى النهر ولم يبد منها الا ذؤاباتها (أفرعها العليا) فوق سطح الماء . وعلى الشاطئء المقابل بدت ذؤابات أشجار الصفصاف وكأنها شجيرات قصيرة تشكل دغلا ممتدا على طول الشاطئء ، أما على الشاطئء الذى نقف عنده فقد بدأت المياه تنساح لتغمر المناطق القريبة الأكثر انخفاضا من سواها . رغم أن أهل البلاد أكدوا لنا أنهم لا يتوقعون لها أن ترتفع عن مستواها الحالى ، ولم أستطع أن أمحو من عقلى تماما فكرة أن عرباتنا يمكن أن تصل اليها المياه فتجرفها حتى لو أن الكى جاريب Ky. Gariep ابتلع مجراه (زادت المياه فيه فخرج مجراه) لأن منسوب

النهر كان عاديا طوال خمسة أميال صاعدة لكن عندما وجهت
بصرى الى الأدنى (فى الجانب الآخر) وجدت
مصب النوجاريب يتدفق فى النهر العظيم (الكى جاريب)
ويقذف فيه بالمياه السريعة الثائرة المشبعة بالطين محدثة
موجات صاخبة فى الكى جاريب فارتفعت المياه فى مجراه
ارتفاعا مخيفا غامرة الأشجار على شاطئيه ، مكونة موجات
عنيفة صاخبة تدفع خلفها مياه النهر الذى تقف عند شاطئه
محدثة دوامات هائلة فارتفعت المياه محدرة ايانا - على
النحو الذى وصفته ، وانتشت الأشجار للأمام بفعل الأمواج
الصاخبة وانغمرت فلم يبق ظاهرا فوق الماء الا أطرافها
العلوية ، مطاطة رموسها خاضعة لعنف التيار ، بينما اقتلع
الموج الصاخب أشجارا أخرى من جذورها ومحاها من الوجود
على الشاطئ الذى ظلت تظله وترتوى منه لنصف قرن .

ويطلق اسم جاريب Gariep على هذا الجزء من النهر
الواقع الى الأدنى من مكان التقاء النهرين ، أما الفرع الذى
يبدأ عند الموضع الذى نعسكر فيه الآن فيسميه أهل البلاد
أو كى - جاريب Ky-Gariep تاي - جاريب Thy-Gariep
وأما هوتنتوت كلاروتر Klaarwater فيسمونه نهر فال
Vaal River ، ويمكن للانجليز أن يطلقوا عليه فى
هذا الموضع النهر الأصفر Yellow River ، بينما النو -
جاريب Nu-Gariep يسمى زوارت Zwart River
وأيضا النهر الأسود Bleck River أما المجرى الذى تنوى
زيارته بعد ذلك فهو جماب Gmaap أو ماب Maap ويمكن
ترجمة اسمه بنهر الطين Modder river أو Muddy river
ونظرا للملءمة هذه الأسماء الثلاثة فاننا نجدها قد استرعت

ملاحظة السكان الوطنيين لأجيال عديدة ، وأنا أعتقد أنها
أسماء صحيحة ويمكن الأخذ بها ، رغم أن خواصها المتميزة
لم تبد لي واضحة جلية في الفصل الذي رأيتها - أي هذه
الأنهار - فيه .

وقد زارنا ستة أشخاص من البشمن فباعوا لنا بعض
عسل النحل مقابل أعواد التوباكو وأوراق الحشيش hemp
أو الداكا dakka ، والتوباكو يعد هو العملة الحقيقية بين
البشمن ، ووسيط تجارى أساسى فى عملية المقايضة وقيمته
لا تتدهور هنا (ثمذه لا يبخس عند البشمن) . والبشمن
هنا أطول وأكثر امتلاء من البشمن فى جبال جارى Karree
Mounatain ويبعدون أكثر توحشا إذا أخذنا فى
الاعتبار ما قصه الهوتنتوت على السيد جانز Jansz
وهم يبتسمون . ولا أستطيع أن أكرر هذه الحكايات المرعبة
عن البشمن دون أن يعترينى الشك فى أنها قد تكون مبالغات
اختلقها المتوهمون الهوتنتوت من كلاروتر Klaarwater
الذين يبدوون فى كل مناسبة حريصين على أن يأخذ الرجل
الأبيض انطبعا طيبا عن هؤلاء المتوحشين البشمن .

وقد دخل هؤلاء البشمن مؤخرا فى حرب مع تجمع بشرى
مناوىء (كرال Kraal) وهزموهم هزيمة ساحقة وما
يؤسف له أن زعيمهم وقع أسيرا وكان أول ما فعلوه مع هذا
الزعيم هو أنهم ربطوه الى فرع شجرة وراحوا يمارسون
الانتقام منه انتقاما قاسيا شريرا ببطء رهيب ، وليتأكدوا
أنه سيموت حتى لو هرب فقد طعنوه فى صدره بسهم من
سهامهم المسممة . وبعد ذلك استمروا يمارسون مع ضحيتهم
البائسة أفعالا وحشية قاسية يصعب على المرء أن يرويها .
لقد مات البائس موتا بطيئا بسبب التعذيب والألم .

٢٧ أكتوبر :

أقبل نحوى ماجرز Maagers قبيل الظهر فى حال يرثى لها ليطلب منى وصفة طبية لابنه المريض الذى يبلغ عمره عامين تقريبا ، فقد تعرض للدغة حشرة أو أحد الزواحف السامة ، ربما عنكبوت سام ، أو عقرب أو حية ، وذلك بينما كان يلعب فوق كوم من القصب والغاب الجاف ، فأسرعت الى حيث يوجد الطفل فوجدته فى طريقه للموت ، فقد انتفخ جسده بسرعة وتيبست أطرافه وظهرت أعراض التشنج على وجهه ويوجد أسفل السرة ثقبان سطحيان (غير عميقين) بينهما مسافة بوصة مما جعلنى لا أشك اطلاقا فى أن الثقبين هما نتيجة عضه نايبى حية ، ولا شىء آخر الا أننى لم أكن قادرا على تحديد نوع هذه الحية . لقد بدا أن السم قد سرى فى البدن وتجلت الأعراض (أعراض التسمم بسم الحية) كأوضح ما تكون ، ومع أن الحالة بدت ميئوسا منها الا أننى لم أستبعد امكانية العلاج خاصة اذا لم يكن قد مضى على العضة وقت طويل .

فأسرعت بوضع عشر قطرات من محلول الأمونيات مع أونصتين من الماء فى حلق الطفل ، وشرطت بسكين الجيب المناطق المحيطة بالثقبين (لدغة الحية) ، وأدى ذلك على أية حال الى خروج قليل من الدم وغسلت موضع الجرح وحوله بمحلول مركز من الأمونيا مركز بمقدار أربع مرات زيادة عن المحلول الذى وضعت فى حلقه ، وبعد ذلك بعشر دقائق تقياً الطفل قليلا ، لكن كان هذا القىء بسبب السم أم بسبب الدواء ؟ لا أدرى ، وبعد ربع ساعة رأيت بغير قليل من الدهشة والسرور أن أثر السم بدأ يزول بوضوح فاتخذ الدم دورة أكثر وضوحا ، كان هناك أمل حقيقى فى

انقاذ حياة الطفل ، وقبل أن يحل صباح اليوم التالى كان الطفل قد شفى ورأيته فى صباح هذا اليوم يلعب كالمعتاد وعلمت بعد ذلك أن هذه اللدغة لم تترك أثرا غير حميد فى حياة الطفل .

وأطلقنا النار على طائر كبير من نوع الحبارى bustard Kind يسمى الطاووس البرى (Wild peacock) Wilde paauw وهذا الاسم يطلق هنا على نحو خاطئ فالطائر المقصود يختلف عن الطاووس ، حقيقة أن هناك ثلاثة طيور وربما أربعة فى مناطق مختلفة يطلق عليها الاسم نفسه ، أما الطائر الذى نحن بصدده والذى يسمى باسم كورى Kori بلغة السيشوانا Sichuane فيبلغ طول جناحه مالا يقل عن سبع أقدام ، أما من ناحية الحجم والوزن فهو أكبر وأثقل من أن يستطيع بعض الناس حمله ، والجزء الأدنى من جسمه أبيض أما الجزء الأعلى فمخطط بخطوط سوداء جميلة على أرضية من لون كستنائى فاتح ، أما الذيل والريش فيغلب عليهما السواد أما الأكتاف فريشها أبيض وأسود ، وريش القذال (بفتح القاف والذال وهو مؤخر الرأس) فيمتد على شكل عرف ، أما شعر الرقبة فيمتد أيضا وناعم وبه زغب أبيض على خطوط سوداء * وحدقتا العينين irides ذواتا لون جميل شفاف صاف متغير فضى حديدى (بلون صدأ الحديد) * وحول جسمه ريش كثيف يحميه حتى أن طلقنا ذات الحجم الكبير لم تحدث بجسمه أثرا وتعلمنا بالتجربة ألا نطلق عليه طلقة صغيرة وانما رصاصة bullet ، ويعتبر هذا الطائر خير ما يمكن اضطياده من طيور فى هذه الأنحاء لا بسبب حجمه الكبير فحسب وانما لوفرة الدهن به ، ولحمه مستساغ كلحم الديك التركى .

وسرت خلال الدغل حتى وصلت الى الجزء الأدنى من
مجرى النهر فتسلقت احدى أطول الأشجار وألقيت نظرة
— لا يعوقها غائق رؤية — على المرحلة الأولى للنهر الأسود .
وعلى أية حال فقد واجهت صعوبة فى أن أحرر نفسى من
نوع من الياسمين البرى كان منتشرا هنا وهناك ويصل الى
ذرى الأشجار ويغلفها بزهوره ، وأوراقه ، وهو يشبه كثيرا
ذلك النوع الانجليزى المعروف بفرحة المسافر Traveller's Joy
وهو يدل فى أوربا على أن التربة التى نما فيها جيرية ،
ويلاحظ أنه بالنسبة للنبات الأفريقى المشار اليه يشبه النبات
الأوروبى سواء فى منظره أو دلالاته ، فهو أيضا ينمو فى تربة
كلسية (جيرية) .

والمناخ على ضفتى الجاريب Garlep وفروعه أكثر
حرارة — بشكل ملحوظ — فى كل الفصول من المناطق
المحيطة . فالحرارة فى هذا الموقع الذى نحن فيه كانت
تزداد يوميا منذ وصلنا وفى يوم ٢٦ كانت ٩٤° وفى اليوم
التالى ١٥١° (38.°3 C — 30°6 R)

٢٨ أكتوبر :

لما اكملت ملاحظاتي وقمت برسم عدة لوحات للمناظر ،
كنت قلقا من مغادرة المحطة (الموقع) مخافة أن يحيط بى
الماء من كل جانب اذا ارتفع الماء لياردة واحدة فقط ، وقد
حرمنى هذا الخوف من الشعور بالراحة والاطمئنان فقررت
أن أواصل الى ماب Maap ، وفى حوالى منتصف النهار
كانت كل جماعتنا تواصل رحلتها مرة أخرى . وسارت
عرباتنا الواحدة فى اثر الأخرى فوق تلال رملية صغيرة وبين
آجام الأشجار لنصل خلف العلامات التى خلفها الفيضان

السابق وتوقفنا لدقائق قليلة لنتيح الفرصة لبقية جمعنا كي يتجمع في موضع واحد ثم واصلنا المسير قريبين من النهر بقدر ما تسمح الوديان الصغيرة والأراضي غير المستوية .

وجلست النسوة كبيرات السن في العربات ، أما الشابات فركبن الثيران وكانت مجموعة من هؤلاء الشابات الهوتنتوت تجهدن الثيران في الجري الى الخلف منا ، مشكلين بذلك منظرا طريفا وشائقا ، وكأنه منظر في رواية . لقد كانت الواحدة منهن تركب فوق الثور وقد باعدت ما بين فخذيها وراحت تقود الحيوان الضخم بيسر كامل وبين خوف . وكان رأس الواحدة منهن ملفوفا تماما بمنديل (غطاء رأس) من القطن أو الجلد ، وتلبس في رجليها حذاء من جلد الحيوانات البرية الا أن بقية جسمها غير مغطى تماما فيما عدا حزمة صغيرة من الجلد المشحم تسحبها تحتها حتى لا تؤذيها عظام ظهر الثور . (تجعل الركوب على الثور أيسر - تقوم بدور سرج الحصان أو بردعة الحمار) (★) .

ويتكون المتزر apron من قطعتين واحدة من الأمام والأخرى من الخلف hind kaross & fore karos وتربطان معا فوق مفصل الورك (الفخذ) مباشرة ، وهذا المتزر هو لباسهن الدائم ، ولا شيء غيره ، فالطاووس الكبير أو المعطف لا يلبس أو لا يوضع عليهن الا تجنبيا للبرد ، والكاروس الخلفي (الذي يغطي العجز) أصغر كثيرا ونادرا ما يصل الى ما تحت الركبة ، ويتكون - ببساطة - من قطعتين أو ثلاث قطعت على هيئة شرائط أو خيوط ، وتحولت هذه السيور أو الخيوط من كثرة الاستعمال الى ما يشبه الحزم (تشابكت

(★) ما بين القوسين توضيح من المترجم .

كل مجموعة معا) ، ولا يمكن أن يكون هناك لباس أخسر يعطى الحرية فى الحركة والمشى أكثر من هذا . وهذه الشرائط أو السيور الجلدية غالبا ما تزين - على نحو مسرف - بالخرز المختلفة ألوانه ، وأحيانا تعلق الواحدة منهن حول خصرها قشور بعض النعام . والكاروس الخلفى من راقة (طبقة) واحدة ، وأحيانا يكون من طبقتين (راقتين) أحدهما أطول من الأخرى وأعرض ، وأحيانا يكون غير مقسم أى غير مقطع الى شرائح أو سيور ، هذا الطاروس غير المقسم قد يصل الى الأرض الا أنه عادة يصل الى ريلة الساق (بفتح الراء وتسكين الباء وتعنى بطة الساق) ، وفى هذا النوع لا توضع زينة من خرز وغيره لأنه يعد بمثابة وسادة أو حصيرة تجلس عليها لابسته اذا كانت الأرض مبللة بالماء .

ولتحمى المرأة جسمها من أثر الشمس والمناخ ، فانها تدهنه بعناية بدهون الحيوانات وتضيف اليها - بشكل عام - مسحوق بعض الأعشاب الطيبة رائحتها ، ويسمين هذا المسحوق بوكو (Buku (Bookoo) . ويعمل هذا البوكو من أوراق بعض النباتات العطرية التى تجففنها وتسحقنها بدقها بالحجر . والنباتات التى يشيع استخدامها لهذا الغرض بين الهوتنتوت فى مستعمرة الرأس من فصيلة الديوزما Diosma (★) ومنها عدة أنواع تعتبر كلها

(★) Diosma أو butcku plant زهرة العطرة ، وتترجم أيضا دسيمة ، من اليونانية بمعنى عطر اشارة الى رائحة ورقها ، وهى من الفصيلة الذابية والقبيلة العطرة وهى على أنواع : عطرة معرو Diosma Vulgars أو Common Diosma وعطرات Diosmaceae وتشمل بدورها أنواعا منها الديرदार (بتشديد الدال وضمها وفتح الراء) .

عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية - (المترجم) .

جيدة لهذا الغرض . لكن فى المناطق الواقعة فيما وراء مواضع انتشار هذا النوع ، تستخدم نباتات أخرى منها الكروتون Croton وحب الملوك (★) وهو من الأنواع التى لم يصفها علماء النبات ، وتبدو هذه النبتة الأخيرة لى أطيب .

وبعض النسوة تلبس الواحدة منهن حول كاحلى قدميها عددا كبيرا من الحلقات (الأساور) الجلدية أو الحبال المجدولة ، وتغطى هذه الحلقات من مشط القدم الى أعلى الربلة (بطة الساق) ، وتلبس نسوة كثرات حلقات من أوتار نحاسية أو حتى من حبال فوق الركبة أو أسفلها كما يلبسن أساور من خرز فى أذرعهن فوق المرفق .

والهوتنتويات شغوفات أيضا بالخواتم (حلقات توضع فى الأصابع) كما يضعن حلقاتا نحاسية تتدلى فى آذانهن .

هذا هو اللباس المعتاد للهوتنتويات اللائى لم يفكرن بعد فى تقليد لباس الأوربيات . وما وصفته من لباس الهوتنتويات ينطبق على كل نساء شعوب جنوب أفريقيا التى رأيتها ، وحزام قشور بيض النعام تحتاج لمقدرة صناعية (حرفية) خلاقية (تحتاج الى قدر كبير من الابداع) فهى تتكون من قطع صغيرة من بيض النعام ، كل قطعة قد قطعت لتأخذ شكل دائرة ، وتكون كل الدوائر متساوية فى أقطارها ، ويتم ثقب كل واحدة منها من وسطها ويتم تشبيكها معا بأعداد كبيرة بحيث يكفى الحزام المصنوع منها ليلتف حول الخصر مرات عدة . ويبدو الحزام كأنه من عاج ،

(★) لم يرد فى معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية وأسماء صاحب المورد : حب الملوك - (المترجم) .

ويبلغ سمكه نصف بوصة ، ويحتاج صنع مثل هذا الحزام الى عدد كبير من بيض النعام لذا فثمنه غال وهم يحصلون عليه من أمم (قبائل) الشمال (القبائل أو الأمم الواقعة الى الشمال منهم) .

أما بالنسبة للملابس الرجال الهوتنتوت الأصلية (الذين لم يتأثروا في ملبسهم بالأوروبيين) فهي لا تزال أكثر بساطة ومن المحال وجود ما هو أقل حجما وأكثر بساطة منها، فالرجل الهوتنتوت يلف حول وسطه حزاما من جلد ، وتتدلى من هذا الحزام من الأمام قطعة جلد يسميها جاكال Jakal . سببه الى حيوان ابن آوى الذى سلخت منه هذه القطعة من الجلد ، وقد جعل جانب الجلد الذى فيه الفراء الى الخارج ، ويتخذ شكل محدب مستطيل . ومن الخلف تتدلى من الحزام قطعة جلد قلما تصل الى اثنتى عشرة بوصة بما فى ذلك السيور التى تصلها بالحزام .

وبين الأشجار والشجيرات التى تكسو شاطئى النهر ، وجدت نوعا من الأسباراجوس Asparagus أو نبات الهليون (★) منتشرا فى كل مكان وهو متسلق وملتف حتى أننى وجدت صعوبة فى شق طريقى خلاله . وعلى هذا النبات حشرتين كبيرتين من جنس النافطات (★★) Mylabris

(★) عن معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية : جنس نبات من الفصيلة الزنبقية والقبيلة الهليونية فيه نوع زراعى مشهور وأنواع للتزيين وأنواع برية ، ومن أنواعه الهليون البرى جاء الورق Asparagus Acutifolius وهليون معروف وهو النوع الزراعى الذى يؤكل Asparagus (Common) officinalis وهليون ريشى Asparagus وهليون اسبرنجر Asparagus plumosus وهو للتزيين Asparagus Sprengeri

ومنتشر فى بيوت القاهرة ودمشق ويسمونه هواء لدقة أوراقه ٠٠٠ الخ - (المترجم) .
(★★) عن معجم الشهابى : جنس حيوانات من مغمدات الاجنحة وفصيلة النافطات Vesicans ... ٠٠٠ - (المترجم) .

وقد أطلقت على أحدها اسم نافطة الهليون *Mylabrii asparagi* لأننى لم أجدها الا على نبات الهليون هذا أما الحشرة الأخرى فمن الصعب التفرقة بينها وبين نافطة البيغا سكيانا *bifasciate* فى ضخامة حجمها واستواء طوقها الأصفر العريض *its broad yellow bands* .

ورأيت هنا للمرة الأولى شجرة ضخمة وقد نمت نموا هائلا، وأوراقها نحيلة يسميها هوتنتوت كلاروتتر روديبلات *Roodeblat* وتعنى الورقة الحمراء ، وذلك نسبة الى اللون القرمزى الجميل الذى تظهر به أوراقها فى فصل الخريف أو فصل الذبول *fading* * وهى تشبه شجرة اللوز الهندية وهى شجرة مشهورة ومن النوع نفسه (*Terminalia Cattapat*) ويبلغ طول الشجرة أربعين قدما ولها عدة جذوع معقوفة (منحنية) خارجة من الجذع الأم ، ويبلغ قطر الجذع الواحد من هذه الجذوع الفرعية قدما أو قدمين ، يغطيها لحاء شاحب أو أخضر غير داكن ، ولم أر هذه الشجرة الا على ضفاف الكى - جاريب * .

٢٩ أكتوبر :

بمجرد أن رأينا الثيران قد استعادت قوتها بفضل الرعى طوال فترة ما قبل الظهيرة فى مراعى العشب البهيج الريان الممتدة على شاطئ النهر ، قررنا مواصلة الرحلة رغم أن حرارة المناخ هذا النهار لم تكن تقل عن اليوم السابق * وقبل الساعة الثانية ظهرا كان الترمومتر قد ارتفع بالفعل الى ٩٨° (٣٦٦° مئوية Centig) * لقد كان ٩٤° بعد الساعة الواحدة بقليل وهو الوقت الذى بدأنا فيه مواصلة الرحلة * وما ان اندفعنا بنشاط فى سهل مكشوف حتى

ابتعدنا عن النهر وسرنا حوالى عشرة أميال فى منطقة مغطاة
بالأعشاب الجافة والشجيرات .

وراحت الكلاب تجرى فى ظل العربات - تجنباً لحرارة
الشمس المزعجة ، لكن كلبى الصغير البائس تعيس الحظ
أخطأ التقدير ولم يتحسس موضع قدمه وأصدر صيحة ألم
قبل أن يتهشم رأسه تحت إحدى عجالات العربة وأحضره لى
واحد من الهوتنتوت فوجدت ان الحياة قد فارقت بدنه ،
ورغم أنه مجرد حيوان فأننى لم أستطع مقاومة الشعور
بالصدمة ولا أخجل من الاعتراف أن هذا الحادث قد حرمنى
الراحة والمتعة طوال بقية النهار ، ومثل هذا الحادث غير
نادر الحدوث فى الجو الحار خلال رحلتنا من الكاب اذ فقدنا
عدداً من الكلاب فى أحداث مماثلة .

وبدلاً من أن يقودنى المرشدون الى مجمع الأنهار المتصلة
بنهر ماب Maap قادونا - تحقيقاً لأغراضهم - الى جانب من
النهر (نهر مواب) حيث ينمو سمار الحصر بوفرة met-rush
متوقعين أن يحثونى على التوقف هنا لعدة أيام حتى
يجمعوا قدراً كبيراً من السمار ، ولما وجدوا أننى لست
أوافق على ذلك وأن الأمر قد استقر بالنسبة لى على مواصلة
الرحلة تخلفوا خلف مجموعة النساء وركبوا حوالى اثنى عشر
ثوراً وأخذوا عربتين وبعض الرجال لحمايتهم .

وواصلنا طريقنا الى جوار النهر مسافة سبعة أميال
حتى وصلنا فى مواجهة ماب Maap وبعد أن درسنا المنطقة
أحضرنا عرباتنا الى الشاطئ المنحدر للنهر الأصفر
(كى جاريب) تحت مجموعة أشجار ظليلة مبهجة بالقرب من
الماء ، واستقر الراى على أن نثبت مقر اقامتنا لبعض الوقت

وأن ننشئ مركز قيادتنا (مركزا ثابتا) خلال حملات الصيد
ورحلاتنا الكشفية القصيرة ، وهما (الصيد والكشف)
الهدفان الرئيسيان للاقامة هنا .

أحداث ومفاجآت على شاطئ نهر الكي جاريب

انصبت عنايتنا على تغطية الحفر التي حفرها البشمن ،
وجعلناها مشاهدة مرئية حتى تتجنب ثيراننا السقوط فيها
لقد كانت هذه الحفر كثيرة وفي كل مكان على طول الأشجار
الكثيفة التي تحف النهر ، وكانت هذه الحفر معمولة بالطول
ومحفورة - بالضبط - على طول آثار أقدام أفراس النهر
Hippopotami منذ خروجها من الماء حتى وصولها للأشجار
لترعى غذاؤها . ولأن هذه الحفر قد حفرت لاصطياد هذا
الحيوان الضخم ، فقد كانت أوسع من الحفر التي رأيناها
عند نبع سبوجسلانج Spuigslang fountain كما أنها أعمق
منها . واتضح لنا من خلال العظام الكثيرة المتناثرة هنا
وهناك أن البشمن قد اصطادوا بالفعل أفراس النهر منذ
وقت غير بعيد واكلوا لحومها ، وكانت بقايا بعض أكواخ
البشمن ظاهرة للعيان وبعضها مازال قائما لاستخدامه في
مثل هذه المناسبات مما يظهر بهجتهم بوجبات اللحوم هذه ،
فلما كانوا غير قادرين على نقل اللحوم الى بيوتهم ، فقد
نقلوا بيوتهم الى حيث توجد اللحوم .

وهذه العظام التي يفوق حجمها كل ما سبق لي أن رأيتها ،
أصابتني بالدهشة واسترعت اهتمامي لفترة طويلة فعندما
يصل المرء - للمرة الأولى - الى منطقة تقطنها مخلوقات ضخمة
هائلة ، ويلمس بالفعل بقاياها العملاقة ، فان عقله لا يمكنه
الا أن يصاب بالدهشة والعجب رغم فكرة ضخامة أفراس

النهر الكامنة فيه (في العقل) منذ أيام الشباب . وحتى بعد أن تراجعت هذه الكائنات الضخمة كما هو ملموس إلا أنه لا يمكن أبدا محو هذا الانطباع الذي يفرض نفسه على الإنسان فيما يتعلق بها ، إذ يبدو عظم الفخذ وكأنه جذع شجرة قد نزع لحاؤها للتو ، وقد يخطئ المرء فيظن الجمجمة صخرة كبيرة . ولم يترك البشمن شيئا إلا العظم ونحتوا ما عليه من لحم تماما .

٣٠ أكتوبر :

النهر الأصفر أضيق كثيرا من الجاريب ، لكنه هنا - كما هو واضح - عميق جدا وينساب في مجرى رائق هادئ بين شاطئين مرتفعين باعتدال تغطيهما الأشجار الكثيفة حيث يشكل الصفصاف الصف الأول تليه أشجار الأكاسيا ويختلط بهذين النوعين من الأشجار ، أشجار اللحاء الأسود black bark وأشجار الورق الأحمر Red-leaf وأشجار الكارى والأشجار الشوكية من نوع Buffalo-thorakarree وتتكاثر هذه الأشجار جميعا فيصعب اختراقها في معظم المواضع بالإضافة إلى نبات الاسباراجوس Asparagus (الهليون) الذي أشرنا إليه آنفا . وعلى حافة المياه ، بل وفي الماء أيضا ، ينمو البوص بوفرة بالإضافة إلى نوع مرتفع من السعد (بتشديد السين وضمها) (★) لم يكن من الممكن أن

(★) عن معجم الشهابي لمصطلحات العلوم الزراعية السعد جنس نبات من الفصيلة السعدية فيه أنواع برية وأخرى تنزرع في الأراضي الرطبة وهو على أنواع منها السمار أو الديس ، والكلمة الأولى (سمار) شائعة في مصر أما الثانية فشامية ويستعمل في صناعة الحصر لذا يسمى (Syperus dopecutoides (mat sedyge) ومن أنواعه أيضا البردى ويسمونه في الشام ببير ، وهو نوع مائي يوجد منه في مناطق بحيرة الحولة ، وهو النوع المشهور الذي كان المصريون يصنعون الورق من لحائه ، ومن أنواعه أيضا سمار حب العزيز نسبة إلى عزيز مصر وهو نوع يتخلل جذوره درنات (عسقل) تؤكل ٠٠٠ الخ - (المترجم)

نختار موقعا أجمل وأكثر مدعاة للسرور من هذا الموقع الذى اخترناه ، ماء وظل وأشجار وخلفية موسيقية تعزفها الطيور المختلفة ونهر جذاب يجرى أمامنا وبدا الماء عند شاطئه الآخر رائعا صافيا وكأنه صفحة من زجاج ، وسماء صافية جعلت الماء يبدو أكثر صفاء ، وانعاشا . وقد كونت أجسام أشجار الأكاسيا مع مالا يحصى من سيقان الأشجار والنباتات مجازات ضيقة تحد الرؤية أحيانا وتمكن المرء من رؤية المشاهد من خلالها أحيانا أخرى كما شكلت متاهات (شبكات من الطرق المربكة) يحلو للمرء أن يجوس خلالها محتميا من أشعة شمس منتصف النهار فى ظلها الظليل الوارف . وعلى طول الشاطئ المعشوشب فان الممر المفتوح (المكشوف) الذى يستخدمه أهل البلاد وأفراس النهر يهبط للمرء مسيرا مبهجا بجوار ماء النهر التى أحيانا ما تتغلغل بين أعواد البوص الأخضر الكثيف أو تصعد بعض الأكوام والمواضع المرتفعة شيئا ما عن مستوى المسطح المعتاد . وهنا وهناك يرى المرء مواضع مكشوفة تفضى الى الماء (تمكن المرء من الهبوط حتى مستوى الماء) وتفرى السابحين بالنزول لجرى النهر ليسبحوا بالقرب من الشاطئ أو يعبروا الشاطئ الآخر بسهولة ودون خوف فلم يسمع عن حادثة غرق . لقد ظهر الآن لون بشرة أهل البلاد على حقيقته ، لقد ظهر اللون البنى غير الداكن وجعلته النظافة لونا مقبولا not unpleasing فتركناهم يلعبون بمرح ويبردون أجسامهم بالماء لا يعكر صفوهم قلق .

وبعد أن استحممنا فى النهر تجولنا فى الغابات فقابلنا مجموعات صغيرة من الهوتنتوت نساء وبناتا ، كن جالسات فى الظل يشغلن أنفسهن بقتل الحبال من لحاء أشجار

الأكاسيا بينما الأخريات يقطعن الأفرع أو ينزعن اللحاء من السوق ، وبعضهن كن يقمن بالعمليتين معا فبدلا من تقسيم الألياف بطرقها بحجر كبير كن يعضغنها ، اذ يبدو أن العصور الناتج كان ذا طابع مقبول .

وعن الطريقة التي تصنع بها هذه الحبال ، فان النسوة يخرجن معا (على شكل حملة) ، فصناعة الحبال هي من عمل النساء . تجلس النسوة على الأرض وتقبض على كمية من اللحاء المجهز في يد وتضفر شريطين من اللحاء معا بعملية بسيطة بإدارة الشريطين أسفل فخذها براحة كفها ثم تضمهما (الشريطين) معا وتضفرهما فيصبح الشريطان من اللحاء حبلا قويا . وقد صنعت النسوة كمية كبيرة من الحبال أثناء وقوفى فى هذا المكان وحملنها الى ديارهم فى كلارووتز حيث تستخدم فى صناعة الحصر ولا تستطيع المرأة أن تقوم بعملية ضغط اللحاء وبرمه الا اذا كان فخذها عاريا وأحيانا تضغط عليه وتبرمه على أسفل ريلة ساقها (بطة ساقها) ، وبتوالى الضغط والبرم على هذه الأجزاء من الجسم يصبح الجلد فيها متقرحا ويسبب الألم لعدة أيام لكن بتكرار هذه العملية يصبح الجلد فى هذه المواضع يابسا سميكاً بحيث أصبحت هذه العملية (عملية الضغط والبرم) تتم دون ألم يذكر .

لقد انتشر المرح واللغط الضاحك والنشاط بين الهوتنتوت الآن - بشكل ملحوظ ، ففي جانب نجد الصيادين يعدون أنفسهم لرحلة أعلى النهر ، بعضهم ينظف البنادق

وبعضهم يوزع الطلقات ، وبعضهم يضع البارود فى جيبه
أو فى القرون المعدة لذلك ، وبعضهم يضع (السروج) على
الثيران أو الخيول ، وراح بعضهم يقفز بهمة ونشاط ،
يتبارون فى سرعة الانجاز ، وراحوا يعدون نساءهم
وأطفالهم بوجبة دسمة عند العودة من رحلة الصيد ، وراحوا
يتنادون ويحثون بعضهم بعضا لعدم التأخر ، وجمعوا كلابهم
حولهم ودخلوا الدغل الكثيف وساروا على الشاطئ العالى ،
وسرعان ما تواروا عن الأنظار .

وفى جانب آخر يجلس بعض الهوتنتوت الى جوار
العربات ويمارس صناع الأوانى الخشبية عملهم فى صناعة
الأطباق والأوانى والقدر من خشب الصفصاف الذى لم
يبس بعد (خشب الصفصاف الأخضر) ، بينما يرى المرء
غير بعيد شجرة صفصاف قد سقطت لتوها وقد قطعت ، وثقبت
بالفؤوس الصغيرة heachets ثقوبا صغيرة وغير عميقة
فهذه الأدوات التى يستخدمها الهوتنتوت فى الحفر (الفؤوس
الصغيرة hatchets) لابد أن تستغرق وقتا طويلا وجهدا
لعمل حفرة فى الخشب قطرها يزيد على قدم أو ثمانى عشرة
بوصة . انهم يقطعون خشب الصفصاف بطول مناسب وفقا
للآنية التى يريدون صنعها وتساعدهم طبيعة الخشب
الناعمة اللينة على ذلك . وبعد ذلك يحفرونها بهذه الفؤوس
الصغيرة هذه ويستخدمون بعد ذلك السكاكين المعتادة للتنعيم
والصقل واكمال الشكل المطلوب من الخارج ، وثمة سكين
أخرى معقوفة (خنجر) يستخدمونها بمهارة وحنق لتجويف
الاناء (الخشب) من الداخل وبعد ذلك يدهنون الآنية
الخشبية بالدهن حتى لا تتشقق بفعل الحرارة والجفاف .
والأوانى التى يصنعونها على هذا النحو تتخذ أحجاما مختلفة
لكن معظمها ضئيل (غير عميق) وبيضاوى . والجرة

الخشبية التي يسمونها بامبوس *Bambus* تتخذ شكل الاسطوانة أما الفوهة أو الرقبة فتلثى القطر العام ، وسعتها المعتادة حوالى جالون وان كانت تعمل ليكون لها سفات مختلفة من بنت واحد pint (١٢٥ درهما) الى خمسة جالونات .

وشيد بعض أفراد من مجموعتنا لأنفسهم أكواخا من فروع الشجر النضر وغطوها بالحشائش والأفرع الصغيرة كما شيدوا زرائب آمنة للماشية والدواب من فروع أشجار الأكاسيا الشائكة فهي ملائمة لعمل سياج وتفضل عن فروع الأشجار الأخرى ، ففروع الأكاسيا الشائكة تمنع هروب الماشية وتمنع المتسللين سواء كانوا لصوصا أم حيوانات مفترسة .

وسرعان ما انتشر خبر وصولنا - عن طريق الجواسيس - بين أهل البلاد natives فزارنا صباحا أربعة عشر بشمبيا من قرية Kraal تبعد عدة أميال عن شاطئ النهر المقابل ، وكانوا جميعا تقريبا من جنس مغلط من البشمن والكرا Kora والبتشوانا Bichuana ، وكانت لغتهم مختلفة تماما عن لغة سكان منطقة جبل كارى Karree int. ، وقد تأكدت أن الاختلاف في اللغة بين البشمن اختلاف كبير ، فسكان القرى Kraals المجاورة غالبا ما يتكلمون لهجات صعبة للغاية لا يمكن فهمها الا بصعوبة . وعلى أية حال ، فلم أستطع تأكيد هذه المعلومات من خلال معلوماتى أو معاينتى المباشرة ، وانما اعتمادا على المترجمين الهوتنتوت ، الا اننى أكثر ميلا الى أن درجة الاختلاف في لغة البشمن أمر مبالغ فيه على نحو ما . مع اننى لاحظت أن كل الهوتنتوت الذين سألتهم فى هذا الموضوع يؤكدونه ، ولغة البشمن فيها

كثير من الطقات Claps حتى ان كل كلمة — غالبا — ما تكون متبوعة بهذا الصوت الغريب (الطقة Clap) بل ان الكلمة الواحدة أحيانا تقطع بطقة ولا أستطيع الا أن أميل الى أن الحديث معهم يتطلب جهدا ويسبب ارباكا ذلك لأن أصوات لغتهم أقرب ما تكون الى الاعاقة impediment منها الى اللغة الطبيعية .

وكان كل زوارنا (من البشمن) هذا الصباح رجالا وكان سلاحهم خفيفا أما نساؤهم فتركوهم على الشاطئ المقابل للنهر لعدم تمرسهن على السباحة ، وكان هدفهم من الزيارة أن يعبروا عن صداقتهم لنا ، ولطلب التوباكو وبعض الهدايا القليلة . وكان زعيمهم من بينهم وقد تعاقدنا معه على جمع سمار الحصر الذى قالوا انه ينمو بوفرة على شاطئ نهر الماب ، وقد عاملناهم برقة لطف مما أدى الى ابعاد كل المشاعر السيئة وزودناهم بالطعام وأجلسناهم ببساطة بين جماعتنا ، وبدعوا فى سلق اللحوم التى أعطيناها لهم وسرعان ما غدوا وكأنهم فى ديارهم وبيوتهم (ألفونا) .

وقد أغريت واحدا منهم بقدر طيب من التوباكو ليجلس ربع ساعة بهدوء بينما كنت أرسم له صورة . وكان هذا الأمر برمته يبدو غامضا لهم فلم ير واحد من البشمن قبل ذلك رسما لشخص منهم ، ولما رأيتهم ينظرون بجدية وخطورة لما أقوم به ، بدأت أخشى أن تؤدى بهم بعض المعتقدات الخرافية الى الاعتقاد أتنى أمارس السحر لأؤذى قريتهم أو لأسبب الموت للرجل الذى أرسمه . وبعد أن أنهيت الرسم ودفعت له بالتوباكو شرحت لهم أن بلادى تكن

لهم صداقة قوية وتتمنى لهم أطيب الأمنيات . وأنها تريد أن تعرف عن لطف الآخرين وكرمهم لذلك فقد رسمت هذه الصورة ، واننى أقدم للشخص الذى رسمته كثيرا من التوباكو برهانا على المودة والصداقة ، بل اننى سأقدم له المزيد وسأعطيه الصورة أيضا مع التوباكو الذى سأحضره له الآن زيادة على التوباكو الذى أخذه حتى يحتفظ بهذه الصورة فى كوخه لتذكره بصديقه الرجل الأبيض ، وما كدت أنتهى من هذا الكلام حتى غادرتهم وذهبت لعربتى بحجة احضار التوباكو فقطعت الورقة التى فيها الرسم من دفترى ونقلت عنها صورة أخرى فى الصفحة التالية ، ثم أحضرت الصورة (الرسم) الأولى أمامهم ، وأعطيتهما له . وبفعل هذا بدوا راضين مرتاحين وأن رسمى للصورة لم يكن الا السبب الذى ذكرته لهم . ولو لم أفعل ذلك لكنت عرضة لالحاق الضرر بنفسى فقد يموت الرجل بعد ذلك بقليل أو يتعرض لأى حادث أو مرض ، عندها سيقولون ان رسمى كان هو السبب ، فألقى سهما مسموما يقضى على حياتى .

وبعد أن ذهب الجميع مباشرة وصلنا خبر أن فرس نهر قد تم اصطياده أعلى النهر على بعد مسافة قصيرة ، وكان الذى أطلق عليه الطلقة قائدنا الذى هو من كلاروتتر ، فجرى البوتنتوت الجياع دون أن ينتظروا لحظة ، وتركونا بمفردنا ولم يبق معنا الا عدد قليل بقى ليحرس العربات بحذر وفطنة ، وخرج السيد جانز Janz على ظهر حصان بينما تبعته أنا مشيا على الأقدام مع جيرت مفضلا السير على طول شاطئ النهر عن الركوب فى سهل جاف سالكا طريقا غير مباشر حيث لن تقابلنا الا طيور أو نباتات قليلة .

وبمجرد أن تسلحنا بسرعة وغادرنا فيليب في حراسة
عرباتي حتى شققنا طريقنا بين أشجار كثيفة ورحنا نسير
بشكل متعرج بين أشجار الصفصاف وعبرنا كثيرا من المجارى
الجافة العميقة (الأودية الضيقة العميقة) وفى كل مكان
وجدنا آثار هذه الحيوانات الهائلة * مطبوعة على الأرض
تاركة حفرا ، ولم يكن جيرت Gert قد رأى أفراس النهر
أندا (Sea-Cow) (أو جاموس النهر أو أبقار النهر)
وهو الاسم الذى يطلقه سكان الكاب البيض Colonists
على أفرس النهر Hippopotemus - لذلك فقد كانت
هذه الرحلة باعثة للسرور فى نفسه كما بعثت السرور
فى نفسى أيضا ، فقد كنا - أنا وهو - مشوقين لأشباع حينا
للاستطلاع ، لقد كان جيرت أقل سفرا من سائر مجموعتنا
لذلك كان مثلى يتوقع كثيرا مما يثير الدهشة لم يكن لنا حديث
ونحن نسرع الخطا الا عن أفراس النهر وكانت حيويته
ودهشته تفوق دهشتى عند رؤية بعض الأشياء ، وقد أضاع
هذا بعض الوقت اذ كان اهتماما منصبا على الطيور
والنباتات .

وفجأة توقف جيرت Gert وصاح ببعض الفزع
« انظر هنا يا سيدى ! » فأدركت عينى لأنظر فى الأرض فرأيت
أثر أقدام حديثة لأسد قدم هنا ليشرب منذ مالا يزيد - كما
هو واضح - عن ساعة واحدة * وقد غير هذا الحدث حديثنا
فتركنا الحديث عن أفراس النهر ، فراح جيرت يتحدث فى
صوت خفيض خائف عن الأسد ولا شئ غير الأسد ، وعن
خطورة وجودنا منفردين فى وسط أشجار كثيفة ، مع أن
وجودنا منفردين بين الأشجار كان منذ دقائق مبعث بهجة
وسرور بسبب الظل الظليل ، أما الآن فقد أصبح الحديث

عن خطر المكان باعتباره مأوى للأسود والحيوانات المفترسة الأخرى . وقبل ذلك كان دائما يتأخر عني ، أما الآن فقد أسرع الخطو فلم أعد أستطيع ملاحقته في المشي الا بصعوبة ، وهذا الاسراع بالاضافة لحرارة الشمس التي كانت تتسلل الى بعض الأماكن غير الظليلة جعلنا نحس أن المرحلة الأخيرة من رحلتنا على الأقدام هذه مرهقة ومتعبة جدا رغم أن المسافة لم تكن تزيد في كل الاحتمالات عن خمسة أميال ، وفي هذه الأنحاء لم يسقط المطر منذ عدة أشهر لذا فقد كانت الأرض في كل مكان مشقة شقوفا واسعة بسبب الجفاف .

ولم يكن لنا دليل الا النهر فاستمررنا في المشي واعتربنا الدهشة أننا لم نصل الى المكان المطلوب اذ كان الرفاق قد أخبرونا أن المسافة اليه لا تستغرق أكثر من ساعة ، وقد مضى علينا الآن - نحن سائرون - ساعة ونصف الساعة ، وسرعان ما تبدد خوفنا من أن نكون قد ضللنا الطريق اذ سمعنا أصواتا تأتينا من بعيد من ناحية مجرى النهر ، فرحنا نتصنت ونحن نتقدم فتعرفنا بوضوح على نغمة (رطن) لغة البشمن ، فاعترانا التردد : هل نواصل المسير أو نسلك طريقا غير مباشر لتجنبهم فربما كانوا تجمعوا غير صديق من البشمن ينتهزون فرصة وجودنا منفردين بعيدا عن يمكن أن نطلب المساعدة منهم لكن بعد أن قطعنا بضع مئات من الخطوات ميزنا أصواتا أقل صخبا . لقد كانت أصوات مجموعتنا ، فأسرعنا الخطى ، وما هي الا دقائق خمس حتى رأيناهم من بين جذوع الشجر .

لقد كانت جماعتنا المنهمكة في العمل محاطة بأجمل منظر يمكن أن تراه العين ، وكانوا قد عوموا الحيوان :

بالقرب من الشاطئ ، وهم الآن يبذلون قصارى جهدهم
لاخراجهم من الماء ومع أنه لم يكن حيوانا كامل النمو فإن
حجمه يبلغ حجم ثورين على الأقل ، لقد كان أضخم من أن
يستطيعوا السيطرة عليه حتى أتى البوشمن لمساعدتهم
وأخيرا سحب إلى الشاطئ المعشوشب وسرعان ما انخرط في
تقطيعه كل من معه سكين .

“ ان حجم فرس النهر الهائل رغم صغر سنه وكتلته الهائلة
التي لا شكل لها وهو منطرح على الأرض يبدو أكثر هولا اذا
قارناه بالبشر الواقفين الى جواره وبينما كانوا يعملون في
سلخ جلده السميكة وجدت أنه عمل جيد أقضى به وقتي . أن
أرسم هذه المجموعة الغريبة في دفتر رسومي (اسكتشاتى) ،
وعلى أية حال فإن سرعتهم في تقطيع اللحم وتجفيفه قبل أن
يفسد بفعل الحرارة والهواء لم يترك لى الا وقتا قليلا ،
فالرسم (الاسكتش) يبقى في كل الأوقات أكثر صدقا كما
انه يمثل ذكرى حية بالاضافة الى أنه يصف معظم التفاصيل
بتفاصيل قد لا تتاح للكتابة (التعبير بالقلم) ان (الاسكتش) ،
غالبا - فى الحقيقة - أفضل أسلوب سريع للوصف .

ولهذا الحيوان لون واحد يمكن تشبيهه بدقة باللون
الخفيف أو الباهت للحبر الصينى China-ink وجلده تزيد
سماكته عن بوصة ولا يمكن ثنيه بسهولة (مرونته أو لدانته
قليلة) ، لقد كانوا يسحبون الجلد (يسلخونه) كما لو كانوا
ينزعون ألواح خشبية من جانب سفينة . وتم تقطيع
الحيوان - بعناية - الى قطع متماثلة لأن أفضل ما تم تقطيعه
الى شرائح Shamboks ستكون من نصيب أهل كلاروتر ،
فهم الذين سيفوزون بأكبر جزء من الغنيمة . وضلوع
هذا الحيوان مغطاة بطبقة سميكة من الدهون وتعتبر

طعاما شهيا جدا ويعرفها البيض في مستعمرة الرأس
Colonialists باسم زكواسبك Zeekoe-spek وتعني منحة
البحر (★) Sea-Cow Pork ، ولا يمكن حفظ هذه
الضلوع المغلفة بالدهن الا بتمليحها ثم تجفيفها في الشمس
مع سائر الأعضاء ، أما بقية اللحم - خلا الضلوع الأنف
ذكرها - فلا دهن فيه ، وهم يقطعونه شرائح كبيرة ويجففونه
ويستهلكون منه الآن ، ويحتفظون ببقيته . وهذا الجزء الذي
أعدوه للاستهلاك الآن لم يكن قليلا على أية حال فثمة عدد
كبير من الهوتنتوت دعوا أنفسهم للوليمة بالاضافة الى جمع
من البشمن مكون من ستة رجال وخمس نساء أتوا لمنطقة
الوليمة بعد سماعهم صوت الطلقة التي أودت بحياة الحيوان
موضوع الوليمة . لقد كانت الطلقة بمثابة دعوة لهم .

لقد لاقى هذا الحيوان حتفه بطليقتين Two balls سجلتا
رأسه ، فمن النادر أن تسبب له الطلقات جرحا في أى مكان
آخر في جسده ، وهذا ليس بسبب سماكة جلده وهو الأمر
الذى يردده الناس مثلما يرددون حكايات أخرى كثيرة لاثارة
الدهشة والعجب ، وانما حقيقة الأمر أن هذا الحيوان (فرس
النهر) لا يغادر النهر الا نادرا جدا الا بالليل ، أما بالنهار فمن
النادر أن يخرج - الا رأسه - فوق سطح الماء ، فليس أمام
الصياد اذن الا أن يطلق على رأسه . وليس ثمة طلقة
bullet مهما كانت سرعتها يمكن أن تخترق جلد هذا
الحيوان اذا تم اطلاقها مائلة (بانحراف) فهي في هذا
الحال تنزلق على الجلد (أو ترتد من فوق سطح الجلد) بسبب

(★) الكلمة بورك تعنى لحم الخنزير ، وبالتالي فالعبارة تعنى أن لحم فرس النهر
يعتباره حيوانا نهريا يعادل لحم الخنزير كحيوان برى ، فهذا أفضل ما فى البحر
وذاك أفضل ما فى البر من وجهة نظرهم ، ولما كانت الترجمة الحرفية ستضيع المعنى
فضلنا ما أوردهنا فى المتن - (المترجم) .

كونه زلقا • مما يؤكد المثل : أنت فى هذه الحال بطة وذكر
بط فى الوقت نفسه (☆) •

وهذا الحيوان اذا اعتراه رعب وأحس باقتراب خطر
لا يخرج من الماء الا منخريه وعينييه وأذنيه وربما كان هذا
لتأمين نفسه بأن يتيح لنفسه فرصة التنفس والرؤية
والسمع دون أن يعرض نفسه كثيرا لهجوم الانسان • ولهذا
فان هذا الحيوان ليس من السهل اطلاق النار عليه كنسائر
الحيوانات الأخرى • فكبر حجم هذا الحيوان لا يجعله سهل
الصيد بالنسبة للصائدين فاذا لم يكن الصياد دقيقا فى
تصويبه - وكأنه يصوب فى اتجاه أرنب يرى - ضاعت
طلقاته سدى •

وعندما يكون رأس الحيوان فقط هو الظاهر فوق سطح
الماء فانه يبدو كرأس الحصان ومن هنا جاء اسمه فرس النهر
أطلقه عليه القدماء خاصة عندما لم يروا جسمه الذى ليس
بينه وبين جسم الحصان أدنى شبه • أما اسم بقر البحر
وهو الاسم الذى أطلقه عليه السكان البيض فى الكاب ، فهو
لا يصلح فليس ثمة أدنى تشابه بينه وبين البقرة •

ولم يكن على جسد فرس النهر الذى تم اصطياده
وتقطيعه أى شعر فيما عدا بعض الشعيرات المتناثرة على
الذيل وأطراف الأذنين وخطمه (بفتح الخاء والطاء - أنفه
وفكه) • وذيله قصير جدا قلما يزيد عن القدم طولا ، وعيناه
صغيرتان وكذلك أذناه اذا قورنت (العينان والأذنان) برأسه
وجسده أما الفم فواسع جدا • • وقد استخرج الرجال من

(☆) النص : « making ducks and dracks » اوردناه فى المتن ترجمة
تقريبية ، فالعنى غير واضح لنا - (المترجم) •

معدته وأمعائه ثلاث يشالات (★) Bushels على الأقل
من الحشائش نصف الممضوغة (التى لم تمضغ جيدا) من
معدته وأمعائه .

لقد تحول كل أفراد المجموعة الآن الى جزارين يعملون
بشغف بينما لم يكونوا يتكالبون على تقطيع الرأس التى
سحبتهما بارتياح وزحت أرسمها : صورة من الأمام وأخرى
من الجانب وما كدت أنتهى من ذلك حتى حاولت تسجيل
جمال هذه الطبيعة الجذابة الرائعة حولي ، ولم يكن جمالها
فى المنظر فقط دائما فى الدفء الرائع الذى أضفى بهجة
على كل شيء ولم تكن كل الألوان التى معى ، وكل أدوات
الرسم وكل ما أوتيت من مهارة بقادرة على تصوير هذا
الجمال على نحو قريب من الحقيقة فالنهر النبيل الهادئ
أعطى المنظر معنى السلام ، والطبيعة الحية المفعمة جمالا
والتي كانت تتناقض بشكل غريب مع البقعة التى حولتها
جماعتنا الى مسلخ أو محل جزارة ، وعلقوا اللحم على
الأشجار فمالت فروعها نحو الأرض لفرط ثقل ما علق عليها
من لحم . وحينما وليت وجهى رأيت رجالا ونساء وكلابا
يأكلون ، ونيرانا كثيرة تجللها الألوانى ، كل من حولى كان
ينحت ما علق من لحم أو يشوى أو يمضغ أو يقضم حتى
أنا لم أشعر بأى ميل لاستنكار ما يفعلون ، فبعد سير طويل
شاق وامتناع عن الطعام طال لثمانى ساعات . وجدت أن
شرائح فرس النهر جديدة بأن تؤكل ، وحتى هذه اللحظة
لا زلت مقتنعا أن أهل بلدى الانجليز الذين يحبون الطعام
الجيد لو تذوقوا شرائح لحم فرس النهر لمرة واحدة فلن يهدأ

(★) عن معجم المولد : البوشل مكىال للحبوب يساوى ٨ جالونات أو نحو
٣٢ لترا ونصف - (المترجم) .

لهم بال الا بالحصول على فرس النهر هذا باستيراده بشكل منتظم .

وبحكم العادة فان كل فضلات الذبيحة والعظام والرأس كانت من نصيب البشمن ، فبمجرد أن تم تقطيع فرس النهر حتى انقضوا يعملون فى الأحشاء ، فترى الواحد منهم يمسح الدهن من فوق أصابعه فى ذراعيه وساقيه وفخذه ويلوث نفسه وبوفرة بالدماء والأقذار ويدعكها على كل جزء من جسمه وفى كل موضع فى جسمه تطوله يداه .

وبين هذه المخلوقات السعيدة القدرة (يقصد البشمن) كانت هناك فتاة تبدو من خلال ملابسها وملامحها أنها ذات حيثية خاصة . لقد كانت هذه البشمنة الشابة - فى الحقيقة - ألطف ما رأيت من نساء البشمن ، الا أن غرورها واحساسها الزائد بتميزها جعلها أقل جاذبية فى نظرى ، كما أن غلوها فى ملابسها ربما يجعل البشمنيين يؤثرون عليها غيرها عند الزواج (لا يفضلونها كثيرا كزوجة) . لقد لطخت شعرها بكميات كبيرة من الشمع والمغرة (بتسكين الغير) الحمراء (وهى اكسيد الحديد المائى) والبوكو Buku وبمسحوق لامع Shining powder ... وكل هذا لا يقدر عليه الا الزوج الغنى جدا ، وقد شحمت (أو سخمت) هذه البشمنية جسمها وملابسها بكثير من الشمع ، لابد أنها من أسرة بشمنية ثرية فالأساور الجلدية حول ذراعيها وساقها (رسغى قدميها) حوالى اثنتى عشرة اسورة جلدية من ذات النوع ، وتلبس صندلا (ذا طابع اغريقى baskins) .

على أن أكثر ما يلفت الانتباه . فى زينتها هو ثلاث قطع من العاج ، تتخذ الواحدة منها شكل بيضة العصفور

وحجمها ، وهذه البيضات العاجية تتدلى من شعرها : واحدة تتدلى من الأمام وتصل الى أرنبة أنفها ، وواحدة تتدلى على صدغها الأيمن والثالثة على صدغها الأيسر ، وهذه البيضات العاجية جميعا معلقة فى سيور (أو خيوط) متساوية فى طولها . وكانت هذه البيضات العاجية تهتز يمنة ويسرة كلما حركت هذه الفتاة البشمنية رأسها ، وكانت — بلا شك — بمثابة تعويض جمالى عن عدم اتسامها (أى هذه البيضات العاجية) بالروح العملية . وقد غطت هذه البشمنية وراء العلوى من رأسها بطاقيّة جلدية صغير حجمها ومحكمة تماما لكنها غير مزدانة بأى من الزينات ، وكنت أود أن أهديها عقدا من الخرز ليجعل طاقيتها أكثر أناقة ، لولا أننى خشيت أن أثير — بتصرفى هذا — مواطنيها البشمن فأدفعهم لطلب الهدايا بشكل مزعج ، وكان ما تبقى معنى منها قد احتفظت به لتقديمه للقبائل (الأمم Nations) الأكثر اغيالا للداخل . ومع أن اعتزازها بالنفس وتكلفها كانا قد بلغا مبلغا كبيرا فان هذا لم يمنعها من أن تتحدث بالنعمة نفسها التى يتحدث بها سائر البشمن فلم يعثر صوتها أية رقة ، كما أن هذا لم يمنعها من ازدراد كميات كبيرة من اللحم بل وطلبها المزيد ، فيبدو أنه قد وقر فى نفسها أنه لا خجل فى مثل هذه المناسبات ، ومثل هذا التصرف على أية حال يمكن للمرء أن يجده بين الرجال والنساء فى أمم أخرى .

أما بالنسبة لبقية البشمنيات المصاحبات لها ، فقد ولى من زمن طويل موسم الجمال بالنسبة لهن ، وإذا كانت الفترة التى تكون المرأة فيها جميلة تعد فى أمم أخرى فترة قصيرة ، فمن العدل أن نقول انها بالنسبة للبشمنيات فترة لحظية أو أقصر من القصيرة ، ففى غضون خمس سنوات أو ست يعد

وصول الفتاة الى سن الأنوثة Womanhood يتحول لحمها
الغض وجسمها الممتلىء الى لحم مفضن ظهرت عليه آثار الكبر ،
واذا لم ننظر اليهن بعين الرثاء والعطف فانه يمكن اعتبارهن
أكثر نساء الجنس البشرى مدعاة للاشمئزاز والقرف .
فشيخوختهن المبكرة ، ربما يمكن ارجاعها الى قسوة الحياة
التي يعشنها وقلة الغذاء أو عدم انتظامه والتعرض لقسوة
المناخ ، وقلة النظافة .

لقد ذكرنى امتداد ظلال الأشجار بقرب المساء وبأن
وقت عودتى للعربات قد حان ، فركبت حصان آدم كوك
وعدت بصحبة جانز Jansz على أن يتبعنا جيت وبعض
الهوتنتوت على ظهور الثيران أو سيرا على أقدامهم ، بينما بقى
كوك وجماعته طوال الليل فى البقعة نفسها ليحرسوا اللحوم
ويكملوا تجفيفها فى اليوم التالى .

ولم يكن من تركتهم بدون رفيق فاللحم متوفر وهذا
سيجعل البشمن يحتفظون بمواقعهم ، وتركبت معهم صديقى
الكلب وانترو الذى أعارنى أذنا صماء . ولم يستجب
لندائى فقد انشغل فى استخراج ما بقى فى الجمجمة من
لحم ، وراح يستخرج ما بين العمود الفقرى والمفاصل من
بقايا .

٣١ أكتوبر :

وفى صباح اليوم التالى زارنا - مرة أخرى - بعض
البشمن الذين أحضروا لنا حوالى عشرين حزمة صغيرة من
السمار الأخضر من الشاطئ المقابل ، وقد حمل كل واحد
منهم ثلاث حزم أو أربع ، وربما لم يكونوا قادرين على عبور

النهر دون مساعدة ما يسميه هوتنتوت كلاروتتر باسم
الحصان الخشبي Houte-paard .

وهذا الحصان الخشبي مجرد جذع شجرة جاف يبلغ
طوله ست أقدام أو سبع ، ويبلغ سمكه ست بوصات ، وفي
الجزء العلوى يوجد وتد قوى طوله - ويعت هذا الجذع
(الحصان الخشبي) الوسيلة الرئيسية للعبور ، اذ يوضع
تحت الجسم (يركب) ويتم إمساك الوتد بيد ، وتستخدم
اليدين الأخرى والقدمين فى التجديف ، ويكون الوتد ازاء
الكتف ، ليحفظ الجذع فى وضعه الصحيح ، وبتوجيهه
- الوتد - بشكل مائل (منحرف) الى أعلى ضد التيار ، فان
العابر ينجح - عموما - فى وقف شدة التيار بالقدر الذى
يتيح له الوصول الى الجانب المقابل للنهر فى البقعة المطلوبة
أو قريبا منها .

وللمرء أن يتعجب من أن هؤلاء الناس لم يحتالوا لعبور
النهر باختراع قارب أو كانو Canoe رغم حاجتهم لعبور
النهر العريض بين الحين والحين ، الا أن طبيعة حياتهم
الجوالة غير المستقرة تجعل هذا الأسلوب فى العبور كافيا ،
فجذع شجرة الصنصاف الجاف متوفر بدون جهد فى أى وقت
يريدون فيه عبور النهر ، وعندما يصلون للشاطئ الآخر
ما عليهم الا أن يسحبوه بضع خطوات الى البر ويتركوه
ليستخدمه شخص آخر قاداته الظروف للمرور بالقرب منه .
لكن ملكية قارب Canoe قد تجعل مالكه يضع على كاهله
مهمة المحافظة عليه وتحتم عليه الإقامة بالقرب منه ،
والاستقرار والرعاية ليسا من عادات هذه القبائل .

وما كاد زوارنا هؤلاء يحسون أنهم وصلوا الى المياه
الضحلة حتى وقفوا وحيونا بحرارة بلغتهم ومن ثم تقدموا

للشاطئ وكل واحد منهم يحمل حصانه الخشبي (جذع شجرة الصفصاف الآنف ذكره) على كتفيه ويسنده بيده ، ويجر باليد الأخرى حزم السمار . وتركوا خيولهم الخشبية (المقصود الجذوع الآنف ذكرها) على الشاطئ وقد بدت البهجة والنوايا الطيبة على وجوههم وأحضروا أحمالهم (السمار) الى عرباتنا وراحوا يقطعون بحيوية (★) لنا وكأننا نفهم كل كلمة يقولونها . ولم نكن على أية حال فى حاجة الى مترجم ودفعنا لهم الدكا dakka والتوباكو وقبلنا دعوتهم الودودة لزيارة قريتهم (الكرال) وفى الوقت نفسه هدية من اليونتج Uyentjes وهو اسم يستخدمه أهل مستعمرة الكاب Colonialists وأصبح شائعا ويطلق على أنواع متعددة من الأبصال التى تؤكل bulbs ولا يزيد حجم الواحدة منها عن حجم حبة البندق ، ومغطاة بقشرة رقيقة بنية ، وعادة ما يشوونها على النار لكن طعمها أقل حلاوة من البصيلات التى يحصلون عليها من نبات من نوع الانسيت Ensetae ، من الفصيلة السعدية (★★) (بتشديد السين وضمها) ولم يوصف علميا حتى الآن .

لقد كان تجار السمار هؤلاء (يقصد البشمن الآنف ذكرهم) عراة تماما الا من قطعة من جلد حيوان ابن آوى ،

(★) clacked يقطعون أى يتحدثون بلغة الطقات وهى عادة فى معظم اللغات الأفريقية ونجدها أحيانا عند بعض الأخوة السودانيين والطقة هى صوت يصدر فيما دون الحلق (بين سقف الفم والحلق وهو أقرب الى حرف الغين ، أو بتعبير أدق أقرب الى الصوت الذى يستخدمه الحمار - لحث حماره هكذا غه .. غه) وليس المقصود هنا (شى) أو (حا) ، وقد تتخلل هذه الطقة الكلمة الواحدة أو بين كلمة وأخرى أو عبارة وأخرى ، وهذه الصفات شائعة .

(★★) عن السعديات ، راجع حاشية سابقة فى هذه الرحلة - (المترجم)

وقد تحلقوا حول النار لتجفيف أجسامهم وللاستدفاء ، وأدى
حسن معاملتنا لهم وما قدمناه لهم من طعام الى وقوفهم معنا
طوال الليل .

وفى الوقت نفسه فقد كانت مجموعة الصيد التابعة لنا
قد أطلقت طلقة على حيوان العليضة على الشاطئ المقابل
للنهر وقبل الفسق (ظلمة أول الليل) كان لحم طريدتنا
هذه قد وصل بأمان محمولا على رمث (ألواح خشبية متجاورة
ومربوطة معا) الى الشاطئ الذى نحن عليه . وكان هذا
تغيرا معقولا ومطلوبا فى طعامنا ، فهو بديل عن لحم فرس
البحر الدسم .

لقد بدا النهر مليئا بأفراس النهر ، وفى المساء أطل
اثنان من الحيوان برأسيهما بالقرب من عرباتنا كأنهما
ينويان الصعود للشاطئ للترعى ، لكنهما سرعان ما اختفيا
اذ غطسا تحت سطح الماء وهما يشخران ويقذفان الماء من
مناخيرهما .

فرس النبی أو حصان ابليس :
أول نوفمبر :

لقد تعرفت هنا على نوع جديد من المانتيس *Mantis*
(فرس النبی أو حصان ابليس) أصبح وجوده فيما بعد
مألوفاً لي فقد كان يزورني فى الأمسيات الدافئة الهادئة
وأنا أكتب يومياتي وأحيانا كان يعطلني عن الكتابة باطفائه
المصباح . وكل فصيلة المانتيس حشرات جديدة بالملاحظة
لكن هذا النوع الذى نحن بصددته المعتدل فى دكانته (لونه
غير داكن جدا) يتناسب تماما مع ظلمة الليل وغالبا ما كانت

هذه الحشرة تستقر على كتابي أو على الدفتر الذي أكتب فيه وتظل واقفة ثابتة • كما لو كانت تنجز أمرا ذا بال ، ولها منظر ينم عن الذكاء مما يجعل يدى تكف عن الحاق الأذى بها ، ورغم أنه كان في امكاني الامساك بمئات منها فاننى لم آخذ أكثر من خمس وقد أسميت هذه الحشرة (المخلوق) المحبة للاستطلاع اسم المانتيس المفكرة (★) *Mantis Lucubrans* ولا شك عندى أنها ستقدم نفسها لكل الرحالة الذين يأتون للمنطقة فى شهرى نوفمبر وديسمبر ، وانى أوصيهم - أى الرحالة - أن يعتبروها رفيقا صغيرا غير مؤذ • •



(★) غريب أمر هذه الحشرة ، فحتى فى الفكر الشعبى فى مصر نجد أن الفلاحين خاصة يحرمون قتلها ويرى فيها آخرون براق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحتى فى المقابل الأجنبى نجد أنه يطلق عليها المصلية *Praying mantis* أو الراهبة *Mantis Religiosa* ، وأعطى لها معجم الشهابى عدة أسماء منها حصان إبليس وفارس النبى والراهبة والسرعوفة (بضم السين والعين) ووصفا بأنها خضراء غريبة (لم يذكر رحالتنا الحالي أنها خضراء ، ويبدو أنه كان أمام نوع آخر منها) وهى مفترسة تكمن على النباتات بلا حراك لتصيد الهوام (وهذا يفسر وقفها على دفاتر رحالتنا بورشل دون حراك) - (المترجم) • •

رحلة

جون كامبيل

JOHN CAMPBELL

نهر هارتز

The Hartz River

ولد جون كامبيل في ادنبرج Edinburgh في سنة ١٧٦٦ وكان مهتما بالدين والاصلاح الاجتماعى بالإضافة الى اهتمامه بالأعمال التجارية . فقد كان هو مؤسس الجمعية الخيرية في سكتلندا Religious Tract Society ومنظما لحركة مدارس الأحد ، ومكافحا نشطا ضد الرق . وفي سنة ١٨٠٢م أصبح قسا لكنيسة لندن المستقلة حيث درس في تأسيس جماعة الانجيل Bible Society واظهر اهتماما نشطا في العمل بجمعية ارسالية لندن التبشيرية London Missionary Society فطلب منه مديروها ان يزور جنوب افريقيا ليعمل بالتعاون مع السيد ريد Read والارسلانيين الآخرين لتحويل الوثنيين للمسيحية والرقى بحضارتهم . وسافر جون كامبيل بصحبة الراحل السيد جيمس ريد ممثل الجمعية في الكاب الى كلاروتز ومنها الى لاناكو Kaarwater حيث اتجها شرقا الى مالالارين Malalareen او نهر هارتز Hartz River والنص التالي من كتاب :

Campbell's Travels in South Africa (Black & Party - London, 1815)

رحلة الى ما وراء النهر العظيم من لاتاكو الى مالابيز

٧ يوليو ١٨١٣ م :

بدأت عرباتنا - وقت الظهيرة تماما - فى التحرك من لاتاكو ، تحيط بها جموع مخلقة • لقد ولينا وجهنا ناحية المشرق الى هذا الجزء من أفريقيا الذى لم يرتده رحالة أوربي من قبل وقد سمعنا أنه يسكن هذه الأنحاء الشرقية شعوب يمكن أن تتقبل جهود الارساليات التبشيرية فرأينا أن نزورها أملين أن نتمكن بعد ذلك من ارسال مبعوثين تبشيريين يعملون بينهم •

وبينما كنا نتحرك تاركين لاتاكو ، لم أستطع الا أن أركز نظرى عليها وظلت عيناى معلقتين بها حتى توارت عنى ، فلاتاكو مدينة جذابة • انها المدينة التى قد تصبح قدس أفريقيا Jerusalem to Africa • وكان للسيد بول Paul مواهب تتناسب مع العمل الذى كان يتعين عليه انجازه - وذلك قبل أن يتحول الى مذهب آخر • ومن ناحية القدرات الطبيعية فانهم - أى هذه الشعوب • أرقى من الشعوب الأفريقية الأخرى التى رأيتها فهم أذكاء ونشيطون •

وفى الساعة الثانية ظهرا توقفنا عند نبع يقال له كوكو Kookoo وهى كلمة تعنى شروق الشمس وربما كان هذا الاسم يرجع لكون هذا النبع يقع الى الشرق من لاتاكو • ومن هذا النبع ملأنا أوانينا • وفى الساعة الثالثة توقفنا لفترة قصيرة عند مراعى صغيرة تسمى مالاماتشو Malamatchoo

تقع بالقرب من نبع ماء آخر ، وكان حول النبعين عدد كبير من الماشية يرعى الحشائش . وفي الساعة الرابعة مررنا بموضع رعى آخر يسمى كاكانيا Kakanian . وفي السادسة مساء توقفنا عند حافة غابة ولم يكن في موضع توقفنا ماء إذ كان على بعد ميلين وعلى هذا فقد توقفنا هنا مخافة أن تزعج نيراننا الجاموس فتجعله يولى مبتعدا ، وقد كنا أزمعنا أن نصطاده بإطلاق النيران عليه وهو في طريقه الى هذا النبع .

لقد كان سفرنا طوال النهار فوق أرض تصعد (ترتفع رويدا رويدا) تصعدا خفيفا وثمة تلال الى الشمال والى الجنوب ، لقد كان اتجاهنا فى بداية الرحلة الى الشرق أما فى المرحلة الأخيرة فقد كان يتخذ اتجاهها شماليا شرقيا وكانت المنطقة تمتد أمامنا وقد انبهرت بشكل حقول الحنطة وكانت لا يحدها الا الأفق . وكانت درجة الحرارة عند الظهر ٦٨ درجة .

٨ يوليو ١٨١٣ م :

صدور الذبائح لا يأكلها الا الشيوخ والزعماء :

كانت الأرض فى الصباح مغطاة بصقيع أبيض لونه . وقبل شروق الشمس بقليل قتلنا جاموسة وابنها مما أسعد كثيرا مرشديننا الأحد عشر ، وكانوا من الماتشابى Matchappee وقد التمسوا منا أن يكون صدر العجل (وليد الجاموسة) من نصيبهم فقد كان صدر أى حيوان يذبح مخصصا لزعماء البوتشوانا Boochuena ، وقد بدوا حقيقة قلقين من تذوق هذا الجزء من الحيوان فهو محرم عليهم ، وبطبيعة الحال فانهم يحملون أفكار أبينا آدم

Of Course they bear the image of father Adam

الأشجار المعمرة :

وكشف الصبح لنا كثيرا من الأشجار المعمرة التي صمدت أمام عوادي الزمن في الماضي لكنها الآن قد تفتت بفعل مرور الأيام والليالي . وفي الساعة التاسعة صباحا واصلنا مسيرنا للأمام .

الماتشابى يشربون مع الكلاب :

وسرعان ما اكتشفت كلابنا وجود الماء بين الغاب (البوص) فجرى اليه بعض من رجالنا وشربوا جنبنا الى جنب مع الكلاب وبعد أن تقدمنا قليلا توقفنا أمام غابة بالقرب من الماء . أشار الترمومتر في الساعة السابعة (شروق الشمس) الى ٣٤° أما الظهر فأشار الى ٩٠° .

الماتشابى يأكلون بشراهة :

لقد كانت فترة ما قبل الظهر فترة انشغال لرجالنا من الماتشابى Matchappee اذ تكالبنا على لحم الجاموسة ، وقضوا وقتا ممتعا في الشواء والأكل بشراهة . لقد بدوا وكأنهم يخشون ألا تتاح لهم هذه الوليمة مرة أخرى ، فأكلوا وكأنما هي أكلتهم الأخيرة ، لقد كانوا يأكلون بيد ويطبخون باليد الأخرى ، وحتى اذا غادر الواحد منهم موضع النار (موضع الطبخ) للحظة حمل معه عظمة كبيرة راح ينزع ما عليها من اللحم بأسنانه بينما هو يسير فاذا ما أجهز على ما فيها عاد فأخذ عظمة أخرى . وقد سميننا هذا الموضع نبع الرئيس Alers fountain .

ولم نستطع مفادرة الموقع قبل الساعة الثالثة لأن خرافنا كانت شاردة متفرقة ثم واصلنا رحلتنا بين حشائش

طوال وشجيرات حتى الساعة السادسة ثم توقفنا عند نبع ماء ، واصطاد بعض من رجالنا جاموسة برية كانت تقف غير بعيد ، ولكنهم عندما سمعوا أصوات الأسود واللبؤات قريبة وجدوا أنه من الحكمة أن يؤجلوا تقطيع لحمها حتى الصباح مفضلين احتمال وقوع الطريدة بين أنياب الأسود المتوحشة من أن يقموا هم أنفسهم بين أنيابها .

٩ يوليو ١٨١٣ م :

منذ غادرنا لاتكو والأرض تصعد (بتشديد الصاد وفتحها وتشديد العين وفتحها أيضا) بنا ، فأصبحنا الآن فوق أرض عالية وعند طلوع الشمس كان الترمومتر يشير الى رقم 26° وكان الجليد يبلغ نصف بوصة سمكا . ولما كانت الماشية شاردة بين الشجيرات فأننا لم نستطع مغادرة المكان قبل الساعة العاشرة وقد أخذنا معنا في عرباتنا الجاموسة التي اصطدناها بالأمس فلم تكن الأسود ولا اللبؤات قد اكتشفت مكانها . وكان الماتشابى Matchapees قد قطعوا الى قطع . وفي الساعة الحادية عشرة وصلنا الى بركة ماء صافية فسميناها نبع نيوتن Newton Fountain في يوم ذكرى الراحلة القديسة ماري وولنووث Woolnoth وكان ثمة عدد من الممرات تؤدي الى ماء البركة مما يدل على أن الجاموس البرى يكثر التردد عليها . ولاحظنا وجود دخان يتصاعد على البعد ناحية الشمال نتيجة اشتعال الحشائش الجافة . وصفير الماتشابى يشبه كثيرا شدة الطيور حتى أنني لم أكن أكاد أميز بين صفير هؤلاء وشدة أولئك . درجة الترمومتر ظهرا = 60 وفي الظهر رأينا عدة قطعان من الظباء الأفريقية (القوقز - بفتح القاف وتسكين الواو) والتقى عدد من رجالنا مع بعض البشم

الجوالين الذين يبدو انهم هددوهم . ورأينا التلال البعيدة الى الشرق وكذلك رأينا سهلا لا يبدو له على مدى الرؤية نهاية في معظم الاتجاهات واسمه سهل بوج Bogue . وفي الساعة الخامسة وصلنا الى قرية بضمن البوتشوانا a Bootchuana Bushmen وبدأت قرية بائسة في الغاية من البؤس . وتسمى قرية ماراباي Marabay نسبة الى نبع ماء وافر ومجرى مائي ممتاز يحملان الاسم نفسه على بعد مئات قليلة من الiardات . وعند هذا النبع أعدنا موضع اقامتنا طوال الليل . وكان الناس حذرين منا ولا يدرون ماذا يفعلون ازاءنا اذ يبدو أنهم لم يروا عربات تجرها الدواب أو رجالا بيضا قبل ذلك . وكانت القرية تتكون من عشرة أكواخ يأخذ شكل الواحد منها شكل الفنجان المقلوب .

وهنا سجلت أسماء الماتشابي Matchapees الذين صحبونا كمرشدين الى مالايتسي Malapeetsee :

١ - ماروماشينا Maromechina والاسم يعنى رمح القرية وهو ابن عم ماتيبى Mateebe وهو الشخص الذى تعاقدنا معه كمرشد أما الآخرون فاصطوبوه كحراس له أثناء عودته .

٢ - ماشانو Machanoo ، والاسم يعنى سقف الحنك (سقف الفم) ، وسبب تسميته بهذا الاسم أن أباه كان يفضل أن يأكل هذا الجزء (سقف الفم) من أية ذبيحة تذبح .

٣ - تاو وتعنى الأسد .

٤ - ليرا Leraa وتعنى الزعيم أو المغوار فى فرق من اللصوص .

- ٥ - تشهوفر Tchehevre وتعنى المجنون .
- ٦ - انكواجى Inquagee وتعنى الشوكة .
- ٧ - الكاروسو Carosooe وتعنى الأحشاء أو الأمعاء .
- ٨ - ميونستوى Meoonstwee وتعنى الأسود .
- ٩ - أوميورى ، وهو اسم أنثى وسميت بهذا الاسم لأنها ولدت عندما عاد ميترى Materee من جملة استمرت عشرة أشهر ضد الأومبورى وغيرهم .
- ١٠ - سيريبال Seerebaal طفل منبوذ وهو ابن المرأة آنفة الذكر أومبودى .
- ١١ - سينيهاى Senehai وتعنى من لا وطن له وكلاهما (سيريبال وسينيهاى) يدل أسماهما على ظروفهما الحالية فقد تخلى عنهما أبوهما وقد أحضرناهما الى كلارووتر لمساعدتهما على التماس أسباب الحياة .

١٠ يوليو :

وجدنا ثلجا فى المياه هذا الصباح . وفى الساعة الحادية عشرة غادرنا نبع ماراباى Marabay (★) وسرنا محاذين شاطئيه فوق صخور مسطحة وكأنها مسفلة حتى التقى بنهر يجرى قادما من الشمال الغربى ونتج عن هذا الالتقاء تكون مجرى واسع . وقد سمينا هذا النهر الواسع الذى تكون بعد هذا الالتقاء باسم نهر أروسميث Arrowsmith River . أشار الترمومتر فى الظهيرة الى ٦٨ ، وواصلنا المسير حتى الساعة الثانية ظهرا فى اتجاه

(★) استخدم المؤلف Malabary Fountain ، والسياق يشير الى انه يقصد مجرى مانيا صغيرا - (المترجم) .

الجنوب الشرقى ثم دخلنا واديا ضيقا طويلا فاتخذ طريقنا
 اتجاها جنوبيا . وفى الساعة الخامسة عبرنا النهر من موضع
 صخرى عميق ، كان جافا ، وان بدا أنه استقبل مياه
 وافرة فى الموسم المطير . وقتلنا حيوانا جميلا من حيوانات
 الكواشا quecha غير بعيد عن النهر ، ورغم أنه من فصيلة
 الحصان ، الا أن اصطياده جعل الماتشابى Matchapee
 راضين مسرورين لأن لحمه مستساغ المذاق ، واندفعنا فى
 سفرنا هذا طوال النهار آملين أن نصل الى مالايتسى
 Malapeeze ليلا ، فنتمكن من قضاء يوم السبت فيها
 لكننا وجدنا ذلك محالا فتوقفنا بين الشجيرات غير بعيدين عن
 مصدر ماء غير وافر .

● ١١ يوليو :

● الوصول للكافير الحمر .

● غطاء من القذارة وبقع حمراء .

ولما علمنا أننا قد نصل مالايتس فى غضون ساعتين
 بكرنا فى الانطلاق للأمام فى حوالى الساعة الثامنة صباحا ،
 فعبرنا السهل باتجاه جنوبى شرقى نحو مخرج الممر عبر
 التلال التى تفصل بين بلاد البوتشوانا Bootchuana
 وبلاد الكورانا Corranna ، وعلى بعد حوالى ميل مما
 أسميناه ممر ولبرفورس Wilberforce pass وجدنا حوالى
 مائة شخص من أهل Lattakoo كانوا قد غادروها بمدنا
 مباشرة ، وكانوا قد سلكوا طريقا مختصرا عبر التلال .
 وكان الهدف هو جمع جذور نبات الأونش Ounches
 التى يأكلونها . وقد ناموا بين الشجيرات طوال الليل رغم
 أن البرد كان شديدا . وقد بدوا سعداء لأنهم رأونا مرة ثانية
 وسرعان ما بدأوا تجارتهم القديمة فتسولوا منا النشوق

والتوباكو ، وعند مخرج الممر بالضبط وصلنا لقرية صغيرة يقطنها الكافير الأحمر Red Caffres الذين انسلوا الى التلال خلف قريتهم (كرال) بمجرد اقترابنا لكنهم عندما عرفوا أننا بصحبة بعض الماتشاي هبط الرجال من قمم التلال ، ثم هبطت النسوة أيضا بعد أن نادى الرجال لهن . كان منظرهم بأثسا البؤس كله وراحوا ينظرون إلينا بدهشة ومساكنهم منخفضة حتى ان المرء لا يراها من خلال الشجيرات الا اذا اقترب منها كثيرا ، ويبدو الكوخ كنصف بيضة دجاجة وله فتحة لدخول الهواء لكنها غير ملائمة بالمرّة في الموسم المطير الا اذا كان قاطن الكوخ قادرا على حماية ما بداخل الكوخ من العاصفة .



● صفحات التاريخ وجهود الهداية :

وبالنسبة للرجل المسيحي الذي يجد من المحتم عليه أن يقضى أيامه في تخليص هؤلاء الناس من بؤسهم في هذه الأرجاء القصية من أفريقيا فانه يمثل أفضل الأعمال الخيرية النبيلة التي يمكن أن تسجلها صفحات التاريخ ، ان الله قادر على تهيئة مثل هؤلاء الرجال وقادر على أن يبارك جهودهم . فهوؤلاء البشر (الكافير الأحمر) تغطيهم القذارة مختلطة ببقع من طلاء أحمر . انهم يبدوون وكأن الواحد منهم لم يستحم منذ ولدته أمه . وبعد أن سرنا في الاتجاه الشمالى الشرقى ثلاثة أميال فى ممر ولبرفورس Wilberforce دخلنا ميدانا ذا طابع رومانسى شكلته التلال وكان مغطى بشكل جذاب بالشجيرات التي تناثرت هنا وهناك ، والى الشرق منه تقع مدينة مالابيتزى Malapeetzee التي كانت هي هدفنا منذ غادرنا لاتاكو .

مدينة مالايتزى

مقابلات مع أهل المدينة - رأيهم فى مقتل الدكتور كوان

مالايتزى اسم مكان بالقرب من نهر ماكاراب Makarab
لكن شعب كورونا Coronna معروف باسم قرية تيبوس
Tybuss Kraal ، وأيضا باسم قرية ماكهولويانك
Makholoyenk . لقد نظرنا إلينا السكان بخوف ودهشة ،
فوقفوا فى جماعات وراحوا يرقبوننا من بعيد لبعض الوقت
بعد وصولنا وأخيرا التقينا بالناس لنخبرهم بهدف زيارتنا
حتى نطمئن بالهم ومضى بعض الوقت قبل أن نستطيع معرفة
زعيمهم ، ففى البداية قالوا انه لا زعيم لهم ثم ما لبثوا أن
قالوا ان زعيمهم شخص يسمى تيبوس Tybuss لكنه ليس
موجودا الآن بينهم ، ثم ما لبثوا أن قالوا أن أوكى Oukey
الذى كان حاضرا هو الزعيم فى غياب تيبوس Tybuss
فوجهنا الخطاب اليه وعرفناه بأنفسنا وهدف زيارتنا .

معرفة الله :

فأخبرنا الزعيم أنه كان لفترة عند نبع ريد Reed's
Fountain فى الوقت الذى كان فيه الارساليون هناك ،
وأنه سمع أن معرفة الله لا بد أن تكون متاحة لكل البشر ،
وأنه ظن أن قدومنا يبرهن على صحة ذلك . وبالنسبة له
فلا اعتراض لديه أن يعمل المبشرون بينهم ، لكنه لا يستطيع
الا أن يتحدث عن نفسه فقط فرغم أنهم يدعونه زعيما لهم
فقد لا يأخذون بمشورته . وقال : انه على سبيل المثال ،

فان ابن تيبوس Tybuss ومعه آخرون ذهبوا فى حملة مع وانكتزنس wanketzens ، وقد نصحتهم ألا يفعلوا ، ومع هذا فقد ذهبوا وقتلوا ، واستمر قائلا : « انهم أناس منقسمون . أنت ترى انهم لن يقولوا ما يفكرون فيه » فقلنا اننا لا نضغط لسماع أى اجابة فى الوقت الحالى فلهم أن يتشاوروا معا ، ويعطونا رأيهم واجابتهم غدا ، الترمومتر ظهرا : ٧٢ .

البوق والبزة العسكرية :

وبينما كانوا يجلسون أمامنا لاحظنا بوقا فضيا فى مقدمة شعر واحد من ساداتهم ، فاستنتجنا أن هذا البوق لابد أنه يخص البزة العسكرية للدكتور كوان Cowan أو اللفتينانت دينوفان Denovan . فكلف السيد ريد Read واحدا من رجالنا بمقايضته بالتوباكو ، وقال الرجل انه حصل عليه من قبيلة (شعب) الى الشمال .

ال صلاة :

وعقدنا اجتماعا تعبديا فيما بيننا وفى المساء تقابلنا مع السكان لتعليمهم وتحدث اليهم السيد اندرسون عن طريق المترجم .

١٢ يوليو :

الترمومتر عند الشروق : ٣٢ . يوجد خمسة وستون كوخا ، أما السكان فحوالى ثلاثمائة ، وثمة ألفى بقرة هنا وأبقار أخرى كثيرة فى محطتين (مركزين) آخرين . وهم

يكادون يعيشون تماما على مواشيهم خاصة ما تدره من حليب
فليس لديهم بعد حلب الماشية الا أعمالا قليلة .

واختلف الأخان :

وهما : لينكس وأبى Abby وقد اختلفا فانفصلا ، وتبع
بعض الناس أحدهما وتبع آخرون ثانيهما . وأولئك
الموجودون حاليا فى مالا بيتزى قد تعلقوا بالأول (لينكس)
الذى مات ، ولكن أبى استمر على رأس عدد من القرى
Kraals فى الشمال الشرقى .

الوفرة وتواضع التطلعات تؤدي للكسل :

وبشكل عام فهم ليسوا طوالا جدا ، وليسوا سودا جدا
كالماتشابى Matchappees ولا يدهنون أجسامهم كثيرا
ولا يرشون عليها المساحيق كثيرا أيضا مثلهم (مثل
الماتشابى) كما أنهم ليسوا ماهرين فى الحرف فهم يحصلون
على رماحهم ومغاطفهم من الماتشابى ، فلباس الرجال
والنساء يتشابه كثيرا مع لباس الماتشابى ، ويبدو من ملامحهم
أنهم يتسمون بالنشاط لكن وفرة قطعانهم وقلة ما يطلبونه
جعلتهم كسالى . وقد أخبرنا أوكى أنهم ينوون الانفصال
حالا . ولكنه هو وأصدقائه قد صمموا على البقاء فى
مالا بيتزى Malapeetzee

شرح تعاليم الانجيل :

واجتمعنا بالناس حوالى الساعة التاسعة صباحا وحضر
معظم الناس هذا الاجتماع وتحدث اليهم السيد ريد Read

عن طريق المترجم وقدم لهم ملخصا لتعاليم الانجيل فاستمعوا اليه باهتمام باد ، وبدوا مسرورين بغنائنا ، وبعد ذلك اجتمعنا بهم مرة ثانية لمناقشة رأيهم في قبول مبشرين بينهم وقد كانوا حذرين في التعبير عما في صدورهم ، وعلى أية حال فقد قال بعضهم انهم سيكونون سعداء اذا أرسلنا لهم من يعلمهم وقالت امرأة من الكورانا Coranna من جماعتنا ان النساء كن مختلفات مع الرجال ، واعترضن عليهم منكرات أسلوبهم في عدم الافصاح عما في ضمائرهم بوضوح وقلن لأزواجهن ان قدوم من يعلمنا هو أمر كئنا نتوق اليه منذ وقت طويل ، ولا شك أن الارساليين سيلقون ترحابا .

حل مشكلة اللغة :

وقد أبدى العم ماتيبى Mateebe - الذي يعيش هنا - اعتراضا لمجيء الارساليين لأن عدم قدرتهم على الحديث باللغة المحلية ستجعل من مجيئهم أمرا لا فائدة فيه ، فقلنا ان هؤلاء الارساليين يمكن أن يكونوا شبابا صغار السن فيمكنهم بذلك أن يتعلموا اللغة المحلية بسرعة ، وقبل أن يتعلموا اللغة المحلية يمكنهم أن يذكروا كثيرا من المعلومات عن طريق المترجم . فاقتنعوا بهذه الاجابة .

التحقيق في مقتل الدكتور كوان :

ولما سألناهم عن الدكتور كوان وجماعته قرروا أنهم كانوا في حملة ضد قرية (كرال) المكراكا Makarkka وأنهم رأوا هناك عددا كبيرا من السكاكين وكتيفة epeulette (نسيج مقصب على كتف سترة عسكرية) وقالت لهم إحدى النساء هناك أنهم استولوا أولا على خرافه - أي خراف الدكتور كوان - ثم هاجموا عرباته وأحرقوها وكانت

البنادق مع ماكايا Makkaba وأنهم سمعوا عن هذا الخبر منذ فترة طويلة ، وقالوا ان ماكايا منذ فترة مضت جمع الناس من مختلف القرى وراح يفخر بأن أباه المحارب العظيم لم يهزم الناس بالبنادق أبدا لذا فإنه أحضر الدكتور كوان الى أهل وانكنزى Wankenze (الوانكنزيين) ليقتلوه ، وقد اشترك هو نفسه فى عملية قتله .

وقطعت النسوة الأزرار :

وقد قال مرشدونا الذين أتوا معنا من لاتاكو Lattako انهم كانوا فى الحملة ذاتها وأنهم رأوا ملابس الدكتور كوان وكثيرا من السكاكين والشوك والملاعق والبنادق . وقد أحضر رجل اسمه تو Tow الى لاتكو عبادة ليلية خاصة بأحد الفلاحين البيض ، وأن هذه العبادة لازالت هناك (فى لاتاكو) وقد سمعوا أن عربات الدكتور كوان قد تم احراقها وأن خيوله قد قتلت وأن النسوة قطعن أزرار ملابسهن ، أما خرافه وثيرانه فلازالن موجوده فى مواضع مختلفة .

وفى الساعة الثالثة استأذنا من أصدقائنا الثمانية من الماتشابى الذين كانوا قد صحبونا كمرشدين من لاتاكو . وجملناهم تبليغ احترامنا لماتيبى Mateebo وقت كافاناهم على جهدهم بأن قدمنا لكل منهم قليلا من التوباكو فسعدوا بذلك كثيرا . واستبدلنا بهم مرشدين آخرين من الكورانا Coranna لأن هذه الأنحاء من أفريقيا لم تكن معروفة لأى من جماعتنا . وكنا قد سمعنا عن نهر مالالار Malalareen وعلمنا أن كثيرين من البشمن يعيشون على ضفافه ، ورأينا أننا لو تتبعنا هذا النهر (المالاارين) فإنه سيؤدى بنا الى النهر العظيم لذا فقد طلبنا من مرشدينا الجدد (الكورانا)

آن يصحبونا الى هذا النهر ، ولهم بعد ذلك الحق فى أن يعودوا الى مالا بيتزى . وقد أهدانا أحد الزعماء (الشيوخ) عنزا وعندما أحصينا خرافنا وجدنا أجدها ناقصا ولم نمل الى رأى القائل انه سرق ، فهو فى الغالب قد شرد .

● مغادرة مالا بيتزى

● رؤية نهر مالا لارين

● قرية (كرال) الماكونا

● السفر على طول المالا لارين

● الوصول لقرية الجريكو Griqua

بعد أن استأذنا من السكان الذين تجمعوا جميعا لرؤيتنا ونحن نغادر مدينتهم ، اتجهنا جنوبا فى منطقة مكشوفة تحفها التلال من الشرق والغرب ، وكان سفرنا بشكل عام فوق أرض صلبة صخرية كانت هى الأشد صلابة خلال رحلتنا كلها . وكان مما يدعو للدهشة أن عرباتنا لم تتحطم ، وظللنا نبحث عن الماء حتى الساعة التاسعة ليلا دون جدوى حتى هبطنا فوق الصخور الى واد صغير تحفه التلال كان فى باطنه بطن صخرى لنهر ، لكننا لم نجد فيه ماء فتوقفنا هنا لقضاء الليل .

١٣ يوليو :

زعيم البشمن يهدد برمحه :

عند شروق الشمس غادرنا مأوانا هذا وصعدنا تلا يقع مباشرة خلف هذا الوادى فلما وصلنا القمة سعد النظر برؤية

واحد من أكثر المناظر جاذبية في أفريقيا ، تلال مزدانة
قممها بالأشجار ووديان تحاكي أجمل حدائق انجلترا لكن
ما زاد من بهاء المنظر في عيون ثلاثين من الرجال العطشى
هو تموج نهر المالاارين أمام التلال . وكان هناك أيضا
منظر الغابات البعيدة . والحشائش الذابلة بين الشجيرات
كل هذا جعل هبوطنا من فوق التل عملا مبهجا . وراح بعضنا
ينظر للبعض الآخر كما لو كنا سندخل عالما جديدا . لقد
كانت المنطقة التي نحن بصدد دخولها تختلف كثيرا عن
المنطقة التي غادرناها خلف التل . وفي التاسعة صباحا
اقتربنا من قرية (كرال) بشمينة ليس فيها الا عدد قليل من
الأكواخ . وافترض البشمن أننا أعداء أتينا لشن هجوم
عليهم فأسرعوا يتجمعون تجمع الحرب ولوح زعيمهم برمحه
مهددا وقفز عاليا في الهواء لارهابنا فأشار رجالنا الذين
كانوا في المقدمة أننا أتينا كأصدقاء وأقنعوهم أثناء
اقتربهم أن ينحوا قسيهم وسهامهم المسمومة ، أما النساء
البشميات فقد اختبأن في الأكواخ .



نسوة البشمن يفزعن عند رؤية الرجل الأبيض :

وبعد أن تناقشنا قليلا مع الزعيم الذي كان اسمه
ماكون Makoon خطوت جانبا لأكون قريبا من كوخه وانحنيت
لأرى ما بداخله لكن الفرع الذي انطبع على ملامح زوجته
عندما رأياني لا يمكن أن ينسى ، لقد كان الأمر وكأنهما
رأيا أسدا أو نمرا ، بل لو أن ذلك حدث بالفعل لما كانا

فزعنتين بالقدر نفسه الذى فزعنا به عندما رأينى . ولأجذب انتباههن وأستميلهن أخرجت ساعتى ، وفتحتها (★) وعرضتها أمام الجميع ليلاحظوا حركتها .

الساعة المربعة :

وسرعان ما خلصوا الى أن ساعتى هذه هى فى الحقيقة حيوان حى ، وأن عرضى بأن أقربها من آذانهم لسماع دقاتها ، ما هو الا عرض خبيث لالحاق الضرر بهم بواسطة هذه الساعة (الكائن الحى الضار) فأغلقت المراتان البشميتان باب الكوخ هروبا من الساعة . ولما رأيت أن رعبهما ليس مجرد تكلف أو تظاهر وانما هو رعب حقيقى تركتهما وحملت الساعة مفتوحة للزعيم ماكون Makoon فحملك فيها هو وشعبه - من مسافة قريبة - بخوف ودهشة . ولما عرضت عليه أن أضعها قرب أذنه انكمش متراجعا ، لكنه رغب فى أن يظهر شجاعته أمام شعبه فاستجمع كل شجاعته وقرر أن يستمع الى دقات الساعة . فلما رأى الناس أن الزعيم لم يصب بسوء بعد أن وضع الساعة قرب أذنه أراد كل واحد منهم أن يستمع لدقاتها ، وظلت عيونهم لبعض الوقت معلقة بهذه الظاهرة العجيبة ، ثم قدمنا لهم هدية من التوباكو ، وكان هذا بالنسبة لزوجتى الزعيم اغراء لا يمكن مقاومته فخرجتا من الكوخ واقتربتا منا لتستجديا التوباكو مثل غيرهن ، وأمام اغراء التوباكو سمحتا بتقريب ساعتى من آذانهما وهما جالستان تدخنان .

طول زوجة الزعيم أربع أقدام لا غير :

لقد كانت زوجتى الزعيم قصيرتين ، لا يزيد طول الواحدة منهما عن أربع أقدام تقريبا ولم يكن بهما أدنى

(★) من الواضح أنها ساعة جيب ذات غطاء .

تشوه وكانت كل واحدة منهما تربط فوق ظهرها طفلا صغير
الحجم جدا ، ولم تسمع زوجتا الزعيم أبدا عن كلاروتز أو
عن الارساليات التبشيرية .

البشمن يريدون معرفة الله :

وشرحنا للزعيم ماكون الهدف من زيارتنا لبلاده
وأقنعناه أنه يمكننا أن نقول له أشياء كثيرة مفيدة له
ولشعبه خاصة فيما يتعلق بالله : (سبحانه وتعالى) the Being
الذى خلقه وخلق شعبه وخلق الشمس والقمر والجبال
والأشجار ، انه (أى الزعيم) اذا وافق فإننا نرسل له - من
بلاد بعيدة - شخصين ليعلمنا شعبه هذه الأشياء . وكانت
اجاباته مختصرة لكنها شاملة ومتفهمة ، ومن ذلك قوله :
« سأكون سعيدا اذا أتى الى بلادى من يعلمنا ما لم نعلم »
وأضاف قائلا : « ان هناك خلقا كثيرا يتبعنى » وأشار بيده
الى الشرق وقال : « اننا بشمن مسالمون ، وكان أبى مسالما
وكان جدى كذلك أيضا . » انهم لم يسرقوا أبدا أى شىء من
جيرانهم » ولىشجعنا على ارسال معلمين لشعبه قال : « ان
لدينا طرائد كثيرة وماء » .

دهان الوجه بالحمرة لارهاب العدو :

وكانت وجوه بعضهم ملطخة باللون الأحمر بشكل مربع
وربما فعلوا ذلك لارهابنا اذا تبين لهم أننا أعداء .

دعم الكنائس :

وتوقفنا هنا الى جوار النهر حتى حوالى التاسعة
والنصف . ويسميه البوتشوانا مالالارين Malalareon

ويسميه الكوراننا هو Ilhou ويسميه آخرون القلب the Heart . لقد كان قدرا فريدا ذلك الذى قادنا الى حيث زعيم كل البشمن على النهر ، فلو أننا كنا قد عبرنا التل فى منطقة أبعد بنصف ميل فقط لما اكتشفنا وجود قرية (كرال) البشمن وبالتالى لم نكن حققنا الهدف من زيارتنا لهذه البقعة الأفريقية التى لم يكتشفها أحد قبلنا . انه أمر الله ، وبشارة طيبة لهؤلاء البشمن البؤساء ، وماكون رجل ماهر بشكل جلى بدا لنا لا يفتلك شيئا الا معطفه الجلدى الذى يغطيه وقوسه وسهامه . ان الارساليين الذين سيعملون هنا بين هذا الجنس البشرى اليعيد تماما عن حياة التجضر يستحقون الشكر والدعم من كل الكنائس المسيحية .

قطيع الزراف :

وفى الساعة الثانية والنصف استأذنا الزعيم ماكون وشعبه وعبرنا نهر المالاارين عند البقعة التى رغب الهوتنتوت أن يسموها قلعة الميشر . وكان اتجاهنا بعد ذلك جنوبيا وأحيانا جنوبيا غربيا وقبل الغروب بقليل أطلق رجالنا النار على قطيع من الزراف كان ارتفاع الزرافة منه - كما قدروا - حوالى ثمانى عشرة قدما ورأيت القطيع وهو يفر هاربا . لقد بدت الزرافة حيوانا ضخما لكننى لا أستطيع تقدير ارتفاعها لأننى رأيتها على البعد الا أنها على أية حال أكثر الحيوانات التى عرفت ارتفاعا . وفى الثامنة صباحا توقفنا على شاطئ المالاارين فى ظل بعض الأشجار حيث وجدنا خشب وقود كثير ، وقرونا مختلفة لحيوانات برية . وزارتنا أسرة بشمنية كانت تقيم على مسافة غير بعيدة .

١٤ يوليو :

الترمومتر عند طلوع الشمس : ٢٧ °

غادرنا سهل فاندركب Vanderkemp . ظهرا حيث أشار الترمومتر الى ٧٦ ° . نهر المالالارين يجرى هنا متخذاً شكل قوس . ومن الطبيعى اننا واصلنا المسير الى الشرق . كان السهل عامرا بالطرائد ، وأطلقنا النار على أحد حيوانات الكنو Knoo فى حجم البقرة العادية وأعطينا جانباً من لحمه للكورانا السبعة المرافقين لنا كمرشدين من مالابيتزى . وبعدها غادرونا وكانت أسماؤهم كالتالى :

— كائين دى هارى Kaeen de-herree والاسم يعنى بهجة الشمس المشرقة .

— كورهى Korhee والاسم يعنى الحجر الأبيض .
— موكوى Mooquee والاسم يعنى رؤية الأشياء على نحو صحيح .

— شيبى Cheebëea

— كيسيشا Keissecha ، والاسم يعنى رئيسى

أو فى المقام الأول foremost

— تيون هافل Teoon havel والاسم يعنى الطليقة الطائشة أو الصيد غير الناجح .

— موكها Mookha والاسم يعنى النظرة الحادة .

عوى الذئب ثم هرب :

وكانت المنطقة فى الجانب المقابل أو الجانب الشرقى لنهر المالالارين تغطيتها الأشجار بشكل جميل ، وكانت التلال

البعيدة تحد المشهد ، وفي الساعة السابعة مساء التقينا بالنهر مرة أخرى وتوقفنا للمبيت • وسرعان ما شم ذئب رائحة أغنامنا فتسلل مقتربا الا أنه وجدنا أقوياء ومستعدين للقاءه فعوى ازاعنا ولم يفعل الا العواء ثم غادرنا • كان الليل باردا وأخشاب الوقود قليلة ، فجاهدنا أنفسنا لننام بسرعة •

١٥ يوليو :

الذرة بديلة للبن والفاصوليا بديلة للخبز :

الترمومتر عند شروق الشمس ٤٢ ، وكانت الرياح قوية وباردة • لقد نفذ ما معنا من شاي وبن ، وحاولنا أن نستخدم ذرة الكافير Caffre Corn (★) كبديل ونجحت المحاولة ولما كان يعوزنا الدقيق لعمل الخبز طوال الاسبوعين الماضيين ، فقد وجدنا أن فاصوليا (أو حبوب) البوتشوانا Bootchnau هي خير بديل ، أما بالنسبة للزبد فان زيول الخراف (لية - بتشديد الياء) اذا ما أعدت اعدادا جيدا كان لها مذاق الزبد الطازج • وأثناء السير على شاطئ النهر سقطت - تقريبا - فى حفرة من الحفر المغطاة التى يعدها البشمن لطرائدهم ، وكان من الممكن أن يكون سقوطى على مقدمة السهم الخشبى الحادة الذى يثبتونه فى قاع الحفرة • الترمومتر عند الظهر ٧٢ وهو الوقت الذى بدأنا فيه الاتجاه للجنوب الغربى ، وفى الساعة الواحدة ظهرا عبرنا المالا لارين وفى غضون نصف الساعة كان علينا أن نعيد عبوره مرة أخرى وفى هذه الأثناء اصطدمت احدى

(★) يبدو أن المقصود هو تحميص الذرة الذى يزرعه الكافير وطحنه كبديل للبن .
(المترجم) •

عرباتنا بشدة فى وسط النهر (فى موضع جاف) بسبب
انفراس احدى العجلات الأمامية فى حفرة ، وعلى أية حال
فقد تم سحبها بسلام بعد جهود مضنية قام بها الهوتنتوت
والثيران ، وعند غروب الشمس تقريبا اصطاد رجالنا واحدا
من حيوانات الكواشا Quacha .

الكواشا :

والفرق بين حيوان الكواشا الموجود فى شمال النهر
وحيوان الكواشا فى جنوب النهر يختلف اختلافا بينا . كلاهما
مخطط لكن حيوان الشمال خطوطه سوداء وبيضاء ، وحيوان
الجنوب خطوطه بنية وسوداء . ولا أستطيع أن أخاطر
بمحاولة معرفة سبب هذا الاختلاف . وبعد عدة ساعات من
السفر اختفى نهرنا الحبيب من أمام نواظرنا وبتنا خائفين
ألا نلقاه مرة أخرى وعلى أية حال فاننا وصلناه مرة ثانية
فى الساعة العاشرة .

الوحد والطاووس البرى :

الترمومتر (مقياس الحرارة) عند شروق الشمس :
٣٨ ، وعند الظهيرة : ٦٠ . وقد غادرنا موقعنا وواصلنا
السير عند الظهر ومررنا بأطراف تلال هامز Hammes Hills
على الجانب الغربى للنهر ، وسرعان ما دخلنا مكانا عميق
طينه تغطيه حشائش طويلة ذابلة وغاصت الثيران حتى الركب
فى هذا الوحد ، ورحنا - وكأننا نركب سفنا أثناء هبوب
العاصفة - نبحث عن أقرب ميناء ، فأسرعنا بالعربات بأقصى
سرعة حتى نصل الى أرض يابسة . وخلال هذا النشاط
الصاخب والسرعة ، بسبب الرغبة فى الخروج من هذا
الوحد - أطلقنا النار على طاووس برى يبلغ قياسه من طرف

جناحه الأيمن الى طرف جناحه الأيسر ست أقدام . وعبرنا الى الشاطئ الشرقى للنهر فى الساعة الثانية ظهرا فدخلنا سهلا مستويا جميلا سميناه أرض الملوك Kingsland ، وهنا وقعت واقعة مؤثرة .

الكنو يجرى مقطوع الساق :

أصيب واحد من حيوانات الكنو Knoo بكسر فى ساقه الخلفية فوق القدم بقليل نتيجة طلق نارى ، بينما كان يجرى ناحية غرباتنا حوالى ميل رغم قطع جزء من ساقه . وثوقف على بعد مائة ياردة من غرباتنا ليبعد عنه الكلاب التى بدأت تضايقه ، وكاد واحد من الكلاب يقع ضحية قزونه فهى قزون على شكل خطاف hocks وهو يستطيع دائما - بهذه القرون - أن يقتل من يريد ، لقد دافع عن نفسه دفاعا نبیلا لكن طلقة فى جبهته عجلت به ، لكن دفاعه عن نفسه بهذا الشكل المستमित لا بد انه حقق له الرضا ، وفى السهل نفسه قتلنا ظبيين (من طباء القوقز - بفتح القاف وتسكين الواو) .

يد تقطع اللحم وأخرى تحمل السهام السامة :

واقترب منا اثنان من البشمن - كان واضحا عليهما الخوف والجبن - بينما كنا نقطع لحم الكنو فأعطيناهم العمود الفقرى مكسوا باللحم فظهرت عليهما السعادة لكن عندما شرعا فى تقطيعه ظل كل واحد منهما يحمل سهامه المسممة وقوسه كما لو كانا غير آمنين على حياتهما فى وسط الغرباء الذين لم يظهر مثلهم قبل ذلك فى هذا الجزء من العالم .

وسقط الثور على جنبه :

وفى حوالى الساعة السابعة مساء التقينا مرة أخرى بنهر المالارين وحاولت عبوره بعربتى ففرست فى الطين

وسقط واحد من الثيران على جانبه وكانت سقطة مربكة فلم
نستطع اقامته . أشعلنا النيران لنتمكن من رؤية العوائق
فرأينا أن الشاطئ المقابل منحدر جدا بحيث لا يستطيع الثور
جر عربة والصعود بها ، وربطنا حوالى ستة عشر ثورا
بمؤخرة العربة وسحبناها للخلف الى الشاطئ بعد أن قضينا
ساعة فى قاع النهر ، لقد كنت مسرورا من أجل البشر
العاملين معنا الذين مكثوا فترة طويلة فى المياه ، وذلك
عندما رأيتهم يجمعون قدرا كبيرا من الأخشاب لاشعال النيران
ليستدفئوا ويجففوا أنفسهم ، وكان علينا أن نتجه نحو
الجنوب الغربى .

● الوصول للنهر العظيم

● وسلمنا من الأسود

١٧ يوليو :

وفى الساعة السابعة صباحا عبرنا النهر بسهولة . .
وفى الساعة العاشرة صباحا - بعد مرور وقت طويل التقينا
بالنهر مرة أخرى حيث قابلنا أربعة من البشمن الذين
أخبرونا أننا لم نكن بعيدين عن مصب النهر . وفى الساعة
الحادية عشرة لاحظنا ثيرانا ترعى على البعد وعرفنا بعد
ذلك أن أصدقاءنا فى كلاروتتر قد أرسلوها لراحة ثيراننا
المرهقة . وسرعان ما رأينا ثلاث عربات تابعة أيضا لهؤلاء
الأصدقاء الذين وصلوا هنا لاصطياد أفراس النهر Sea Cows
وفى الظهر وصلنا الى النهر الأصفر الذى يصب فيه
نهر المالاارين ، والنهر الأصفر أكبر كثيرا من نهر التيمز
وتزداد مياهه باتصال أنهار أخرى به ، ويعتبر مكان التقاء
الأنهار الأخرى به من أجمل البقاع وأكثرها جاذبية حيث

يكون النهر (★) وشاطئاه المستويان مغطى بالشجر (؟)
The river & its elevated banks Covered with trees.

ولم يسبق لأى رجل أبيض أن زار هذا الجزء من النهر
العظيم . مقياس الحرارة (الترمومتر) ظهرا : ٦٩ . وظل
سفرنا طوال النهار فى اتجاه الجنوب الغربى .

١٨ يوليو :

مقياس الحرارة (الترمومتر) عند الشروق : ٥٠ وعند
الظهر : ٦٨ . زارنا رجل من البشمن ومعه زوجته ،
وشاهدوا صلاتنا لكن بدا أنهم لم يهتموا بها كثيرا ، وبعد
أداء الصلاة ارتقيت ربوة منعزلة على شاطئ النهر ، كان
مدى الرؤية الى الشمال الشرقى والجنوب الشرقى ممتدا
واسعا . لقد كان ثمة احساس عميق جاء وقورا يجتاحنى
عندما فكرت أن عيني أوربى لم يسبق لهما أن مسحتا هذه
السهول والجبال والأنهار كما مسحتها عيناى ، واننى الآن
على بعد عشرة آلاف ميل من وطنى ، وعمق هذه الأحاسيس
العميقة والجادة والوقورة ، ذلك السكون الذى يغمر
المكان . . .

١٩ يوليو :

انظر الى عيني الأسد يبتعد عنك :

غمزت الحركة المكان قبل الشروق ، فالكمل يستعد
للرحيل ، وكان آدم كوك koko هو الوحيد فى جماعتنا
من يعرف الطريق الذى يجب أن نسلكه ، ولم تكن ثيرانه

(★) لا نفهم كيف يكون النهر مغطى بالشجر - (المترجم) .

جيدة نشطة ، لذا فقد تركناه يسبقنا على أن نسير في اثره
متبعين آثار عربته ، وفي الساعة الحادية عشرة صباحا
غادرنا مجمع النهرين (النهر الأصفر والمالارين) وسرنا
في منطقة صخرية ضارة بالنسبة للعربات . وفي الساعة
الثانية ظهرا افتقدنا آثار عربية كوك وسرنا بين صخور
سيئة في واد ضيق بين الجبال ، وعند الغروب تقريبا لاحظت
واحدا من رجالنا يقف بلا حراك لدقائق : ولما اقتربت
عرباتنا استدار وسار نحونا أقرب ما يكون الاستشارة
والهياج وعندما استفسرنا منه عرفنا أنه رأى على حين غفلة
أسدين . وقف كل واحد منهما ينظر للآخر حتى وصلت
أصوات جلبة عرباتنا فوق الصخور فسارا مبتعدين ، ولولا
أن هذا الرجل يمتلك الثبات الكافي الذي جعله ينظر مباشرة
للأسدين لكان قد تم تمزيقه اربا ، فما دمت تنظر لوجه
الأسد بثبات فانه لن يهاجمك (★) وأعلن انه أحس
بالاضطراب حتى قبل أن يرى الأسدين . لقد توقفت ثرائي
مرة واحدة وأبت أن تتقدم للأمام بسبب الارهاق ، وعلى أية
حال فانتا أجبرناها على التقدم قليلا بين الأدغال بعد جهد
جهيد ، وسرعان ما أصبحت الأدغال من الكثافة بحيث لا يمكن
اختراقها وأصبح الظلام شديدا واكتشفنا بعد جهد أنه
لا طريق للخروج من هذا الدغل الكثيف ، وعلى أية حال كنا
مضطرين للتوقف حيث كنا في الساعة السابعة مساء .
وأشعلنا نيرانا كثيرة وأطلقنا طلقتين ناريتين كاشارة لآدم
كوك لكننا لم نتلق ما يفيد انه سمعهما . وظهرت نيران
عظيمة على تل الى الجنوب لكن تبين أنها نيران أوقدها

(★) من الصعب - بطبيعة الحال - أن نؤكد هذا الكلام أو نفيه ، فهذه مهمة
الاختصاصيين في سلوك الحيوان - (المترجم) .

البشمن • وكنا نعرف أنه ليس من ماء قريب لأن النهر يتخذ شكل قوس فهو على بعد أميال كثيرة صوب الجنوب •

٢٠ يوليو :

الوصول للماء بواسطة استغلال غريزة الماشية :

اكتشفنا في ضوء النهار أننا وسط غابة تحيط بها الجبال من كل ناحية وبفضل حاسة الشم أو الحاسة الغريزية لدى الماشية وجدنا ماء في ركن بين التلال ، مقياس الحرارة عند الشروق : ٣٤ • جاءنا أربعة من البشمن وامرأة في الصباح الباكر وأخبرونا عن الموضع الذي يمكننا أن نحصل منه على الماء بعد ذلك • وفي الساعة التاسعة واصلنا المسير بالاستدارة حول طرف التل •

ملايين الأفدنة بلا صاحب :

وسلكنا الطريق الأيمن مرة أخرى ، ومررنا بكثير من أشجار القطط البرية التي ربما كانت تزرع بمساحات واسعة في هذا الجزء من أفريقيا لاستغلالها كمادة تجارية مهمة لا يعوق تصديرها إلا البعد عن البحر • ان ملايين كثيرة من الأكرات acres يمكن أن تكون تحت إمرة أى رجل يود استغلالها على أن يتحمل المشاكل الناجمة عن ادعائه ملكيتها • وقد رأى رجالنا الذين يسرون في المقدمة إحدى عشرة زرافة لكنها انسلت للنهر قبل أن تصل عرباتنا ، وفي الظهر توقفنا عند ماء رائع سميناه مجرى ستينكوبف Steinkopff

وفي الساعة الثانية ظهرا تقدمنا وسط غابة تحدها التلال التي كانت قريبة من أيامنا ، ورأينا طرائد مختلفة لم نصطد منها شيئاً رغم أنها كانت تتيح لنا مزيداً من اللحم •

وبعد الغروب مررنا بقرية من قرى (كرال) البشمن على مسافة يسيرة . وكانوا يشعلون النيران لكن أحدا منهم لم يقترب منا وهنا قابلنا رسولا يركب حصانا وكان يبحث عن آدم كوك ، وقد قدم هذا الرسول من إحدى المراكز outposts التابعة لكلا روتر وقد خاب أمله ، لأنه لم يجده معنا . وكان هذا الرسول مسلحا ببندقية وكان يأمل أن يلتقى بآدم كوك سريعا ، وقد أوقدنا مصباحا لنتمكن من التقدم للأمام قليلا ، وفي الساعة الثامنة وصلنا لموضع به كثير من خشب الوقود فتوقفنا وأشعلنا نيرانا كثيرة واستمتعنا جميعا بالدفع حول هذه النيران لأن برد الليل كان قارسا .

٢١ أكتوبر :

معركة الأشواك :

غادرنا المكان في الساعة الثامنة صباحا وأسرعنا بالتقدم للأمام لنصل الى الماء . لقد سببت الأشجار لنا أذى غير عادي خاصة هذا النو من الأشجار المعروف باسم توقف لحظة Stop-a-white (★) فقد أذى الثيران والعربان ومزق ملابسنا . لقد أمسكت بي إحدى هذه الأشجار بقسوة ولم أخلص نفسي منها الا بمشقة فما أكاد أتحرر من خطاف (شوكة) حتى تنغرس شوكتان (خطافان) في مواضع أخرى من ملابسى . وفي الساعة الحادية عشرة درنا حول قمة التل فأصبح طريقنا الى الغرب بين الجنوب الغربى ، وعند الظهر وصلنا لقرية من قرى كلار ووتر ولما سألت عن اسمها قالوا لي ان اسمها قرية كامبيل Campbell (★★) .

(★) يبدو أنها أشجار شائكة والاسم الذى أورده - من الواضح انه ذو طابع

بلاغى وليس الاسم الحقيقى - (المترجم) .

(★★) أى على اسم هذا الرحالة - (المترجم) .

جون كامبيل - ٢

كوريشين

KURREECHANE

في سنة ١٨١٩ م اهتم مديرو الجمعية الارسالية بلندن بالتقارير التي وصلتهم والمتعلقة ببعض المفاصد في محطاتهم (مراكزهم) في جنوب افريقيا فارسلوا الدكتور جون فيليب كامبيل لتقصي حقيقة هذه التقارير . وقد بقي فيليب في مدينة الكاب (الراس) كمستول عن محطات (مراكز) الجمعية اما جون كامبيل فواصل رحلته الى لاتاكoo lattakoo وهناك قرر ان يزور البوهوروست Buhuruste وان يبحث اوضاع الارساليات العاملة بينهم والنص التالي من كتاب :

Cempbell's travels in South African a 2nd Journey (Vol I Francis Westley(London, 1822).



... بعض الوقائع في رحلة من الماشو الى كوريشين .

٢ مايو ١٨٢٠ م :

أثناء الليل كنا نسمع أسودا كثيرة تجوس حول العربات وعند شروق الشمس في السادسة والنصف غادرنا المكان . كان الضباب كثيفا فتسببت أشعة الشمس في تساقط ما يشبه

المطر الخفيف ، وكانت الحشائش محملة بقطرات الندى ،
وتوقعنا أن نتناول الافطار على ضفاف نهر المولوبو Molopo
لكن كان من الصعب أن نتأكد من المسافة من أناس لم
يسمعوا أبدا عن الميل أو الساعة أو الدقيقة • وكان
اتجاهنا ينحو نحوا شرقيا • كانت التربة سوداء وكانت
الأشجار متناثرة فوق السهل المعشوشب ، وكانت بعض
الحشائش يبلغ ارتفاعها ثلاث أقدام وأربع • وفى الساعة
التاسعة وصلنا الى نهر المولوبو ، وهو آخر نقطة وصلتنا
عنها معلومات نتيجة استطلاعات السيد كوين Cowen
ودونوفان Donovan وجنود فوج الكلب الذين كانوا قد
عبروا النهر منذ أربعة عشر يوما • لقد كان عرضه - أى
النهر - عشر ياردات ، كما كان عمقه - فى بعض المواضع -
قدمين وكان بطن النهر صخرى إلا أن مائه كان رائعا حسن
المذاق ، ولا تنمو أشجار على أى من شاطئيه ولمسافة لا تقل
عن خمسمائة ياردة ، إلا أن البوص (الخاب) متوافر على
شاطئيه بكثرة ، وقال أهل البلاد ان منبعه الى أعلى غير بعيد
عنا ، ويتجه هذا النهر ناحية الغرب • وتوقفنا على شاطئه
الشمالى وكنا سعداء جدا بمياهه • وهذا النهر لم يرسم حتى
الآن على الخرائط المتداولة •

لاحظت أن ثيران التحميل التابعة لماروتزى Morootzee
كانت محملة بجلود الحيوانات التى اشتروها من تاماها
Tammaha فى ميريبوهوى Meribohwey • وكان من
المفهوم أن هذه الجلود قد جلبت ليقايعوا عليها مع الأمم
الواقعة الى الشرق من الماروتزى - فى اتجاه المستوطنات
البرتغالية •

وقد واصل الموناميت Munameets الرحلة كلها
سيراً على الأقدام ، ذلك لأنهم كانوا قد اشتكوا في المرحلة
الأولى من الرحلة من أنهم يعانون من رجرجة عرباتنا .

وغادرنا نهر المولوبو Molopo عند الظهر (درجة
الحرارة ٧٢ ، والسحب متناثرة) ودخلنا سهلاً ، وبعد فترة
وجدنا آجاماً (مجموعة من الأشجار) متباعدة بعضها عن
بعضها الآخر ، وبعد ذلك لم يكن ثمة شيء خلا الحشائش
تحيط بها الأشجار - بعيدة عنها بعداً شديداً وبين الحين
والآخر كنا نمر على أرض جرانيتية مسطحة وينمو العشب
حول كل بركة صغيرة ، وعندما كنا نسير بين الحشائش
الطويلة كنا نأخذ حذرنا تماماً مخافة الحيات المنتشرة في
هذه الأنحاء ، فالخطر الأكبر من الحيات في هذه الأنحاء
يكمن في وطئها وهي مختبئة بين الحشائش ، فانها في هذه
الحالة تلدغ من اعتدى عليها ، مع أنه فعل هذا بغير قصد
منه . وإشارة إلى مثل هذه الأحداث فإن السيد المسيح قال
لحوارييه السبعين الذين أرسلهم ليبشروا بالانجيل (لوقا -
١٠ - ٤٩) « انظروا ، اننى أعطيتكم قوة وطء الحيات
والعقارب ، ولن يصيبكم منها أذى » . وارتحلنا في سهل
بلا شجر فمكننا هذا من أن نلقى نظرة ماسحة شاملة على كل
قافلتنا ، وكانت هذه هي المرة الأولى التى يتيسر لنا فيها ذلك .
لقد كانت العربات والرجال والنساء والأطفال والثيران
والخراف ، وكل ما يكون حملتنا يمتد قرابة ميل - خمسة
وأربعون ثوراً من ثيران التحميل كل واحد منها وراء الآخر
يمتد طابورها مسافة كبيرة . وكان كل الرجال يحملون أسهما
والنسوة يحملن أطفالهن أو أشياء أخرى فوق ظهورهن وفوق
أكتافهن أو رءوسهن . ولما رأيت هذا المشهد لم أستطع

مقاومة الرغبة في أن تكون كل الارساليات التبشيرية هنا لتشهد
هذا المنظر الفريد : هوتنتوت وماتشابى Matchappees وتاما
Tammahe ومانسر Mashoas وماروتزى Marootzes ، انهم
جمع منباين في ملامحه وملابسه وادواته . . الخ .

ومررنا باثنين من حيوانات وحيد القرن (الكركدن)
يرعيان بهدوء على جانب تل صغير ، على بعد حوالى نصف ميل
الى اليسار . وأدركت أن بطن المسيل كان مغطى تماما
بالأحجار وبدا أن به ماء ، كما بدا كما لو كان قد تم نقيه
في أكثر من مكان بوسائل بشرية (ليست بفعل الطبيعة) .

وقابلنا ثلاثة من الماروتزى في الممر ، وكانوا قد
غادروا كوريشين Karreechane هذا النهار بهدف القيام
برحلة صيد قصيرة . وكان وجه قائد المجموعة the principal
man مطالبا بلون أكثر حمرة من أى حمرة أخرى سبق
أن رأيته على وجه أحد من الشعوب (الأمم) الموجودة فى
بقاع أكثر تطرفا نحو الجنوب . وعند ظهورنا نبههم كلبهم
بشدة حتى أنه جرى بسرعة بمجرد اقترابنا ، ولم يعد
الرجل الذى جرى فى اثره بينما كنا نتوقف . ولما غادرنا
الممر دخلنا واديا متسعا على نحو ملحوظ تحفه التلال ، ومن
خلال فرجة بين هذه التلال ألقينا نظرة خاطفة على المنطقة
الواقعة الى الشمال الشرقى ، وتطلعت اليها بشوق خاصة
اننى أعلم من خلال التقارير التى وصلتنا أن عددا كبيرا من
السكان يعيش فى هذا الاتجاه ولما فكرت فى مدى ما يمكن
أن تتركه رحلتنا اليهم من تأثير وجدت أننا بصدد الاقتراب
من عالم جديد .

وفى وسط الوادى وجدنا نهرا يجرى نحو الشرق
محدثا ضوضاء أثناء جريانه وبدأ انه يعوق تقدمنا نظرا
لعمقه وتحدّر شاطئيه تحدرا شديدا . لقد كانت حافة
الشاطئ عمودية ويبلغ ارتفاعها حوالى عشرين قدما وبعد
أن فحصنا المنطقة من أعلاها ومن أدناها ثبتنا فى موضع
قدرنا أنه يمكننا أن نمر خلاله بقليل من العمل ورحنا نعمل
بالقؤوس والمجاريف ولم يحدث لنا أثناء العمل حوادث
خطرة ، وكان علينا أن نصعد - بعد ذلك - الحافة المنحدرة
للتل والى تفصلها أحجار غير ثابتة ، وأشجار ، وبالقرب من
القمة أصبح الصعود أكثر سهولة واستمر كذلك مسافة
ميلين ، لكن سرعان ما وصلنا لسفوح تلّال عالية شديدة
الانحدار ، لقد كانت هذه التلال هى الأعلى والأشدّ تحدرا
منذ غادرنا الماشون Mashon ، بل انها لا تبلغ نصفها ،
وعلى أية حال فاننا اذا قسنا ارتفاعها من مستوى سطح البحر
فربما كانت مساوية فى ارتفاعها لأى جبال أخرى فى جنوب
أفريقيا اذ يبدو أنها - أى هذه الجبال - تشتمل على منابع
لأنهار تجرى غربا وأخرى تجرى شرقا وتصب فى المحيط
الهندي .

وفى الساعة الخامسة وصلنا لسفوح هذه السلسلة من
التلال ، وقدرنا أننا لن نصل الى قممها قبل الغروب .

وما كدنا ننصب خيامنا حتى جاءنا واحد من الموناميترز
Munameets بملامح مكتئبة ، وأخبرنا أنه يشعر بالخوف
فقد أصبح قريبا من الماروتزى Merootzee ولم نجد ما
تفسيره خوفا الا بأن ما قام به قبل ذلك من اراقة دم وقر
فى عقله ، تماما كما أحس قابيل بالخوف بعد قتله لأخيه
هابيل .

وقد لاحظنا شجرة من النوع الذى ينمو فى المستعمرة (مستعمرة الكاب the Colony) وتسمى هناك شجرة الكارو (شجرة العربى الكارو أو التى تجرها الدواب Waggon tree) ويقال انها لا توجد أبدا بعيدا عن المحيط الا بمقدار رحلة قوامها خمسة أيام أو ستة ، ووجدنا أيضا أشجار الخوخ البرى كما شاهدنا أشجارا دائمة الخضرة محملة بثمار غضة تشبه الكرز لكنها خضراء تماما . ورغم أننا الآن فى أول أسبوع من فصل الشتاء الا أن الحشائش وأوراق الأشجار تبدو كما لو كانت فى أول أسبوع من فصل الصيف ، التربة سوداء والأرض مكونة من طبقات كألواح الاردوز بدت للرائى من خلال الحفر التى سببتها الأمطار .

٤ مايو :

مر خمسة عشر رجلا من الماروتزى Marootzee فى الصباح فى طريقهم الى منجم أحجار الحديد iron stone وكانوا قد اخترقوا الممر الضيق الذى قدمنا منه . ويقولون انهم يصنعون من الحديد الذى يحصلونه السهام والسكاكين والخرز . الخ ويبادلون مصنوعاتهم هذه بأشياء أخرى ، مع جيرانهم من الأمم (الشعوب) الأخرى . ويحمل معظم الرجال شباكا ليضعوا الخام الذى يجلبونه فيها ، وهذه الشباك معمولة من حبال مجدولة من الحشائش أو السمار . وتوقفت كل مجموعة منهم لفترة وجيزة عند مرورهم بعرباتنا .

غادرنا المكان فى الساعة السابعة صباحا وصعدنا بالتدريج نحو سلسلة التلال الواقعة أمامنا نحو الشمال . وسرعان ما دخلنا فى المنطقة التى يمكن أن نسميها مرتفعات.

الماروتزى حيث أربعة مدقات (طريق لا يصلح الا للمشى على القدمين root paths) - أو خمسة تتخذ اتجاهها واحدا ومتوازية معا . وكانت متقاربة بحيث تتخذ شكل طرق الريف الانجليزى الفرعية وثمة ألواح حجرية فى اتجاه حافة المدق (الطريق) قد ثبتت فى الجوانب المنخفضة من الطريق . وكانت التلال مكونة من طبقات stratified وتميل ناحية الشمال . وكان الطريق (المدق) فوق التل مغطى بأحجار غير ثابتة بينها كثير من الأحجار التى تتخذ شكل درجات ، يبلغ ارتفاع الواحدة منها بوصتين أو ثلاث أو أربع ، وهى على أية حال ، لا تشكل عوائق تقدم عرباتنا . وكانت التلال على جانبى الممر جميلة فى ارتفاعها الشاهق وكانت مزدانة بأشجار مختلفة أنواعها . كان الصباح جميلا وكان المنظر بهيجا . وكانت الصخور التى تكون التلال ذوات ألوان برنزية وصفراء ، وهى ثرية بنخام الحديد .

وعندما غمرنا ضوء النهار أرسلنا عددا قليلا من الرجال ومعهم أدواتهم ليسبقوا وليتبينوا ان كان ثمة عوائق تعوق عرباتنا نتيجة كثافة الغابات ، ووجدنا انهم قد قطعوا أفرع بعض الأشجار وملأوا بعض الحفر العميقة وقاموا بتسوية أجزاء أخرى وأزاحوا أحجارا ضخما ، وعند قمة المنحدر وجدنا كومة من الأحجار الصغيرة تكونت نتيجة ما كومه العابرون ، فكل من يعبر يجمع بعض هذه الأحجار ويلقيها عند قمة المنحدر ، وهذه الكومة قصد بها احياء ذكرى ملك من أمة (شعب أو قبيلة) بعيدة لاقى حتفه فى مكان قريب وتم دفن رأسه ويديه فى هذا الموضع .

وقد سعدنا بالقاء نظرة شاملة من هذا الارتفاع على المنطقة الجبلية الواقعة الى الشمال حيث بدت التلال

والوديان مزدانة بالأشجار • وكنا مضطرين أثناء تقدمنا أن نبعد بين الحين والحين أفرع الأشجار حتى تتمكن عرباتنا من المرور حتى انه يمكننا القول انه كان علينا أن نشق طريقا في منطقة الماروتزى - بكل ما فى كلمة شق من معنى • لقد قضينا ساعة فى المرور بين تلين متواجهين عامرين بالأشجار المبهجة المختلفة أنواعها ، أما الأجزاء التى لا أشجار فيها فكانت تغطيها حشائش ذوات خضرة يانعة • وكان الجو صافيا ، وكانت الشمس مشرقة وقد أرسلت إلينا أشعتها الحانية • ولم يكن المنظر الذى نراه يفوق - بشكل عام - ما سبق أن مر بنا من مناظر ، غير أن إعجابنا بكل ما يحيط بنا مرجعه وصولنا الفجائى وغير المتوقع لنهر لوكووهاى Lukoowhi الذى كان بشاطئيه المنحدرين انحدارا شديدا ، وقاعه العامر العميق العامر بالطين بمثابة عائق هائل يعوق تقدمنا • لقد كان ارتفاع شاطئيه يتراوح بين أربعين وخمسين قدما ، كما كان الشاطئىء يتخذ شكلا عموديا ، وذلك باستثناء موضع واحد كانت ثيران الماروتسى تعبر غالبا منه • وكان عرض القاع حوالى عشرين ياردة ، وعندما سبرنا غور النهر وجدنا طينا لينا بعمق قدمين • وترددنا لبعض الوقت فى مسألة عبور هذا النهر لكننا عندما سمعنا أنه لا أمل لنا فى اكتشاف موضع غير هذا ، صممنا - بطبيعة الحال - على إتمام محاولتنا • وهبطت أول عربة من عرباتنا بسرعة وغرست فى الطين الذى وصل إلى محاور عجلاتها axle ، أما الثيران التى تجرها فقد وصل الطين إلى بطونها ، وعلى أية حال ، فإن الثيران قد نجحت - بعد بذل مجهود كبير - فى سحب العربة على النهر ، بل وسحبها حتى وصلت بها - صاعدة حافة الشاطئىء المقابل ، مع أنها

كانت مرتفعة شديدة الانحدار . وتم عبور المرتبتين
الأخريين بنجاح أيضا .

وعندما وصلنا الى الشاطئ المقابل لنهر لوكووهاى
LukooWhai ، تجلى أمامنا واد ممتد واسع ، وان كان
يصعد تصعدا جميلا ، وكانت التلال على جانبيه مكسوة
بالأشجار تماما كالتلال التى غادرناها لتونا ، وكان بطن
النهر الذى يسيل أدنى الوادى يتلوى كالثعبان مما سبب
بعض الأضرار لعرباتنا اذ كنا مضطرين لعبوره أكثر من
مرة . وفى حوالى الساعة الواحدة ظهرا وصلنا لمنبع هذا
النهر ، وكان مستوى ارتفاعنا عند منبعه مساو تقريبا
لارتفاع التلال المحيطة بنا لذا فقد كان انحدار النهر هينا
وئيذا ، فهو أقرب للاستواء منه للانحدار . والى الغرب رأينا
سلسلة من التلال تمتد من الجنوب الى الشمال وتواصل
امتدادها حتى تضيع أمام نواظرتنا فى الأفق ، وثمة سلسلة
أخرى من التلال تمتد أمامنا من الغرب الى الشرق ، وكان
المنظر العام يشبه الى حد كبير مناظر ولش Welch scenery
غير أن الأشجار هنا وكذلك الطيور والحشرات كانت
مختلفة تماما .

وكانت بعض الأشجار من نوع النخيل ، كما كانت
هناك أشجار أخرى تشبه أشجار البرتقال ، وأخرى تشبه
أشجار الخوخ وثمة نوع من الأشجار يبدو وكأن دقيقا قد
نثر عليه . وثمة شجرة جليلة جدا لها ورق كأوراق أشجار
الخوخ ، ويتخذ أهل البلاد من أخشابها عوارض لمساكنهم .
ويقال ان الفاكهة وافرة فى هذا الفصل لذا فالمدن خاوية
من سكانها فقد ذهبوا لقمم التلال لجمعها .

وفى الساعة الثانية ظهرا رأينا حقل قمح فى سهل ممتد
بالطول امتدادا كبيرا ، وأن كان عرضه لا يزيد عن ميلين أو

ثلاثة . ولم يمض وقت طويل حتى رأينا جانبا من المدينة
التي طال اشتياقنا لرؤيتها . لقد كانت تقع على قمة واحد
من أعلى التلال في هذا الجزء من أفريقيا .

والتحق بنا مولواى Moeelway وهو الابن الأكبر
لملك ماروتزى الراحل (رغم أنه ليس ابن الملكة الأساسية)
وكان معه شخصان آخران ، وكانوا جميعا فى طريقهم
للصيد . وكان مولواى طويلا حسن الخلقة معتدل الملامح
ويبلغ من العمر حوالى خمس وعشرين سنة . وقد عمل
كمرشد لنا حتى وصلنا للمدينة التي كانت تبعد زهاء خمسة
أميال .

وعندما وصلنا لحقل قمح أسرع الرجال والنساء
والصبية من كل حذب وصوب نحو عربتنا ، لقد راخوا
يحملقون كما لو كانوا قد انتقلوا فجأة إلى عالم آخر
جديد . لقد اقترب الرجال من العربات بينما بقيت النسوة
بعيدا شيئا ما ، وتجراً أجروهم فاقترب كثيرا ، لكن ضجوت
السياط التي هوى بها سائقو الشران التي تجر العربات ،
كانت كافية لجعلهم يجرون مبتعدين وكأنما تطاردتهم
الأسود .

ووصلنا إلى تل ، صعوده صعب وكان مغطى بأحجار
ضخام رغم انحداره الشديد ، وكان يقع إلى الشرق من حقول
القمح ، وربما كان الهبوط منه أشد صعوبة ، إذا كان
هبوطه — من الأصل — ممكنا . وكانت كل صدمة للعربات
فى صخرة من هذه الصخور تعطى إحساسا غير مريح ، فقد
كنا ندرك جيدا أهمية الاحتفاظ بالعربات سليمة فى منطقة

نائية كهذه وبعيدة عن أى مكان يمكن اصلاحها (أى العربات) فيه .

وكان السهل الذى هبطناه بين التلال ، وفيه تقع المدينة وسرعان ما امتلأ بالبشر ، انها سيول بشرية - ان جاز التعبير - راحت تهبط من التلال من كل اتجاه . وكان من الصعب أن نسحب العربات الى التل أمامنا ، فوجهناها لتسير فى طريق دائرى آخر ، بينما راح عدد منا يصعد مدقا (ممرا ضيقا) صخريا ، شاق صعوده ، بين بشر من مختلف الأعمار راح الواحد منهم يزاحم الآخر ويدفعه ليتمكن من القاء نظرة خاطفة علينا . ووصلنا للمدينة فى الساعة الرابعة عصرا بالتمام .

وعند وصولنا الى كوريشين kurreechane رحلنا نتشاور - فى البداية - فى ساحة مكشوفة ورغبنا أن نستريح فوق مصطبة طينية ترتفع عن الأرض حوالى ثلاث بوصات . وبعد جلوسنا بدقائق قليلة محاطين بجموع كثيرة من الناس بدوا قلقين لرويتنا - قدم مبعوث ليتناقش معنا ، فقمنا فى الحال وتبعناه . وكان الطريق الذى سلكناه مزدحما عن آخره بالناس ، وأسرع من بقوا فى بيوتهم الى الوقوف أمام الأبواب لرؤيتنا . لقد كانت رؤية الرجل الأبيض مدعاة لضحك هستيرى ، لكن الشباب منهم كان تأثرهم يبدو فى شكل أكثر جدية فراحوا يصرخون وراحوا يختبئون فى أول مكان يصادفهم يمكن الاختباء فيه ، وأصابهم الرعب والفرع لقد كانت الجلبة عنيفة صاخبة لكنها كانت ملائمة لمثل هذه المناسبة .

وقادنا المبعوث الى باحة واسعة مشورة بالأحجار فيما عدا البوابة التى دخلنا منها . وكان يوجد عدد من أعمدة

اللقوية يبلغ ارتفاع الواحد منها عشر أقدام أو اثنتى عشرة قدما ، وكانت مثبتة فى الأرض ، فرغبنا الى المبعوث أن نجعل عرباتنا فى جزء من هذا المكان ، وبعد أن توقفنا زهاء ساعة أدخلنا عرباتنا وسط ضوضاء وجلبة ، ولأن البوابة كانت ضيقة فان عربتى قد أسقطت بعض الأعمدة الحجرية فوق الأرض ولم نتمكن من تمريرها الا بعد أن أنزلنا من فوقها الأخشاب التى كنا جمعناها لنستخدمها كوقود . وقد أثار الحصانان دهشة الناس واستغرابهم تماما كما لو كانا فيلين فى شوارع لندن .

وبعد أن وضعنا عرباتنا وفقا لنظامها المعتاد ، وقفنا حوالى ساعة وسط زحام شديد ، طلبنا من الموناميت Munameets ان يسألوا عن مكان الملك ، ولم يمض وقت طويل حتى أخبرونا أن هناك ثلاثة أشخاص كانوا يقفون بالقرب منا ، هم اخوة الملك الراحل وأن أحدهم هو الوصى على العرش Regent وثمة آخرون كانوا وقوفا بالقرب منا وكان يشار لهم باعتبارهم أقرباء الملك . وأبدينا رغبتنا فى أن نذكر لهم هدفنا من زيارة مدينتهم . فقالوا ان هذا - وفقا لعاداتهم - لا بد أن يتم فى اجتماع عام حتى يسمع الجميع .

واقترحنا عليهم أن نذهب الى مكان مرتفع أشرنا اليه ، وذلك حتى نتمكن من القاء نظرة شاملة على المدينة ، وسرعان ما تم تعيين شخص ليدلنا على الطريق الى هذا المرتفع ، وعندما وصلنا دهشنا لاتساع المدينة . وكان لكل بيت من بيوتها سور حجرى ملائم وبين السور والمنزل تركت مساحة واسعة . وبعض البيوت كانت مطلية بالملاط من الخارج ومدهونة بالطلاء الأصفر . ولاحظنا بيتا مطليا باللونين

الأصفر والأحمر بطريقة تنم عن بعض الذوق - وكانت
ساحات البيوت (داخل الأسوار الحجرية أنفة الذكر)
مسوية بالطمى لتكون بمستوى الأرضية ، وكانت هذه
الساحات نظيفة ومكنوسة جيدا ومريحة - ومن فوق هذا
المرتفع أيضا رأينا سهلا تطوقه التلال ويبلغ محيطه حوالى
ثمانين ميلا أو مائة ميل - وأخبرونا أنه عامر بالفيلة
والجواميس البرية ، وأشاروا الى تلال مختلفة فى الجانب
الشرقى ، وقالوا انه توجد مدن كبيرة فى هذا الاتجاه -

★★★

وبعد أن تناولنا الافطار فى صباح اليوم السادس من
مايو ، صحبنا جالب المطر rain-maker الذى كان فى
مهمة فى لاتاكو Lattakoo لجلب المطر بينما كانت ارساليتنا
هناك - وذلك لنرى أحد الضواحي الكبيرة للمدينة على بعد
ميل حيث يقيم هو - وأثناء الطريق قابلنا موكتز Moketz
ابن سسينوزى Sinosee الذى كان قائدا أو نائبا للملك
alderman فى الضاحية (أو المقاطعة التى كنا ذاهبين district)
اليها -

لقد كان رجلا يبدو محترما وقد عاد معنا ، وكذلك
صحبنا ليكولنج Liqueing ومولوإى Moeelway وقد وجدنا
ضاحية (مقاطعة) سينوزى Sinosee مساوية تقريبا
لمدينة نائب الملك - وقد انتهى العمل فى بيت سسينوزى
تماما - لقد كان بيتا دائريا ككل البيوت الأخرى ولم تكن
جدراته مطلية بالملاط من الداخل والخارج فحسب وإنما كان
السقف أيضا مطليا بالملاط ، وكانت الجدران مدهونة باللون

الأصفر ومزخرفة بأشكال الدروع والفيلة والزراف . . الخ ،
كما أنها - أى الجدران مزدانة بافريز أحمر .

وقد أهدتنى زوجة جالب المطر صفيين من الخرز المعدنى
فأعطيتها مقابل ذلك خمسة أزرار معدنية ، لكننى سمعت
بعد ذلك أنها لم تكن راضية لأننى لم أعطاها خرزا بالاضافة
للأزرار ، فالهدية لا تعنى العطاء أو الهبة Gift فى كوريشين
وانما هى شىء مقابل شىء آخر يساويه .

وفى بعض البيوت رسوم وأعمدة . . الخ محفورة أو
مشكلة (منحوتة) فى الطين اليابس ومدهونة بألوان مختلفة
ومتقنة بحيث لا يتبرأ العامل الأوربى من أنه هو صانعها .
انهم حقا شعب بارع . ورأينا عندهم بعض الأوانى
الفخارية وملونة بألوان مختلفة بل ومصقولة ، وهم
يحفظون فيها الماء والحليب والطعام ونوعا من البجعة beer
من القمح ولديهم أيضا قوارير فخارية مختلفة الأحجام
ومتينة . وتتسم بيوتهم وباحاتهم بالنظافة ويشم المرء فيها
رائحة الخديد والنحاس معا .

رحلة

هنرى فاين

HENRY FYNN

شاكاه ملك الزولو

بعد أن عمل هنرى فاين كجراح مساعد فى مستشفى لندن ، هاجر الى جنوب افريقيا سنة ١٨١٨ م ، وعمل منذ سنة ١٨٢٢ م فى مزرعة سومرست الحكومية Somerset على نهر فىل الصغير : (نهر السمك الصغير Little fish River) . وعاد الى مدينة الكاب واصبح مسئولا عن جمولة احدى المراكب الشراعية وحيدة الصاري والتي كانت تتاجر مع منطقة خليج ديلجوا Delagoa ولما عاد للكاب التحق ببعثة تجارية مع ساحل النانال .

وكان اللغتناات فرئيسيس فارول Francis Ferewell - عند عودته من البحرية الملكية - قد اشترى سفينة وتاجر بين الهند وامريكا الجنوبية وقد غرقت السفينة فى ريودى جانيرو ، فعاد فارول الى مدينة الراس (الكاب) وهناك رخص سفينة بشراعين كانت تحت قيادة اللغتناات جيمس كنج كما عمل كضابط بحرى وقد قام من كنج برحلات تجارية ، وكان فارول يعتقد ان كميات الذهب والفضة التى تصل الى خليج ديلجوا Dingan قد جلبت من بلاد الزولو ، وقد اعاد هو وكنج الرحلة الى ميناء ناتال (بورت ناتال) وسانت لوشيا Lucius وعند عودتهما للكاب (الراس) قاما مع بترسون Peterson وهو مالك مكتب تاجير سفن ، ووالد زوجته بتأسيس شركة انضم اليها رحالتنا فاين Fynn الذى وصل بورت ناتال فى سفينة صغيرة وانطلق للاتصال بالملك شاكاه ملك الزولو ، وتمت رحلته سنة ١٨٢٤ م والنص التالى من كتاب :

J. Bird, Rnnals of Natal (p. Davis, Pietermaritzburg, 1888).

• • عندما وصلنا على بعد حوالى ميل من مقر الملك قيل لنا أن ننتظر تحت شجرة كبيرة حتى يصل المبعوثون الذين سيستدعوننى والسيد فارويل Farewell وبقية المجموعة .

لقد كان محيط القرية (الكرال Kraal) حوالى ميلين ، وفي الوقت الذى دخلنا فيه من البوابات ، كانت القرية محاطة بحوالى ١٢٠٠٠ رجل مسلح فى لباس الحرب . فرغبنا أن ندور حول القرية عدة مرات ثم نعود لاحضار بقية مجموعتنا ، وعندما عدنا طلبوا منا أن ندور أربع مرات أخرى حول القرية (الكرال) ، ثم نقف على بعد عشرين ياردة من شجرة تقع على رأس الكرال (القرية) وأجرى أمبيكوانا Umbekwans الذى كان بصحبتنا حديثا طويلا مع الملك الذى كان محاطا بالزعماء chief التابعين له حتى اننا لم نستطع تعيينه من بينهم . وكان أحد الزعماء يجت على تساؤلات أمبيكوانا Umbekwana الذى كان فى مواجهة ، وخلص - أى الزعيم - الى انه قد أحضر هدية للسير فارويل Farewell عبارة عن ناب فيل . وتحدث أمبيكوانا مرة أخرى ، وحدثنا بين الحين والحين أن نوافق بقولنا « ييبو Yebo » وهى تعنى « نعم Yes » أو الموافقة ، أما ما الذى كنا نوافق عليه فلا علم لنا به . وهب شاكوا واقفا بين الزعماء المحيطين به وضرب درع الزعيم المجاور له ، ثم جزوا جميعا الى الجانب الأثنى (الأكثر انخفاضا) فى الكرال (القرية) وتركونا بمفردنا ، ولم يتركوا أحدا الا رجلا واحدا كان وسط الزحام . وكان هذا الرجل - كما ثبت - أحد مواطنى المناطق الحدودية للكاب ، وكان قد أخذ أسيرا أثناء الحرب بين المستوطنين البيض Colonists والكافرين وسجن فى جزيرة روبن Robben وقد أخذه أوين Owen

كمترجم وأحضره معه الى الساحل الشرقى لجنوب أفريقيا ،
ثم تم تقديمه للسيد فارول Farewell فى رحلته الى خليج
القديس لوكيا Lucia ، وهناك هرب وطلب الحماية من
شاكا الذى أسماه هيلامبا - أمانزى Hlamba-Amanzi
وتعنى الرجل الذى عبر الماء ، أما بين المستوطنين البيض
فعرف باسم يعقوب سمبىتى Jacob Sumbiti - وهو يتحدث
الهولندية بطلاقة - المهم ، فلنعد الى موضوع رحلتنا .

لقد كانت المنطقة كلها على مدى رؤيتنا يغطيها البشر
وقطعان الماشية ، وجاءنا الملك وقال لنا ألا نخاف من شعبه .
وكانت الماشية مصنفة (معلمة) وفقا لألوانها ، وذلك حتى
يتم التمييز بين كل قطيع عن القطيع المجاور له ، وأحيانا يتم
التمييز عن طريق أشكال القرون فبعضها يبدو مضافورا
متخذنا شكلا فنيا على نحو ما ، وبعضها ألصق بقرونها قرون
أخرى قد تبلغ أربعة أو ستة أو سبعة أو حتى ثمانية ،
وبعضها معلق ويتحرك وقد علقت على أجسامها سيور جلدية .
وبعد أن عرضوا قطعانهم فى حوالى ساعتين تحلقوا فى
دائرة وغنوا ورقصوا رقصة الحرب Wer Whoops ثم عاد
الرجال الى قطعانهم واستعرضوها أمامنا كما حدث آنفا وبينما
كل عرض وآخر راحوا يرقصون ويغنون - والآن فقد دخلت
النسوة الكرال (القرية) واليد اليمنى لكل واحدة منهن
طويلة نحيلة وكن يحركنها وهن تغنين ، ولم يستمر الغناء
أكثر من دقائق معدودة ثم كان عليهن أن يتخذن طريقهن الى
سيدات (جريم) الملك بالاضافة الى مائة وخمسين امرأة يطلق
عليهن اسم الأخوات - وقامت الأخوات بالرقص فى مجموعات ،
كل مجموعة من ثمانى نساء ، وكانت كل مجموعة تتزين بخرز
يختلف لونه عن لون خرز المجموعات الأخرى ، وكانت عقود

الخرز هذه تتدلى من الكتفين حول الرقبة • وكانت الواحدة
 منهن لها غطاء رأس من ريش أسود وتضع أربع حلقات
 نحاسية حول رقبتها • ودخل الملك حلبة الرقص مصحوبا
 بالرجال • واستمر الرقص نصف ساعة، وتحدث الملك بعد ذلك
 حديثا طويلا ترجمه لنا المترجم هلامبا أمانزي Hamba-qmanzi
 لقد كان الملك راغبا في أن يعرف منا ما إذا كنا قد سبق لنا
 أن رأينا مثل هذا النظام في أي دولة أخرى، وأكد لنا الملك
 أنه أعظم ملك في الوجود وأن شعبه كبير بعدد النجوم وأن
 قطعان ماشيته لا تحصى • وتفرق الناس بعد ذلك، وأمر
 الملك أحد الزعماء التابعين له أن يذهب بنا إلى
 الكرال Kraal حيث يمكننا نصب خيامنا • وأرسل لنا
 ثورا وخروفا وسلعة قمح ووعاء مليئا بالجمعة (بهم حوالى
 ثلاثة جالونات) • وفي الساعة السابعة أطلقنا أربعة سهام
 نارية، وأطلقنا النار من ثماني بنادق، فأرسل
 الملك شعبه ليرى ذلك، لكنه هو نفسه لم يخرج من كوخه
 رعبا وخوفا • وفي صباح اليوم التالي دعينا لركوب خيولنا
 والذهاب لمقر إقامة الملك Kings' Kraal • وعند وصولنا
 وجدناه جالسا تحت شجرة، كان يزين نفسه ويحيط به
 حوالى مائتين من رجاله، وكان الخدم يجلسون إلى جواره
 ويضعون الدروع كظلة تظله لتحميه من أشعة الشمس •
 وربط الملك حول جبهته عمامة من جلد القضاة (بضم القاف
 وفتح الضاد وهى ثعلب الماء - حيوان مائى ذو فراء) وقد
 ثبت فى مقدمته ريشة من ريش طائر الكركى (الغرنوق -
 بضم الغين وتسكين الراء) • لقد كانت ريشة طويلة يبلغ
 طولها قدمين • وثمة أقراط (جمع قرط) من قصب السكر
 المجفف منحوتة (منقوشة) حول الحافة، ولها أطراف
 بيضاء ويبلغ قطر القرط منها بوصة - تتدلى - أى هذه

الأقراط من شحمتى أذنيه ، ويلبس عقودا حول رقبتة تمتد من الكتف للكتف الآخر ، وهنا العقود من جلود النمرور وحيوانات الرباح (بتشديد الراء وفتحها - وتسمى أيضا الزريقاء genets) وقد صغرت هذه العقود لتتخذ شكل ذيول الحيوانات ، وتركت تتدلى الى منتصف الجسم ، وحول حلقة ring الرأس والتي ستقدم لها وضا منفضلا - توجد اثنتا عشرة حزمة من ريش طائر اللورى Lorie الأحمر ربطت بدوق في عصى رفيعة مثبتة في الشعر . وحول ذراعيه ذيول ثيران بيض White ox-tails قد شقت ليكون الشعر ملاصقا للذراعين . وعلى كل ذراع أربعة ذيول وحول الوسط توجد تنورة (جيبة) تشبه نسيج الأراضي المرتفعة Highland paid المربع نقشه ولها شراريب tassels من أعلاها ، وهذه الشراريب تدور مدار التنورة (الجيبة) التي تصل الى الركبتين ، أما الى الأدنى من الركبتين فتوجد ذيول ثيران لفت حول الساقين ، ويحمل درعا أبيض به بقعة سوداء واحدة ، كما يحمل رمحا نحىلا . وبينما كان يرتدى ملبسه آنفة الذكر كان أهل البلاد يتحركون كما فعلوا بالأمس ليستعرضوا قظمان الماشية ويرقصون بين كل عرض وآخر وينخنون . وفي هذه الأثناء علمنا أن شاكا قد أمر بقتل رجل كان يقف بالقرب منا لكننا لم نعرف الجريمة التي ارتكبها والتي استوجبت قتله ، لكننا سرعان ما وجدنا أن مثل ذلك يحدث طوال النهار .

وقدم السير فارول Farewell للملك - الهدية التي أحضرها له . وقد حازت رضا ، واستمر الرقص والغناء حتى الساعة الرابعة عصرا وبعدنا انسحبنا الى خيامنا . وفي الساعة السابعة مساء أتانا رسول يشتد عيني للبعضور

فى حضرة الملك ، فوجدناه جالسا فى (قصره) الذى لم ندخله من قبل . لقد كان جالسا بعيدا عن كوخه هذا بسبع ياردات وأمامه ثيران ، وسألنى اذا كان لدى أى دواء لأنه كان قد سمع أننى عالجت عددا من المرضى فى زيارتى الأولى لبلاد الأمبكوانا Umbekwana وقال انه يعانى من الروماتيزم . وكان كل حديثه معى عن الطب والدواء . لقد استمر حديثى معه حتى الساعة العاشرة ، ووعدته أثناء انصرافى اننى سأبقى معه بناء على طلبه لمدة شهر بعد رحيل السيد فارويل Farewell والسيد بيترسون Peterson ومن معهما الى الناتال Natal .

وفى صباح اليوم التالى طلبنى شاكا لأسير معه حوالى اثنى عشر ميلا لنرى أحد الزعماء التابعين له لأنه مريض جدا . وعندما وصلنا فصدته وأعطيته دواء ، وسلمت أنه شفى تماما — بعد ذلك — فى غضون خمسة أيام . وقد أخبر أومبكوانا الملك أن السيد بيترسون لديه دواء أيضا فطلب منه أن ينتج هذا الدواء وأن يصف خواصه ، فأنتج (صنع) بالفعل صندوقا من الحبوب (من هذا الدواء) قال انه مفيد لعلاج كل الأمراض وأوصى شاكا بحماس أن يتناول منه حبتين (قرصين) فأخذ الملك أربعاً وأعطى واحدة لكل زعيم من الزعماء الأربعة حوله ، وطلب بيترسون أن يتناول بدوره أربع حبات وحاول بيترسون أن يتهرب قائلاً ان أربع حبات تعد مقدارا كبيرا بالنسبة لشخص واحد ولكن الملك أصر ، فلم يجد بيترسون مناصا من تناولها . وسئل الزعماء عن مذاق هذه الحبات فقالوا انه لا طعم لها لأنهم ابتلعوها مباشرة ، وعندئذ ابتلع الملك حبتين ورغب الى بيترسون أن يتناول حبتين آخرين واعترض بيترسون اعتراضا جادا

لكن الملك أصر وأيد الزعماء اصرار الملك قائلين ان من
 يصف دواء لا بد أن يتناوله ، فاضطر بيترسون لابتلاع
 حبتين أخريين . تلك اذن ست حبات كاملة ، ولا أجد مبررا
 لذكر تفاصيل النتائج التي ترتبت على ذلك بالنسبة لشخص
 يبلغ من العمر ثلاثا وستين سنة . وفي اليوم التالى فهم شاكا
 أن فارويل وبيترسون يعتزمان العودة للناتال فى صباح
 اليوم التالى فجمع كل قواته وكل ما هو موجود منها فى
 المناطق المجاورة ، رجالا ونساء ، فبلغ عددهم حوالى خمسة
 وعشرين ألفا ، وفى حوالى الساعة العاشرة بدأوا الرقص -
 كما حدث فى أول يوم - وكانوا يستعرضون قطعانهم فى
 فترات الراحة (الفواصل بين الرقص) . وكانوا قد دهنوا
 وجوههم بطين مختلف ألوانه : أبيض وأحمر وأسود . .
 واستمر الرقص حتى الساعة الرابعة وعندما أمر الملك شعبه
 بالنظر اليها ليروا عجب الرجال البيض وليعرفوا مدى عظمتهم
 وقوته (أى عظمة شاكا) . لقد كان قادرا ومالكا الجرأة
 للتحدث عن أصل شعبه ، وكان فخورا بقدرته على القول بأن
 هؤلاء الرجال البيض هم رعايا الملك جورج وأن أجداده
 (أجداد شاكا) كانوا جبناء لأنهم لم يجسروا على استقبال
 رجل أبيض فى حضرتهم ، وذكر - كمثال - واقعة رجل أبيض
 كان قد نجا من حطام سفينة منذ ثلاثة أعوام وأن جاره الملك
 كوابى Kuabis قد قتله لأنه ظن أن هذا البحار الأبيض
 البائس مجرد حيوان خرج من أعماق البحر . وتوقع من شعبه
 أن ينظر اليها وأن يقدموا لها الاحترام كملوك ، وألا
 يعتبرونا مساوين لهم . ولما انتهى الملك من حديثه ذهبنا
 الى خيامنا .

وفي صباح اليوم التالي صحبت فارويل وبيترسون الى
شاكا ليستأذنا في الرحيل وتلقيا من الملك - كهديّة - ماشية
وأشياء أخرى ، ثم بدءا طريق العودة ، بينما بقيت أنا -
وفقا لوعدي له - وبقي معي أيضا خادمي الهوتنتوي - وفي
الساعة الثانية عشرة أهداني اثني عشر ثورا ، ثم غادر
الكرال ليذهب الى كرال آخر على بعد خمسة عشر ميلا - وفي
اليوم التالي استدعاني الملك وعندما وصلت سألتني أن أنظر
الى قطيع ماشية من قطعانه لم أكن قد رأيته قبل ، وأن أعده ،
وعددته بالفعل وقلت انه مكون من ٦٥٤ ر٥ فأثار قولي هذا
ضحكا عاما ، وسألوني كيف أمكنني أن أعد هذا القطيع
الكبير دون أن أستخدم أصابعي بالعد أولا حتى العشرة ،
وخلصوا الى نتيجة مؤداها أنني لم أعد على الإطلاق ، ولم
يستطع المترجم أن يقنع شاكا بإمكانية العد دون استخدام
الأصابع - وليس لدى الزولو وسيلة أخرى للعد (الحساب)
الا هذه (استخدام الأصابع العشرة) وهم يبدأون من الاصبع
الصغير لليد اليمنى ويواصلون الى الاصبع الابهام في اليد
اليسرى (وهي تمثل الرقم ستة) ثم يواصلون حتى يصلون
الى الاصبع الأصفر في اليد اليسرى فتتكمّل عدة العشرة ،
أما العشرون فهي عشرين ، والثلاثون ثلاث عشرات حتى
يصلون الى عشر عشرات (ما نسميه مائة) فيسمونها
(العشرة الكبيرة) ، وبعضهم لديه فكرة عن الألف ويسمونها
الانجوانو العظيمي Great Ingwanu . واستمر شاكا في الحديث
عن منح الطبيعة وهباتها ، فقال ان أجداد الأوربيين قد
قدموا لنا هبات كثيرة بأن أعطونا كل المعلومات عن الفنون
والصناعات الا أنهم منعوا عنا أعظم الهبات ألا وهي لون
البشرة الأسود ، فمع سواد البشرة لا يحتاج المرء للملابس
التي نلبسها لا شيء الا لنخفي جلدنا الأبيض لأن منظرهم

لا يسر العين ، فهو يعلم جيدا أننا نقدم لهم كل ما يستحقونه
بفضل سواد بشرتهم . وأنتا لا نقدم فنوننا وصناعاتنا لهم
إلا حبا في سوادهم . ثم سألتني عن استخدام جلود الثيران
التي ننحزها في بلادنا ، وعندما أخبرته أننا نصنع منها
الأحذية وأشياء أخرى لا أستطيع شرحها له بدقة ، اعترضته
الدهشة مؤكدا أن ذلك دليل آخر على أن أجدادنا لم يكونوا
رفيقيين بنا لأنهم اضطرونا لتخبئة أقدامنا في نعال ، فهذا
امر غير ضروري ، بينما أجداده استخدموا الجلود في أمر
أكثر ثمنا وهو صناعة الدروع ، وأدى بنا ذلك الى الحديث
عن تفوق أسلحتهم فهي كما قال أفضل من بنادق البيض من
جوانب كثيرة وللتدليل على ذلك ذكر أن الدرع اذا تم نيقعه
في الماء قبل الهجوم يمكنه أن يمنع طلقة رصاص تم اطلاقها
من بعد ، كما أن الفترة التي يستغرقها الرجل الأبيض في
إعادة تغير بندقيته تمكن شاكا ورجاله من الإقتراب
والاقتحام خاصة وأنه ليس لدينا دروع مما يضطرنا
للجري ، وبالنسبة للجزى فأننا - أبدا - لن نسبق جنوده
فلا مناص من الوقوع في أيديهم . ووجدت أنه من المحال أن
أدحض أدلته فلم تكن لدى معرفة بلغته كما أن المترجم الذي
أعتمد عليه قد لا يجسر على نقل الأدلة الدامغة التي سأقولها
للملك ، فكنت مضطرا لقبول كل قراراته . . وظللت مع
الملك حتى وقت متأخر من الليل نتناقش في أمور مختلفة
متعلقة بانجلترا ، وقد وضع هذا الملك أسوأ المعاني لكل
شيء في (انجلترا) وكان يقول ذلك أمام رعيته ، ساخرا من
كل عاداتنا وأحوالنا ، رغم أنه فعل ذلك بطريقة فكاهية
مرحة . إلا أنه كان يصفى باهتمام إذا لم يكن أحد من رعيته
حاضرا ولم يكن يستطيع هضم فكرة تفوقنا . وعلى أية حال ،
فقد عبر عن كراهيته لأسلوبنا في العقاب بالسجن لمرتكبي

بعض الجرائم ذاكرا أن ذلك أقصى ما يمكن أن يتفرض له الإنسان ، انه يسبب آلاما مرعبة ، فاذا كان مذنباً فلم لا تقتلونه ، أما اذا كان ذنبه موضع شك فلم لا تتركونه حراً ، فالتبض عليه كاف في حد ذاته لتحذيره مستقبلاً . وقد نشأت هذه الحجة من الظروف التي مر بها مترجمه الذي سجن وتم إرساله الى جزيرة روبن Robben لذلك ، فلم أكن أستطيع من خلال هذا المترجم أن أشرح كيف أننا قلقين انجلترا نحب كثيرا انقاذ حياة الأبرياء ، لذا كان على أن أفسح الطريق لآراء الملك .

واستغرق الرقص طوال اليوم التالي إذ استمر حتى المساء ، ولأننى قضيت فترة بعد الظهر فى القراءة فقد حفزنى هذا لالقاء نظرة خاطفة أخرى على الراقصين ، ولأننى ذهبت وقد أرخى الليل سدوله ، فقد أمر الملك عددا من أفراد شعبه بإشعال النيران فى الأفرع الجافة لتلقى ضوءا على المشهد ، ولم يمض على بقائى دقائق معدودات حتى سمعت صرخة وسرعان ما انطلقت النيران وخبث الأضواء المنبغثة منها ، وأعقب ذلك صراخ وضياح عام وهياج ، ولأننى كنت قد تركت جاكوب Jacob (الذى سأطلق عليه من الآن فصاعدا اسم المترجم) وميشيل الهوتشوى فى الكوخ - فقد رحلت أسأل كل من قابلنى عن سبب الصرخة وهذا الهياج غير العادى ، وعلمت أخيرا أن شاكا قد طعن بينما هو يرقص ، فأسرعت عائدا لاستدعاء ميشيل فوجدته غير بعيد كثيرا ، وكان يصرخ ويمزح ظنا منه أن هذه الفوضى جزء من مهرجان مرح ، فقلت له فى التو عما سمعته وأرسلته ليعد مضباحا ويحضر بعض البابونج Camomile فهو الدواء الوحيد الذىبقى معى ، وظللت منه أيضا أن يرسل المترجم . لقد كان الهياج والفوضى كائنا ما يكون

الهيّاج والفوضى • ووصل جاكوب وميشيل فذهبنا الى كوخ
شاكا حيث توقعنا أن نجده ، وانخرط جاكوب فى الهيّاج
العام واعترفته نوبة صرع فلم أعد - الآن - قادرا على توجيه
أى سؤال أو تلقى أية معلومة ، عن مكان وجود شاكا ،
وحاولت دخول كوخه لكن زحاما شديدا كان حوله وانطلقا
مصباحى وسحبتنى نساء الملك ، احداهن أخذتنى الى طريق ،
والأخرى الى طريق آخر ، لقد كن فى حالة جنون • ولازال
الصراخ يزداد والهيّاج يعم • • لقد أصبح الأمر مرعبا ،
وأصبح موقفى مرتبكا ولا يسر • لقد أصبح فى الغاية من
السوء • وعندما حاولت مرة أخرى أن أدخل الكوخ حيث
كنت أظن أن الملك موجود فيه ، حاول رجل يحمل بعض
الأعواد المشتعلة أن يسحبني بعيدا وعندما رفضت سحبني
بقوة وأعانه على ذلك آخرون • وفكرت أنه من الأفضل أن
أرى النتيجة وما اذا كان ثمة شىء يدبر ضدى فمن الأفضل
مواجهته للوصول الى نتيجة أفضل ، فسرت معهم لحوالى
خمس دقائق والخوف يعتصرني وسرعان ما انزاح الشك
عن كاهلى فقد رأيت الملك فى كراال (مجمع سكنى) قريب ،
فغسلت الجرح على الفور بمنقوع البابونج (Cemomile-tea)
وربطته بالكتان • لقد كانت الطعنة التى وجهت اليه
برمح بين ذراعه اليسرى وأدنى صدره • وكان على أن أعرف
ما اذا كانت المسألة مجرد جرح وأن الطعنة لم تصل للرئة ،
وكان الملك يبصق دما • وكان طبيبه الذى بدأ أن لديه
معلومات جيدة عن الجروح قد أعطاه مقيئا ، وأعطاه بشكل
متكرر - قطرات من دواء مطهر ، وراح يغسل الجرح
باستمرار بماء غليظ فيه بعض الجذور النباتية التى تسبب
انعاشا • وقد سبر الجرح أيضا ليتأكد ما اذا كان السهم الذى
طعن به الملك كان مسموما أم لا • وكان الملك شاكا يصرخ

طوال الليل تقريبا ولم يكن يتوقع الا الموت ، وزاد الزحام الآن بشكل فظيع وكان الصباح والجلبة لا تحتملان * وشهد الصباح مناظر مرعبة في وضوح النهار * ان الكلمات لتعجز عن نقل الانطباع لأى قارئ بعيد عن هذا المشهد المرعب * أعداد ضخمة كانت تصل باستمرار ، وحالما يصلون لكراال Kraal شاكا حتى يشرعوا في الصباح والجري ، ويصرخون بكل ما فيهم من طاقة وراح يدفع بعضهم بعضا ، ويلقون أنفسهم على الأرض دون مراعاة لأى خطر يواجهونه أثناء اسقاطهم أنفسهم ، لا فرق في ذلك بين رجال ونساء ، وتعرض عدد كبير للاغماء بسبب الاجهاد وحرارة الشمس الشديدة ، وكان حريم الملك هم الأكثر تضررا وتأثرا فقد أرهقن أنفسهن طوال الليل وكن يعانين من الحرارة مختنقات بهذه الأطواق النحاسية التى تضع كل واحدة منهن أربعة في رقبتها ، فلم تكن الواحدة منهن قادرة على تحريك رقبتها ، وكن منهكات في حاجة الى الطعام لكنهن لم يكن يجسرن على الاقتراب منه ، وقد مات عدد منهن * وعندما وجدت وضعهن يرثى له ولا أحد يقدم لهن المساعدة أحضرت بعض الماء ورحلت أنضحه في وجه من تسقط منهن حتى تعبت أنا نفسى فكففت عن القيام بمثل هذا العمل ، وعلى أية حال فقد بذلن بعض المحاولات لتساعد احداهن الأخرى * وطوال هذا الوقت كنت مشغولا تماما حتى أننى لم أر أكثر جوانب هذه المأساة هولا وفضاعة ، لقد راح الناس بقتل بعضهم بعضا * لقد قتل بعض الناس لأنهم لم يكونوا يبكون ، وقتل آخرون يضعون التفل (بتشديد التاء وفتحها - أى الرضات أو الصاق أو ما يفرزه الفم) (★) ، وقتل بعضهم لأنه يبكى وهو جالس ، فلم تشفع له دموعه ، وبعد هذا البكاء ، وهذا

(★) حتى يبدو وكأنهم يبكون *

الجداد ، وهذا الصراخ بدأ الجميع الجميع وكان طاقاتهم قد استنفدت .

وعلمنا بعد ذلك أن القتلة الذين جرحوا الملك شاكا تمكنوا من طعن ستة آخرين . وافترض الناس أن المعتدين

قد أرسلهم زويدي Zuedi اندواندوى Endwand-we

الذى كان هو العدو القوي الوحيد للملك شاكا ، وتم إرسال مجموعتين مسلحتين للبحث عن المعتدين . وفى هذه الأثناء كان الدواء الذى وعد به السيد فارويل قد وصل . لقد وصل الدواء فى الوقت المناسب وسعد شاكا بهذا ، ورحب. أغسل جرح شاكا بين الحين والحين وأعطيته مطهرا ومسكنا. وغطيت جرحه بالمرهم ، وعلى أية حال فقد كان الملك فاقدا. الأمل طوال أربعة أيام . وخلال هذه الأيام كان الناس يأتون من مختلف الأنحاء والضواحي وينخرطون فى نوبات من البكاء والصراخ ، ولم تنجر الماشية لأطعام الناس طوال أربعة أيام . ومات كثيرون فى هذه الأيام كما تم قتل كثيرين لأنهم لم يحزنوا أو لم يقيموا الجداد أو لأنهم ذهبوا الى مساكنهم لتناول الطعام .

وفى اليوم الخامس كانت هناك علامات تشير الى تحسن صحة الملك شاكا ، وبدأت جروحه فى حال أفضل فى اليوم التالى . وفى الظهر عادت المجموعة التى أرسلت للبحث عن المجرمين ، ومعها ثلاث جثث رجال تم قتلهم فى الغابة ، ومن المفترض أنهم هم المجرمون ، وطرحت الجثث على الأرض على بعد حوالى ميل من الكرال ، وقطعت الأذن اليمنى لكل

جثة ، وجلست المجموعتان العسكريتان على جانبي الطريق ،
ثم تجمع كل الناس رجالا ونساء - ربما زاد عددهم عن
ثلاثين ألفا - ومروا على الطريق وهم يصيحون ويصرخون
وكلما وصل أحدهم الى الجثث الملقاة ضربها عدة ضربات
بعضا في يده حتى تقطعت ، لدرجة أنه ما كاد نصف هذا
العدد (الثلاثين ألفا أو يزيد) يمر على الجثث ، حتى كانت
الجثث لا تكاد ترى فقد توارت تحت العصي التي ضربت بها ،
ومع هذا استمرت هذه الشعيرة • وجمعت الجثث في النهاية
وسار ثلاثة رجال في المقدمة يحمل كل واحد منهم عصا
علقت فيها أذن أحد هؤلاء القتلى ، وسار الموكب الى كراال
(مسكن) الملك شاكا • وظهر الملك الآن لشعبه • وغنى
الشعب أغنية الحداد الوطنية وتم اشعال النيران • وتم احراق
الأذان الثلاث حتى صارت رمادا •

ومنذ اللحظة التي طعن فيها شاكا ، كان محرما على كل
الناس أن يلبسوا ما يعد زينة ، ومحرما عليهم الاستحمام
وحلاقة الشعر ، كما كان محرما على كل رجل زوجته حامل
أن يحضر في حضرة الملك • وكل من يخرق هذه القواعد
يعاقب بالقتل • وبالفعل فقد تم قتل عدد كبير من البشر •

لقد دلت الشواهد كلها الآن على أن شاكا قد عوفي تماما
فنحر الزعماء والقادة الذبائح كأضحيات ، وفي اليوم التالي
فعلت نساء الزعماء الشيء نفسه ، ثم نحر شاكا الذبائح
وقدمها كأضحيات لروح أبيه المتوفى •

رحله

ألان جاردنير

ALLAN GARDINER

الدراكنزبيرج

DRAKENSBERG

ولد آلان جاردنير سنة ١٧٩٤ م والتحق بالبحرية وهو في الرابعة عشرة من عمره ووصل لمرتبة الأمر (دون رتبة الكابتن مباشرة) . ولأنه لم يعين - بالإضافة الى توجهاته الدينية - فقد قرر أن يصبح رائدا ارساليا (تبشيريا) . ووصل الى مدينة الكاب سنة ١٨٣٤م ومنها يرا الى ميناء الناتال ، وزار دانجان Dingasn خليفة شاكا ليتفاوض معه بشأن السماح بالارساليين للعمل بين الزوار ولما لم يحصل على مبتغاه عاد الى ميناء الناتال واسس مركزا تبشيريا في بيرا Berea . ويسبب الإشاعات التي ذكرت أن الزولو يعدون للقيام بهجوم ، اضطر الى العودة الى بلاد الزولو بناء على طلب المستوطنين ونجح في عقد معاهدة سلام مع دانجان (خليفة شاكا) ، وكانت ناحية ديربان D'urban قد بدأت (نشات) فخرق اثنان من الاوربيين المعاهدة مع دانجان أن يحفظ النظام بين المستوطنين (في المستوطنة - ديربان) وطلب منه أن يكون بمثابة زعيم Chief ، واسرع جاردنير على حصانه الى الكاب ليطلب من حكومتها أن تمد سبطان الحكومة البريطانية الى ميناء الناتال ، وكان الزوسا Xosas في حرب على المستعمرة (الراس) وفشل جاردنير في الحصول على إذن من فاكو Faku بالمرور ، فعاد الى الناتال ، وخرج مرة اخرى بعربة تجرها الدواب في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٣٥م في محاولة منه لعبور جبال كواثلامبا Quathlamba (دراكتيرج) هوجد طريقا للحدود في الجانب الشمالي للسلسلة الجبلية .

والنص التالي من كتاب جاردنر : رحلة جاردنر الى بلاد
الزولو :

Gardiner's Journey to the Zoolu Cauntry.
London : William Crafts, 1836.



السبت ٣ أكتوبر :

من هذا المستوى المرتفع (بالقرب من دونيبروك الحالية
(Donnybrook) ألقينا لأول مرة نظرة على جبال كواثلامبا
Quathlamba التي تمتد في سلسلة واحدة مستمرة من
الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي التي تجلج قممها الخارج .

الثلاثاء ٦ أكتوبر :

بسبب الأمطار التي هطلت بالأمس كنا غير قادرين على
الاستمرار في رحلتنا حتى هذا الصباح . وقد رأى الرجل
الذي ذهب طلبا للماشية في مساء يوم الأحد - لبؤة مع
أشبالها الأربعة ، وكانت اللبؤة ممتدة على الأرض غير بعيد
عنهم مترقبة فرصة تلوح لتنقض على أي شارد . وعندما
ظهر ، قامت اللبؤة وأشبالها وتحركوا ببطء ، وكانوا
يتوقفون بين العين والحين لينظروا حولهم . بينما كان هو
منشغلا في توجيه القطيع نحو العريبات ، ولأن الحصان لم
يكن معتادا على صحبة الأسود فقد أطلق سيقانه للريح ، ولم
يظهر بعد ذلك . وعندما اعترف المرشدون اليومازولو
Doomezoolu أنهم لم يعودوا يعرفون عن المنطقة أكثر من
ذلك صرفتهم هذا الصباح من الخدمة وانتهزت الفرصة بأن
أرسلت معهم بقرة وعجلا ليسلموها للسيد فورتو Foortu
ومن ثم الى ميناء الفاتال عندما يكون قد استرد عيدا كافيا .

ولم أكن أسفا لما أملتة علينا الضرورة (تضاعل الحليب
لعدة أيام) معتقدا أنه من الأفضل — بشكل عام — لحملات
من هذا النوع — أن يتناول الجميع الطعام نفسه على نحو
سواء ، وأن يعانى من شىء من وخز الضمير اذا تملكته
الأنانية وتناول طعاما خاصا .

وبعد أن غادرنا المرتفعات مباشرة — تلك المرتفعات التى
قضينا فيها اليومين الماضيين — واجه عرباتنا غدير اعترض
مسيرتها ، كما أن الأمطار الشديدة التى هطلت قد جعلت
الأرض رخوة حتى أن العجلات الخلفية للعربات كانت تنغمس
(تنغرس) فيها .

وكانت محاولة سحبها للخلف باستخدام قوة الأربعة
عشر ثورا غير مجدية لأن الأكسات (المحاور) الخلفية كانت
مستقرة على الشاطئ وكانت يد المسحاة (المجراف) قد
كسرت عند محاولة حفر ما تحت الأكسات ، وبعد كل
المحاولات وجدنا من الضرورى انزال حمولة العربات ،
وحفر الطريق من أمامها حتى نتمكن من سحبها بالطريقة
المعتادة . وتمكنا من اجتياز هذه المشكلة فى الساعة
الواحدة . ولاحظنا وجود أشجار ذات أخشاب صفراء وغيرها
على منحدرات الجبال وفى الوديان ، لكننا كنا قد واصلنا
المسير بالفعل على طول السلسلة فى المنطقة المكشوفة ،
وفى مواضع كثيرة رأينا نبات المريمية (القصين) البرى
والنعناع والسذاب (بتشديد السين وفتحها) أو الفيح
(بفتح الفاء وتسكين الياء) والبقدونس ، وكانت هذه
النباتات متوفرة بكثرة بالإضافة الى بعض النباتات المنفردة

من نبات السرخس (أو الخنشار - يضم الخاء وتسكين النون) وهو النبات الانجليزى المعروف ويسمى هنا كومو كومو Como Como وهو نبات منتشر هنا ويطلبه بكثرة سكان المناطق المجاورة ويعدون جذوره علاجا ناجحا للاضطرابات المعوية نتيجة أكل اللحوم بدون ملح أو الاعتماد طويلا على تناول وجبات من الحليب .

ان الطبيعة المتضرسة للمنطقة واستمرار الحيوود الجبلية التى يصعب على العربات اجتيازها اضطرتنا للاتجاه نحو الشمال حتى نستطيع اقامة معسكر مبيتنا فى الخلاء بعد تقدم قليل فى الاتجاه المطلوب . كانت المسافة التى قطعناها حوالى تسعة عشر ميلا ، وكان الاتجاه بشكل عام شمال الشمال الغربى .

الأربعاء ٧ أكتوبر :

ولما مررنا عبر منطقة جميلة يحفها عن أيامنا مجرى صغير وتلال منحدره بينها مسطحات بها مياه ، وثمره أشجار متجمعة على كثير من المواضع على منحدرات الجبل . ورأينا قطيعا من حيوانات الهرتيس لكنها ولت هاربة مبتعدة عن مجال بنادقنا . وذبول هذه الحيوانات تشبه ذبول الخيول ، وعندما تكون هذه الحيوانات فى أقصى سرعتها تطير هذه الذبول خلفها تاركة لدى الرائي تأثيرا جميلا ، وهذه الحيوانات لا تنطلق فجأة ولكنها - مثل حيوان العنودة - تعدو كالفرس أو تسير خيبا gallop or trot . وبدأ ملحوظا من بين سلسلة كاتلامبا Quathlamba جبل بعينه كنا نطل نراه طول الضباح ويقع الى الشمال الغربى ونظرا لشدة شكله وجددتنى اسميه ككوب (فنجان) المارده .

وفي فترة بعد الظهر هذا اليوم اجتزنا لبعض الوقت تلالا عالية مكشوفة في اتجاه غربي تقريبا لكننا توقفنا فجأة بسبب جرف اعترض طريقنا ، وأشرفنا على بعض الوديان الجميلة المنعزلة كان يتلوى خلالها نهر ملت الى أنه هو نهر أونجانجواني Unganguani ، واضطررنا بسبب الجرف - الى الدوران نحو الشمال مسافة كبيرة ، وتوقفنا بعد الغروب مباشرة على شاطئ هذا النهر نفسه (أونجانجواني) عند نقطة يحتك فيها ماء النهر بقاعدة تل صخري ، ويتخذ الشاطئ المقابل لهذه النقطة شكل حدود حصان ورغم أن المرء لا يرى على الأرض هنا أثر غصن واحد الا أن شاطئ النهر كان عامرا بما يمكن أن نستخدمه كأعشاب للوقود . المسافة التي قطعناها تبلغ حوالي ستة وعشرين ميلا ، وكان اتجاهنا العام غرب الشمال الغربي .

الخميس ٨ أكتوبر :

وخفضنا شاطئ النهر بالتدريج لتمكين عرباتنا من المرور ، وعبرنا النهر الى النقطة المواجهة لمسكرنا . عند تلك البقعة التي سميتها قلعة وينجارتى Wyngart Ford (نسبة الى جان وينجارت سائق عربة المؤن) ، واصلنا الرحلة فوق تلال معشوشبة مكشوفة متخذين طريقا غربيا تقريبا ، وبدأت السلسلة القليلة تنخفض تدريجيا حتى وصلنا الى نهر آخر أكبر من الأنف ذكره وأظنه فرعاً من نهر أومز مكلو Umzimcoolu . وكلا النهرين : النهر الذي نحن بصيده ونهر أوجانجواني ينحنيان انحناء افعوانيا بين المنحدرات ، وذلك في النقاط التي وصلنا إليها . ورأينا حيوانا من حيوانات ابن آوى اليوم ، كما رأينا الحيوان نفسه بالأمس ، كما رأينا أيضا بعضا من حيوانات

الهرتبيس . والى الشرق أيضا - لكن أبعد - يظهر جبل آخر بين الكواتلامبا Quathlamba وقد سميته جبل السرج Saddle back تميزا له عن الجبل الآخر الذى سميته فنجان المارد ، لأن الجبلين متشابهان .

لقد اختفت الثلوج الآن من السلسلة الجبلية على مدى رؤيتنا . وكنا نرى البط البرى فى كل الأنهار التى مررنا بها ، لكننى أخيرا أخذت برأى واتربور زعيم جريجوا (جرايكوا) Grigua Chief الذى كنت قد قابلته فى مدينة الكاب والذى أجاب بضحكة مجلجله عندما سألته عما اذا كان قادرا على اطلاق البندقية على طائر محلق ، فقال انه لا يضيع ما معه من بارود من أجل طائر . أما وقد اطمأن البط الى أننا لن نطلق عليه بنادقنا فقد أخذ يسبح سعيدا دون قلق فقد فقد ما كان معنا من طلقات قليلا وقررنا أن نوفرها لصيد أثمن من البط ، وكان ما مع الصيادين من رصاص قد نفذ قبل أن نغادر ميناء الناتال .

ولم يكن صبرنا هذا بغير فائدة فخلال فترة النهار أطلقنا الرصاص على حيوان من حيوانات الغلندة على الجانب الآخر من النهر وكان علينا أن نعبّر النهر جيئة وذهابا من البقعة نفسها التى سبق أن عبرناه فيها والتى أطلقنا عليها اسم قلعة الكنجج (نسبة الى رتشارد كنجج سائق العربى) .

بعد الظهر - وما كدنا نفارق النهر حتى وجدنا أنفسنا مضطرين للاتجاه جنوبا فهبطنا حافة صخرية شديدة الانحدار واستغرق هبوطها وقتا طويلا بسبب الاختناطات التى اتخذناها مخافة انقلاب العربى أو سقوطها ، وكى نلين النور كنا نتوقف دائما نضل الى أرض متبسطة أو مائلة قليلا فى

الوادي . كانت سلسلة تلال من الحشائش المستوية تشكل
مدرجات منبسطة تحمي معسكرنا المكشوف من ثلاث جهات ،
وثمة مجرى مائي رائقة مياهه يتلوى عبر المنطقة . لقد
كانت بقعة محمية بشكل ممتاز ومناسبة لاقامتنا ، الا انه لم
يكن ثمة فرع شجرة واحد قريبا منا ، وكان على رجالنا أن
يرحلوا بعيدا لجلب خشب الوقود . لقد كان اتجاهنا العام
نحو الغرب ، وكانت المسافة التي قطعناها خمسة عشر ميلا .

الجمعة ٩ أكتوبر :

ولأن الجبال واجهتنا من ناحية الغرب ، فقد اضطررت
لاتخاذ اتجاه شمالي . ففي هذا الاتجاه كانت المنطقة
مكشوفة ، وبعد أن عبرنا تلالا متواصلة مكسوة بالعشب ،
وصلنا لشاطئ نهر - أظنه - أومز مكلو Umzimcoolu
فخضناه بلا صعوبة ، وكان قاعه صخريا تماما . وقد سميت
الموضع الذي خضناه منه حصن أوجل Ogle ford (نسبة
الى السيد أوجل الذي صحب المجموعة) . وأجبرتنا عاصفة
رعدية ومطر شديد على التوقف عند الشاطئ المقابل ، وقد
وجدت أن عرض النهر في هذا الجزء سبع وعشرون ياردة
وذلك بتقدير طول العربية والحيوان الذي يجرها وتقدير
المسافة بين الثور الأمامي والشاطئ الكائن خلفه . بينما
كان عرض النهر في البقعة الأخرى السابقة ثمانين ياردة .

السبت ١٠ أكتوبر :

بينما كنا نسير فوق التلال هذا الصباح ، قبل أن ننطلق
بعربأتنا ، رأيت حية داكنة سمينة يبلغ طولها حوالي خمس
أقدام ولها رأس مسطح عريض وفم مدبب ، وكان رأسها

مبتقع بيقع صفراء ، وأظن انها من النوع الذى يسميه
الهولنديون الحية المتجمدة Wrinkle snake . وعند عودتى
اخترقنا واحدا من الوديان الجميلة أدى بنا مباشرة الى قمة
فنجان المارد Giant Cup ، ومن هذا الموضع رأينا عن أيامنا
مجرى صخرى ربما كان هو الامكاماس the Umcemas (★)
ولأننى جرحت بعد أن قطعت مسافة فى هذا الوادى فقد كنا
نتحاشى الاقتراب من الجبال على الجانبين ، وفجأة توقفنا بسبب
صخرة ضخمة سقطت من فوق الجبل وظهرت فجأة من شمائلنا ،
بينما لم يكن عن أيامنا مسافة كافية فقد كان النهر يكاد
لا يترك لنا مساحة نتحرك فيها . المسافة التى قطعناها حوالى
خمسة أميال . الاتجاه شمال الشمال الغربى .

وبعد أن عبرت بالفعل المجرى فوق ظهر حصانى أعطيت
تعليماتى لبقية الفريق بالاجتياز ، واندفعنا متقدمين أملين
فى أن نجد ممرا ملائما فى الجانب الآخر أو على الأقل فى
المناطق الممتدة خلف الجبال بعد الصعود لقممها المرتفعة ،
ولتحقيق هذا الهدف قدت حصانى فى أكثر المواضع وعورة ،
فقد كانت بعض الأماكن التى عبرتها صخرية شديد
انحدارها ، وقد ظللت أصعد من حافة الى حافة ومن حين الى
حين حتى فاجأتنا عاصفة رعدية ، وسرعان ما عم الضباب
الكثيف فضاغ منا الممر ، وفى الوقت نفسه أرسلت السماء
علينا زخات من البرد فاستقبلته بسعادة ورحت أستمتع
بما سببه لى من انتعاش ، وتوقعت بما يشبه اليقين - أنه -
أى البرد - سيزيح الضباب لكن توقعى لم يتحقق على أية
حال ، وبعد برهة من الإنتظار القلق فككت سرج حصانى

(★) لم أفهم المعنى المقصود - (المترجم)

واستلقيت على صخرة ورحلت استعد لقضاء الليل فى هذه
البقعة غير المريحة .

لقد كان على أن أكمل فى هذا الملجأ المضمون (المتاح)
رغم أنني فى هذا الملجأ ما كان لى أن أمل فى توقع أدنى
مساعدة من رفاقتى الذين يعدون عنى الآن عدة أميال ، انه
فضل عظيم من الله - رغم أن غير المؤمنين لا يؤمنون بمثل
هذه الأقوال - وسأقرر ذلك للآخرين تشجيعا لهم ، فقد كان
هذا المكان الذى احتميت به استجابة من الله سبحانه لتضرعى
فلم على بسماع استغاثتى ، فسرعان ما تبينت الطريق - رغم
الضباب - تبينا يساعدننى على مواصلة خطواتى بعذر ، لكن
الضباب قد انزاح تماما بعد ذلك وقبل أن أوغل فى المسير
الا أنني لم أضل الى عرباتنا قبل حلول الظلام ، وكان رفاقتى
قد أرسلوا رجلين ليبحثا فى أثرى الا أنني لم ألتق بهما الا بعد
وضوئى لسفح الجبل . وكنت أثناء تجوالى المحموم قد التقطت
فوق بعض القمم الجبلية المرتفعة عدة قطع من العقيق
(حجر اليشب) agate من بين قطع كثيرة متناثرة بكميات
كبيرة على سطح الأرض ، وكانت هذه القطع - بشكل عام -
صغيرة وغير منتظمة كما كانت شفافة جدا والواحدة منهما
فى حجم حبة جوزة الطيب . لكل هذا فقد أطلقت على الوادى
الجبل الذى وجدت فيه هذا اسم وادى العقيق Agate vale

الأحد ١٢ أكتوبر :

لقد خرجنا فى مجموعتين لاكتشاف الطريق ، وكان
بصحبتى هذه المرة اثنان من أهل البلاد أحدهما من الهوتنتوت
والآخر من الزولو Zoolu . وكان حصانى قد تلقى
درسا قاسيا يوم السبت بسبب « خطوة الظبى » antelope step

وأظن أنه قد وعى الدرس ولن يكرر الخطأ اليوم ، لكن برهن على طفولته النهر الذى كان وجوده سببا فى عدم امتداد النيران (المترجم : يبدو أن حريقا شب فى العشائش على إحدى ضفتى النهر ، ولم يمتد الحريق الى عشائش الضفة الأخرى بطبيعة الحال لوجود النهر) وبطبيعة الحال فقد نمت الأعشاب والعشائش مرة أخرى بعد أن خمد الحريق ، لكن لون العشائش الجديدة التى نمت بعد أن خمد الحريق كانت غير لون العشائش القديمة ، وكان الأثر الذى أحدثه فارق اللون بين العشائش القديمة وتلك النامية حديثا أثرا فريدا ، وقد تم التمييز بين هذين اللونين على خريطة . . ولم يحدث أبدا أن تذكرت أن صعوبات مرت بى أكثر من تلك التى مرت بى هذا اليوم ، ففى مواضع كثيرة لم يكن هناك ما يشغلنى سوى التمعن فى الصخور التى كان يتحتم على اجتيازها ، لقد كانت الجروف (جمع جرف - بضم الجيم - تسكين الراء) على جانبى الجبل مرعبة رعبا هائلا ، فيكفى أن يتأملها المرء للحظة ليمتلئ رعبا .

وبعد كل هذه المشاق التى تكبدتها فشلت فى القيام بنظرة على المناطق الممتدة خلف هذه الجبال ، فالجيد ridge الذى أقف عليه سرعان ما تحول الى هوة تهبط بشكل عمودى دون أدنى انحدار وما ان وصلت الى حافة الهوة حتى وجدت قاعدتها تصعد لتتصل من الناحية المقابلة بدورة قمة فنجان المازد Giant's Cup . وفكرت أن العودة من الطريق التى كنت أتيت منها تعد ضربا من الخيال لكننى مع هذا اقتنعت

أنه لا يدل على ذلك - فادى إلى المنحدر إلى عبور موضع أو موضعين من أكثر المواضع مشقة في عبورهما ، لكن أسوأ المواضع فعلا وأكثرها مشقة وصعوبة في العبور لم يكن قد أتى بعد ، فعند هذا الموضع الذي يمثل نقطة حرجة اكتشف واحد من الرجال بطريقة تكاد تكون اعجازية (بطريقة يمكن وصفها بأنها ما كانت لتتم لولا رعاية الله وعنايته) طريقا أقل خطورة كان بإمكاننا نسلكه لنصل إلى الوادى بسلام . لقد كانت الصخور العارية الجذباء تملأ أعالي هذه الجبال ، لكن المناطق المتوسطة والدنيا كانت مزدانة بمساحات متفرقة تنمو فيها الأشجار ، خاصة من نوع *Protea grandiflora* . ويبلغ ارتفاع الشجرة منها ما بين اثنتى عشرة قدما وأربع عشرة قدما . وكان كثير من المروج يتسم بالجمال لكنها لم تكن تختلف عن المروج التى شاهدها فى مستعمرة الرأس (الكيب) . وكانت زهور الربيع البيضاء (زهور المرغيتا) (★) ، وشاهدنا البامبو الذى يبلغ ارتفاعه ما بين عشر أقدام إلى اثنتى عشرة قدما بالقرب من ضفاف النهر . على أن الشجرة الجديرة بالتأمل هى شجرة عوان بين النخيل والسرخس ferns (★★) ، وهى شجرة أقرب ما تكون شجرة الزاميا *Zamia* أو شجرة ذقن الكافير ، لكن الشجرة التى نحن بصددتها تختلف عن المروج التى شاهدها فى مستعمرة الرأس بينما أشجار ذقن الكافير (الزاميا) لها أوراق كتلك التى

Daisy (Bellis perennis)

(★) عن معجم الشهابى :

زهرة من الفصيلة المركبة ، وتعرف بزهرة عين البقرة وشاش القاضى فى اللغة العامية السائدة فى دمشق ، وتعرف باسم لؤلؤة صغيرة أو صفوى أو مرغيتا الصغيرة أو صفوى كما تعرف باسم زهرة الربيع - (المترجم) .

(★★) فى معجم الشهابى : يقال لها بروطية أو شجرة اللطية .

للنخيل . وجذوع الأشجار التي نحن بصددتها والتي لا توجد
 إلا في المنحدرات الدنيا للجبال وفي الأودية مشابهة لجذوع
 نخيل التال أو (التار) (★) ، إلا أن جذع الشجرة التي نحن
 بصددتها قلما يزيد ارتفاعه عن ست أقدام أو سبع ، لكن
 إذا ما اعتراه السواد نتيجة احتراق الحشائش حوله فقد
 لا يستطيع المرء التعرف عليه عن بعد . ومع أن أملى قد
 خاب في تحقيق هدفى الرئيسى (القاء نظرة على السهوب
 فيما وراء هذه الجبال) إلا أنني حصلت على مكافأة
 (تعويض) غير بسيطة بالتمتع بعظمة المناظر فى الجبل
 التى تعكس - مع اختلاف كبير - كثيرا من ملامح منطقة
 جبال الألب ، فالصخور - فى مواضع كثيرة - بدت محطمة
 بعنف ، ومتناثرة بلا شكل محدد ، كما بدت فى مواضع
 أخرى وكأنها بقايا قلاع . أما عن تكوين هذه الصخور
 فهى - كما أستطيع أن أؤكد الى حد كبير - من الحجر الجيرى
 المركب والناعم ، والنوع الأول (المركب) يحتوى على دقائق
 من الكوارتز . وبينما كنا على قمة لاحظنا عمود دخان
 يتصاعد على البعد ناحية الجنوب الغربى ، وربما كان هذا
 ناشئا عن أن بعض الحشائش لازالت تحترق . . ولم نصل
 الى مخيمنا الليلى الا بعد حلول الظلام ، ولأنه لم يكن فى
 مقدورنا أن نحصل على مؤن مناسبة بعد تسع ساعات متواصلة
 من السير والمعاناة ، فقد وجدت اننى مستعد لتناول أى
 طعام مهما كان . وكان باقى الرفاق قد عادوا جميعا لكن دون
 أن يعرز أحدهم نجاحا .

(★) عن معجم الشهابى : Palmyra تال أو تار ، نوع من النخيل .

الثلاثاء ١٣ أكتوبر :

لم تكتشف أى مجموعة أخرى طريقنا علمياً يمكننا أن نسلكه وكان هناك اعتقاد دائم أن تكون المنطقة على الجانب الآخر من الجبال ، متقطعة متضربة لمسافة ما (عكس كل التوقعات السابقة) - لذا فقد قررت بعد أن وضعت فى اعتبارى ظروفنا الحالية وحاجتنا للمؤن مستقبلاً ، أن أعيد إحدى عرباتنا مع ثورين الى بورت ناتال Part Natal ثم نواصل مسيرنا على الأقدام مع بقية الثيران التى نحملها بالمؤن . وتعمدت أن أترك عربية الأمتعة هنا ، فقد اتضح أن هذا وفقاً للظروف الحالية هو الأضمن للوصول لمستعمرة الرأس بشكل أسرع . أما عن موقعنا الحالى فأظن أننا على بعد حوالى مائة ميل جغرافى Geographical miles الى الغرب من خط زوال بورت ناتال . . . (★) .

الجمعة ١٦ أكتوبر :

أدى هطول المطر الذى استمر طوال يوم الأربعاء تقريباً الى اعاقتنا عن القيام بالاستعدادات الضرورية لتحميل الثيران والقيام بالأعمال الأخرى الضرورية . كان البرد قارساً مع صقيع شديد بالليل . وعلى أية حال فبالأمس تم تحميل الثيران بعد عناء شديد ، فقد كررنا كثيراً عملية رفع الأجولة والحقائب المملئة . لقد عانت الثيران معاناة شديدة ، وبعد الظهر واصلنا سفرنا المعتاد . وبالنسبة للمراقب المحايد ،

(★) وجدنا صعوبة فى نقل العبارات الى العربية بشكل واضح - (المترجم)
The true course made good west vy north half north, and that by shaping a south west compass course, ...

فان ظهورنا فى هذا الوقت قد يكون باعثا على السخرية او الضحك على نحو ما . ولم تكن الا قلة من الثيران هى التى تسير هادئة تحت أحمالها ، بينما كانت معظم الثيران ساخطة متدمرة الى حد كبير . . . لقد علقنا الغلاية (القدر) على الحبل الذى يصل بين ثورى المقدمة كما علقنا على الحبال الأخرى بل وعلى قرون الثيران كثيرا من الأشياء الأخف وزنا كالخضر والكيزان (جمع كوز) . . . الخ ، وعلى أية حال فما طال مسيرنا حتى تعثرت بعض الثيران عند عبور مجرى صغير فآزحنا بصعوبة شديدة أحمال أحد الثيران التى كنا نتوقع أن يكون أداؤها أفضل من ذلك ، وفى محاولة منه للتخلص من أحماله الى الأبد راح يضربها بقرنيه وقدميه ليمزقها اربا ، وكان سائقى (سائق عربتى) السيد ركشاكنج Richerd King لازال يعالج من العرج الذى سببته ركلة بسبب الصعوبات التى عانىها فى هذه المحاولة الأولى ، اننا سنواجه المزيد من الصعوبات والمتاعب فى بقية الطريق وأن أكثر من نصف مؤننا سيتلف فى كل الاحتمالات ، لذا فقد أزمعت تغيير الطريق واصطحاب العربتين وعبور الجبال من موضع آخر ، لكننى تراجعت عن هذا رأى ووجدته غير عملى . تقلب المناخ هنا واضح بشكل جلى ، فبالأمس كانت الحرارة شديدة مدارية ، أما اليوم فالرياح الجنوبية الغربية شديدة ، فعانىنا جميعا من البرد ، أما من صحبنا من أهل البلاد فقد كاد البرد يصيبهم بالشلل التام .

وفى حوالى الساعة التاسعة من صباح هذا اليوم تركنا معسكرنا الليلى وألقينا النظرة الأخيرة على وادى العقيق (اليشب) بصنخوره الرومانسية وجروفه (جمع جرف يضم الجيم وتسكن الرام) ، وانطلقنا بمجرد دوراننا حول

هذه الجبال التي تحف بهذا الوادى المنعزل - فى اتجام الجنوب الغربى كما أشارت اليه البوصلة - وقبل الظهر وصلنا لمجرى صخرى وقد تناثرت حمولة عربية التحميل عند محاولة عبور هذا المجرى عند مخاضة من مخاضاته ، الا أن شيئاً - لحسن الحظ - لم يكسر ، كما أن المؤن ظلت سليمة لم تبطل باستثناء النذر اليسير ، رغم أن الصناديق وغيرها من الأشياء قد أصابها الماء بشدة - وحالما خففنا من حمولة العربية ، سقطت جوانبها واندفعت الى القاع لكننا استعدناها بمعاونة قوة الثيران وثبتناها كما كانت فوق العجلات وتم سحب العربية الى الشاطئ - أما العربات الأخرى فقد عبرت من مخاض أفضل ، وبعد ذلك كان لابد أن نمكث لاصلاح ما أصاب العربات من عطب ولتجفيف ما أصابه البلل - وبينما كنت راكبا أمام العربات فى هذا الصباح التقطت عصا مجرفة (فأس) من ذلك النوع الذى يستخدمه أهل هذه الأنحاء فاستنتجت أننا اقتربنا من منطقة مأهولة بالسكان ، وقد تكون أثرا من آثار جنسى نرح من هنا ، فقد بدت قديمة ظهر عليها تأثير الليل والنهار وتقلب أحوال المناخ ، وعلى أى حال فإن وجودها فى هذه البرية لا يمكن أن يخلو من دلالة -

بعد الظهر :

لم نكن قد قطعنا أكثر من أربعة أميال حتى اضطررنا الى عبور نهر آخر اعتبرته هو نهر أومزيمكولو Umzimcoolu ذلك أن المجرى الضيق الذى عبرناه هذا الصباح يصب فيه - فيما يبدو - عند نقطة غير بعيدة منا ، وقد أطلقت على

المخاضة التي خضنا عندها هذا النهر اسم مخاضة سيروس .
Cyrus ford نسبة الى جورج سيروس مترجمى الخاص . .

السبت ١٧ أكتوبر :

لا أذكر أنه سبق لى أن عانيت من البرد كما حدث لى
خلال الليلة الماضية ، فبقايا المياه التي بقيت فى الوعاء
(الجردل) قد غطتها طبقة من الجليد بسمك بوصة .
والعربات فى جنوب أفريقيا غير مهيأة جيداً ضد الرياح ،
فكل جزء فيها متحرك ومعد لاستقبال الهواء من الجهات كلها ،
ولم يكن لدينا حطب نشعله فيخفف عنا غائلة البرد خاصة
أن آخر عود كان لدينا استخدمناه فى طهى طعامنا فى الليلة
الماضية ، ومن هنا فقد واصلنا مسيرنا هذا الصباح ونحن
صائمون ، وقد تحول الجو بعد ذلك فأصبح دافئاً ، كما
أصبحت الشمس قوية ، لكن بعد أن قطعنا زهاء عشرة أميال
وجدنا أنفسنا غير بعيدين عن معسكرنا الذى قضينا فيه
الليلة الماضية ، فلم تكن المسافة بيننا وبينه تزيد على ميلين
أو ثلاثة .

الجروف الصخرية الحادة تعوق تقدمنا للالتفاف حولها
أملين فى الوصول الى تلال معشوشبة ، وفى أثناء هذا
الدوران غير المجدى فوجئت تماماً برؤية جبل صارم وعمر
فأطلقت عليه اسم قلعة المارد Giant's Castle فقد بدا لى
ما يشبه القلعة فوق تل داخلى . وكان ما سميته بقلعة
المارد يشبه قلعة أدنبرج Edinburgh Castle من ناحية أو
ناحيتين وعبرنا - ببعض الصعوبة - مجرى صغيراً
واجتزنا الى الناحية المواجهة .

بعد الظهر :

عبرنا المجرى المائى الذى يبدو أنه يتجدد مع النهر — الذى
أظنه نهر أومزيمكولو Umzimcoolo وهو فى طريقه نحو
مصبه . ولما عبرنا للشاطئ المواجه دهشنا الدهشة كلها
لظهور آثار أقدام بشرية فوق الرمال اتضح منها أن شخصين
بصحبة كلب قد عبرا النهر عند مغاضة هنا فى اتجاه
معاكس لاتجاهنا . واستنتجنا من هذا وجود بشمن اما أنهم
قد عبروا الجبال بحثا عن الطرائد أو أنهم من القاطنين فى
بعض المناطق القريبة على هذا الجانب من سلسلة جبال
كثلامبا Duathlamba وأثناء ارتحالنا هذا اليوم رأينا
عديدا من حيوانات الهرتبيس والعلندة وقطيع جنو Genu
من أحد عشر فردا ، ويعرف الجنو فى مستعمرة الرأس باسم
ويلدبيست Wild beast وتعنى الحيوان الوحشى Wildebeest
وهو الاسم الشائع بين الهولنديين . وعند الغروب تقريبا
اوبنا الى سفوح تلال حيث كان الماء متوفرا وكذا خشب
الوقود . ولأن عددا من السلاسل كانت تتخذ اتجاهها جنوبيا
شرقيا منشعبة من كتلة الجبال الرئيسية ، وكأنها أكتاف
أو نتوءات buttresses ، لذا فان وجود ممر ملائم خلال
الجبال فى هذا الاتجاه الآنف ذكره كان أمرا مبهما ، الا أننا
اتخذنا اتجاهها جنوبيا غربيا وقطعنا فى هذا الاتجاه واحدا
وعشرين ميلا .

الأحد ١٩ أكتوبر :

كانت المنطقة تتصعد بنا (ترتفع شيئا فشيئا) منبد
بعد ظهرة الأمس ، وكنا نتوقع توقعا قريبا من اليقين فى
يومنا هذا أننا سنصل الى الممر المشهود . وكان مظهر المنطقة

مشجعاً ، وكنا قادرين أن نصعد بعرباتنا الى قمم بعض المرتفعات الصخرية التى كنت أميل الى أنها جزء من السلسلة الجبلية الرئيسية ووجدت واديا عميقا أمامنا ، فتركت الرفاق وتسقلت سلسلة جبلية طويلة شديدة الانحدار ، وكانت هذه السلسلة عن أيامنا ، وتابعت التسلق حتى وصلت الى سطح مستوى (كالمنضدة) ، ولم يكن تسلقى هذا مجديا رغم أنه استغرق منى ساعتين ، فلم تكن هذه الجبال غير سلسلة موازية بينها وبين جبال الكوتلامبا Quathlamba الحقيقية سلسلة من الصدوع والجروف الشديدة التى تجعل الاقتراب منها مستحيلا .

الثلاثاء ٢٠ أكتوبر :

أكملنا الهبوط من المنحدر وهو ما كنا غير قادرين عليه فى الليلة الماضية ، حتى وصلنا الى أرض مسطحة ، وعبرنا مرتين المجرى الذى كان يمر بها ، ثم عبرنا فرعا لهذا المجرى ذاته . وبالقرب من هذه البقعة لاحظنا أخشابا محترقة بالقرب من جمجمة علندة ، وكانت هذه الأخشاب مرتبة بطريقة جيدة مما يدل على أنها لم تشتعل صدفة وإنما أشعلها بعض البشمن الجوالين فى المنطقة أو أجناس أخرى من أهل البلاد ، بقصد انضاج لحم الحيوان (العلندة) الذى تم اصطياده . ولأن السلاسل الجبلية مازالت تتخذ فى استمرارها اتجاه الجنوب الشرقى ، فاننا - لتجنب الدوران الكامل حولها - عبرنا واحدة فقط . لقد كان ذلك عملا شاقا بالنسبة لهذه الثيران البائسة ، لقد تطلب الأمر تغيير دعامتى spans كل عربة مرتين أثناء الصعود ، كمسما تطلب الأمر إعادة تثبيت ثلاث عجلات على الأقل عند الهبوط من الناحية الأخرى ، وكان من الضروري أن نمسك أعنة

الثيران جيدا ونحاول السيطرة عليها حتى لا تنقلب بالعربات
رأسا على عقب . . .

الأربعاء ٢١ أكتوبر :

أعاقتنا بالأمس (بعد الظهر) ريح عاصف مصحوبة بمطر
شديد ، وبروق ورعود ، فلم نستطع اكمال هبوط المنحدر
واكمال العملية المعتادة المتمثلة فى تثبيت العجلات الثلاث
واصلاحها واعادة قتل الأحبال وتدعيمها ، وقد أنجزنا كل
ذلك هذا الصباح ، وكان المنحدر الأخير وعرا شديدا تماما
كالمنحدر الأول ، ولما عبرنا المجرى الذى يفصل ما بين
الجبليين ، وتطلب هذا منا جهدا وجدنا أنفسنا على أرض
أكثر استواء وعبرنا بعض المرتفعات حتى وصلنا الى المجرى
نفسه لكن من ناحية الغرب . ولم نر الا حيوانا واحدا من
حيوانات الهرتبيس وقليلًا من الأيائل .

بعد الظهر :

أضحي الطريق معقدا غاية التعقيد مرة أخرى ، وتطلب
الأمر كثيرا من الحذر وكنا غير قادرين على الاسراع وعند
اقتراب غروب الشمس وصلنا لمرتفع مجاور حيث قضينا
الليل ، قطعنا اثني عشر ميلا . الاتجاه العام : ناحية الغرب .

الجمعة ٢٣ أكتوبر :

وجدنا صباح الأمس أن توالى الحواجز الصخرية
شديدة الانحدار قد منع كل تقدم لنا صوب الجنوب الغربى ،
فهبطنا مرة أخرى ، وتبعنا تعرجات مرتقى حاد a steep
acclivity وكان عن يمينى نهر تعترض مجراه سلسلة من

الجنادل ، وقد تبينا بقلق بظن المسيل ravine باحثين عن مخرج فمن يميني ويساري جبلان قاحلان شديدا الانحدار الا أننا كنا قادرين على مواصلة المسير غربا لثلاثة أميال ، لكن الجبلين قد التقيا الآن في نقطة ، فاستحال علينا بذلك مواصلة المسير في الاتجاه ذاته ولم يعد أمامنا الا صخور وجروف مضطربة اضطرابا شديدا ، وكان الارتفاع شديدا ، ولم يكن ثمة ممر أو طريق ملائم للعربات ، وعلى أية حال فقد تفرق رفاقنا بحثا عن مخرج وعادوا جميعا بتقارير غير مشجعة . ان هناك مساحات مسطحة يمكن للعربات أن تسير فوقها ، لكن بعد ذلك يأتي المنحدر الشديد . . . وبينما كنا في هذه الحيرة الشديدة لاحظنا آثار أقدام خيول وماشية وأخبرنا جاكوب Jacob أنه استدل على ممر مطروق يصل الى كهف يبدو أنه أهل بالبشر ، ولم نضع وقتا في اكتشاف هذا المأوى البشرى (الكهف) غير المتوقع ، فتتبعنا الممر المتعرج لحوالى نصف ميل فوصلنا فجأة لمدخل كهف . . كان الكهف مقسما من الداخل بشكل فج بجدوع أشجار وأفرع ، وبذلك كان يكون أربع غرف منفصلة . وكانت آثار النيران واضحة فى كل مكان ، وهناك بقايا حصر ، وبقايا أعواد ذرة ، وأوان للطهى ، وريش من ذلك النوع الذى يوضع فى الرأس ، وسوار من ذلك النوع الذى يوضع حول الرأس (الشعر) وغير ذلك . . ولفت انتباهنا على نحو خاص آثار الخيول . . مما يشير الى أن قاطنى هذا الكهف كانوا جماعة من الأماكوزا Amakosa لجأت لهذا المأوى الذى يسهل الدفاع عنه .

ان هذا الكهف يمكن أن يضم مائة شخص على الأقل . . وبالقرب منه مرعى واسع يكفى للعديد من رعوس الماشية ، ومن شواهد عديدة أظن أن هذا الكهف لم يهجره قاطنوه

الا منذ مدة لا تزيد على ستة أسابيع أو سبعة بعد أن تأكد هؤلاء الكافير من استقرار السلام مع مستعمرة الرأس أو بقصد تركيز قواتهم في موضع أكثر ملاءمة ، الا أنني أميل الى ترجيح الغرض الأول لكن ما جعلني أرتدع عن محاولة التقدم صوب الجنوب الغربي هو التقارير التي تلقيتها عندما كنت في بنتنج Bunting ، خاصة اعتراف جواسيس خيلي Kheeli أن قبيلة الراحل هنزا Hinze كانت تفكر في الاتجاه شمالا ، وربما - قبل ذلك - تكون قد احتلت كل المنطقة من رأس كيتو Keito الى الجبال ، وبذلك يكونون قد استولوا بشكل مباشر على الطريق الذي سنسلكه * لقد حان الآن الوقت الذي ينبغي أن نقرر فيه ما اذا كنا سنواصل لتحقيق هدفنا الحالي بالوصول لمستعمرة الرأس بعبور سلسلة جبال كوثلامبا Quathlamba ... * * *

وانتهى بنا التفكير الى ضرورة العودة الى بانتنج Banting ثانية أملين أن تكون حروب السكافير قد انتهت في الوقت نفسه وأن يكون الطريق المعتاد قد أصبح مرة أخرى مفتوحا وما ان استقر رأينا على هذا القرار حتى ودعنا جبال كوثلامبا بصخورها وجروفها * *

رحلة

روبرت موفات - (١)

ROBERT MOFAT

ماكابا

MAKABA

ولد روبرت موفات سنة ١٨٩٥ م في شرق لوثيان East Lothian وقد تدرب ليكون بستانيا وبالفعل اشتغل بهذه المهنة ؛ لكنه أحس بشوق شديد للقيام بعمل ارشالي (تبشيري) . وقد قبلته ارسالية لندن التبشيرية سنة ١٨١٦ م ليكون أحد اعضائها . وفي سنة ١٨١٧ م وصل الى جنوب افريقيا ومكث في بلاد النماكوا Namaqua-land حوالي اثني عشر شهرا وجاز في المنطقة من الاورانج الى لاتاكو Lattakoo ، وعند عودته الى بلاد النماكوا أصبح واحدا من الافريكانز Afrikaner (مواطن من مواطني جنوب افريقيا من اصل اوروبي) . وعينه الدكتور فيليب والراجل جون كامبل Campbell كمسئول تبشيري في لاتاكو ، وفي سنة ١٨٢٠ م ذهب الى بلاد البتسوانا Bechuanaland وزار القبائل المحيطة يلاتاكو وساعد الوطنيين الذين يقاومون غزو المانتيتز Mantetees الذين هربوا بدورهم بسبب استيلاء الزولو على بلادهم . وفي سنة ١٨٢٤ م قبل دعوة لزيادة ماكابا Makaba زعيم البانجواكتس Bangwaketse والمقتطفات التالية من كتاب :

Moffat's Missionary Labours and Scenes in
Southern Africa.

المنشور في لندن سنة ١٨٤٢ م .

... لقد خرجت بصحبة بعض الجريكو Griquas الذين كانوا فى سبيلهم لصيد الفيلة ، وبعد أن ظللنا سائرين طيلة ثلاثة أيام فوق سهل رملى الى حد ما تنمو به أشجار الأكاسيا هنا وهناك - وصلنا الى نهر ماشاوا Mashana وهو نهر ليتاكو القديم Old Lithako river حيث حصلنا على الماء بالحفر فى باطن مجراه - وهنا انضمت اليها مجموعة أخرى يقودها الزعيم بيرند بيرند Berend Berend .

وبعد أن غادرنا هذه البقعة التى تزودت فيها ثيراننا العطشى بقليل من الماء ، اتخذنا اتجاهها شماليا وشرنا فى سهل رملى آخر تناثرت فيه أشجار الأكاسيا الضخام بأعداد قليلة .

وعندما حل وقت الغروب توقف مرشدونا من البشوانا Bechuana - وفقا للعادة المتبعة - لقضاء الليل ، ولأن الماء كان بعيدا فان جماعتنا خشيت التقدم فى هذا الليل البارد لجلبه (أى الماء) للثيران العطشى .

وقد أكد مرشدونا أننا ان حاولنا التقدم لجلب الماء (بمفردنا) فسنضل الطريق لكن الغالبية رأت أن تستشير فيما بدا وكأنه الطريق المباشر ، وبينما كان ركب العربات سائرا اضطجع سائقو العربات الخلفية وناموا ثقة منهم بسائقى عربات المقدمة ، وهو أمر شائع - وداعب الناس بشدة سائقى العربات الأمامية ، وبعد بضع ساعات استطعت أن أتبين بوضوح من النجوم أننا قد انحرفنا ناحية اليسار ، فأخبرت بذلك سائقى العربات الأمامية الا انهم أكدوا أنهم يسرون فى الاتجاه الصحيح ، وكنت أنا متأكدا أنهم يسرون فى الاتجاه الخاطيء - وفى حوالى الساعة الثانية صباحا

توقفنا ، واستغرق أفراد المجموعة الرئيسيون فى النوم لفترة يسيرة ، ولما استيقظوا أحاطوا بالنيران المشتعلة للتدفئة ، فالتفتة الآن من الأمور المقبولة ، بينما حر النهار لا يطاق ، وبينما كانوا يعدون أقداح القهوة أخذت بوصلتى لأؤكد للمجموعة أننا طوال ساعتين كنا نسير فى اتجاه الماشوا Mashaua وهو المكان الذى خرجنا منه ، ومعنى هذا

أننا نعود من حيث أتينا ، فنظر الأكثر تعقلا منهم الى البوصلة لفترة ، ثم تطلعوا حولهم ونظروا للنجوم وأعلنوا أن البوصلة غير سليمة ، وذكر آخرون أن بوصلتى قد تعرف الاتجاه فى بلدى لكن كيف تعرفه فى بلاد الآخرين ! وبينما كنا نتناول طعامنا المتواضع ، بدأ القمر الشاحب يظهر من الأفق الشرقى . فقال واحد منهم : « يا لها من نار ! » فقلت له « انه القمر » فأبدى الجميع دهشتهم وقالوا : « ان القمر لا يمكن أن يبرز فى هذا الجانب » وقال أنطوانى - وهو رجل وقور كبير السن كان عبدا ذات يوم - بوقار : « سيدى ! ان رأسك دار ، لم يبرز القمر من الغرب طوال حياتى . » وأنا رجل كبير السن « فقلت مؤكدا : « انه القمر » لكن أحدا لم يصدقنى ، وواصلنا تناول طعامنا . وسرعان ما ظهر القمر هلالا فى الأفق ، فهبوا واقفين جميعا ، وقال بعضهم متسائلا : « ما هذا ؟ » ولم أجد مبررا لمواصلة تقديم براهين لهم ، وقال أنتونى بحزن : « ان القمر - للمرة الأولى فى حياته - قد بزغ من الناحية الخطأ » ، وعندما أشرقت الشمس بدا جليا للجميع أننا ظللنا طوال نصف الليل نسير عائدين الى المحطة التى انطلقنا منها ، ولم نكن نتقدم ، والأسوأ من ذلك أننا اكتشفنا أن كل ثيراننا العطشى قد غادرتنا عائدة لموضع الماء الذى تركناه ، وأرسلنا رجالا على خيول لاعادة الثيران مرة أخرى ،

وفي المساء عادت الثيران جميعا فربطناها للتو وسرنا في اتجاه الماء ، وعنده وجدنا بعض أدلتنا فضحكوا كثيرا وبعثوا ... وتوقفنا لساعتين لانعاش ثيراننا ، بينما أحضر لنا صيادونا كثيرا من لحوم الكركدن (وحيد القرن) والجاموس البري . وبعد ذلك واصلنا رحلتنا فوق منطقة من الأحجار الجيرية تغطيها أشجار الأكاسيا الشائكة *nook-norn* *acacia* وتوقفنا مرة أخرى في كونجكي *Kongke* فقضينا يوم السبت واسترحنا - وفقا لاتفاق مسبق مع الجريكو اذ اشترطنا عليهم أننا وهم لا يجب أن نسافر أو نصطاد في هذا اليوم ، واستمتعنا بالخدمات المعتادة . وقد أتيح لي هنا أيضا مخاطبة الأهالي الذين تحلقوا حولنا مع أن المنطقة بدت في بادئ الأمر بلا سكان . واتخذت جماعة البشوانا *Bechuanas* التي صحبتنا حتى هنا طريقا نحو الشمال الغربي حيث يريدون الوصول الى كالاجارى *Kalagaré* بينما واصلنا نحن رحلتنا الى الشرق .

لقد أصبحت المنطقة أكثر جاذبية ، تتناثر فيها تلال من الحجر الجيري تغطيها الأشجار والآكام ، وتتوافر فيها الطرائد التي يتعين على بعضها أن تقطع عشرين ميلا على الأقل لتصل الى المياه ، وعلى أية حال ، فقد وجدت أن كثيرا من الظباء من النوع الذي يمكنه البقاء بدون ماء لمدة يومين ، بينما حيوانات وحيد القرن (الكركدن) وحيوانات الكواغة *Quaggas* (حمير جنوب أفريقيا الوحشية) لا بد أن تشرب كل يوم . وخلال النهار قتل بعض رفاقنا فيلين ، وكنا مضطرين لاقامة معسكرنا في مكان مكشوف في سهل لا ماء فيه ، فقد كان من الخطورة مواصلة السير فقد كان صوت زئير الأسود يأتينا من مكان بعيد . وفي اليوم التالي

واصلنا المسير نحو الشمال فى منطقة متموجة مفضاة بعدد كبير من أشجار جيدة أخشابها . وتوقفنا عند نبعين طبيعيين يفوقان الوصف ، تفصل بينهما تكوينات الشست الحديدية iron schist ، ويبعد النبع عن الآخر مسافة مائة ياردة . ويبلغ عمق أحدهما حوالى ست عشرة قدما ويبلغ عمق الماء فيه أربع أقدام . وكلاهما منحدر انحدارا عموديا ، وقطر الواحد منهما قدمان ونصف قدم . ويتكون التل الذى يقعان به من كتلة متكتلة من الشست الحديدى ويبدو من مظهره وكذلك من جوانب هذه الفيون (الآبار) كما لو أنه كان فى حالة انصهار فى وقت من الأوقات ، كما بدا أن ناراً داخلية كانت خلال هذه الثقوب (التجويفات) ، لكن شيئاً كاللأفا Lava (الحمم البركانية) لا يظهر فى المنطقة المحيطة وقد علمت من الوطنيين الأكبر سناً والذين عاشوا طوال حياتهم بالقرب من هذه الينابيع أنها فى وقت من الأوقات كانت أكثر عمقا . لقد كانت مياهها ممتازة . وحتى نحصل على قدر كبير من المياه لنا ولخيولنا ، فقد ربطنا وعاءنا (جردلنا) فى حبل

لقد أطلقت النيران على فيلين وكان هذا خبراً مفرحاً للبوشوانا البائسين الذين راحوا يترددون على جسدى الفيلين بسكاكينهم الهزيلة ورماحهم وسرعان ما قطعوا الحيوانين الثقيلين . ان وضع هؤلاء الناس الفقراء بائس حقاً ، وقد أشرت اليهم فى الفصل الأول حيث يجد القارىء أن حالتهم لا تختلف عن حال البشمن ، بل إن أوضاع البشمن أفضل فهم — أى البشمن — يتمتعون بالاستقلال ويمكن لهم أن يقدموا خدماتهم لجيرانهم فى أوقات المسرات ، ان معاناتهم تفوق معاناة القبائل غير المستقرة لأنهم سراق ماشية مما يجعل

جيرانهم يكتنون لهم البفض ، فكل ما يفعلونه هو جلب الطريدة والاستحواذ عليها كلها ، وليس الأمر كذلك بالنسبة للبشوانا Bechuanas البؤساء ، فاذا تقابل أحد سكان المدن مع واحد منهم طلب منه أداء كل الأعمال حتى المزعج منها . وقد شاهدت بنفسى شيئا كهذا أثناء هذه الرحلة ، فالآخرون يتحدثون عنهم على نحو ما يتحدثون عن ثيران البحر ودواب التحميل لأنهم بالفعل يقومون بهذا العمل ، وبينما كنا هنا قابل رجل من الموشوانا Mochuane بعضا من هؤلاء البشر كانوا قادمين من مسافة بعيدة حاملين معهم اللحوم لأسرهم . . . واذا حدث أن سقطت الطريدة الجريئة فى مكان بعيد عن الماء ، فان هؤلاء البشر يتجمعون - خاصة النساء - ويضطرون لحمل اللحم لمسافة قد تصل الى ثلاثين ميلا ، ولمنع هؤلاء البشر من الفرار من الخدمة خاصة اذا كان مطلوبا منهم أداء أعمال فى اليوم التالى ، فانهم يحتجزون فى مكان تحيط به الأشواك تماما كالخراف ، وفى هذا المكان المسور والمحاط بالفروع الشائكة يتعين عليهم قضاء الليل ، وكثيرات من النسوة البائسات يردن الماء خاصة اذا لم يجدن غرباء عنده . ولم يعترض البشوانا Bechuanas الذين كانوا يسافرون معنا الى بارولونجر Barolonge لتدخلى لصالحهم الا أنهم ضحكوا لغبائى لتعاطفى مع هؤلاء الكلاب Lincha . لقد كانوا مثل الوطنيين عامة يعيشون بعيدا عن الماء ويضطرون للذهاب لجلبه مرة فى اليوم ، ولأنهم لا يستحمون فان قليلا منه يكفى للشرب ، لذا فان أوانيهم التى يجلبون فيها الماء عبارة عن قرب جلدية ، كما انهم يستخدمون كروش الحيوانات وأحشاءها ملئها بالمياه ، ويستخدمون للفرض نفسه بيض الثعام . (بعد ثقبه ويتخذون

له سدادات من الأعشاب) ، ويمكن للمرأة أن تحمل ثلاثين بيضة من بيض النعام هذا وهي مليئة بالماء .

لقد قضينا هنا راحة يوم السبت ، وكان يوما مفيدا كما أعتقد . . . وكان الجانب الرئيسي من الطرائد التي حصبوا عليها عن طريق الشراك (الحفر التي يحفرونها لتسقط فيها الطرائد) . وقد رأيت بعضا من هذه الحفر التي يبلغ عمق الواحدة ست عشرة قدما والتي يمكنها أن تستوعب زرافة أو حتى حيوان وحيد القرن . وبعض هذه الحفر تتخذ الواحدة منها شكل القمع ، وبعضها الآخر مجرد مستطيل وفي قاعها أوتاد حادة ، وهم يبعثرون الأتربة المستخرجة ، ويفطون هذه الفتحات بالأغصان والحشائش ، وتعد هذه الحفر خطرا يمكن أن يحقق بالمسافرين والصيادين . . .

لقد كان المنظر مبهجا للعين ، فالآجام متناثرة حولنا والسهل الواقع بيننا وبين نهر مولا بو Molapo الى الشمال منا يبدو كالغابة لكن الأشجار - خاصة الأكاسيا - كانت صغيرة . وفي الأفق البعيد يرى المرء تلالا في منطقة باونجتسي Bauangketsi وقد غطتها - أي التلال - الأشجار بشكل واضح ، مما يشير الى أن تربة المنطقة خصبة . وكانت الأسود كثيرة في المناطق المجاورة لنا لكنها لم تزعجنا الا بزئيرها الذي كان يصل الى أسماعنا بين الحين والحين . وتوجه بعض راكبي الخيول الى نهر مولا بو Molapo فوجدوه جافا . وكان يتحتم علينا أن نغير اتجاهنا .

و ذات مساء وصلنا الى بركة كونتها مياه الأمطار ، وكانت مخاطة بالنيران لمنع الحيوانات من الاقتراب منها ، وكان

عشورتنا على هذه المياه بمثابة نجدة الهية لأننا لم نعثر على مياه بعد مفارقتنا هذه البركة ليومين كاملين .

وقد استقبلنا الوطنيون القليلين الذين زارونا بود شديد فدفعهم هذا لاضمار كل أفراد القرية الى معسكرنا ، ولأنه كان في حوزتنا قدر كبير من اللحوم فقد قدمنا لهم منها فكافأونا بالسماح لماشيتنا بالشرب من البركة التي يحرسونها بأشعال النيران حولها . ومع أن الحساء الذي أعدناه كان به قدر كبير من الطين إلا أنهم ابتلعوه بشراهة وتحلق اثنا عشر شخصا حول الآنية وراحوا يشربون ويقتنصون اللحم دون ملاحق ، ولم ينتظروا حتى تبرد ، لقد راح الواحد يستخرج قطعة اللحم بيمناء وينقلها الى يسراه ثم يقذف بها الى فمه بسرعة . لقد اكتسحوا كل ما فى الاناء ولم يبقوا شيئا .

وفى اليوم التالى ارتحلنا عبر سهل رملى جاف ، وتوقفنا بدون ماء . وتابعنا مسيرنا فى اليوم التالى مبكرا وكان أمرا مقلقا أن نرى الماشية البائسة تعاني العطش وراحت تجرى فى ظلال الأشجار والشجيرات . وأخيرا هبطنا قاع نهر مولا بو Molapo لكنه كان جافا كالسهول المحيطة به . وتابعنا مسيرنا شرقا فى قاع هذا النهر الجاف ولم نلتق بأحد يدلنا أين نجد الماء . لقد أصبح الوادى صخريا فاضطربنا لقيادة عرباتنا فى المنطقة المكشوفة ، وما كدنا نفعل ذلك حتى مر أسدان فى المنطقة التى غادرناها لتبونا ، وكان الأسدان يزاران بعنق .

وبعد أن قطعنا بضعة أميال نعدو فوق أرض يابسة مشجرة ، هبطنا مرة أخرى لبطن (قاع) النهر فاكشفنا

وجود غاب (بوص) مشتعل ، فجريننا متوقعين وجود الماء
لكننا لم نجد ما نطلب . لقد كانت الماشية وكذلك الرجال في
الغاية من الارهاق فتوقفنا لقضاء الليل ، وراح كل منا يفكر
في أن هذه الليلة قد تكون هي الأخيرة في حياته . لقد كانت
أجسادنا مرهقة وعقولنا مشتتة بسبب السفر ليومين
متواصلين ، كانت الحرارة فيهما شديدة ، وكان السهل الذي
قطعناه في هذين اليومين متربا ، وكانت الرياح جافة
ساخنة . لقد كان معسكرنا المكون من أحد عشر عربة وأكثر
من مائة وخمسين ثورا وما يقرب من مائة شخص ساكنا
سكون الصحراء لا يقطع سكونه سوى أنين الماشية المرهقة
المنهكة ، بينما كان هذا المعسكر مفعما بالحركة والنشاط
في ظروف أخرى خاصة عند توفر كمية كبيرة من اللحوم .
لقد جعلنا الظمأ الشديد نستيقظ مبكرين ، وعندما
تفحصنا آثار الأقدام وجدنا أن راكبي الخيول الذين سبقونا
في اليوم السابق قد اتجهوا شرقا . وقبل أن نتقدم كثيرا
اكتشفنا وجود جاموسة برية بين الغاب (البوص) ، فأطلق
رجالنا بنادقهم لكنهم لم يستطيعوا الوصول إليها فقد كانت
قد توغلت في عمق الغاب (البوص) ، وتوسلت للرجال أن
يكفروا لأنه من طبيعة الجاموس البري أنه إذا جرح أصبح
خطرا يصعب تحاشيه ، وعلى أية حال فإن الرجال استمروا
في إطلاق النار قائلين : « إذا لم نصب ماء فلا أقل من الحصول
على لحم طازج » . ولكي يجبروا الحيوان على الخروج من
البوص راحوا يطلقون النار ، فاندفع الحيوان الهائج بين
النيران والدخان ، وبدأ من خلال اندفاعه كخنزير سمين
هائج ولحق توا بواحد من الرجال ، فتحاشاه بمجرد الانبطاح
أرضا فجرح جرحا خفيفا وتمزق رداؤه . ولولا أن الكلاب
كانت تحاصر الحيوان الهائج من الخلف لكان الرجل قد لاقى

حتفه • وعاد الحيوان (الجاموسة البرية) الى البوص لا يريد تركه لكن طليقة شوت جلده بما فى كلمة شواء من معنى • ووصلنا ظهرا الى مجرى مائى ولم نكن نتوقع هذا فاندفع الرجال والثيران والخيول والخراف واختلط الجمع الجميع بشكل مضحك • ودفع ثور أحد الرجال وعم السرور وأنعشت برودة الماء الحيوان والانسان على سواء • وثمة رجل آخر - من فرط تسرعه - ألقي بنفسه على الشاطئ بدلا من أن يلقي بنفسه فى الماء وتبعته الماعز والخراف ، وثمة رجل ثالث راح يزحف بين أرجل الثيران ، وآخر راح يدفع بيده بين الثيران مزاحما اياها ليصل للماء • وصرخ رجل معلنا أن حصانا قد وطأه ، وصاح رجل قائلًا انه يغوص فى الطين ، وأثناء حدوث ذلك كله لم تظهر الفرحة على حقيقتها الا بعد أن ارتوى الجميع وخرجوا من الماء • لقد كانوا مبتلين ، وبعضهم كان ملوثا بالطين ، فكان هذا المنظر باعثا على الضحك ، فأغرق الجميع فى الضحك حتى استلقوا على أقيمتهم • وبينما كان يتم اعداد اللحوم فوق النيران راح الجميع يدخنون التوباكو بتلذذ وأطلقت الألسن بفصاحة معبرة عن الشدة التى واجهناها فى الأيام الماضية • من الضرورى أن تكون شاهدا حاضرا معنا لتفهم ما كنا فيه من سعادة ، فالكلمات وحدها لا تكفى للتعبير • وقد استمتعنا هنا بيوم راحة ، ووصلنا فى اليوم التالى الى بيتسان Pitsan وهى المدينة الرئيسية لقبيلة البارولنج Barolong التى كان يعيش سكانها قبل ذلك - عندما زارها السيد كامبل Campbell - فى منطقة كنوانا Kunuana أو موشو Mosheu الواقعة الى الجنوب على بعد ثلاثة أيام •

وظهر تونى Tauane الزعيم الأكبر وسط جمع غفير
 وجلبية ، وحيانا بالطريقة الانجليزية ماذا يده اليمنى ليصافحنا
 قائلا بقدر ما أسعفه النطق صباح الخير ، لقد تمنوا لنا كلهم
 عددا كبيرا من « صباح الخير » مع أن الشمس كانت قد
 غربت ، وفي اليوم التالى قابلنا المسئولون الرئيسيون وتحدثنا
 معهم عن هدف رحلتى وحدثهم الجريكو Griquas عن خصمهم
 لصيد الفيلة فى المناطق المجاورة . وقد حاول تونى - وهو
 رجل يبدو ضعيفا متسما بالبلاهة - أن يثنىنى عن زيارة
 هذا الشخص سيىء السمعة ، توقع أن ألقى حتفى بسبب هذه
 الزيارة ، ومثل هذه الأقوال شائعة بين القبائل الأفريقية ،
 وهذه المدينة - التى تشغل مساحة واسعة ، وتضم أقساما
 عدة للباهورستى Behursti وأقساما أخرى للبانجكتسى
 Bauanghetsi - بها ما يزيد على عشرين ألف نسمة تجمعها
 هنا جميعا المانتاتيز Mantatees . وأثناء غيابى فى مدينة
 الكاب زارهم السيد هاملتون Hamilton واستمع اليهم
 كثيرون باهتمام كبير ، وقد كان مطر يهطل أثناء زيارته لهم ،
 فأتىح له أن يرى صانع المطر (جالب المطر rainmaker) .
 الشخص الذى يطلبون منه التضرع بدعوات خاصة
 لجلب المطر . ولم يذكرونى بهذه الحقائق وعندما سألتهم
 عما علمه منهم وجدت أن ذاكرتهم غير قوية بما فيه الكفاية .
 وخوفا من ألا نستغل الوقت أفضل استغلال خاصة يوم
 السبت ، فقد أدت الصلوات باللغة الهولندية للجريكو
 الا أن الضوضاء التى أحدثتها الجموع أجبرتنا على التوقف .
 ثم حاولت التحدث مع مجموعتين مختلفتين فى المدينة أن
 أشرح - عن طريق مترجم ، وبمؤازرة بعض الزعماء -
 وناقشت مع الأشخاص المهمين موضوع إقامة مركز تبشيري
 بينهم ، فقال أحدهم « يجب أن تأتى لتسقط المطر » وقال

آخري : « يجب أن تأتي لتقديم الحماية لنا » ، ومن الطبيعي أنني حاولت أن أجعلهم يفهمون أن هدف الارسالية ليس إسقاط المطر أو تقديم الحماية لهم وضربت لهم مثلا بالارسالية التي في كورومان والتي يعرف بعضهم عنها معلومات وافية . وقد ازدحمت حولنا الجموع التي بدا من الواضح أنه ليس لديها ما تفعله - من الصباح حتى الليل . وكانت المدينة تخضع لحكم ثلاثة زعماء : تونى Tauane وجونتسى Gontse وانشى Inche وكان تونى يعتبر هو الأقوى ، رغم أن هناك عددا كبيرا من البارولونج Barolongs يخضعون لسلطة جونتسى Gontse وهو أخو خوزى Khosi الذى وصفه السيد كامبل ، وقد تم خلع خوزى هذا لافتقاده للأنصار . وكما فى كل المدن الأخرى ، يوجد فى هذه المدينة أقسام مخصصة لسكان من قبائل أخرى تجمعوا تحت قيادة زعماء منهم واحتفظوا بخصائصهم التي تميزهم عن القبائل (الأمم) الأخرى ، ومن ثم ، فهناك خاصية كبيرة للبوانجكتسى Bauangketsi يحكمها السزعيم مورومولو Moromolo وهو رجل حقق شهرة لاتضافه بالعدالة والبراعة القيادية . لقد أحضروا لنا عددا كبيرا من الأواني الخشبية والملاعق الخشبية والخلي ليبادلوها بما لدينا ، وتقدم لنا - مع آخرين - رجلان كبيران وقدا لنا طفليهما وعرضا بيعهما وطلبا فى مقابل أحدهما خروفا ، وفى مقابل الآخر جفنة خرز . وقد انتهزت هذه الفرصة وبينت لهما ولكل الحاضرين أن بيع الأبناء أمر غير طبيعي ، كما بينت لهم النتائج الرهيبة التي تحدث نتيجة ذلك ، فالخروف سرعان ما يؤكل وفائدة الخرز وغيره من أدوات الزينة محدودة ، أما الأطفال فهم الباقون والأطفال هم الذين يقدمون المساعدة لذويهم . كما أنهم - أى الأطفال

— سيكونون مفيدين للقبيلة بشكل عام ولأهلهم بشكل خاص خاصة اذا كبر الوالدان وطعنا في السن واحتاجا لمساعدة من الأقارب والتمسوا أصدقاء ، ساعتها سيودون أن يكون لهم أبناء . وابتعد الرجلان وقد خاب أملهما فلم نشتر طفليهما ، بينما وجدت الآخرين الذين تحلقوا حولي واستمعوا لكلامي قد اقتنعوا ببشاعة هذا الجرم وأدانوا أنفسهم بالتغاضي عنه ، ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن البشوانا Bechuanas لا يعرفون الاسترقاق (العبودية) بالمفهوم المعروف للكلمة . ويسود النظام الاقطاعي بين القبائل . وتوجد طبقتان : طبقة الأغنياء وهي تتمثل في الزعماء الذين يتوارثون الزعامة ، وطبقة الفقراء وقد استمرت هذه الطبقة الأخيرة في الظروف نفسها وهم بمثابة عبيد للأرض (مقطعين — بفتح الطاء) Vassalage وحياتهم تشبه على نحو ما حياة كلابهم اذ يعانون من الجوع والكسل والبطالة لكنهم يعدون مملوكين (من ممتلكات) زعمائهم الموقرين ، وقد عاش آباؤهم منذ زمن سحيق في نعمة سادتهم (زعمائهم) . وعلى أية حال ، فثمة اعتقالات تجري عليهم ويتم التحفظ على بعضهم ، فيضطرون الى مغادرة المكان ليعيشوا حياة أكثر راحة في مناطق بعيدة لكنهم ان تعرضوا للخطر في منفاهم الاختياري اضطروا للعودة الى سادتهم (زعمائهم) القدامى لحمايتهم .

وقد كان توني (تاوني Teune) معارضا تماما لذهابنا لمنطقة (حى) الباونجكتسى ، وكان قد قدم لى احدى زوجات ماكايا كانت قد هربت مع ولديها ، وكان أحدهما قد لاقى حتفه بعد ذلك مثل أبسالوم . . Absalon على يد المقاتلين فى جيش والده بسبب خيانتة (هروبه مع أمه) .

وكانت الأم المغامرة جميلة ووقورة . وبعد أن اقنعت نفسى بأنه من الضرورى أن نستمر فى طريقنا واصلت المسير مع مجموعتى الصغيرة ، متوقعا أن يسلك الضيادون طريقا آخر لاقتناعهم بأن كل ما سمعوه عن ماكابا صحيح . وعلى أية حال فقد فك الجميع أربطة ثيرانهم فى وقت واحد وبدأ الراكب طريقه الى منطقة الباونجكتسى Bauangketsi . وتوقفنا ليلا بالقرب من بركة كبيرة متوقعين بسرور أن نقضى يوم سبت هادئ *tranquil Sabbath* . علمنا أن الطريق مازال طويلا أمامنا حتى نصل الى زرائب ماشية الباونجكتسى Bauangketsi . وكلما أوغلنا فى المسير بدا الاعياء جليا على ثيراننا . لقد تركناها بلا حراسة أو أرخينا لها بحبال الجر التى تربطها بالعربات مع أننا كنا فى منطقة غريبة تعج بالأسود .

وبعد أن أدبنا الأعمال المعتادة فى المساء خلدنا جميعا للراحة ورحنا نستعيد حكايات البارولنج Barolong المزعجة عن الرجل المهم الذى نحن ذاهبون اليه ، الذى يتحتم علينا - وفقا لما قاله البارولنج - أن نشرب جمته (بيرته) فى جماجم آدمية . وقد اكتشفنا فى الصباح أن حوالى خمسين ثورا من ثيراننا قد شردت أثناء الليل ، والتقيننا فى إفتزة ما قبل الظهر متوقعين أن يعود الرجال الذين ذهبوا للبحث عن الثيران الشاردة - حالا . وفى منتصف النهار عاد الرجال وذكروا أنهم أجروا بعض التحريات فعلموا أن الثيران قد وقعت فى أيدي حراس زرائب ماكابا Makaba وذكر رجالنا أنهم قتلوا أحد الثيران ، ولم تثر هذه الأخبار فى معسكرنا مجرد الثرثرة والهمس ، وإنما أثارت الرعب أيضا ، وكثرت التاويلات والتخمينات وفكر البعض جديا فى الهرب ،

وبذلك لم يكن يوم السبت مفيدا ومريخا كما كنت أتوقع .
وعلى أية حال فقد هُذأ بالناس شيئا ما لأن الرجال استمادوا في
المساء ستة ثيران ولحم الثور المقتول وذكروا أن بقية
الثيران قد انفصلت وتم إرسالها الى زرائب مختلفة ، وتوسل
اليها الرجال كثيرا كي نشفع (نتوسط) لهم عند ماكابا
Mekaba الذي سيقتلهم غالبا - بالتاكيد - مقابل الثور
الذي نحروه ، فأكدنا لهم أننا سنتدخل لصالحهم ، وبحكم
الضرورة اقتنع الجريكو Griquas بالاستمرار في المسير
الى مراكزهم الرئيسية .

وقد قررنا مواصلة السير ان توفر لكل عربة من عرباتنا
ثمانية ثيران لجرحها ، ولم يستمر تقدمنا كثيرا حتى قابلنا
ماروجا Maroga (أو ماروشا Marochâ) وهو أحد أبناء
ماكابا Makaba على رأس عدد من الرجال ، فأهداني بعض
الحليب ، وقال لنا : « اننى منزعج بسبب ما لحق بكم من
ضرر بسببنا ، لقد كان يتحتم علينا جميعا أن نهرب ، لكننا
نعلم أنكم رجال سلام - اننا سنعيد لكم ثيرانكم التي فقدتموها
لقد أمرت أن يمزق رجال المدينة الذين نحروا ثوركم اربا
أمام أعينكم - أن والدى ماكابا لن يعفو عنهم لأنه ظل
ينتظركم - كأصدقاء - مدة طويلة ، ان الطريق الى المدينة
بعيد لا ماء به - ابقوا واشربوا من الماء الذى معى ، وفى
الغد سأصحبكم الى منزل أبى » . وقد رفضت أن أذهب
لاقتراحه بأن نبقى الليل هنا ، فأهداني ثورا ولكننى ظلت
على رفضى خشية أن يقوم والده بقتل الرجال المشار اليهم
أننا فى هذه الأثناء مما يؤدى الى كراهية قبائلهم لنا ،
فيمنعونا من زيارة مناطقهم (بلادهم) مرة أخرى . وأخيرا
أدعنا ماروجا ، وركب - بناء على طلبى - هو وزوجته فى

عربتي . وكانت العربية أمرا جديدا بالنسبة لهم ، فلم يحدث أبدا أن استخدمها الباونجكتسي Bauangketsi أو البارولونج Barolongs وفي الساعة الثامنة توقفنا في موضع لاماء فيه ونظر ماروجا وجماعته لأوعية المياه التي ادخرناها لمثل هذا الموقف بدهشة . كانت زوجة ماروجا متزوجة قبل زواجه منها من باهورتسي Bahurutsi وهو جالب مطر غادر ليتاكو Lithako سنة ١٨٣٢م . ويبدو أن ماكابا قد دغاه وفقا لرواية الزوجة الى عاصمته بعد أن امتلأت خزائنه بالقمح ، وكان الجزاء الذي ناله جالب المطر انه اتهم بعمل السحر لابن ماكابا الذي كان يعاني المرض ، ومن ثم فقد أمر ماكابا بقتله وزوج زوجته لابنه . تلك هي القصة كما روتها الزوجة ولكن الحقيقة أن ماروجا (ابن ماكابا) كان جالسا ذات يوم بجانب أبيه فرأى زوجة جالب المطر بمنظرها الجميل فأصدر ماكابا أوامره لرجاله بقذف زوجها بالرماح ، ثم زوج المرأة لابنه . . .

وفي اليوم التالي قابلنا - قبل أن نوغل بعيدا في المسير - مبعوثين من ماكابا قالوا لنا ان ماكابا لم ينم من فرط الفرح عندما علم باقترابنا ، ومررنا بكثير من النسوة كن يعملن في بساتينهن ، وكن - عندما يبصرن بنا - يطرحن أحمالهن أرضا ويجرين الى عرباتنا رافعات أيديهن وهن يصحن محيات (روميل . . روميل Rumèla) وتلك هي طريقتهم في التحية . وكن يتبعن ذلك بصيحات حادة ، كانت الصيحة الواحدة منها كافية لازعاج ثور كبير .

ولأنه كان يتعين على العربات أن تتخذ طريقا دائريا فوق التل للوصول للمدينة ، فقد أخرجنا خيولنا وامتطيناها لنصل للمدينة من أقرب الطرق اذا ما وصلنا لقمة التل الذي

تقع غاصمة الباونجيتسى عند سفحه ، ولما يمينا وجوهنا
شطر الشمال اعترتنا دهشة شديدة فقد وجدنا عددا من
المدن متناثرة فى الوديان . لقد قادنا وشدنا خلال شوارع
متعرجة الى المجمع السكنى لماكابا Mekaba وكان ماكابا
واقفا امام باب أحد منازلها ، ورحب بنا فى مدينته بالطريقة
المعتادة ، وقد بدا مندهشا وسعيدا لرؤيتنا جميعا بلا سلاح ،
وضحك ضحكة من الأعماق مندهشا لأننا لا بد أن نكون
واثقين من أنفسنا لحضورنا غير مسلحين الى مدينة تتسم
بالجلافة . وما هى الا دقائق حتى تجمعت الجموع وراح
الناس يتدافعون ويطأ بعضهم بعضا بالفعل شغفا لرؤيا
الغرباء وخيولهم . وفى هذه الأثناء دخل ماكابا بيته وأرسل
لنا جرة كبيرة مليئة بالجة وقرعة يابسة (يقطينة يابسة)
لنستخدمها كمغرفة (ملعقة كبيرة) ، ولأننا كنا عطشى فقد
شربنا بشغف من الجعة (البيرة) التى لم يكن لها تأثير مسكر
الا قليلا .

وفى هذا الوقت كانت عرباتنا قد وصلت المدينة وعبر
ماكابا عن رغبته أن نسير بها فى شارع المدينة الرئيسى ،
فذهبت أستطلع الطريق المتعرج الضيق الذى يمر بين منازل
كثيرة وقلت ان ذلك غير ممكن لأن العربات ستحتك بالجدران
وتلحق بها ضررا بليغا ، الا أن ماكابا أعلن أن ذلك غير مهم
وقال « فقط ، دعنى أرى العربات تمر فى مدينتى » ووقف
الزعيم فوق مكان مرتفع أمام بيته وراح ينظر ببهجة
لا توصف للعربات التى راحت تسقط أركان الأسوار وراحت
النسوة قاطنات البيوت تنظرن بدهشة للعربات والثيران غير
عابئات بما تحدثه من أضرار رغم أن بعضهن أبدى عدم
رضائهن . ولما وصلت العربات للجزء الأدنى من المدينة
فككنا الثيران وأحاط آلاف من البشر بالعربات ، كل واحد

منهم يبدى ملاحظاته على هذا المنظر الدرامي محدثين جلبية وضوضاء شديدة تصم الآذان ، ولم ينفذ جميعهم حتى أوغل الليل . وفى فترة ما بعد الظهر أقبل ماروجا Maroga مصحوبا بثلاثة زعماء قبليين ليعينهم - بناء على أوامر والده - كممثلين له لحراسة عرباتنا من الشروق حتى وقت خلودنا للراحة ، وقد جرى هذا التعيين فى حضورنا بطريقة رسمية حاسمة ، كما كانوا مكلفين بمراعاة راحتنا وإزالة أسباب أى شكوى ، كما كانوا مسئولين عن كل مقتنياتنا التى تفقد أو تسرق . وعند الغروب تقريبا أرسل ماكايا إحدى زوجاته لتقول لنا ان من دلائل احترامه لنا أنه أرسل أحب زوجاته اليه لتسلمنا وعاء مليئا بالحليب المتخثر ، ولتقول لنا انه سيرسل لنا فى الغد ثورا مذبوحا . لقد كانت أنية الحليب المتخثر كبيرة جدا حتى أنها احتاجت لرجلين ليحملها الى العربة . وسوف أصف وعاء الحليب هذا ويسميه البشوانا Lekuka باسم ليكوكا Bechuana فى موضع آخر من رحلتى هذه .

أما وقد وصلنا لعاصمة الباونجكتسى وألقينا نظرة على هذه الكثافة السكانية ، فقد تهيأنا لسماع مزيد من الضجيج والصخب فى الأيام التالية . ولم نكن مخطئين فى توقعاتنا ، ففي بكور الصباح التالى وقبل أن تغادر الفراش بوقت طويل أحاطت بنا الجموع حتى أن المرء ليجد صعوبة فى شق طريقه بين عربة وعربة . وعندما ذهبنا نصعد التل لنلقى نظرة على المناطق المجاورة تبعنا عدد من الرجال وأبدوا دهشة غير قليلة عند رؤية بوصلتى التى بدت كأنها أداة من أدوات المشعوذين والسحرة وقد ضحكوا كثيرا عندما سألتهم عما اذا كنت أبدا ساحرا أو مشعوذا .

ومعه حاشيته وجلس مقابل عربتى فتراجعت الجموع المحتشدة الى الوراء وغمرها الصمت . وتحدث ماكابا الينا قائلاً : « يا أصدقائى ، اننى سعيد تماماً ، وقلبى أشد بياضاً من الحليب لأنكم زرتمونى . اننى اليوم رجل عظيم ، فسيقول الناس ان ماكابا قد تحالف مع البيض . اننى أعلم أن كل الناس يقولون اننى شرير . انهم يريدون ايدائى لأنهم لم يستطيعوا هزيمتى واذا أرادوا بى سوءاً كلت لهم الصاع صاعين . ! انهم لا يفهمون فى المعارك الا كما يفهم الأطفال ، وماذا يمكن أن يقول الضعفاء عاجزون سوى اطلاق الكلمات السيئة على عدوهم القوى . لقد أتيتم لرؤية ماكابا الفظ . لقد أتيتم - كما قال باتلابيز Batlapis لتلقوا حتفكم على يدي . انكم حكماء وشجعان لأنكم قررتم أن تأتوا لتروا بأعينكم ولتضحكوا من قول أعدائى » . ودار حوار طويل عن أحوال المنطقة وعن غزو المانتاتى Mantatee . وفي هذا الموضوع الأخير ، تحدث بفصاحة وطلاقة خاصة وهو يصف كيف وقع مئات من أعدائه فى الشراك واصطادهم الرجال الكائنون فى الكمائن وأشار الى ميدان المعركة وقال : هناك عظام الأعداء الذين أتوا الى تلالنا بأعداد كبيرة كالجراد لكنهم تلاشوا أمام قوة رماحنا . . » وأضاف قائلاً بصوت جهير مشبع بالرضى والثقة : « من مثل ماكابا بن ميليتا ؟ . . انه رجل الغزو والانتصار ! » .

وقطعت الجموع المزدحمة جبل الصمت بتصفيق حاد يصم الآذان . وقد قلت له عندئذ ان الهدف من زيارتى الحالية هو أن أفتح وسائل للاتصال بيننا وبينه لأننا سنعتبره فى المستقبل أحد أصدقائنا الرئيسيين ، وكدليل

على هذه الصداقة فان الارسالية التبشيرية ستأتى الى هنا
وتقيم معهم فأجاب قائلا : « فى المستقبل ، فانه يأمل
الا تغطى الحشائش الطريق بين كورومان - Kuruman
وكواكو Kuakue ، وأنا أعلم أن موثيبى Mothibi سيعوقك
عن تنفيذ مخططك لأنه يخشى أن تبني بيتك بجوار بيتى »
وقال ان الثيران الشاردة ستصل اليوم ، وأنه سيعفو عن
الرجل الذى قتل ثورا منها بناء على توسلاتنا وتضرعاتنا ،
فقدمت له هدية من الخرز والأزرار وأشياء أخرى صغيرة ،
وقدمت له أيضا قبعة ، فوجهه واحد من الجريكوا Griquas
ليضعها فوق رأسه ، ففعل ، لكنه سرعان ما خلعها ووضعها
على رأس شخص آخر قائلا : انه لا يستطيع أن يرى مدى
جمالها وهى فوق رأسه هو ولأن معظم الجريكوا قد حضروا
للمقايضة فقد أخبرهم أنه سيندا ذلك يوم الجمعة . وحالما
غادرنا غمت الجلبة والضوضاء ولم يتح لنا الجمهور الغفير
لحظة واحدة من الهدوء ، أما فى الليل فقد أزعجتنا الضباع ،
وكانت الضباع على ثلاثة أنواع : منها المخطط ، ومنها
المبقع ، بالاضافة الى نوع ثالث كان أصغرها حجما وأشدّها
خطورة .

وفى الصباح تم ارسال ثلاثة ثيران للنحر ، وأثناء
النهار وصلنا قمح مسلووق وجعة وحساء الخضر باللحم .
وقد زرت المدينة . انها كبيرة ، لكننى لم أستطع تقدير عدد
السكان ، فالمدينة نفسها ممتدة تشغل مساحة كبيرة ، ومن
ثم فان عدد السكان لا بد أن يكون كبيرا بالمقارنة بمدن
جنوب أفريقيا الأخرى . ولكل زوجة من زوجات ماكابا
- وعددهن كبير - مجمع سكنى خاص بها مكون من ثلاثة
منازل ومخزن عام ومخزن للقمح . ولكل واحدة منهن أيضا

عدد من الصوامع الاسطوانية للقمح ، يبلغ قطر الواحدة منها ما بين ثمانى أقدام الى اثنتى عشرة قدما ، وقد أقيمت كل صومعة على قاعدة حجرية ، والمباني والمنازل مشيدة بتصميم مختلف كثيرا عما رأيته قبل ذلك . فالمنازل - رغم أنها ليست أوسع من منازل الباتلابيز Batlapis - فإنها مشيدة بطريقة تراعى الذوق والراحة أكثر مما فى بيوت الباتلابينى ، والدوائر منضبطة والجدران غير مائلة (عمودية) رغم أن ذلك كله تم بالاستعانة بالعين المجردة دون أدوات ، وكان ذلك مثار دهشتنا . وأرضيات المنازل وساحاتها نظيفة جدا كما أنها ناعمة كسطح الورق ، فليس من سيدة بيت انجليزية يمكنها أن تجعل أنيتها الخشبية أنظف من ذلك . وهم فى ذلك يختلفون عن الباتلابيز . وكان ماكابا يشير مرارا للطباع البربرية لجيرانه الجنوبيين وسألنى بلهجة المنتصر عما اذا كان الباتلابيز قد غسلوا ولو مرة واحدة أوانيهم الخشبية أو انهم - ولو مرة واحدة - قدموا لى طعاما خاليا من الذباب فى طبق أنظف من لسان الكلب .

وحظيرة الماشية الأمامية - أو مكان الاجتماعات العامة - عبارة عن دائرة قطرها ١٧٠ قدما مكونة من مصاطب دائرية ، كل مصطبة بارتفاع ثمانى أقدام وقد حفر حول كل مصطبة بالفأس ، وخلف هذه الحظيرة الأمامية أو مكان الاجتماعات العامة توجد حظيرة مبيت الماشية وهى تسع عدة آلاف من الثيران ، وتوجد أيضا عدة حظائر واسعة للخراف . وبشكل عام فإن ماكابا يكون مشغولا فى فترة الصباح بتقطيع الجلود وسلخ الماشية ، ثم انه يشرف على خياطة الجلود لعمل المعاطف ، أما بعد الظهر فانه يكون سكرانا من

جاء الجعة المسكرة التي تعد خصيصا له : انه يبدو كبير السن رغم أن أمه لازالت على قيدة الحياة ، وهو طويل القامة وقوى ويبدو بصحة جيدة ، ويبدو كالهوتنتوت ، وتحمل ملامحه قدرا كبيرا من المكر والدهاء ، ويبدو أثناء النقاش معه بسهولة ، أنه يتجلى تماما بالآداب الأفريقية وهو لا يخشى أحدا من القبائل المحيطة به ولكنه يخشى الماكوس Makoes أو أهل المدن (الماكوس هم الحضري) ، تدور الحرب دائما بينه وبين الباكون Bakones وهم قبيلة (شعب) كثير العدد إلى الشرق والشمال الشرقي منه . وخلف الباكون توجد قبائل البامانجواتو Bamenguato وهي قبائل بارعة في الحرف وعلى قدر كبير من الثراء ، ووراء البامانجواتو توجد قبائل البامجالا تسيللا Bamgalatsela التي يبدو أنها تشكل - في هذا الاتجاه - الحد الذي تقطنه القبائل الأصلية (أهل البلاد الأصلية) فخلفهم - فيما يقال - يوجد شعب نصف أبيض يلبس أفرادهم أقمشة الكتان وطبائعهم شرسة جدا (بوجال Bogale) ، وبينما كنا نسير إلى المرتفعات المجاورة ، كنت قادرا على احصاء أربع عشرة قرية كبيرة ، وكانت أبعد ما تقع على مسافة حوالي ميل ونصف ميل ، وقيل لي انه توجد مدن أخرى كثيرة لا أستطيع رؤيتها .

ولعدة أيام حاولت أن أجد - وقت الظهيرة - مكانا ملائما منعزلا لأحدد خط العرض لكن ذلك كان متعذرا ومزعجا لكثرة الزحام . . . وقد تركت بوصلتي في العربة حتى تجذب اهتمام الناس بينما أنسل أنا بعيدا ، لكن بدون جدوى فقد تبعني الناس أينما ذهبت ليراقبوا هذا العراف Seipone وهو الاسم الذي يطلقونه على الزئبق quicksilver . لقد حالت حركتهم الصاخبة بيني وبين تحديد خط العرض بدقة .

و ذات ليلة سمعنا امرأة تصرخ فى المدينة ، وعندما استفسرنا فى الصباح عن جلية الأمر وجدنا أن صبيا قد خطف طفلها عندما كان يتجول غير بعيد عن باب بيته ببضع خطوات ، وعندما عبرنا عن دهشتنا أخبرونا أن هذا أمر كثير الحدوث فقد اعتادت الضباع اذا هبط الليل أن تجوس كل طرقات المدينة لتخطف ما يمكنها خطفه . ولأن هذه الضباع قد ألفت طعم اللحم البشرى فقد أصبح من الأمور الخطيرة جدا أن يقضى أحد الليل فى الحقول المكشوفة خاصة فى ضواحي المدينة . وقد أشرت الى خطط بدا لي أنها مجدبة فى القضاء على الضباع لكنهم لم يقتنعوا باقتراحاتى على أساس أن الاقتراب من دماء الضباع يجلب سوء الطالع .

و ذات مساء قبل أن نخلد للراحة بوقت طويل سمعنا من ناحية برك الماء صراخ نساء وأطفال ، وبدا من صراخهم أنهم يتعرضون لخطر شديد . فأرسلت عددا قليلا من الرجال فهروا مسرعين الى البقعة فوجدوا ثلاثة أطفال كانوا يجلبون الماء على وشك أن يقعوا فريسة للضباع ، ونجح الرجال فى ابعاد الضباع عن الأطفال فجرت - أى الضباع - نحو النساء ، الا أن الرجال أنقذوهن أيضا . وفهمت أنه يحدث كثيرا ألا يعود الأطفال الذين يذهبون لجلب المياه من البركة . لا بد أن عددا كبيرا تقتله الضباع خلال العام . انه أمر يجعل المرء يرتعد .

ومنطقة البوانجكتسى Bauangketsi منطقة تلية بل وجبلية خاصة تجاه الشرق والشمال . أما التربة فهى بشكل عام خصبة جدا ، لكن الماء شحيح ، ورغم أننى أعتقد أن المطر وافر إلا أن الرى أمر ضرورى لاستنبات الخضروات الأوربية والغلل .

والمناطق الواقعة الى الشمال والى الشرق بها أنهار كثيرة وهى مناطق مثمرة وغاصة بالسكان ، وتجلل قمم الجبال أشجار وأحراش لا تعرفها الأجزاء الجنوبية من القارة ، مما يعطى هذه المنطقة منظرا جذابا جليلا .



لقد استنفدنا وقتنا فأخبر الجريكا Griquas ماكايا انهم يرغبون فى مغادرة بلاده فى غضون يوم أو يومين للصيد وفى الوقت نفسه أخبرته بضرورة أن أعود مع مجموعتى الصغيرة لخشيته أن يحل الجفاف فتجف البرك القليلة فى مناطق البارلونغ Berlong ، لكنه لم يرحب بقولى هذا رغم وعيه بصعوبة عودتنا الا اذا سلكنا الطريق الدائرى وعند وصولنا الى العربات فى المساء وجدت الناس فى فزع شديد ، فقد انتشرت أخبار مفادها أن أهل البلاد يعتزمون قتل كل المجموعة ، وعندما تقصينا الروايات المختلفة وجدناها متناقضة رغم أنها جميعا كانت مفزعة ، فاقتنعت أن هذه الحكايات لا أساس لها من الصحة . وعلى أية حال لم يكن هناك شئ يمكنه اقتلاع مخاوف الجريكا اذا أخرجوا بنادقهم وغمروها ووضعوها الى جانب العربات لاستخدامها اذا وقع هجوم ، بينما كانت كآبة الليل تزحف على الوادى الذى تحيطه الجبال ، مما أشعل الخيال بأصوات المعارك ، وتخيل كل من كان بالمعسكر قدوم آلاف من محاربى الباونجكتسى Bauangketsi . فكل رسالة ، وكل حركة يحدثها زائر كانت تفسر على أنها عدوانية . وكنت قد تركت مترجمى فى المدينة مع الصبية والثيران فى زرائب ماكايا . ولم يظهر المترجم حتى الآن . وقال بعض الأشخاص الذين لم

يرهم أحد ولا يستطيع أحد أن يقل من هم - ان المترجم ومن
منعه من الصبية قد قتلوا جميعا .

وعدت للمدينة لاستطلاع حقيقة الأمر لأقنع من فى
صحبتى أن مخاوفهم لا أساس لها من الصحة ولأجد الشخص
الذى أبحث عنه (المترجم) ، ولم أكن أدري أن الرعب الذى
استولى عليهم وصل الى الحد الذى جعل ذهابى للمدينة
وعودتى سالما لم يقنعاهم بأنه لا خطر هناك . لقد قضى
كثيرون ليلتهم دون أن يداعب النوم جفونهم وقاموا قبل أن
ينهى الباونجكتسى ليلتهم ، وتم احضار الثيران من الزريبة ،
وتحرك الركب جميعا . ولما رأى الناس استعداداتنا للرحيل
أحاطونا بالآلاف ومعهم الثيران والأدوات الأخرى التى راحوا
يعرضونها للبيع . وقد اكتشفوا جميعا ما كنا فيه من حذر ،
وكل ما كنا قد أعدناه للقتال . لقد كان الوقت مبكرا ،
والجو بارد وقد تدثر الجمع الجميع بغبائاتهم ، وراح
الخيال يصور لهم رماحا تظهر مقدماتها بين الحشائش
والأشجار ، وسبقنا جماعة من الخيالة المسلحين ليفتشوا
المجرى الجاف الذى سنعبه وليتأكدوا أنه خال من الأعداء
اذ قيل ان كتيبة من الأعداء ترابط هناك للقضاء علينا .
لقد كان هذا المسلك لا يخلو من المزايدة خاصة بالنسبة لملك
وشعب لم نر منهما الا الرقة والدمائة .

وكان ايقاف سيل الرعب المسعور بمثابة الوقوف فى
وجه الريح . وقد استجوب أحد الزعماء المحليين واحدا من
جماعتنا عن سر رحيلنا بهذه الطريقة ، فتلقى بالاضافة
للإجابة المتفطرة ضربة باليد فتنمر تنمرا خطيرا . وفى
هذه اللحظة بدأت أخاف لا لأننى اكتشفت أن التقارير التى
وصلتنا اتضح أنها صحيحة ، وانما لأن هذا العمل (ضرب

(الزعيم المحلي) قد يؤدي الى نتائج خطيرة وان مقاومة غضب
 آلاف من الوطنيين المقاتلين تعد مهمة مستحيلة ويائسة تماما .
 ولأننى لم أكن قادرا على إيقاف الناس (الجماعة) التى
 معى ، فقد بقيت فى المؤخرة ورحت أتناقش قدر ما أستطيع
 مع الرجال المهمين الذين تحلقوا حولي ، وحاولت بشغف أن
 أعرف سر الاسراع (الهروب) . وبعد أن سارت العربة قرابة
 ليلة كاملة سمحوا لى بمتابعة طريقى بعد أن أكدت لهم أننى
 اذا لم أستطع أن أوقف المجموعة فيجب أن أعود ، وتوقفت
 العربات عند نبع صغير هو نبع ماهوبيشو Mahubichu
 يقع على بعد ميل ونصف ميل خلف التل الذى تقع فوقه
 المدينة حيث فقدنا بعض ثيراننا . ووصل رسل من ماكابا
 Makaba يشكون متذمرين من رحيلنا المفاجيء . وهذا
 الخوف شيئا ما لكن واحدا منهم لم يجسر على المغامرة بالذهاب
 للمدينة . ولم تظهر الثيران ولا بعضها وهكذا قضى علينا
 أن نقضى ليلة أخرى نعانى الخوف والرعب . وأرسلت رسولا
 لماكابا أخبره أننى سأزوره فى المدينة فى بكور اليوم التالى .
 وخلال المساء وصل أحد الوطنيين وأكد لنا التقارير المرعبة
 والتى مؤداها أننا جميعا سنقتل ، لكنه عندما سمع أننا
 سنحميه وثؤمنه لم نعد نره مرة أخرى .

وفى الصباح أخبرت رفاقى أنلى بزياراتى للمدينة
 سامحو - ان أمكننى - أثر سوء الفهم الناتج عن سرعة
 تصديقتنا للشائعات ، وان أعمل على ألا يغلق الباب الذى كنا
 قد فتحناه أمام دخول الكتاب المقدس لهذه الأتقاء .
 واعترض كل رفاقى على ذهائى بل وتحدث بعضهم عن
 استخدام القوة لإجبارى على عدم الذهاب الى حيث الأذى
 حتمى . وعلى أية حال فقد سررت بالفعل تجاه المدينة وقبل
 أن أضلها لعلى ثلاثة من جماعةنا ولم يقولوا شيئا لكنهم

ساروا خلفي - ووجدنا ماكابا جالسا وسط جماعة من الزعماء التابعين له - عند اقترابنا خاطبنا قائلا : « يوزو مولتسانا Borow Molutsana » وتعني صباح الخير « فرددت عليه مداعبا صباح الخير يا خير You molutsana فضحك بحرارة من الأعماق - ثم جلسنا ورحنا نتناقش - لقد اشتكى كثيرا من رحيلنا المفاجيء غير المتوقع ، كما اشتكى من أننا لم نعلمه بالتقارير (السيئة) التي وصلتنا ونخضعها للبحث والتقصي ، فهذه التقارير قد وصلت أيضا ، فأجبتة بأنني لم أصدق أبدا هذه التقارير وإن زيارتنا هذا الصباح ونحن بدون سلاح كما يرى بنفسه (فلم أكن حتى أرتدي سترتي) لخبر دليل على ثقتنا به فذكر لنا أنه لم ينم طوال الليل لكن وصولنا هذا الصباح يعد كافيا ليجعله يرقص من الفرح - وبعد أن قضينا بعض الوقت في الحديث قدم لنا بعض المنعشات وأهداني ثورا آخر ، وأمر بإرسال عدد من الثيران إلى الجريكا Griquas عند العربات ، وفي هذه الأثناء تجمعت جموع غفيرة راح كل واحد فيها يبدى سماعته لرؤيتنا مرة أخرى ، وقبل أن أغادر مجلس ماكابا خاطبته قائلا انني قد قدمت له ولشعبه الدليل الكافي المرضى على رغبتنا في السلام والصداقة وانني أطلب منه عملا يكافيء عملي هذا كأن يصحبني إلى حيث العربات فقال انه الآن عبوز كبير السن ولكنه لن يرقص لي طلبا فعدنا إلى العربات وهناك مازج الجريكا Griquas لشكهم وعدم ثقتهم وأهدى لكل زعيم من زعمائهم ثورا - وقبل أن يغادر طلب مني ومن اثنين من رفاقي أن نشرح خيولنا لأنه كان قلقا من رؤية البنادق muskets وهي تطلق النار من فوق ظهور الخيول ، فتتبعيت نظرا لوجود آخرين أكثر خبرة ، لكنه لم يقنع وطلب أن أقبل ذلك بنفسى باعتباري رجلا أبيض

(أكثر خبرة بالضرورة) ، وبعد الحاح تقدمت الى عربتي متظاهرا أنني أبحث عن معطفي ووضعت في جيبى مسدسين معمران بالبارود فقط ، وبعد أن درت عدة دورات حول السهل المعشوشب ، وبينما كان الملك ومن معه يصيحون اعجابا ، تجاوزتهم وأفرغت محتويات المسدسين بسرعة طليقة اثر أخرى ، وقد أدهش ذلك البوانجكتسي Bauangketsi أكثر من أى شيء آخر ، كما أرعبهم أيضا فقد انبطحوا أرضا ظانين أنها طلقات مصيبة . وحالما توقفت شرع ماكابا يفك أزرار معطفي ليرى هذين الوغدين الصغيرين the little togues - يقصد المسدسين وقال : « يا لكم من مباركين أيها البيض لأنكم تبحثون عن صداقة كل الشعوب والأمم ، فمن ذا يستطيع مقاومتكم ؟! » ووضع يده على كتفي وأضاف : « اننى آمل ألا تخاف أنت ورفاقتك . . . » وبعد أن مكثنا حوالي ساعتين رحلنا وكان ماكابا ممتنا وراضيا ولم يكن الجريكا Griques أقل رضا بعد هذا التوضيح .

تعليق المحرر : وعند عودتهم طلب سيبونيلو Sebonello زعيم البارولونج Barolong منهم أن يساعدوه ضد المانتاتى Mantatees الذين كانوا يهددون بالهجوم على بيتسان Pitsan . وأشارت تقارير الحشود الى تضارب ، ومن ثم فقد غادرت مجموعة موفات المدينة (بيتسان) .

. . . وبعد أن قطعنا حوالي اثني عشر ميلا توقفنا عند بطن نهر مولا بو Molapo الذى يقع على خط عرض ٢٥° ٤٠'

ويتجه منسابا نحو الغرب . وبعد أن توقفنا وبينما كنت
أتناول قلمي لكتابة بعض الملاحظات القليلة لاحظت رجلا
يجرى نحونا قادما من المرتفعات المجاورة ، وكان - عندما
وصل للعربة - فى الغاية من الانهاك والفرع . وكان من
الصعب أن نعرف منه أى شىء خاصة سبب هروبه . لقد راح
ينظر حوله بوحشية مما دفع البعض للظن أنه مخبول فتركناه
ولدينا شىء من الانطباع أنه مخبول فعلا . وبعد أن استعدت
قلمي لمواصلة الكتابة تراءى لى أن الظن بأن الرجل مخبول
قد يكون غير صحيح فعدت مرة أخرى مع بيرند Berend
للرجل فعرفنا بعد استفسارات كثيرة أن القبيلة التى نخشاها
كانت قد سجنته ولكنه تمكن من الهرب ، وأن هذه القبيلة
تستعد للهجوم على المدينة وأن قواتهم موجودة بالفعل على
مسافة (غير بعيدة) وأن مائتى مقاتل تركوا القوات
الرئيسية وأخذوه معهم كدليل أو مرشد لمهاجمة مدن
البارولنج وقراهم ، ولكى يضمنوا بقاءه أثناء الليل فقد
غطوه بمعطف جلدى كبير ونام رجالهم فوق أطراف هذا
المعطف لأنهم كانوا ينوون مهاجمة البارولنج فى الغرب ،
بينما ستهجم القوات الرئيسية على المدينة من الشرق . وعند
رؤيتهم العربات ومعرفتهم من الدليل أن هناك رجلا بيضا
فى منازلهم المتحركة (عرباتهم) ولوا الأدبار هاربين على حين
فجأة ، فتمكن هو من الهرب ، لكنه يظن أنهم سيهاجموننا .
ومن خلال طريقته فى الكلام ، قلما كان المرء يشعر
بوضوح توجهاته . لقد اقترب الغروب قبل أن تقتنع المجموعة
بارسال عدد قليل من الخيالة ليتأكدوا مما إذا كانت هناك
آية آثار أقدام فى الاتجاه الذى أتى منه هذا الدليل الهارب ،
ولم تمض الا أقل من نصف ساعة عندما عاد أحد هؤلاء
الخيالة ومعه خبر مؤداه أن المانتاتى أو الباخارى Bakhari

موجودون هناك بالفعل ولما كنت قد أصدرت اليهم تعليمات بعدم إطلاق النار فقد كانوا يريدون أن يعرفوا ما يتحتم عليهم عمله . وقد حثني بيرند Berend بشدة أن أذهب ومعى عدد اضافى من الرجال اليهم وأن أحاول اما أن أتحدث معهم أو أرهبهم لأن الهجوم على معسكرنا غير المهيأ للدفاع خلال الليل قد يسفر عن هلاكنا جميعا وفقا لكل الاحتمالات كما أن هروبنا سيجعلنا صيدا سهلا . ولما أصبحنا على مدى الرؤية منهم بدأوا يتحركون لكن عندما توقفنا توقفوا هم أيضا .

لقد كان منظرهم مرعبا وهمجيا تماما ، وكان اتجاههم هو التهديد والوعيد . لقد بدأ واضحا أنهم لا يودون الرحيل مما يشير الى أنهم يخططون لشن هجوم ليلي فاذا أقبل الليل أجبرونا على التراجع فأطلقت عدة طلقات فى الهواء فتراجعوا وزاد الأمل فينا لبث الرعب فيهم . وباغتتنا واحدا منهم وأحطنا به بقصد أن نخبره عن نفسنا ومن نكون وأننا لا نقصد بهم شرا ، فوقف حاملا درعه وفأسا للقتال فى يده اليسرى ، ورمحا فى يده اليمنى ورفعته وكأنه ينوى قذفه . اعتقد أننى لم أر أبدا معاربا شديدا البأس كهذا الرجل وإذا كانت قبيلته مثله فقد ضاع كل أمل للبارولنج . لقد كان جسده مشحما بالشحم ومدهونا بالهيباب وقد وضع حزمة كبيرة من ريش النعام الأسود على رأسه ، وكانت عيناه تنطلقان بالفضب وأبدي فمه المفتوح أسنانه البيضاء وراح يهدد أنه سيقدم لحومنا للضباع ، وعيوننا للغربان بينما كان يجرى متجها لأحدنا ثم تاركنا اياه ليجرى لرجل آخر منا . وأطلق أحد رجالنا - ليرعبه - طلقة مرت مباشرة فوق رأسه فانبطح أرضا وجرى راكبو الخيل بنخيولهم لمحاصرته قبل أن يهرب واقفا لكنه كان خيرا بحق فقد جعلنا نستدير بسرعة فى غير قليل من الاضطراب وكنا خائفين من أن يغرس رمحه فى

جسد أحدنا • لقد أظلم الليل وأوغل فلم تعد تجدنى أية محاولة معه فتركناه يذهب وعدنا فى اتجاه عرباتنا التى كانت على بعد سبعة أميال منا • وما كدنا نخطو بضع خطوات حتى وجدنا أننا محاطون بهؤلاء الأعداء الذين ظننا أنهم قد هربوا • • لقد أخفوا أنفسهم بين الأحرار وساعدتهم الظلمة على ذلك • • لقد حاصروا مجموعتنا الصغيرة • لقد أطل رأس فى أثره رأس فى أثره رعوس من بين الأدغال وبدأ صراخ الحرب • لقد كانت لحظة مرعبة بالنسبة لنا وتصرف الرجال المصاحبونلى بشكل يدعو للاعجاب فقد أطلقوا النيران فى الرمال أمام رعوس الخيول بينما كنا ننتقل الى ما بدا لنا أنه الجانب الضعيف فى حصار العدو ، لكنه — أى العدو — أطلق علينا كثيرا من الرماح القصيرة • لقد كان هذا هو الهروب الضيق أو الهروب المحكم ، فاننا كنا نخاف أن يسقط أحد الخيول ، فساعتها ستنهال السهام على الحصان وراكبه ، ورجنا نرعب العدو بمزيد من الطلقات أثناء هروبنا فى اتجاه عرباتنا حيث أنبأتنا أصوات طلقات البنادق ، بأن من عند العربات قد تعرضوا أيضا لهجوم العدو ، والتحقنا بزملائنا عند العربات بصعوبة بسبب بعض أفراد العدو الذين كانوا يحومون حول المكان والذين ظهروا فى غسق الليل من بين البوص (القاب) النبات فى قاع النهر وقادوا بعض رجالنا الذين كانوا بعيدا عن العربات وضربوهم بفئوسهم الحربية • وراح الأعداء يغمسون أيديهم فى أوانى الماء المغلى على النار لاصطياد اللحم • ولأننا لم نر الكتلة الرئيسية من المقاتلين التى قد سارت فى اثرنا فقد عرفنا أنها تراجعت ولا بد أن واحدا أو أكثر تعرض للاصابة منها • كانت ليلة ليلاء لم نذق فيها طعم النوم وقبل أن ينبثق نور النهار وصل رسل من

المدينة يناشدون الجريكا Griquas العودة ، لأن هجوما عاجلا على وشك الحدوث ويذكر الرسل أن المعلومات التي جلبها الخيالة قد أنقذت المدينة ، ولم يوافق بيرند Berend لذلك وفضل الانتظار بحثا عن بعض الأفراد من مجموعتنا كانوا لازالوا متخلفين وراءنا خوفا من أن يقعوا في أيدي الأعداء . وفي الصباح ، لم يعد الا اثنان من ستة جواسيس من البارولنج Barolong كان قد تم ارسالهم ، أما الباقون فقد قتلوا ، وفي المساء غادر بضعة آلاف من المقاتلين المدينة مصحوبين بسبعة أو ثمانية من الخيالة على أمل أن يولى العدو الأدبار ، حال رؤيتهم ، وما كاد المقاتلون يتقدمون أكثر من ثلاثة أميال حتى رأوا الكتلة المقاتلة الرئيسية من قوات العدو تتقدم حاملة المشاعل . وتوقفت القوتان المتقاتلتان وجها لوجه ، وبدلا من أن يملأ الرعب قلوب الأعداء ، وجدناهم قد اندفعوا متقدمين كموجة سوداء مجنونة ، فولى البارولنج أدبارهم ، وقاومت كتيبة سيبونييلو Sebonello القوية لبضع دقائق سقط خلالها سبعة عشر قتيلًا منها ، وكان من بين القتلى أخوته الثلاثة ، أما الخيالة فقد وجدوا أن العدو لم يهرب ظهورهم فأطلقوا عدة طلقات في اتجاه العدو الذي أوقف زحفه وولى بعيدا عن الخيالة ونيرانهم ، ولما رأوا الجانب الأكبر من البارولنج يحاولون الاستيلاء على ماشيتهم أحاطوا بهم . . . وراح البارولنج يحث بعضهم بعضا لا للقتال وإنما للامساك بالماشية واستطاع الجريكا استرداد بضعة مئات من الماشية ، كما استعادوا بعض النسوة اللائي كن قد وقعن في أيدي البارولنج

وبينما كل ذلك يحدث كنت أنا وبيرند وأخوه نيقولا Nicholas وسائقوا العربات ننتظر في قلق بالغ ، ولما رأينا

الجرحى والموتى انسللنا بعيدا عن المدينة بينما كان السكان يغادرونها (المدينة) فى رعب هائل • لقد رأينا صورة للهمجية الحقيقية فى الرجال الذين كانوا قد بقوا فى المدينة لعراستها اذا تعرضت لهجوم من الحى (الجانب) المقابل ، لقد كانوا يعدون برماحهم وتروسهم تاركين النساء يفرون وفقا لما يرونه أفضل لهن حاملات أطفالهن وما يقدرن على حمله فوق ظهورهن • ولما رأينا المدينة خاوية بعد هذا الفرار أخرجنا عرباتنا أيضا وبقيت أنا ونيقولا فى المؤخرة مع خيولنا لنتنظر النتيجة ولنعرف ما حدث لرجالنا وكنا قلقين جدا وغير متأكدين من نجاتهم • ولما تأكد لنا أنهم فى أمان وأن العدو قد ولى مدبرا ركبت وتقدمنا لأطمئن الجموع التى اعتراها الرعب الشديد بأن الخطر قد ولى •

رحلة أخرى

روبرت موفات - ٢

ROBERT MOFAT

الزعيم موسيليكاتسي

MÖSELEKATSE

التقلت المحطة الإرسالية من لاتاكو Lattako قرب عين نهر
كورمان Kurumen وهناك شيد موفات مستوطنة ذات تأثير كانت
نموذجاً يحتذى به البشوانا Bechuanas كرس موفات نفسه لجمع
معارف تفصيلية عن اللغة المحلية وأضعا في اعتباره ترجمة الكتاب
القدس - بلغة البشوانا .

وزار كورمان اثنان من قبيلة موسيليكاتسي ، ولأنهم كانوا على وشك
العودة لقبيلتهم (قبيلة موسيليكاتسي) جاءت التقارير تؤكد أن عدداً
من البشوانا سيكمنون لهم ويقتلونهم ، وخوفاً من أن يوضع هذا
المخطط موضع التنفيذ قرر موفات أن يرافقهم ليبعدهم عن البشوانا .
وتم استئجار عربة لمجموعة الماتابيلي Matabele ، وفي ٩
نوفمبر ١٨٢٩ م انطلق موفات ومعه .

والنص التالي من كتاب :

Moffats' Missionary Labour & Scenes in
Southern Africa (Snow, London, 1842).



رفاق الأسود :

لما غادرنا ليتاكو Lithako سافرنا في عرباتنا الفارغة
بأكثر من السرعة المعتادة قاطعين سهول البارولنج ، وفي
مناطق كثيرة من هذه السهول يكون المرء كالبحار وسط
المحيط لا يرى حوله الا الفراغ يحده الأفق . وفي بعض
الأحيان كانت العين ترى مجموعة من أشجار السنط
Mimosa ، وكانت الحشائش - كثيفة وكأنها حقول
قمح - تتمايل مع النسيم وكانت بعض الطرائد تجري
خلالها ، وكان ملك الغابة يطوف بعظمته فيها ، وراح بعض
السكان القليلين الذين يعيشون على جذور النباتات وصيد
الطرائد يتسولون منا قليلا من التوباكو وكانوا أحيانا
يبيتون بالقرب من معسكرنا . انهم حقا رفاق الأسود
ويبدون عارفين بكل خطتها تماما (عارفين بكل تكتيكاتها)
وكلما ملنا لنبيت ليلة كان الأسد يمر بالقرب منا ويزأر
وسرعان ما يتلاشى صدى زئيره في هذه البرية ويجاوبه زئير
أسد آخر . وكنا نوجه اهتمام هؤلاء البالالا Balala
الى هذه الأصوات فكان الواحد منهم يصيح السمع ويركزون
لسماع الصوت الذي ألفوه (الزئير) وبعد لحظة أو لحظتين
يقول الواحد منهم « لا خطر انه قد أكل وهو في طريقه
لنوم » وكان قولهم صحيحا ، وبعد أن نطمئن على نوم
الأسد ، ننام نحن أيضا ، فاذا سألناهم كيف يعرفون أن الأسد
في طريقه للنوم قال قائلهم : « اننا نعيش مع الأسود .
انهم رفاقنا » .

وفر الأسد تاركا فريسته لنا :

وعند نهر ستلاجول Sitlagole الذي يبعد عن كورمان
Kuruman بحوالي مائة وستين ميلا ، توقفتنا بمد

الظهيرة وتركنا ثيراننا ترعى على الشاطئ المرتفع أمام
عرباتنا الى الأبعد قليلا من رمية بندقية . وما كدنا نتوقف
ولم نكن قد وضعنا بنادقنا حتى فوجئنا بأسدين يندفعان
خارجين من بين مجموعة أشجار قريبة ، وكان أكبرهما ضخما
قد اقترب بالفعل من الثيران وغدا على بعد حوالى عشر
ياردات منها ، وانقض على واحد من الثيران فقتله فى لحظات
وأغمد أنيابه فى رقبتة ، أما الأسد الأصغر فقد ربض على
بعد ، بينما الأسد الكبير يتناول فريسته وراح يحرك رأسه
فى اتجاه الثيران الأخرى بين الحين والحين ثم انطلق ووضع
قدماه الأماميتين على بدن طريدته والتفت نحونا وراح
يزأر . لقد كان عظمتة متحديا ولا يخشى أن نطلق بنادقنا
نحوه . وكان اثنان من جماعتنا يميلان الى ارهابه أكثر من
ميلهما الى قتله ، فأطلقا بندقيتهما .

المعزوفة المرعبة :

وربما كانت الطلقتان قد مرتا بجوار أذنه ، فاضطر
للتراجع الى الأشجار الكثيفة من حيث أتى تاركا لنا وجبة
اللحم . وفى ميريتسان Meritsane - بطن نهر آخر جاف -
سمعنا معزوفة ليلية (سيرينادا Serenade من الموسيقى
الصحراوية) وكانت ألحان هذه السيرينادا المرعبة مكونة من
عواء حيوانات ابن آوى والضباع وزئير الأسود .

لقاء حار :

وقد عاملنا البارولنج Berolongs برقة ، وفى اليوم
العاشر وصلنا الى موزيجا Mosega مقر موخاملا Mokhatla
وهو حاكم على بعض القطاعات fragments من الباهورتسى
Bahurutsi الذين يتجمعون فى أودية صغيرة منعزلة

ويعيشون على الطرائد والجذور وبعض الثمار بالاضافة
للمقمح الذى تغله حقولهم ، وقد حرموا من قطعانهم بسبب
المانتاتيز Mantatees ، وهم يعيشون فى رعب خشية أن
يوقعهم الموزيليكاتسى Moselekatse يوما فى الأسر . وقد
رحب بى هؤلاء الناس (القبيلة) ترحيبا حارا رغم أننى لم
أكن معروفا الا لعدد قليل منهم لا يعرفون غير اسمى .

نابليون الأفريقى :

ونظرا لأننى تعهدت بتسليم الشخصين اللذين معى الى
الباهوروتسى Bahurutsi فقد قمت بتسليمهما بطريقة
رسمية ووقورة ليكونا فى رعاية موخاتلا Mokhatla وطلبت
منه أن يذهب معهما بنفسه أو يرسل معهما حامية قوية
لتصحبهما حتى يصلا الى قرى الماتابيلى Matabele . ان الرجلين
the Tunas اعترضوا بشدة وطلبا منى بشدة أن أصحبهما
الى بلادهما ، وحثانى على ذلك قائلين اننى لم أر منهما الا كل
خير ، لأن ملكهما اذا علم أننى عدت دون أن يرانى فانه
سيقتلهما ، وأقبل موخاتلا Mokhatla مضطرا وتوسل الى أن
أذهب لأنه هو وشعبه سيفرون اذا أنا رفضت . وعرضت
عليهم كل ارتباطاتى فى كورومان لكى كل حجلى ذهبت هباء ،
وأخيرا قررت أن أصحبهما حتى أول زريبة من زرائب
دوابهم ، فغمرهما فرح لا يوصف . وكان موخاتلا تواقا منذ
زمن طويل لرؤية موزيليكاتسى المرعبين الذين دمروا بلاد
الباكون Bakone وكان قريبهم من مقر اقامته مثار رعب
وخوف على مصير شعبه (قبيلته) ، فهم لم يقعوا فريسة فى
يد نابليون الأفريقى الا لأنهم ليسوا أثرياء ولا يمتلكون
قطعان ماشية كثيرة .

خير فى النفاق

وخلال الأيام الثلاثة التى كان المطر فيها كثيفا ، مما تسبب فى تأخيرنا وجدنا موخاتلا الذى تشير ملامحه وسماته وسلوكه الى أنه لا يمتلك كثيرا من الصفات النبيلة - وجدناه خبيرا ماهرا فى الخداع ، وراح يتملقنا تملقا زائدا عن الحد ليستجدى احترامنا ، واقترح أن يكون واحدا من حاشيتى . لقد كانت المنطقة التى كان علينا أن نجتازها مختلفة تماما عن المنطقة التى اجتزناها بالفعل فهى جبلية تجل جبالها الغابات وكانت الأشجار دائمة الخضرة تزين الوديان وكانت المجرى المائية العديدة ذوات الماء العذب الممتاز تناسب متعرجة فى طريقها للمحيط الهندى . لقد استمتعت كثيرا خلال اليومين الأولين فى الرحلة وكنت غالبا ما أتذكر تلال سكوتيا Scotia ووديانها ، ولأتنا كنا فى الموسم المطير فقد كان كل شئ زيان طازجا ، فالأشجار والشجيرات التى تغص بها السهول وقد كستها خضرة حية خصبة .

معزوفة الزئير :

ولم يكن يعكس صفونا الا أن هذه الصخور والوديان وتلك المناظر الجديدة بريشة فنان ، كانت غالبا ما تمتزج مع صوت زئير الأسود . انها لوحة جميلة مع معزوفة زئير قاسية . لقد كانت هذه المنطقة كثيفة السكان فى وقت من الأوقات . وعلى جوانب التلال وجبال كاشان Kashan توجد خرائب مدن كانت يوما عامرة بالسكان الذين عاشوا فى هذه الوديان التى تكسوها الآن أعشاب طويلة تكثر فيها الطرائد . لقد أعطى الغزو الوحشى للمنتاتيز Mantatees والماتابيلي

Matabela للحيوانات المتوحشة الحق في الانفراد بهذه الوديان الجميلة التي تكسوها الغابات . فالأسد - المخرم باللعن البشرية - وكأنما أحس أن أحدا لا يقدر على مواجهته ، فراح يزار زئيرا مخيفا ، انه لأمر مفرح للمسافر الذي غالبا ما ينتابه الرعب من جراء هذا الزئير الليلي الذي تردد صدهاء التلال المحيطة . لقد كنا قد اتخذنا احتياطات محمودة خلال الليل ومع هذا فقد كان نومنا متقطعا مضطربا في غالبه بسبب هذا الزئير المخيف . وكان علينا - بين الحين والحين - أن نحمل بنادقنا ونقف أمام العربات لأن الثيران كان يعتريها الخوف في بعض الأحيان بسبب اندفاع مفاجيء لجساموس يرى أو وحيد قرن (كركدن) ، فقد حدث أكثر من مرة أن جرت الثيران وكأنها خيول سباقي مما أدى لتحطم بعض أجزاء العربات ، وكان جريانها بسبب حركات وحيد القرن الذي هب من نومه . وكنا - بشكل متكرر - مضطرين لأن نسلك طرقا حلوية دائرية فليس ثمة طرق معدة لمسير العربات ، وكنا نبحث عن مسالك خلال الوديان العميقة ، وكنا مضطرين في الغالب لاستخدام الفؤوس والمجاريف والمعاول لازاحة الحشائش والأشجار وغيرها لنعد لأنفسنا طريقا نسلكه وعندما كنا نعيش في الخلاء ليلا كنا نختار موقعا ملائما يساعدنا للدفاع عن أنفسنا بشكل أفضل ، وإذا كانت أخشاب الوقود متوفرة بكثرة كنا نشعل نيرانا حول العربة وعلى مسافة منها ، لكن عندما تعطر السماء فان موقفنا يكون جديرا بالشفقة حقا فلم تكن ساعتها نشعني شيئا سوى أن يكون المطر غزيرا غثيفا حتى يمنع الأسد من مغادرة عرينه .

الباكون يسكنون الشجرة العملاقة - المساكن المعلقة :

ووصلنا الى الزرائب الأولى لماشية الماتابيلي بعد أن

قطعنا مائة ميل فقط منذ غادرنا موزيجا Mosega منذ أيام
خمس ، فتوقفنا في واد صغير جميل * واسترعى انتباهي
شجرة جميلة عملاقة تقف شامخة في شعب يؤدي الى واد شديد
انحداره غاص بالأشجار بين سلسلتين من الجبال المرتفعة ،
ولما رأيتهم كانوا يعملون في الأرض في ظلها ، ورأيت بعض
الأسقف المخروطية التي بدت كمساكن صغيرة ناتئة من بين
أوراق الشجرة * وصعدت الشجرة مستخدما جذعها المثلم
فوجدت الباكون Bakones وهم أهل البلاد الأصلية يسكنون
هذه الشجرة * وصعدت الشجرة مستخدما جذعها المثلم فوجدت
— ويا للدهشة — أكثر من سبعة عشر مسكنا من هذه المساكن
الهوائية المعلقة ، بالإضافة الى ثلاثة مساكن أخرى لم يتم
الانتهاء من تشييدها ، وعندما وصلت الى الكوخ (المسكن)
الأعلى الذي يرتفع أكثر من ثلاثين قدما فوق سطح الأرض
دخلت وجلست * ولم يكن به أثاث الا القش غطاء للأرض
ومغرفة ورمح وأنية مليئة بالجراد *

مسحوق الجراد :

لأننى لم أكن قد أكلت شيئا هذا اليوم ولأننى كنت
معبيا بإقامتى فى كوخ فوق شجرة ولم أكن راغبا فى العودة
جالا للعربة فقد طلبت من امرأة كانت جالسة عند باب الكوخ
تحمل طفلا على صدرها ، أن تسمح باحضار شيء كى أكله
فقامت بسرور وأحضرت لى مزيدا من الجراد المسلق ،
وأقبل عدد من النسوة من الأعشاش (الأكواخ) المجاورة
(على الأفرع الأخرى للشجرة) متنقلات من فرع الى فرع
لرؤية الغريب الأبيض الذى كان مثيرا بالنسبة لهم ، تماما
كما كانت سكنى الشجرة مثيرة بالنسبة له * ثم زرت عددا
آخر من هذه الأعشاش (الأكواخ المعلقة) التى أقيمت على

الأفرع الرئيسية الغليظة للشجرة • وكان تصميم هذه المساكن بسيطا للغاية : منصة مستطيلة يبلغ عرضها سبع أقدام ومكونة من أفرع خشبية مستقيمة وتتخذ هذه الأخشاب شكلا مخروطيا من طرف واحد ، ويغطى سقف هذا المسكن المعلق بالقش ، ولا يستطيع المرء الا بالكاد أن يقف فى هذا المسكن ، وقطر الأرضية حوالى ست أقدام ، ويقع المسكن فى نهاية المستطيل (المنصة) اذ يتركون مربعا صغيرا خلف الباب • وفى اليوم السابق كنت قد مرت بعدة قرى كان بعضها لا يضم أكثر من أربعين مسكنا ، كلها مشيد فوق أعمدة خشبية يبلغ ارتفاع الواحد منها ما بين سبع أقدام وثمان ، وقد صنعت هذه المساكن على شكل دائرة • والصعود لهذه المساكن المقامة فوق الأعمدة ، وكذلك الهبوط يتم عن طريق فرع من فروع الشجرة ملئ بالعقد مغروس أمام المنزل وفى وسط الدائرة توجد دائما كومة من عظام الطرائد التى اصطادوها ، تلك هى مساكن الآلاف من أهل البلاد الأصلية الذين أصابهم الفقر والذين فرق شملهم موسيلىكاتسى وسلخهم من جمعهم فأصبحوا لا يمتلكون قطعانا ولا زرائب وانما يعيشون على الجراد وجذور النباتات والطرائد • وقد تبنى أهل البلاد هذا الأسلوب فى السكنى هروبا من الأسود التى تكثر فى هذه الأنحاء • وخلال النهار يهبط الناس من منازلهم ويستظلون ويتناولون طعامهم ، واذا زاد سكان المنزل وثقلوا دعموا المسكن بمزيد من الأفرع واذا قل سكان المنزل استخدموا ما يزيد من الأفرع كخشب وقود •

اجتماع الأسود التآمرى :

وكدليل على ضرورة مثل هذه التحوطات فى السكنى كما ذكرناها آنفا ، أضيف أنه خلال النهار أطلقنا النار على

وحيد القرن (الكركدن) وأعددنا ظهر الحيوان للشواء ليلا
واخترنا كشييا أنشاء النمل عند حفرة لاعداد مساكنه وأعددنا
حفرة وأشعلنا النيران ووضعنا وجبتنا الشهية تلك . وأثناء
الليل جذبت رائحة الشواء أسدين فاقتربا ورغم أنهما كانا
أبعد من مرمى بنادقنا فقد كان بإمكاننا أن نسمعهما بوضوح
كما لو كانا يعقدان اجتماعا وكأنهما قد اتفقا على الانتظار
حتى تخبو النيران فيسبقان ويتناولان طعامنا المرتقب ، ولما
بدا أن النيران على وشك أن تخبو ، عشنا على أمل أن يبقى
طعامنا الشهي وأوضح لنا نور الصباح أن الأسدين كانا
مازالا جادين في طلب شوائنا ، لكن الحرارة والدخان كانا
خير حارس .

أنت تحبنا أيها الأب :

وبعد عودتي للعربة اقترب بعض مقاتلي الماتابيلي
Matabele الذين انحنوا على البعد عندما رأوا أومبا Umbate
وزميله (الرجلين اللذين صحبهما موفات لتوصيلهما خوفا
عليهما من القتل) فلما أوما لهما بالاقتراب اقتربا وتحدا
اليه والى زميله بلغة ودودة رقيقة مما يؤكد أننا لم نكن
مخطئين في اعتبارهم رجالا يتسمون بالكياسة . أما وقد
وصلنا الى الزرائب الخارجية لماشية مملكة موسيليكاتسي فقد
أشرت لهما مرة أخرى الى اتفاقنا واقترحت أن أعود من حيث
أتيت ما دمت قد أوصلتهما الى هذا الحد وجعلتهما بين أبناء
جلدتهم ، فهب الرجلان وبعد أن نظرا للأرض للحظات
في تفكير عميق ، ووضع أومبيت Umbate يده اليمنى
فوق كتفى وضع يده الأخرى على صدره وخاطبني قائلا :
« أيها الأب . لقد كنت جارسنا . اننا إليك . . اننا رجالك .
أنت تحبنا ، وأنت لن تغادرنا . . لن تتركنا . » وأشار الى

الجبال الزرقاء التى تحد الأفق البعيد ، وأضاف قائلا :
« هناك يعيش موسيليكاتسى العظيم ، فكيف تقترب من
حضرتة وأنت لست معنا ؟ ان كنت تحبنا ابق معنا ، وأنقذنا ،
لأننا اذا أخبرناه بأخبارنا فانه سيسألنا كيف أننا لم نبذل
كل جهدنا لابقائك ، وسيقول ان مسلكنا هو الذى دفعك
للعودة ، وسيأمر بقتلنا . انظر الى والى رفيقى وقل لنا انك
لن تتركنا وتذهب فاننا نفضل أن نقتل هنا بدلا من أن
نقتل أمام عيون شعبنا » وتحدثت ولكنهما ظلا صامتين
وتحدثت عيونهما لغة لم يكن فى مقدورى مقاومتها ، وقال
أحدهما : « هل أنت خائف ؟ » فقلت : « لا » فقال أومبيت :
« اذن ابق معنا لتنقذنا ، وتحمى زوجاتنا وأطفالنا من البكاء
والحزن علينا » وجدت نفسى فى وضع مربك ، فهذان الرجلان
النبيلان يتضرعان الى : أومبيت بملامحه الذكية يحثنى على
عمل الخير ، بينما رفيقه المفعم رجولة والمقاتل الشرس يبدى
مشاعر رقيقة ، وفيضا من الأحاسيس الدافئة التى قلما
تصدر من رجل حرب . . . وقررت أن أصحبهما الى حيث
الملك .

وبدأنا المسير على طول سلسلة جبلية تتخذ اتجاهها شرقيا
شماليا شرقيا تقريبا (جبال الماها ليزبرج Magaliesberg) بينما
أصبح الاقليم ناحية الشمال والشرق أكثر استواء وان
كانت تزيينه سلسلة تلال صغيرة متباعدة ويتخذ كل تل منها
شكلا مخروطيا ، وعند سفوح هذه التلال عديد من بقايا
المدن (القرى) المخربة ، وبعض هذه الخرائب يشير الى أن
بعض هذه المدن كان واسعا ممتدا ، وتربة السهول والوديان
جيدة يل من أكثر أنواع الأرض خصوبة . وتحمل السيول
الهائلة من المرتفعات القريبة - عاما بعد عام - كتلا ضخمة
تبدو جرداء فى بعض المواضع ، فقاعدة الأرض هنا من

صخور جرانيتية غطتها تربة خصبة يبلغ عمقها ما بين عشر
أقدام وعشرين قدما مما يشير الى أن الغلال الوطنية والبطيخ
واللوبيا والقصب كلها كانت يوما ما مزروعة وتموج بها
الحقول . وخرائب بعض هذه المدن والقرى تشير الى عمل
وجهود هائلة دعوية ، فثمة أسوار يتراوح ارتفاعها بين
أربع أقدام وسبع . . وكل شيء فى تصميم هذه المدن
دائرى ، فالمنازل دائرية والجدران المحيطة بها تتخذ شكلا
دائريا والسور الخارجى للمدينة دائرى . وأثناء مرمى
بهذه الأطلال وجدت منازل نجت من نيران الغازين السلايين .
وكانت منازل واسعة كبيرة وتشير الى نمط متفوق، انها تفوق
كل مساكن قبائل جنوب أفريقيا التى سبق أن رأيتها . لقد
كانت الجدران الدائرية مشيدة — بشكل عام . من الطين
الخليط مزج بنوع من المعدن الخام . وزينة الجدران
جيدة ، وتبدو جدران المنزل من الداخل وكأنها مطلية لأن
الخليط مزج بنوع من المعدن الخام . وقد زينت الجدران
والممرات بنوع من العوارض الخشبية والأفاريز . وتحمل
الأعمدة السقف خارة من الجدران (يقصد أن السقف
معرش بالألواح الخشبية) وهو محلى بزخارف مما يدل على
ذوق معمارى جيد . وأسقف المنازل مخروطية وتمتد الى
ما وراء الحوائط لتهبىء للمساكن ظلا خارج المنزل فى موضع
يمكن أن نطلق عليه اسم الشرفة (الفراندة) .

لا بد أن رفع الأحجار لتشييد الأسوار الحجرية قد
استغرق جهدا هائلا ، لأنه كان يتعين عليهم حملها على
الاكتاف من المحاجر التى يحصلون منها عليها وهى على بعد
غير قليل ، وتظهر التلال المجاورة آثار جهود بشرية مضمّنية
باستخدام أدوات بدائية .

الخراب والجماجم البشرية :

وفى بعض المواضع وجدنا أشجار تين برية تنمو فى المربعات الخالية الناتجة عن قطع الأحجار ، ويبلغ طول الشجرة منها اثنتى عشرة قدما . . وقد وجدنا على بعض هذه الأشجار تينا ناضجا لكنه كان أقل جودة من التين المزروع فى بساتين مستعمرة الرأس (الكاب) بسبب صخرية الأرض ولعدم العناية به ، لقد سرت أكثر من ساعة أطلع - مستغرقا فى التأمل - آثار هذا الدمار ، وعدت بأفكارى الى الفترة التى كانت فيها هنا المدن والقرى المدمرة الآن - عامرة بالحياة والمرح الصاخب ، وتخللت التلال والوديان يوم كانت تردد رجع صدى السرور والمرح ، لم يبق الآن الا هذه الجدران المهذمة وأكوام الأحجار والمخلفات والقمامة مختلطة بالجماجم البشرية التى اذا تأملها المرء وجدها تحكى حكايات شبيهة مروعة . لقد غبت هذه المدن والقرى الآن مسكنا للحيوانات المفترسة والزواحف المهلكة . وفى بعض الأحيان تظهر زريبة كبيرة مشيدة بالأحجار تشغلها ماشية الماتيبيلى الذين سبق لهم أن كانوا سببا فى خراب هذه الأراضى ، ولأن واحدا من الماتيبيلى كان بصحبتى فقد وجدت من الصعوبة التامة أن أجمع معلومات من أهل البلاد الأصليين الذين شردوا من ديارهم وتشتتوا ، والذين كنا نلقى بعضهم بين الحين والحين أثناء رحلتنا . فقد كانوا يرتجفون رعبا أمام السادة (النبلاء) الذين يحكمونهم بقبضة من حديد . وسرعان ما اتضح أن المغتصبين كانوا قلقين وحاولوا تعمية الأمور أمامى والحيلولة بينى وبين معرفة مدى التدمير الذى أحدثوه ، ذلك التدمير الذى يظهر لكل عين ترى ، وكانوا حريصين على أن يكونوا حاضرين عندما ألتقى بأى فرد من

أبناء البلاد الأصليين ، ومع هذا فقد سنحت لى بعض الفرص لجمع بعض المعلومات بقدر ما أسعفتنى معرفتى بلغة أهل البلاد ، فقد كان واحد من ثلاثة خدم اصطحبوا الرجلين المبعوثين الى كورومان أسيرا بين المانتاتيز Mantatees الذين هزموا فى ليتاكو القديمة old Lithako * وقد كان هذا الخادم وزميله سعداء بالتحدث معنا بلغة السشوانا Sechuanas وهى لغتهم الوطنية (المحلية) ، وقد وقع هذا الخادم ومئات من شعبه (قبيلته) — أثناء عودتهم مهزومين — فى يد قوات موسيليكاتسى وتم سجنهم * وكان هذا الشخص (الخادم) رغم نشاطه ومنظره الصارم ، فانه مراقب داهية وله عقل نبيل جعله ثائرا على طغيان سادته الجدد .

وحدثنى عن أرض آبائه وكيف دمرها :

وكان هذا الخادم من أهل المناطق (البلاد) التى نمر بها الآن ، وكان أحيانا يهمس فى أذنى ذاكرأ أحداث التدمير والتخريب التى لحقت بأرض آبائه * فهذه الأمم — كما وصفها — كانت فى وقت من الأوقات كثيرة العدد كالجراد ، وكانت غنية بقطعان الماشية وكانوا يتصلون بقبائل الشمال التى تقطن على مسافات بعيدة * وقد شهد محدثى ورفاقه الباكون Bakones وقائع التدمير التى حاقت بكثير من المدن حولنا * لقد شهدوا وقائع ذبح السكان ونهب الماشية والممتلكات * ان قادة شاكا Chaka الذى كان حاكما دمويا للزولو قد شنوا حروبا مدمرة ، لكن هذه الحروب (حروب شاكا) وما ألحقته من تدمير لا تساوى شيئا اذا قيست بالتدمير الأخير الذى لحق بقبائل الباكون Bakone على يد جيوش موسيليكاتسى *

الوفرة والسلام :

فالسكان السابقون لهذه التلال الرائعة والسهول الخصبة كانوا قد أصبحوا مخنثين غير أقوياء بسبب الوفرة والرخاء وطول السلام - بينما الماتابيلي - تحت حكم شاكا البربرى المرعب ، حيث كان الماتابيلي يريدون الافلات من قبضته الحديدية ، فانطلقوا كالسيل مندفعين نحو الشمال شاقين طريقهم وسط الدماء والمذابح والأشلاء .

عندما خمدت الأغنيات :

وصعدت التل يوم السبت مبكرا منطلقا من سفحه حيث توقفنا فى المساء السابق ، لأقضى فترة النهار . وما كدت أصل الى قمة التل وأجلس حتى وجدت رفيقى الذكى قد انسل من الجماعة وأتانى ليحيب عن أسئلة وجهتها له فى اليوم السابق ولم يستطع الاجابة عنها وقتها بسبب وجود سادته . ولما استدرت ناحية اليمين ووقعت عيناي على مساحات هائلة من الأرض تغطيها آثار الدمار فسألته عن مصير السكان ، فقال بعد أن هب واقفا - وكان قد جلس لتوه - وقد بدت عليه المشاعر الحادة ، وبسط ذراعه فى اتجاه الخرائب والدمار وقال : « حتى أنا لاحظت ذلك ! » وتوقف عن الكلام قليلا وكأنه يفكر بعمق ، ثم استطرد : « هناك عاش زعيم هذه الجموع العظيم . لقد كان يحكمهم كملك ، وكانت قطعانهم تغطى السهل . لقد ظن الملك أن عدد مقاتليه سيرهب عدوه . لقد كان أفراد شعبه يفخسرون برماحهم ، ويسخرون من جبن الهاربين من مدنتهم . كان الواحد منهم يقول انه سوف يقتلهم ويعلق دروعهم على

التل * * فجنسنا خلق للقتال ، فمن يقدر على قهر آبائنا *
لقد كانوا عظماء فى المعارك ، جبارين فى ساحة الوغى ،
اننا مازلنا نحفظ بأسلاب الماضى (ما سلبه آبائنا من
أعدائهم) فكلابنا لم تأكل بعد دروع نبلائهم ، والنسور سوف
تلتهم من ذبحناهم من أعدائنا » هكذا كانوا يغنون وهم
يرقصون حتى شاهدوا اقتراب العدو من المرتفعات البعيدة ،
فخمدت أغنياتهم فى الليل وامتألت قلوبهم بالرعب ، وشاهدوا
سحبا تصعد من السهول * * انها دخان المدن المحترقة ،
واضطرب قلب النزعيم العظيم لقطعان الماشية الزرقاء * لقد
ارتفع صياحه « انهم أصدقاء » لكنهم أجابوه : « انهم أعداء »
فلما اقتربوا أعلن قريهم أنهم الماتابيلي العراة ، فأمسك
الرجال بأسلحتهم واندفعوا كما كانوا سيطاردون ظبيا وكان
هجومهم كصوت البرق (وليس الرعد) وكانت رماحهم
هزيلة ، لقد كانوا كما لو كانوا سيواجهون عاصفة خريف
فى غابة * وصاح أسود الماتابيلي صيحة الحرب والموت
وانقضوا على ضحاياهم ، فكانت صيحة الموت هى صيحة
الانتصار * لقد كان تقدمهم بين جثث القتلى يحدث صوتا
كصوت فحيح الأفاعى * لقد كانت لحظات قليلة كافية ليقع
المئات صرعى على الأرض ، وكان ضرب الدروع بعضها
ببعض احدى علامات الانتصار * وهرب شعبنا بقطعانه الى
قمة الجبل البعيد ، ودخل الماتابيلي المدينة وهم يزأرون
كالأسود فسلبوا البيوت وأحرقوها وطعنوا الأمهات وأطعموا
النيران أطفالهن * وغربت الشمس وبرز المنتصرون من بين
الوادي الذى يتصاعد منه الدخان وتابعوا مسيرتهم ليحيطوا
بالتل البعيد فدبحوا الماشية وظلوا يرقصون ويغنون حتى
طلع الصباح *

وتعبت أيديهم من القتل :

وعندما طلع الصباح « سعدوا التل وظلوا يقتلون حتى تعبت أيديهم » وانحنى محدثى للأرض حيث يقف وأخذ قليلا من ترابها وقذفه وبسط راحة يده الخالية ، ثم أضاف قائلا : « هذا كل ما تبقى من الزعيم العظيم للماشية الزرقاء » . انه من الصعب بالنسبة لى أن أصف شعورى وأنا أستمع لهذا الوصف المتدفق لوطنى فصيح ، وبعد ذلك انتظرت حتى سنحت فرصة فكتبت ما قاله بشكل مختصر . وقد تأكدت من آخرين من أهل البلاد أن روايته ليست مجرد أغنية خرافية ولكنها مجرد تلخيص لحدث مأسوى .

وحاصرتنا الأمطار :

لقد تأخرنا عدة أيام فى هذا المكان بسبب عاصفة رعدية مرعبة بدت وكأنها تهز الجبل الراسخ ، وبسبب الأمطار الشديدة التى سببت سيولا قوية هبطت من المرتفعات المجاورة لتغمر السهول . لقد تشبعت التربة السوداء الخصبة بالماء وأصبحت لزجة فوجدنا من المحال - سواء بالنسبة للبشر أو الثيران - أن نتحرك ، فقد أصبحت العجلات كتلة من الطين وأصبحت أرجل الثيران متضخمة من فرط ما أحاط بها من طين . ورغم أننا لم نكن نستطيع أن نرى سوى بعض الدخان المتصاعد من القرى البعيدة ، إلا أنه قد وصلنا - بشكل متتابع - زوار أحضروا لنا معهم كثيرا من المؤن خاصة الحليب والغلال حملتها - على رؤوسهن - بعض نسوة قبائل البشوانا المستعبدة (الخاضعة) .

كان الجو معتما لكثافة السحب ، وكانت استعدادات الإقامة غير مريحة مما جعل رجالى مكتئبين ، ولولا أن المسافة

الى ديارهم طويلة جدا لفكر بعضهم فى الهرب من مرافقتى
سعيدا بالفكاك من هذا الاكتئاب . وعندما انقشع السحاب
وأصبح الجو ملائما لمواصلتنا السفر واصلنا المسير ليومين
فوصلنا الى منطقة خصبة على شاطئ نهر لمبوبو Limpopo
تسمى أورى Uri وظهر تماسح وقد مد فمه الواسع البشع
الى شاطئ النهر الغاص بنبات السعدى (البردى) .

البحث عن مكان لارسالية وزليان التبشيرية :

ومررنا فوق بعض التلال ناحية اليمين واعترتنا دهشة
غير قليلة عندما وجدنا أنفسنا نهبط فى الوادى المنعزل
التالى حيث مجموعة الصيد الكبيرة التابعة لبرند Berend
وشعبه (أفراد قبيلته) ومعه عدد من العربات ، وعلمت من
برند أن السيد أرشيل Archbell التابع لارسالية وزليان
التبشيرية Wesleyan missionary قد قدم معه لبحث عن
مكان مناسب لاقامة مركز تبشيرى ، وأنه (أى برند) قد
فارق مجموعته منذ ثلاثة أيام ليصحب السيد أرشيل فى
زيارة لموسيليكاتسى وقد رفض ملك الماتابيلى مقابلته حتى
أصل ، فقد كان خبر اقترابنا من العاصمة أمرا معروفا منذ
فترة ، وأقبل مبعوث خاص ليرافقنى الى العاصمة فواصلت
المسير معه فى طريق دائرى فوق التل وفى الوادى ، وكان
طريقا صعبا سواء بالنسبة للبشر أو العربات التى تجرها
الدواب ، وبعد ركوب مزعج غير مريح وصلنا الى نهر بيبان
Peban وتوقفنا يوم السبت الذى قضيت الشطر الأكبر منه
مع السيد أرشيل وزوجته ، وما كنت أتوقع أن أحظى بهذه
المتعة عندما غادرت فى طريقى الى هذه الأنحاء .

الترحيب بالوصول المرتقب :

وفى يوم الأحد انضم إلينا السيد أرشيل وأحد التجار ،
أن موسيليكاتسى لم يكن راضيا عن تطفل بيرند وتدخله فى
أمر مملكته لذا فقد رفض أن يقابل أى أحد حتى نصل .
وقد اقتنع السيد أرشيل باصطحابنا بعد أن ظل طيلة يومين
ينتظر ، وبعد أن كان يميل بشدة للعودة من حيث أتى ، ومن
ثم فقد واصلنا المسير شرقا لمدة يومين آخرين فوق منطقة
تلية وغابية ، ولقينا أثناء الطريق كل حفاوة وتكريم مما
يشير الى ترحيب موسيليكاتسى بوصولنا المرتقب لعاصمته .
وكان واحد من الشخصين الذين تعهدت بإيصالهما قد تركنا
عند نهر اللمبوبو ليقابل مليكه وليمهد - كما قال - لوصوله
مباشرة لمسكن جلالته .

الملك الفيل :

لقد قال أومبيت وهو يشير للمدينة : « هناك يقيم
الملك العظيم بيزولو » Pezoolu ، الكلمة تعنى الفيل .
الملك العظيم يد الأسد Lion's paw « وأتبع هذه الألقاب
التشريفية بفيض من المديح المبالغ فيه .

الفرع من الخيول :

آلاف المقاتلين يحرسون الزريبة :

ولأنه كان يتعين أن تتخذ العربات طريقا دائريا حتى
تصل الى مخاضة لعبور النهر ، فقد أسرجت فرسى وكذلك فعل
أرشيل وانتسابولوكو واثنان آخران ، وذلك لنتخذ الطريق
المباشر . وعندما وصلنا للنهر وجدنا جمعا من الناس

يستحمون وعندما رأوا الخيول خرجوا من النهر وراحوا
يقفزون وقد اعتراهم فزع شديد ، وتقدمنا مباشرة الى
المدينة ، ولما وصلنا لوسط الزريبة الكبيرة (أو الحظيرة)
التي تتسع لعشرة آلاف رأس - اعترتنا الدهشة اذ وجدناها
محاطة بثمانمائة مقاتل بالاضافة الى مائتين قد اصطفوا على
جانبي المدخل كما لو كانوا في كمين . وأومأوا الينا كي
نترجل ، فترجلنا وأمسكنا بالجمة خيولنا بأيدينا .

صرخات مرعبة :

واندفع المقاتلون عند البوابة فورا وراحوا يصيحون
ويصرخون صيحات وصرخات مخيفة بشعة ، وراحوا يقفزون
فوق الأرض وقد ارتدى الواحد منهم تنورة (بلوزة) تتدلى
من الخلف وكأنها ذيل متحرك ، وأفزعت دروعهم خيولنا ،
ثم انضموا للحلقة التي كانوا بها بنظام وكأنما قد تدربوا
على التكتيكات الأوربية . ووقفنا يحيط بنا المقاتلون من كل
جانب . وكانت تنورات (بلوزات) المقاتلين من جلود القروء،
وكانت سيقانهم وأذرعهم مزينة بذيول الثيران وشعرها ،
وكانت دروعهم تصل الى أذقانهم ، وكانت رءوسهم مزينة
بريش الطيور .

حركة العيون :

ورغم أن كل من كان في وسط المدينة صامتا ، حيث
لا حركة . العيون فقط هي التي تتحرك ، والأسنان تبدو
بيضاء لامعة . وبعد دقائق من الصمت العميق لم يكن يقطعه
الا تنفس الخيول ، اندلعت أغاني الحرب والحق أقول لكم ،
لقد كانت أغنية متناسقة (هارمونية) وراح المقاتلون

يضربون الأرض في الوقت نفسه بأقدامهم محدثين صوتا كالرعد الأجوف لكن بعض أجزاء العرض كانت تعطى احساسا موسيقيا (ذا طابع موسيقى) خاصة عندما كانوا يقلدون أنين القتلى الذين قتلوهم في المعارك ، وكذلك عندما كانوا يقلدون صيحات المنتصرين المرعبة ، وأصواتهم (هسهساتهم) الشبيهة بفحيح الأفاعى .

وظهر الملك :

ويتلو ذلك فاصل يتوقفون فيه ونظل في حالة دهشة وترقب ، فماذا يقصدون ؟ حتى ظهر الملك قادما من خلفية الصفوف يتبعه عدد من الرجال حاملين السلال وأواني الطعام . لقد قدم إلينا وحيانا وفقا لطريقتنا في التحية وصافح كل واحد منا بشدة - لكن بود ، ثم استدار - بأدب - للطعام الذى وضع عند أقدامنا ودعانا للمشاركة . وفى هذه الأثناء ظهرت العربات للعيان على البعد وتم الاعلان عن رغبتنا بتوجيهها للمكان الذى سنعسكر فيه فى ضواحي المدينة ، وصحبنا الملك ممسكا ذراعى اليمنى بشدة ، وان كان بطريقة ودودة بل وبألفة . وقال لى : « الأرض أمامك . . لقد أتيت الى واحد من أبنائك ، نم فى أى مكان ترغب . »

المساكن المتحركة ودهشة الملك :

وعندما تحركت المساكن المتحركة (هكذا يسمون العربات) اقترب وقبض على ذراعى بشدة وراح ينظر للعربات بدهشة شديدة تجل عن الوصف ، بل ان هذا الرجل (الملك) الذى يسبب الرعب للآلاف قد انسحب للخلف خوفا من منظر العربات كما لو كان ظنها كائنات حية . وعندما فككنا أربطة الثيران اقترب من إحدى العربات بحذر شديد

وظل ممسكا بي باحدى يديه وواضعا يده الأخرى على فمه
دلالة الدهشة . ونظر للعربات بتركيز شديد ، خاصة
العجلات ، وزادت دهشته عندما أخبرناه بأن كل عجلة مكونة
من عدد من القطع الخشبية . وبعد أن تفحص العجلات
والعربات بدقة عن قرب بقى فى عقله سر غير مفهوم فكيف
تكون قطعة الحديد الدائرية المحيطة بالعجلة متصلة دون
علامة تشير الى اتصالها بقطعة حديد أخرى أو بمعنى أدق
كيف التحم طرفاها . وهنا قال أومبيت صديقى ورفيق سفرى
والذى أدت زيارته لمركزنا التبشيرى الى أن يكون أكثر حكمة
من مليكه : « لقد رأيت بعينى أن يديه النشيطتين - وأشار
الى يدي - قطعت أسياخ الحديد ووصلت أحد طرفيها بالطرف
الأخر كما ترى الآن » وتفحص الملك العجلة بدقة واكتشف
الجزء المتصل وسأل « لا ، انه لم يستخدم الا النار والمطرقة
والأزميل » ثم عاد موسيليكاتسى الى المدينة حيث كان
المقاتلون مازالوا فى انتظاره منذ غادرهم ، فاستقبلوه
بعاصفة من التصفيق .

لباس المقاتلين وأسلحتهم :

لقد كان بضعة آلاف من الماتابيلي يشكلون عدة كتائب
ويتم التمييز بينها بألوان الدروع ، وكذلك بنوع الريش
الذى يستخدمونه بكثرة فى تزيين رءوسهم ، ولكل مقاتل
أيضا ريشة طويلة من ريش طائر الكركى (الغرنوق)
الأزرق تبرز من جبهته . . . أما أسلحتهم فتتكون من دروع ،
ورمح صغير وهرأوة ، وغالبا ما تكون الهرأوة من قرون
وحيد القرن أو من الخشب القوى ، وهم يجيدون تسديد
الرمى ، فهم قادرون على أن يصيبوا بدقة حتى الظبي الصغير،
والرمح الصغير غير معد للقذف وإنما هو معد للقتال المتلاحم،

أما وهذه هي عدتهم فى القتال فان لدى القبائل أسهما خفافا
يقذفونها لمسافات بعيدة * * وعقيدة هؤلاء المقاتلين هي النصر
أو الموت * * * وهم يبدوون فى حال أفضل عندما يلبسون
لباس الحرب وهم لا يلبسونه الا فى الحرب أو فى المناسبات
المهمة ، بدونهم يبدوون عراة كقبائل الكافير * ونادرا
ما يستخدمون الفأس فى الحرب a war axe تلك الفأس التى
تميز المقاتل من البشوانا والتى يستخدمها - فقط - اذا
وقع فى مأزق أو كان فى ظروف غير ملائمة أى عندما تفقد
سهامه أو عندما يقوم بنحر أعدائه المهزومين * دروعهم
مصنوعة من جلود الثيران السمكية ، وهى - أى هذه
الدروع - تختلف حجما وشكلا * ودروع الماتابيلي كبيرة تغطى
جسد المقاتل ، بينما الدروع الأخرى خفيفة * * * ودروع
الباسوتو أصغر حجما وتبدو وكأنها لا تحمى الا الذراع
اليسرى التى تقبض على السهم (أو الرمح) وعلى قضيب
مزين بخصلة من ريش النعام الأسود *

الحفل الراقص :

ولم يفشل موسيليكاتسى فى امدادنا بفيض من اللحم
والحليب والجة غير القوية المصنوعة من الفلال الوطنية
(التى تنتجها بلاده) ، وكان قلقا خشية الا يظهر هو وشعبه
فى أحسن صورة * فقد أمر كل السكان والمحاربين فى المدن
المجاورة بالتجمع فى المراكز الرئيسية ، وفى اليوم التالى
عقدت حفلة راقصة تحية للغرباء ، ووقع الاختيار على السهل
المجاور للمدينة ليكون مسرحا لهذا الحفل الراقص حيث وقف
موسيليكاتسى فى وسط حلقة كبيرة من جنوده ، وحضر أيضا
الى جانبه عدد من النسوة رحن يصفقن ويصدرن أصواتا
حادة ، فكن جزءا من المعزوفة العامة *

حريم الملك فى المهرجان :

وتقدم حوالى ثلاثين من حريم الملك بصولجاناتهم
البيض المرتفعة أمام صفوف المغنين وخلفها، وكانت أجسادهم
الممتلئة الثقيلة اللامعة من فرط ما عليها من دهان لا تستجيب
بسهولة للحركات الرشيقة التى تتطلبها الرقصات ، بعكس
نساء الطبقات الأدنى ، لقد غنى المغنون أغانى الحرب
الخاصة بهم بمناسبة زيارة الغرباء لبلادهم وراح أحدهم
يدور حول الملك الواقف فى مركز الحلقة (وسطها) وراح
يحملق فى الملك ويوقره توقيرا شديدا باظهار الفزع منه
والخوف منه والاعجاب به ، وكان الملك - أحيانا - ينظم
حركة الألف المحتشدة بحركة من رأسه أو رفع يده أو
خفضها . وجلس الملك وعليه ترسه الممول من جلد الأسد
وسألنى ان كان فى بلادى شىء كهذا ، وتساءل موجه حديثه
لى : أليس جميلا ؟! ولم أستطع أن أرى غروره بقولى اننى
بالفعل معجب بهذا الترس المثير للمشاعر وهو يحمى صدره
المقاتل (الشجاع) .

.....

لقد شغل هذا الحفل (الوطنى) معظم النهار وكان
المقصود منه اظهار العظمة (الوطنية) والفخر ، ثم عاد الملك
(الزعيم) وقد انتفخت أوداجه فخرا وسط هتافات الجماهير
ودعائها له وتوقيرها اياه ، وشملت الهتافات أيضا أسماء
معاونيه his satraps الذين تبعوه (لكنهم خلوا بينهم
وبينه مسافة دلالة الاحترام والتوقير) . لقد كان الناس -
إذا ما وقف الملك أو جلس أو ظهر يصيحون بيت Baite

أو آيت Aite بالاضافة لكلمات أخرى تعنى (الملك العظيم)
أو (ملك السماء) أو (الفيل) . الخ .

.....

ولأن السيد أرشبل Archbell وجد أنه من الضروري
ألا نمكث هنا طويلا ، وأيضا لأننى قد غادرت موطنى منذ
فترة طويلة ولم أكن أنوى أن أمكث بعيدا هذه المدة ولا أن
أقطع مسافة بهذا الطول - لذلك فقد أخبرت الملك ذا العظمة
المتوحشة his Savage Majesty أن زيارتى يجب أن تكون
قصيرة حتى لا يقلق أصدقائى وأفراد أسرتى فى كورومان
kurnman بشأنى مخافة أن يكون شر قد أصابنى أثناء
الطريق حيث لا رفيق الا الحيوانات المتوحشة . ومع أن
ما قلته كان مقنعا جدا الا انه دبر فى غير قليل من الدهاء
أن يحتجزنى مدة عشرة أيام . وخلال هذه المدة كنت ألتقى
به تباعا لكننى لم أكن فى وضع يسمح لى بالحصول على
المعلومات عن شخصيته الحقيقية فلا أحد فى مملكته يجرؤ
على النطق بحرف عنه سوى وصفه بأنه أفضل من وجد على
ظهر البسيطة وأكثرهم نبلا وأنه ظاهر فى كل أفعاله كامل
فى أوصافه وعدله وطيبته ، وان لديه القوة التى تجعله
قادرا على دك الجبال دكا ومحوها من الوجود ، وأخيرا فان
ابتسامته هى الحياة ، وتقطيبته رعب وموت . وعلى أية حال
فاننى عرفت شيئا عن ميوله ونزعاته من الزعماء الحاضرين
الذين كان قد سبق لهم أن زاروا كورومان Kuruman
والذين كان قد سمح لهم بالبقاء فى عرباتى سواء لأداء
خدمات أو لحمل رسائل وان كان الهدف الحقيقى لزياراتهم
هو مراقبة تحركاتنا وتسجيل كل لقاء لى بأهل البلاد . وقد
كانوا - مع ذلك - مطيعين جدا لطلباتى واقتراحاتى ، فاذا

أردت الهدوء ، كان يكفي جدا أن أرفع اصبعي لتسير الأمور
وفقا كما أريد ، وكان من غير المسموح للعوام الاقتراب مني
الى حد معين بدون اذن خاص وكنت مضطرا - على نحو
متعاقب - لمنع حارسي الخاص من استخدام العصي والأحجار
ضد أي شخص يقترب مني الى حد معين دون استئذان * لقد
منعت بصعوبة تكسير رأس بعض الأشخاص ومنع طحن
عظامهم ، ذلك لأن الحرس كان ينفذ مهمته الاستبدادية
بحماس حقيقي *

.....

وخلال احدى لقاءاتي الأولى مع موسيليكاتسي حدثت
واقعة تبين الى أي حد يمكن أن يؤثر اللطف والكياسة في
الرجل القاسي اللفظ * لقد اقترب من البقعة التي كنت أقف
فيها وكان معي آخرون يحملون أطباق الطعام وكان من بينهم
زعيمان كنت قد التقيت بهما في كورومان لكن عند اقتراب
الملك انحنيا وصاحا كالمعتاد :

« بيتي ، نخوسي انكولو Baite Nkhosi Enkolu » لكن الملك
رغب في عودتهما * ووضع موسيليكاتسي يده اليسرى فوق
كتفي ، ووضع يده اليمنى على صدره ، وخاطبني قائلا :
« ماشوبين Machobene (★) انني أدعوك بهذا الاسم
لأنك أبي ، لقد جعلت قلبي أبيض كالحليب ، لا تندهش
لحبي لغريب * * انك لم ترني قبل ذلك لكنك تعبني حبا
يفوق حب شعبي لي * لقد أطعمتني عندما كنت جائعا
وكسوتني اذ كنت عريانا وحملتني على صدرك » ثم رفع

(★) وهو اسم أبيه *

ذراعى اليمنى مع ذراعه ، وأضاف قائلا : « هذه الذراع هى
درعى ضد أعدائى » ومن جانبى لم أكن فاهما أو على وعى
بما يقول ، لذا فقد أشار الى المبعوثين السفيرين القابعين عند
قدمى ، وقال : « وان هذين رجالان عظيمان فأومباتى Umbate
هو يدى اليمنى ، فعندما أرسلتهما للتعرف على بلاد البيض ،
فانما أرسلت آذاتى وعيونى وفمى ، فما رأوه رأيتـه
وما سمعوه سمعته ، وما قالوه انما عن لسانى وبلسانى .
لقد تحدثا باسم موسيليكاتسى ، وعندما تعرضا للخطر قمت
أنت بحمايتهما . . . انك بعقلك هذا تكون قد حميتنى أنا . .
لقد فعلت ذلك لشخصى . . لموسيليكاتسى بن ماشوپين » .

رحلة

وليم كورنوالز هاريز

WILLIAM CORNWALLIS HARRIS

الى نهر الفسال

ولد وليم هاريز في كنت سنة ١٨٠٧ م وعمل في شركة الهند الشرقية البريطانية مهندسا . وفي ١٨٣٦ م - وكان قد وصل الى رتبة كابتن - ارسل الى مدينة الكاب لمدة عامين . وفي السفينة التي اقلته الى هناك قابل ريتشارد وليامسون Williamson

وهو موظف مدني كان يعمل في بمباي كان هو الآخر في طريقه الى جنوب افريقيا لأسباب صحية . وقرر الاثنان - هاريز ووليامسون القيام برحلة صيد في المناطق الداخلية . وفي جراهامستون Grahamstown حالقهما الحظ فقابلا هيوم Hume وسكون Scoon وحصلا منهما على معلومات كثيرة عن بلاد الماتاييلي ، وامدهما هيوم ايضا بسائق كان قد تردد على بلاد موسيليكاتسي خمس مرات . واكتملا استعداداتهما في منطقة جراف - رينت Graaf-Deinet وتعرفا على الدكتور موفمات Maffat

في كورومان Kuruman عن طريق بعض البعثات

التبشيرية الأمريكية التي وصلت حديثا . وقد لقا موسيليكاتسي في كابتن Kapain بالقرب من موقع كوريشين Kurreechane

وحصلا على موافقته على صيد الفيلة وان يعودوا عن طريق الفال

Vaal route الذي لم يسلكه اوروبيون من قبل . وتابعوا

مسيرهما على طول الجانب الجنوبي لماجاليسبرج Magaliesberg

حتى وصلا الى قرب اوليفانت Olifent الى الجنوب من رستنبرج

الحديثة Rustenberg والنص التالي من رحلة هاريز Harris

المعتونة :

Wild sports of Southern Africa (John Murray, London, 1839)

لقد اكتشفنا - قبل أن يشرق صباح اليوم التالي - أن الثيران قد اعتراها الخوف من الأسود ، ومن ثم فقد ولت هاربة من حظيرتها . فأرسلنا مجموعة لتتبعها ، وتابعتنا نحن مسيرنا في التلال بحثا عن الجاموس البرى . لقد نقت العاصفة الرعدية الجو وجعلت الجو باردا يبعث على البهجة والنشاط ، وكان الوادى الضيق الذى لم يصبه الحريق الهائل الذى شب أمس عامرا بالطرائد التى فرت من النيران ، وسرعان ما قتلنا عددا من حيوانات وحيد القرن ، وقبل أن نعيد تحميل أمتعتنا رأينا قطيعا من الجاموس البرى يبلغ مائة وخمسين رأسا كان يهبط على منحدر مجرى معشوشب ، فزحفنا حتى أصبحنا على بعد خمس وعشرين ياردة ، وقتلنا ثورين بسرعة قبل أن يتنبه بقية القطيع الذى اندفع فى الغابة وراح يحطم الأشجار فى طريقه واندفع فى اتجاه التل المقابل فى فوضى مرعبة محدثا سحابة ترابية هائلة . وامتطينا خيولنا وبعد أن مكثنا بعض الوقت نغانى من طين النهر الذى سبب لنا ولخيولنا ارباكا ، وصلنا للجانب الآخر للنهر وحاصرتنا ثورين آخرين وقتلناهما بعد عدة طلقات . وكان أصدقائنا البدائيون (من أهل البلاد) Savage Friends كسولين بسبب كثرة تناولهم الطعام بالأمس لذلك لم يظهروا على مسرح الأحداث ، ولذلك فقد أرسلنا كلاسى بعد أن انتهينا من طعام الافطار - لاحضار بعض من العظام ، الا أن أسدا قفز خارجا من دغل بالقرب منه بسرعة فلم يتح له وقت لاستخدام بندقيته . وبعد عدة ساعات - على أية حال - استجمع كلاسى شجاعته وأخذ معه عددا من الرجال وذهب ليستعيد الثور القاتل .

السيول الراقصة :

وعاد الهوتنتوت فى وقت باكر بعد الظهر ومعهم الثيران ، وواصلنا مسيرنا دون اضاءة وقت فى اتجاه الشرق وسط حشائش عالية جدا متتبعين خط اتجاه الجبال ، ومررنا بين تلين متفردين لكل منهما شكل مخروطى ، وقد شمخا وكأنهما حارسان ، وبعد أن عبرنا ست مجار عانينا فى عبورها بعض المشقة ، وجدنا أنفسنا بالقرب من فتحة فى السلسلة التلية ، ومن خلال التليسكوب رأينا أنه يمكننا - من الناحية العملية - أن نشق طريقنا صوب الشمال ، وقد غرست عجلات عرباتنا بشدة فى نهر سانت Sant وتعاون كل الفرقاء فى اخراجها لكن بعد جهد جهيد . وكانت الحرارة شديدة وليس من نسمة هواء ، وتجمعت سحب سوداء كثيفة مما أوحى لنا بقرب هطول طوفان من الأمطار فرحنا نستعد لذلك ، فأقمنا معسكرنا فى موضع مرتفع محمى تحت جانب صخرة مرتفعة . لقد كان الموقع محاطا جيدا لا ينقصه الا أن يسد مدخله بأفرع الأشجار ليكون حظيرة آمنة للماشية . وما كدنا ننتهى من هذه الترتيبات حتى انفجر الرعد فوق رؤوسنا وجرت خطوط البرق الخاطفة فى السماء وأنارت الأرض وكأنها نهيرات من نار وهطل المطر سيولا ، لقد كانت خطوط المياه تصل للأرض راقصة ، وكأنها أنهار منابعا فى السماء فلم يكن هطولها على شكل قطرات فرادى ، وانما فى استمرار متواصل عنيف يستعصى على الوصف ، وظل الحال على هذا المنوال معظم الليل ثم تراجع الرعد شيئا فشيئا وقلت دمدمة شيئا فشيئا ، لكنه ظل يدوى ويدمدم فوق الجبال البعيدة عنا ، وراح صداه يجلجل فى التلال الأقرب إلينا ، ثم يعود فيدوى مرة أخرى بعنف عنيف فوق رؤوسنا .

فالرعد الوحشى ينطلق من كل السحاب لا من سحابة
واحدة وكأنما يتنقل من قمة جبل الى قمة أخرى

From peak to peak, the rattling Grags among,
Leapt the wild thunder, not from one lone cloud,
But every mountain soon had found e tongue.

لقد وصلت المياه الى ركب الثيران والخيول ، وظل
رفاقنا جالسين طوال الليل فى عربة المؤن التى تسرب اليها
الماء .

وضعنا رءوسنا تحت الوسائد :

أما عربتنا فكانت - لحسن الحظ - مغطاة بشكل جيد ،
فقاومت العاصفة الهوجاء . وكان النوم - بطبيعة الحال -
أمرا محالا ، وبدأت الأرض وكأنها - بالفعل - تميد تحتنا ،
وكان البرق يخطف أبصارنا ، حتى أننا كنا نجد سعادة فى
تخبئة رءوسنا تحت الوسائد .

كانت العاصفة مربعة حقا :

ولا يستطيع أن يفهم فهما كاملا مدى الرعب الذى
سببته هذه العاصفة التى وصفتها توا الا أولئك الذين
شهدوا العواصف التى تسببها الرياح الموسمية فى الهند .
وقبل الفجر بحوالى ساعة بدأت وطأة العاصفة تنف ، وعندما
أشرقت الشمس أصبح الجو رائعا ، وأصبحت الأنهار ملأى
بالماء ولا يمكن عبورها . وتقدمت مع بعض الهوتنتوت
لاستكشاف الطريق لكننى وجدت أنه من المستحيل أن تتقدم

العربات فى هذه الأحوال ، فلم يكن هناك إلا قناة ضيقة تحيطها صخور مشكلة شاطئين عموديين ، حيث يندفع نهر سانت Sant فى طريقه ليلتقى بنهر لنجكلنج Lingkling (نهر ايلاندر Elands) ، ويتلوى نهر سانت أثناء اندفاعه بتعاريج حادة مفاجئة وهو يقطع منطقة وعرة مخترقا منحدرات صخرية متتابعة .

قطيع الجاموس والفيل العملاق :

وقد رأينا من فوق أعلى القمم عدة قطعان من الجاموس البرى وبينما كنا نهبط رأينا آثار أقدام فيل ضخم كان قد مر منذ ساعة تقريبا . وبدأت آثار أقدامه كأضخم آثار أقدام فيل سبق لى أن رأيته ، ودفعنى حب الاستطلاع لقياس أبعاد أثر هذا الفيل وذلك للتأكد من ارتفاع هذا الحيوان . فمن المشهور أن ضعف محيط قدم الفيل يساوى بالضبط ارتفاعه حتى الكتفين (★) لقد كان ارتفاعه - وفقا لهذه القاعدة حوالى اثنتى عشرة قدما ، هو بذلك أعلى فيل أفريقى ، وتابعا الأثر عبر نهر ست الذى هدأ اندفاعه الآن بشكل ملحوظ - ووجدنا أنه (أى الفيل) تابع مسيره شرقا مع سلسلة الجبال ، وعدنا لمسكرنا لاصطحاب خيولنا وللحصول على الذخيرة .

آثار الأفيال :

وتركنا العربات وتقدمنا فى بقعة ملائمة ، وفى حوالى الساعة العاشرة كنا بالفعل فى وضع معتم وتابعا آثار الفيلة بلا ملل ولا كلل طوال ثمانية أميال فى منطقة تغيرت

(★) لا ندرى مدى صحة ذلك ، ولعل هناك خطأ فى النسخة - (المترجم) .

ملاصحتها تماما ، وعبرنا حيودا حجرية جرداء ، وعبرنا أحيانا غابات ظليلة لكن أشجارها محطمة ، وكافحنا لنشق طريقنا عبر أراض شاسعة تغطيها الحشائش الطوال المتموجة ، ثم نجد أنفسنا مرة أخرى على منحدرات مكشوفة ، وأخيرا وصلنا بين مجموعة من الآكام (التلال الصغيرة) المعشوشبة تغطيها أحجار صغيرة غير ثابتة وتتخللها المجارى المائية الصغيرة وأحيانا تكسوها غابات غير متسعة بدت فيها - بشكل يدعو للدهشة - آثار التخريب الذى أحدثته فيها الأفيال ، هذه الحيوانات التى طال بحثنا عنها ، فغمرنا شعور هائل بالسرور والرضا . لقد كانت الأفيال ترعى بتكاسل على رأس الوادى البعيد فركزنا انتباهنا تجاهها بفعل الرائحة الكريهة التى حملتها الرياح لنا . تلك الرائحة التى لا تخطئها أنف . ولأننا لم نكن قد رأينا قبل ذلك الفيل النبيل فى أدغاله الوطنية فقد رحنا نحلق فى المنظر المائل أمامنا باهتمام بالغ ودهشة لا يمكن وصفها ، وقد انتقل شعورنا بالاهتمام لكل من معنا ، فاندريس Andries كان مستثارا لدرجة أنه كاد يعجز عن الكلام ، فقد تمتم أخيرا بشفاة مرتعشة ، بينما كانت عيناه مفتوحتين عن آخرهما ، «انها ديار الفيلة Dar stand de olifant » وتم ارسال موهانيكوم Mohanycom ولنجاب Lingap فى التو ليجعلوا القطيع يعود ثانية (للخلف) الى الوادى الذى تقدمنا اليه ببطء ودون احداث ضجة مراعين أن نكون فى تقدمنا عكس اتجاه الرياح .

أجمل الجميلات فى عالم الأفيال :

ولما وصلنا على مسافة مائة وخمسين ياردة من القطيع ، دون أن تحس الفيلة بتقدمنا ، أسرعنا بخيولنا

وكمننا فى زريبة حجرية قديمة • وأدى ضياح البدائيين Savages الذين ظهرُوا فوق المرتفعات يقعقعون بتروسهم — الى أن تحركت الحيوانات الضخام (الأفيال) نحونا ، بل انها أصبحت لا تبعد عن مكمننا بأكثر من عشر ياردات ، لقد كانت مجموعة الأفيال تتكون من تسع ، وكانت كلها اناثا ذوات خراطيم ضخمة • واخترنا أجملها وأطلقنا عليها بترو وهدوء وابلا من خمس رصاصات ، فتعثرت لكنها نهضت من جديد ، أطلقت صرخة كأنها نواح ، فرفعت بقية الأفيال خراطيمها فوق رأسها وانطلقت مبتعدة تتسلق التل المجاور بسرعة شديدة ، وراحت آذانها الضخام الشبيهات بالمراوح تخفق بسبب جريها السريع ، فركبنا خيولنا سراعا واتجهنا للسيدة الجريحة (الفيل المصاب) التى لم تكن الأحجار الحادة غير الثابتة ملائمة لأقدامها ، فاستدارت إلينا بغضب بخرطوم مرفوع ، ولم تصب طلقاتنا منها بشكل مؤثر الا بعد محاولات عديدة ، فسقطت سقطة مدوية وفقدت الحياة •

بانوراما تفوق الوصف :

ولما انتزعنا أنفسنا من المنظر المدهش الذى وصفته آنفا • وجدنا أن الوادى الآخر الذى كان مكشوفاً أمامنا تحيطه تلال حجرية جرداء يقطعه مسيل نحيل تحيطه الغابات ، انها بانوراما طبيعية رائعة وعظيمة لا يمكن للوصف أن يوفيها حقها • لقد كانت المنطقة كلها مغطاة بالأفيال • لقد كان عددها — على مدى الرؤية — لا يمكن أن يقل عن ثلاثمائة فيل ، فكل أكمة خضراء كانت مرصعة بعدد من هذه الأفيال ، بينما كان بطن الوادى يشهد حشداً كثيفاً من هذه الحيوانات الضخام السود ، وفى بعض الأحيان كانت

أجسادها الضخمة تتوارى جزئيا وراء الأشجار التي ألحقت
بها تدميرا هائلا بسبب قوتها الجبارة ، وفي مواضع أخرى
رأينا هذه الأفيال الجبارة يحمل الواحد منها بخرطومها فروع
الأشجار وينسحب الى مكان خال بعيدا عن الغابة ليحمي بها
نفسه من الذباب (المترجم : ربما كان المعنى : ليتخذها
كمظلة تقيه الذباب) أما خلفية المشهد فكانت تمثل سلسلة
جبلية زرقاء تعطى ايعاء بالضخامة وتكمل سمو الصورة
المفعمة حياة واثارة .

الطلق الطائشة :

لقد أصبحت مراعاتنا أن يكون تقدمنا عكس اتجاه الريح
مسألة غير مؤكدة ، فقد خرقنا هذه القاعدة التي راعيناها
سابقا ، مما أدى الى اثاره انتباه الفيلة قليلا حتى أن القطيع
الذى خلفناه وراءنا انحدر بشكل طائش لينضم لمجموعة
الفيلة الرئيسية ومر قريبا جدا منا حتى أننا لم نستطع
كبح تهورنا فأطلقنا النار على واحد منها الا أنه - على أية
حال - تحمل القذيفة بشجاعة . ووضعنا خيولنا فى مكان
آمن فوق قمة حيد حبرى ، وتمركزنا فى موضع ملائم فوق
افرينز جبلى (موضع ناتىء) يشرف على الممر (الشعب)
الممتلىء بالأشجار ، وأرسلنا أندريس Andries ليناور ، حتى
نجبر أكبر عدد من الفيلة على المرور أمامنا حتى نتمكن
من ملاحظتها عن قرب لتأكد من عدم وجود فيل ذكر بينها،
وراحت الفيلة تسير بتكاسل ، وكانت تتوقف بين الحين
والحين تحت الأشجار الظليلة ، ولم تكن المسافة بيننا وبينها
تزيد عن خمس عشرة ياردة ، وراحت الفيلة تروح عن نفسها
يكسل بتحريك آذانها الكبيرة ، ومبعدة الذباب عن أجسامها

بتحريك خراطيمها ومطلقة أصواتا ضعيفة واهنة يعرفها
الهنود جيدا . لقد كانت كل الأفيال اناثا وكان بعضها
أمهات حيث كانت الأفيال الصغيرة تسير خلف أمهاتها ،
وتقلدها في كل حركتها . ومن موقعنا هذا كان يمكننا قتل
أى عدد من الفيلة نريد ، فقد كانت تستدير برعوسها تجاهنا
وكانت قريبة منا ، وكان يكفى أن نطلق طلقة واحدة على
مخ الفيل الذى يوجه رأسه إلينا لينخر على الأرض . ان طلقة
واحدة كانت كافية لقتل فيل فى مثل موقعنا هذا ، لكن -
بينما كنا مترددين ، انطلقت طلقة فمرت محدثة أزيزا الى
جوار أذن رتشاردسون Richardson فتنبهت الفيلة
وانطلقت هاربة .

اطلاق النار :

ولم يكن أمامنا وقت كاف الا لحظات لتراجع خلف
شجرة تحاشيا لرتل من عشرين فيلا ضخما فى اثرها الأفيال
الصغار . لقد كانت تجرى بأقصى سرعتها وقد رفعت
رعوسها وهى تصرخ بصوت عال ، فأسندت بندقيتى للشجرة
وأطلقت النار على كتف الفيل القائد فهوى فى الحال .

رتل آخر من الفيلة

الهروب والمراوغة :

وظهرت مجموعة أخرى من الفيلة فى اثر المجموعة
الأولى ، لقد كانت خلفنا مباشرة ، وكان ظهورها فى اللحظة
نفسها التى ظهرت فيها المجموعة الأولى ، واضطربنا للتراجع
ورحنا نراوغ من شجرة الى شجرة ونحن نتعثر بين الأحجار
المديبة الحادة ، وكنا دائما نلتقى بأعداء جدد (أفيال أخرى) .
ولم يستمر هذا الاضطراب المضحك فسرعان ما وصلنا لأنثى

الفيل التى أطلقنا عليها النار آنفا فأنهينا حياتها بطلقة
فى جبهتها . لقد أصبح أندريسى الآن فى قمة فرحة وكان
فكها مداعبا للغاية سعيدا بإنجازاته ، وفى غمرة ادعاءاته
وفخره وتبجحه بأهميته أطلق رصاصة من رصاصاته على
الحيوان الميت زاعما أن أنثى الفيل لم تمت بالفعل وإنما هى
تتظاهر بذلك ، وكان هدفه من هذا هو أن يخلط بين
الطلقتين (طلقتى وطلقته) ليدس اصبعه الوسطى فى الثقب
الذى أحدثته قذيفتى (٢ أونصة) ، وراح يزعم أنه هو
الذى تسبب فى موت الحيوان بقذيفته ، وبدأ مسرورا وهو
يعاين الطلقتين ليؤكد أن طلقاته كانت هى القاضية .
وسواء كان هذا حقيقيا أم لا فإنه لم يكسب سوى أنه فقد
احترامى وتقديرى له كرفيق رحلة .

الارتباط بالصغار :

وفى طريقنا للمعسكر - ولم نكن متأكدين من موقعه
بالضبط بسبب فيض المطر الذى هبط مؤخرا - مررنا
بثلاثة قطعان أخرى من الأفيال . وقد توقف أحدها فى
طريقنا مباشرة ، فهاجمناه وتبعنا الفار منه لمسافة تقرب
من الميل فوق أحجار غير ثابتة . وثمة أقوال كثيرة عن
ارتباط الأفيال بصغارها ، لكن فى هذه المرة وفى مرات
أخرى لم نلاحظ أدنى اهتمام من إناث الفيلة بحماية
صغارها ، بل العكس فقد كانت أنثى الفيل تختبئ أحيانا
وراء صغارها . وقد طعن موهانيكوم ولينجات
اللذان كانا وراءنا فيلا صغيرا برمحيهما ، وأحضرنا ذيله
معهما . وقد قتلنا أنثى فيل كبيرة السن ونحن نصعد ربوة ،
وفى الوقت نفسه أدركنا أن عرباتنا على بعد مئات قليلة من
الياردات فى البقعة نفسها . وقد اقتحم رتل الأفيال معسكرنا

هارباً مندفعاً مسبباً ذعراً يفوق الوصف بين الماشية ورجالنا،
لكن - لحسن الحظ - لم تقع حادثة مؤسفة . وبعد هذا
اليوم من العمل الشاق المرهق ، لم نكن أسفين لعودتنا
لمسكرنا .

وقرت الثيران بالليل :

وحجبت سحب ممطرة الشمس وهي تغرب بتثاقل خلف
الجبال ، ودوى الرعد ، وقبل أن يحل الظلام تعرضنا لعاصفة
كعاصفة الأمس وراح النهر يزار أمامنا بشكل مربع ، وفرت
جحافل الفيلة من المشهد القاتل ومرت بالقرب من عرباتنا
والليل حالك ، وكان صوت صراخها المرعب يتردد صداه في
« الجبال » ، لقد طغى صراخها على صوت العاصفة . وكان
من الصعب أن نحتفظ بالنيران مشتعلة ، وكانت الثيران
والخراف فزعة فزعا شديدا حتى أنها خرجت من حظيرتها
وراحت تبحث عن الأمان في البرية . وكنت متعبا ، جافى
النوم عيني بسبب هذا الوضع المثير ، فرحت أتأمل أحداث
اليوم التي مرت بي ، لقد كانت حقا أحداثا مفعمة بالحياة
والاثارة ، وكنت أتحرق شوقا لمثلها . . .

تعليق المحرر لربط الأحداث :

واتخذ هاريس اتجاهها شماليا وعبر نهر التمساح
بالقرب من ثاما زمبي Thamazimbi الحديثة وواصل مسيره
الى خط عرض ٢٤° تقريبا . وعند عودته الى المناطق
المجاورة لماجالسبرج Magaliesberg وجد أومنومبيت
Um'Nombate وهو أحد الزعماء المحليين التابعين
لموزيليكتسي Moselekatse وكان هذا الزعيم المحلي قد زار
كورومان ومكث فيها انتظارا لقدم هاريس .

لقاء مع أومنومبيت

ورحلة عبر جبال كاشان Ceshan

الى الجنوب الشرقى

وصلنا مبعوث الملك (موزيلكاتسى) ، وبعد أن ذكر ملاحظات غير مهمة عن المناطق التى زرناها ، وعن الطرائد ، وعن الأمطار الوفيرة التى تفضل الملك وأرسلها لنا ، ذكر المبعوث دون مزيد من المقدمات عن الهدف المهم لرحلته القصيرة الينا بأن عرفنا برغبة الملك الأكيدة فى حيازته البندقية خفيفة تعمل بطريقة التفجير ، وفى الوقت نفسه أعلن استعداداه لحمل البندقية وما نريد إرساله من هدايا أخرى للملك . وقد تخلصنا من الطلب المتواضع الأول (البندقية) بأن وعدناه بأن نرسل له البندقية مع حامية من عندنا عند عودتها من نهر الفال Vaal بعد أن ننتهى من صيد الفيلة ، وفى الوقت نفسه قدمنا له ترضية عبارة عن لفة سلك مماثلة للسلك الذى وجدنا انه يحظى بقبول فى كابين Kapain وابريق بنى وأزرار مذهبة وخمس قوارير من الخمور مختلفة فى درجة ما تحدثه من السكر ، وهى قوارير مناسبة (لحالاته) ليستخدمها وليعب منها جعته (بيرته) فى المستقبل .

أكلت الكلاب الأحذية :

وواصلنا رحلتنا في التو في اتجاه الجنوب الشرقي بروح عالية ومررنا خلال التلال من خلال فتحات وضعناها في الفصل السابق ، حتى وصلنا الى إحدى محطاتنا (مراكزنا) الخارجية (الواقعة خارج التلال) على الجانب الجنوبي للسلسلة . وفي اليوم التالي كان طريقنا يقع عبر حزام من الروابي والآكام المنخفضة بها مرتفعات (حدورات صاعدة acclivities) كثيرة شاهقة ، وقد عانت عرباتنا الثقيلة من صعوبات لا حصر لها عند السير في هذه المرتفعات ، وقد تأخر تقدمنا بسبب انقطاع الحبال . وضايقتنا كلاب البدائيين (الأفريقيين المرافقين لنا) عند محطاتنا الأخيرة بأن راحت تنحت الحبال المفتولة ، وكانت هذه الكلاب من قبل تأكل - في مرات غير قليلة - أحذية بعض المرافقين لنا ، وكانت هذه الأحذية مصنوعة من جلد غير مدبوغ (فلدتسكوين Veldtscoene هو الحذاء الوطني المصنوع من جلد غير مدبوغ جيداً) .

إصابة خاطئة :

وظهر غير بعيد عنا قطيع كبير من الجاموس البري ، فامتطينا خيولنا ، وسرعان ما قتلنا ثورا رائعا . وبينما كان عدد من اتباعنا يطاردون الحيوان عدنا الى العربات وأرسلنا أندريس على حصان تحميل لجلب الجلد لتصنع منه حبال سحب Trek-Touw وسرعان ما عاد (أي أندريس) سريعا ليخبرنا أن بيت Piet قد جرح جرحا قاسيا في ساقه بسبب طلقة من بندقية عارضة ، وأن لنجاب Lingap الذي رافقه هو الذي أصابت درعه نفس الرصاصة فأحدثت فيه

ثقباً راح يشرح بشكل دقيق وعملي كيفية وقوع الحادث بأن
وضع بندقية أندريس ازاء الشجرة بالطريقة نفسها ،
فسقطت بندقية أندريس بدورها وانطلقت منها رصاصة
لكنها لحسن الحظ لم تسبب حادثاً مؤسفاً آخر .

وتم احضار بيت Piet التعس بعد ذلك بقليل
فاستقبلناه بقلق بالغ وتفحصنا اصابته فوجدنا أن ساقه
قد تمزقت واحترق لحمها (بفعل الرصاصة) لكنها
بفضل عناية الله لم تكسر . ووضعنا خبرتنا في الجراحة
موضع التنفيذ فكان لذلك ثمرة طيبة فقد التام الجرح
سريعا .

نكران الجميل :

ولأثنى كنت مدينا للمصاب ببعض المساعدات البسيطة
التي قدمها أثناء رحلة الصيد ، فقد تركت غطائي وكوخي
له أثناء النهار . وهذا التصرف منى - كنوع من الشفقة
اعتبر دلالة على الضعف وقابله بيت Piet خاتمة المطاف
بالجحود والنكران ، فهو ككل قبيلته ناكراً للجميل .

جمال يفوق الوصف :

لقد كان كل ملمح من ملامح هذه الأنحاء جميل جمالا
يفوق الوصف . مروج معشوشبة نثرت فيها الزهور المتألقة ،
وتمتد بين الغابات والبساتين ، فالأشجار الضخام الجلييلة
تزينها عقود من نباتات الكرم أو النباتات الأخرى المتسلقة
ذوات الأريج . وهنا يجد المرء نباتات الصبار الضخام الهائلة
بزهورها القرمزية المميّزة تنتصب فوق خمائل الزيتون ،
وهناك نبات الخشخاش (الأفيون) ونباتات الأمارلس

amaryllis (وهو نبات من الترجسيات) بألوانه
القرمزية والزنبقية Lilac * وقد رأينا من العربات قطعانا
من الحيوانات ، من بينها الأفيال .

الهروب الكبير :

وفى اليوم التالى رأينا مرة أخرى من فوق احدى القمم
وجه المنطقة الجميل وقد غطته هذه الحيوانات الجليلة وكانت
ترعى فى آمان كسول ، كما كانت تستحم فى المجارى المائية
الرقراقة * ولما تعرضت للهجوم خرج مائة منها على الأقل
يشقون طريقهم بوطء الأشجار ويكسرون الأفرع وتساقطت
الشجيرات والبوص محدثة قرقة * لقد خلفت هذه الحيوانات
دمارا للحياة النباتية وراءها فى الطريق الذى سلكته .

لقد اندفعت بشكل متتابع الى الوادى الصغير ، وقد
رفعت آذانها وراحت تهز خراطيمها وتصدر أصواتا مرعبة *
لقد راحت تسوى بالأرض كل ما تقابله * وأطلقنا طلقة
من الشاطئ فكان فيها قدر الفيل القائد ، فعاد بقية القطيع
للخلف مرة أخرى ، وقد كررنا هذه المضايقة حتى أصيبت
الأفيال بالذهول والحيرة ، وفى لحظة من اللحظات فكرت
الفيلة فى الفرار فى اتجاهات مختلفة لكننا كنا قد أحكمنا
الحصار بأن جعلنا مجموعات صغيرة منا تحيط بالمكان فبدأ
مشكوكا فيه أن أيا منها لن يستطيع الإفلات من الحصار *
وعلى أية حال فإن أصواتنا دلت على أن كفة الميزان مالت
لصالح الانسان .

وطاردنا الفيل الذكر :

ومن بين عدة مئات من الأفيال الاناث والأفيال الصغيرة ،
لم نجد الا فيلا ذكرا واحدا فتابعناه على ظهور الخيل خلال

الغابة الكثيفة أشجارها • لقد كان مصابا بأكثر من خمسين جرحا ، واندفع حيوان وحيد القرن لينكون بالقرب من قلب مجموعتنا فشئت شملنا لكنه لم يجرح منا أحدا • وبرغم أن أندريس كان يفرقنا بنصائحه الحكيمة عن أصول صيد الفيلة وقواعدها ، إلا أنه كان أول من يخرق هذه القواعد وتلك الأصول ، فقد أطلق النار بعثت على حيوانات وحيد القرن التي كانت تميل الى المسالمة ولم تهاجمنا ، لقد كان يفعل هذا ونحن منشغلون بحرارة في معمة ملاحقة الأفيال في أول النهار •

وكاد أندريس يلقي حتفه :

لقد انطلق حضان أندريس هاربا ، ورفس برجليه الخلفيتين ولم يستطع وحيد القرن بنطحته أن يصل الى جسد أندريس وإنما أصاب قرنه سروال أندريس الجلدى الذى تمزق نتيجة ذلك ، وكذلك كدنا نفقد الى الأبد خدمات أندريس القيمة •

وامتلأت عرباتنا بالعاج الثمين :

لقد امتلأت عربتان من عرباتنا الآن بالعاج فكنا مضطرين - على كره منا - لمغادرة هذه الأراضى العامرة بهذه المادة النفيسة • لقد واجهنا صعوبات فائقة لنجعل عرباتنا الثقيلة تشق طريقها فى حزام الآكام الغابية الكثيفة التى تتخللها المجارى العميقة الهابطة مع سلسلة جبال كاشان • وفى بعض المواضع كنا نشق الطريق - بالمعنى الحرفى للكلمة ، فتردد صدئ الفتوس فى هذه الغابات المعمرة الصامته التى لم تألف مثل ذلك •

وقلما كان يمضى يوم دون أن نرى أسدين أو ثلاثة لكن
الأسود مثلها مثل بقية الحيوانات كانت تتراجع باستمرار اذا
أزعجها الانسان بقربه منها . وعلى أية حال ، فان هذه
الحيوانات لم تكن تترك أية فرصة لمضايقتنا أثناء الليل
الا واهتيلتها الا اذا بدأنا نحن العدوان ولم نكن نفعل ذلك
بسبب الارهاق الذى ألم بخيولنا . وقد عدت ذات يوم بعد
الظهر مع مافوك Maphook لحيوان الكودو Koodoo
الذى كنت قد أطلقت النار عليه ، وذلك لأخذ رأس الحيوان
الذى كنت قد أخفيتة بين الأشجار ، واعترتنى الدهشة
عندما رأيت أسدا ضخما يفترس جسد الحيوان .

فى انتظار صاحب الجلالة الأسد :

وبينما كان الأسد يفترس جسد الكودو كان هناك تجمع
بغسطس من النسور وكأنه حامية عسكرية فوق الأشجار المحيطة
فى انتظار انتهاء صاحب الجلالة الأسد من تناول طعامه
لتنقض هى بدورها على ما تبقى . وهو أمر معتاد فاذا
ما انقض أسد على فريسته تجمعت النسور لالتهام ما يتبقى
منه ، وبمجرد ظهورى تحرك جلالته بتثاقل وهو يدمدم معبرا
عن سخطه لظهورى غير اللائق وازعاجه وهو يتناول وجبته
على أية حال فلم يكن ثمة قصد أن تنتهى معرفتنا هنا فبعد
هذه المعرفة التمهيدية فوجئت أنا ورتشارد سنون فى الصباح
التالى بحضور الحيوان المخيف فقد فوجئنا بعينيه الشبيهتين
بجبتى نبات عنب الثعلب gooseberry تنظران إلينا بحدة
من بين الأشجار الظليلة فأوقفنا خيولنا فى الحال فدوى
الحيوان الشرس بزفير مخيف كالرعد واتجه نحو السهل بخفة
الكلب السلوقى . لقد كان الجمال البهى المتurf لشعره
الأسود المحيط بعنقه قد أغرانا بالدخول معه فى معركة وذلك

خلافاً للقاعدة الراسخة لسلبه ما يملك (من جلد وشعر رائع)،
وسرعان ما شعر أننا نتابعه فواجهنا ووقف بين أشجار سنط
(ميموزا) يقيس قوة مهاجميه ويقدرها متخذاً وضعاً نبيلًا
ووقوراً . على أية حال فإن ظهورنا ومنظرنا لم يعجبه . ولأنه
لم يستمتع بمذاق رائحة البارود ، فسرعان ما غادر مكانه بين
أشجار السنط واتخذ لنفسه موقعا على قمة تل حجري قريب
كان سفحه مغطى بغطاء كثيف من الأشجار الشوكية ، ولم نكن
نستطيع رؤيته إلا من مسافة لا تزيد على ثلاثمائة ياردة .

وسقط جلالته :

واقتربنا من هذه القمة المحصنة كما لو كنا تماثيل على
مدخل بهو رجل نبيل ، ونظر اليينا الأسد من عل وراح
يتفحصنا بعينه بازدياد دقاتك وكأنما يتحدانا بفخر
وكبرياء بهيئته الرمادية . وكلما ضربت رصاصاتنا الأرض
بالقرب منه شيئاً فشيئاً ، بدأ يفقد حصافته وتعقله
بشكل واضح ، فبدأ سخطه جلياً من خلال عينيه اللتين
تقدحان شرراً ، ومن خلال حركة ذيله العصبية ، وزئيره
المتزايد ، وسرعان ما تسببت قذيفة من بناقنا في كسر
ساقه فهوى لكنه عاد ليقف على قوائمه الثلاث الأخرى . لقد
هب بطيش مغيظ ، وقد وقف شعر رقبتيه وشفت عيناه
بالغضب والحنق وأصبح ذيله مشدوداً يدور في كل اتجاه ،
وعلى أية حال ، فقد كان غير قادر على ملاحقة خيولنا فتراجع
أمام نيراننا الكثيفة ، وقد خاب أمله في موقعه الحصين ،
فأمطرناه بوابل آخر من الرصاص ، ومرة أخرى زاد سخطه
فاندفع في السهل بطيش ورعونة وغضب يفوق الوصف ،

وكان الدم يسيل من فكه المتدلى ويصيح الشعر المحيط برقبته
يلون أحمر قان - لقد كان اندفاعه هذا مهمة نبيلة ، وان
كانت هي المهمة الأخيرة في حياته اذ أصبناه بطلقة أخرى
مباشرة فهو يعنف على رأسه وتشقلب شقلبة كاملة وهمد
جسده وسط سحابة من الأتربة أثارها بسقوطه .

اكتشاف نوع جديد من الظباء Antelope
والرحيل النهائي من جبال كاشان متجهين
الى نهر الفال Vaal

لقد زادت قائمة الحيوانات المختلفة حجما ونوعا ، والتي
صدناها في هذه الحملة عن مائة رأس ، وكان أدنى ارتفاع
لحيوان صدناه هو ثلاث أقدام حتى الكتف ، وكان ارتفاع
عدد غير قليل منها يصل الى عشر أقدام واثنى عشرة قدما .
وخلال الأيام القليلة الماضية حصلت على عدة نماذج عينات
رائعة فخمة خاصة من حيوان الكودو Koodoo وحيوان
الجمز بوك (مهاة جنوب أفريقيا Gemsbok) الهجين (★)
وباستثناء بعض الظباء الأصغر حجما التي لا توجد الا في
اتجاه هذه المنطقة التي زرناها في وقت لاحق ، فان مجموعتي

(★) جعل لها معجم الشهابي لمصطلحات العلوم الزراعية مقابلا عربيا اضافيا هو
شمواه ووصف الحيوان بأنه من الحيوانات المجترة مجرفة القرنين من الظباء -
(المترجم) .

من القرون قد امتدت لتشمل كل نماذج الحيوانات من ذوات الأربع فى جنوب أفريقيا .

إضافة جديدة لفهارس عالم اللبونات :

ومع كل هذا ما هو أكثر مدعاة للفخر لم يرد ذكره بعد ، فقبل مغادرة هذا الفردوس ، والمسرح الرائع للصيادين ، جللت بحوثى بإضافة رائعة حقاً لفهرس عالم اللبونات Catalogue of Mammelia .

فقد نزلت ميدان الصيد فى ١٣ ديسمبر ومعى سلاح ثقيل كنت قد حصلت عليه من السيد موفات - لأن بندقيتى ذات الماسورتين كان بها خلل - وقد نزلت بهذا السلاح الثقيل واعتبرته السهم الأخير الباقي ، وكانت جماعتنا تطارد فيلا جريحا بكل طاقتها ، فجذب انتباهنا قطيع من الظباء السوداء سوادا غير عادى ، كانت ترعى فى الوادى المجاور فتعرفنا عليها عن طريق تليسكوب الجيب من المنحدر الذى تقف فوقه ، فهتفت فجأة قائلاً لنفسي ان هذه الظباء جديدة تماماً بالنسبة لعلم (الحيوان) وأعلنت عن تصميمى على ملاحقتها ، حتى ولو ذهبت الى نهاية العالم فهبطت المنحدر مشيعا بالسخرية من الهوتنتوت لعدم فهمى لحرفة الصيد ولعدم تمييزى بين الغث والسمين ، وذكرى أن ما لفت نظرى لا يبدو أن يكون ظبياً ، لكننى قلت اننى أفضل اصطلياد واحد منها عن اصطلياد كل أفيال أفريقيا ، وفى الثو ، أصبحت وسط قطيع الظباء هذا الذى كان يعبر الوادى ، كان القطيع مكونا من تسعة لونها أحمر ضارب للصفرة ، واثنين لهما لون أسود فحمى رائع ، وكان لهما جميعا قرون مقصوفة ، وترجلت وسعدت أن أراقب القطيع على بعد خمسين ياردة

للحظات قليلة - وعلى أية حال ، فقد حاولت عبثا أن أسحب
زناد البندقية ، فلم يستجب لي فقد هبطت الآلة المفجرة
kLoc ثلاث مرات بعنف خطر ، ولم يكن يعقب الارتجاج
إطلاق فعلى ، وفى الوقت نفسه كان القطيع يصعد تلالا شديدا
انحداره ، وركبت حصانى لأتابعه وأقف على امكانية
الوصول اليه ناعيا حظى التعس ، فألقيت بسلاحى البغيض
الى الأرض ، وأسرعت عائدا لمعسكرى لاصلاح بندقيتى
وبالفعل أصلحتها وامتطيت حصانا جديدا وعدت مع رفاقى
الى البقعة التى غادرتها آنفا وتتبعنا آثار أقدام دون جدوى ،
وفى ظهر اليوم الثالث - على أية حال - كنا نسير بحذر -
فكان آخر صبرنا أن وجدنا ذكرين من هذه الطباء يرعيان
بمفردهما بأمان ، ولم ينتبها لاقتراينا فى الوادى الصخرى -
يا لها من مكافأة ! فتشاورنا للحظة ، وبدأ الهجوم فتدلت
الساق الخلفية لأجمل الظليين ، وانطرح الثانى أرضا لكنه
استعاد نشاطه ووقف فطارده زهاء ميل فوق الأحجار الحادة
قبل أن أصل اليه . . .

عبثا يمكننى أن أصف شعورى وأنا أخوض هذه التجربة
فبعد أيام ثلاثة من المطاردة المرهقة والقلق المحموم ، وبعد
أن فقدنا كل أمل فى النجاح ، وجدت نفسى - أخيرا - أمتلك
فعلا ما يعد اضافة ثرية للتاريخ الطبيعى . . هذه الجائزة
- كما هو واضح - تنتمى الى مجموعة ايجوكرين Aigocerine
وهى مساوية فى منزلتها للبقرة الاسكتلندية Galloway .
فقرون هذه الطباء مستوية ومرتفعة بمقدار ثلاث أقدام
وتنسب برشاقة فى اتجاه الظهر على هيئة هلال - ويمتد
الشعر المحيط بالعنق (العرف) من الآذان ذات اللون الأحمر
المصفر الى منتصف الظهر ، أما الذيل فطويل وينتهى بنصلة

شعر ، وهذه التدرجات اللونية السوداء التي تغطي معظم الجسم تتناقض على نحو جميل مع اللون الأبيض الجليدي الذي يغطي وجه الحيوان وبطنه . وظننا أننا - لن نستطيع أبدا أن نشاهد مثل هذا الحيوان ، كما ظننا أننا لم نستمتع بالتأمل فيه والاعجاب به بما فيه الكفاية ، وبعد تفكير طويل وتأمل كان رأى رفاقي أن « هذا الظبي الأسود السموري سيثير إعجاب العالم » .

ومع ذلك فإن الترتيبات التي كان مسئولاً عنها السيد أومنمبيت Umnombate كانت تسير من سييء الى أسوأ . إذ كانت تتسم بالتسرع وعدم الانضباط ، وقد رفض المرافقون لنا رفضاً قاطعاً أن يصاحبونا بضعة أميال أخرى الى الشرق بأمل أن نصطاد حيواناً أنثى يمثل عينة جديدة . لقد رقصوا أن يسيروا معنا في أى اتجاه سوى الاتجاه الذي يؤدي لنهر الفال ، وفشلت كل محاولات اغرائهم بالرشاوى وعندما هددنا بإرسال مبعوث عاجل للملك تطوع أندريس بالذهاب كمبعوث ، وكان سعيداً بذلك ، إلا أن المرافقين لنا جلسوا وقد قطبوا جباههم وراحوا يدخنون التوباكو بهدوء وعدم اكتراث ، وكان هذا السلوك مغيظاً لنا .

طاعون الماشية :

وهاجم طاعون الماشية murrain ثيراننا وخيولنا ، وأكثر من هذا فقد نخر في عزمنا أن عدداً منها لم يفت صالِحاً لمزيد من العمل ، لذا فقد قررنا أنه ما دمنا قد استنفدنا معظم أغراض رحلتنا ، فإن علينا أن نعود للمستعمرة سالكين طريقاً لم يتم استكشافها بعد .

حفل العودة :

واستقبل مرافقونا قرارنا هذا بفرح حقيقى ، فقد كان الهوتنتوت مستائين من وضعهم الحالى وكانوا فى شوق لرقصاتهم وتجمعهم حول أوانى الطعام ، كما كانوا يحنون لايتسيامات أحباثهم الفاتنة . فحتى الأسد بقلبه الجسور يمكن أن يدرك من خلال منظور باهت طعم النهاية الفاتنية المريحة لخطر ألم به فى البر أو البحر ، بل ان عابد البقر بدوره يكون سعيدا بالخروج من أرض لا تلقى فيها طبقته التقدير الكافى . والمنظر الوحشى لمعظم الحيوانات الافريقية لم يمنع هذا التسايغ المخلص من المشاركة فى أكل لحومها فقد عانى طويلا من الحرمان أكثر من أى شخص آخر ، ولم يلتزم بأحكام الصيام فى أحيان كثيرة .

و بدون أن نضيع لحظة واحدة أصلح كوبيس **Kobus** كمانه (آلة الفيولين) التى كان قد كسرها على رأس أحد رفاقه وشكلنا حلقة لشرب الشاي بالنعناع البري وراح الرفاق يرقصون على نغمياته المتضاربة حول نار غجرية أوقدناها ، وبذلك احتفلنا بنهاية رحلة الصيد .

وفى ظهر يوم ١٥ ديسمبر القينا نظرة الوداع الأخيرة على غابات جبال كاشان استدرنا بوجوهنا صوب الجنوب وعبرنا سلسلة صغيرة من التلال (تلال وتوترزبرج **Witwatersberg**) التى كانت هى كل ما يفصل بيننا وبين سهول نهر الفال الشاسعة ، فدخلنا بذلك منطقة جديدة تختلف تماما فى طبيعتها عن المنطقة التى كنا فيها . لقد كانت المياه - فيما قبل - متوفرة . حتى أن جماعتنا كانوا يهملون التحوط فى خزن المياه مما نتج عنه أننا كنا نقضى

الليل بدون ماء فنظل نبحث عنه في الظلمة على أمل العثور على قليل منه . وقد لاحظنا حيوانا من حيوانات العنinde Eland بقرن واحد فأحضرتة أنا ورتشاردسون الى قافلتنا فراح الهوتنتوت والزنوج Savages يعبون من دمائه بنهم . ولاننا لم نجد بالمرآة أية مواد نعد بها حظيرة للماشية ، التي ظلت قلقة طوال الليل ، فقد اضطررنا لمواصلة رحلتنا قبل الفجر بساعتين ، وانزعجت أعداد كبيرة من حيوانات التيتل الأفريقى (الهرتبىس hartebeests) والكواغة (الحمير الوحشية من النوع المنتشر فى جنوب أفريقيا) بسبب تقدمنا وجفلت حيوانات الجنو Gnoo ذوات الذبول البيضاء . التى نلقاها الآن للمرة الأولى منذ تجاوزنا كورومان Kuraman واضطريت بسبب اقتراب العربات وراحت ترفع رءوسها الغربية المنحرفة فجأة كما راحت تجأ وتضرب بأقدامها . ولما طلع النهار تجلت أمامنا مروج ممتدة مغطاة بعشب ريان رائع تتخلله زهور متألقة وكانت حيوانات العنinde البدئية تتحرك عبر المسرح الهادىء الخالى من الأشجار . والرائحة النتنة لحيوانات العنinde تشبه الرائحة المنبعثة من الماشية ، ويمكن تبينها من مسافة بعيدة ، ومن الحقائق الغربية أن أجساد حيوانات العنinde عامرة بالذباب الطفيلى والقراد التى يشيع وجودها فى هذه الأنحاء .

الطعام الشهى :

وبينما كنا نلاحق قطيعا من عدة مئات من حيوان العنinde كان يشبه كثيرا الثيران المغلوفة Stall-fed oxen - اندمجنا فى مطاردة حمار وحشى راح يصهل ويقفز فرحا الى جوار خيولنا لفترة طويلة قيل أن يكتشف خطأه وراحت

الآبقار الخفيف وزنها تقفز برشاقة على رؤوس بعضها وكانت جوانبها الملساء ممتلئة دهنا وكانت تنز عرقا . وكانت دقيقتان كافيتين لاجبارها جميعا على المسير ، ورغم أن بعضها قد استدار بيأس نحو ملاحقيها ، فإن هذه الكائنات الهائلة كانت تميل الى أن القطيع كله لابد أن ينحصر معا . ان لحومها كانت رائعة وتفوق لحوم أى حيوان آخر . لقد كنا دائما نبحث عنها بشغف ، وفى هذه المناسبة فقد قتلنا عددا كافيا لتمليح أسننتها وصدورها لتكفينا فى الفترة القادمة من الرحلة التى قد لا يتوفر فيها عدد كاف من الطرائد . وتركنا بقية أجساد هذه الحيوانات طعاما للنسور ووضعنا طعامنا الشهى فوق خيولنا النحيلة والتحقنا بالقافلة Cafila بعد الظهر . ولأننا كنا قلقين لحاجتنا للماء فقد فرحنا فرحا غير قليل عندما وصلنا لمجرى شونا پاس Chonepas (نبع ونسدر فونتين wonderfontein) العميق حيث وجدنا الماء يجرى مفرقا وكان به عدد من أفراس النهر hippopotomi ، لقد كان هذا المجرى يجرى متمعجا بين نباتات البامبو التى يبدو وكأنها تحتضنه . وكان بعض رجالنا مشغولين فى عمل حبال سحب من جلد جاموسة برية استعدادا للمرحلة القادمة من الرحلة ، بينما ذهب آخرون لجلب خشب الوقود . وعلى أية حال فإنهم لم يجدوا غصنا واحدا يابس فى المنطقة فوجدنا أنه من الضرورى أن نكسر واحدا من صناديقنا لاستخدام خشبه كوقود لغلى الماء وإعداد بعض اللحوم . وكان البدائيون Savages يظهرون دائما كراهية غريزية للكائنات المائية the finny tribe (المعنى غير واضح) (★) فقد كانوا يفرون برعب إذا ظهرت إحدى

(★) ما بين القوسين توضيح من المترجم

الكائنات المائية ، وقد قام أندريس هنا بدعابة عملية لم يكن هذا وقتها مع مافوك Maphook ، فقفز البدائي كالنمر على ظهره وطرحه أرضا وقبض عليه بغلظة حتى أن بطلنا الساقط (الذى سقط أرضا) راح يلتمس العفو والرحمة .

واقترب نهر الفال :

ومن موقعنا هذا لم يعد باقيا للوصول الى نهر الفال سوى يومان فقط فى اتجاه الجنوب كما قرر مرشدونا ، فسلسلة الجبال التى ينبع منها غدت على مدى الرؤية فى اتجاه الجنوب الشرقى وان كانت غير واضحة لنواظرننا تماما . وحدث المرشدون بعد أن أعلمونا بالمسافة الباقية أمامنا - عن عزمهم العودة سريعا الى الملك وطلبوا بوقاحة البندقية لتقديمها له كما طلبوا أجرا على خدماتهم ولما اعترضنا بأننا الآن فى منطقة يكثر فيها المهاجرون والمنتقلون من منطقة لأخرى أصروا على عدم التقدم معنا أكثر من ذلك أو أن يقهروا الرعب الكامن فى نفوسهم من أعدائهم الهولنديين . ان المعرفة الوثيقة بالميل الفطرى للبدائيين Savages للكذب بالاضافة لظروف أخرى اقتنعنا بأن المظهر غير العادى لروث الغنم الذى أشاروا إليه كحجة لتدعيم اصرارهم كان يحدث مثله أثناء عودة كاليبى Kalipi بغنيمته . وعلى هذا فقد اقتنعنا بأنه ليس لديهم ما يخشونه بالاضافة الى اطمئناننا على سلامتنا الشخصية ، ومن ثم فقد رفضنا طلبهم فتظاهروا بقطرسة وعجرفة لآحد لهما ، وفى خاتمة المطاف هددونا بهجوم وشيك من الماتابيلى Matabili القريبين اذا ما ظللنا ممسكين عن تقديم الهدايا لهم .

وكان لدينا بعض الشك فى حقيقة هدف زيارة أومنمبيت Um Nombate ، وبعد هذا التهديد شعرنا بالشك فى مدى

ما يمكن أن يفعله المرشدون باسم تعليمات الملك رغم أنه لم يكن لدينا ما نستند عليه للتشكك في حسن نواياه (نوايا الملك) إلا أن هؤلاء المرشدين يمكنهم أن يعوقونا عن التقدم . فكان علينا أن نحتاط وفكرنا في قتل الأوغاد في الموقع نفسه ولكن بعد تفكير متروقررنا اتخاذ احتياطات ضد مفاجآت الليل ، لنرى ما اذا كان النهار سيطلع وهم في مزاج أفضل أم لا ، وعلى هذا فقد أخرجنا الذخيرة وحددنا موقعا لكل واحد منا لدرء أى هجوم وتم تثبيت الخيول الى عرباتنا مخافة أن يقفز الهوتنتوت ضعاف الأعصاب فوق ظهورها وينطلقوا هاربين عند ظهور أول بوادر للخطر . ولما تمت هذه الاستعدادات قبل الذهاب للنوم ، تم اختيار ايثالدر Etholdur لتنفيذ الجانب المهم من الخطة بأن يكون بمثابة الحارس اليقظ مثل سيربيروس Cerberus (★) على أن يتطوع لمساعدته قلب الأسد Coeur de lion الذى أعلن أنه لا يستطيع اغماض عينيه ، فصاح ايثالدر - والبايب pipe فى فمه - بروح جسورة : « ألم أقل لكم ان رقابنا جميعا ستقطع بمجرد اقترابنا من نهر الفال » وتركنا الحامية وتغلى عنا المرشدون ووصلنا لنهر الفال .

استيقظنا بمجرد ظهور نجمة الفجر فى الأفق الشرقى ، ولاحظت أربعة من حيوانات العلندة تقف على بعد ياردات قليلة من المعسكر . ولم يتبينها الحراس الذين كانت عيونهم - مع هذا - مفتوحة عن آخرها .

وسرعان ما صدرت التوجيهات بربط الشيران الى العربات وبدأ المرشدون فى حزم بضائعهم ومتعلقاتهم استعدادا

(★) كلب ذو ثلاثة رؤوس ورد ذكره فى الميثولوجيا اليونانية على أنه حارس باب النجيم - (المترجم)

لعودتهم للملك ، ولما رأينا استحالة خثهم على مواصلة الطريق معنا وكذلك خطورة منع المكافآت عنهم تعرفنا بحكم الضرورة وحاولنا استرضاءهم بأن أهدينا لكل واحد منهم غطاء رأس صوفى أحمر يضع فيه رأسه ليلا اتقاء البرد ، وبدلة أوربية كاملة بالاضافة لبعض الخرز ، ولم يتبق سوى لفة سلك نحاسية وعلبة ثقاب (كيريت) وبعض الشموع ، وكلها أيضا تم تقديمها كهدية وداع لجلالته ، ورغبتنا فى ارسال خطاب ميجاملة لجلالته نغير فيها عن أسفنا لأننا لا ندرى الوسائل التى نرسل بها البندقية له من نهر الفال . وقابل البدائيون Savages هدايانا بازدياد قائلين ان مثل هذه التفاهات ليست مقابلا معقولا لخدماتهم الطويلة ، وتظاهروا فى الوقت نفسه بأنهم على وشك العودة . وعلى أية حال فبعد أن تشاوروا معا تقاسموا بعناية حيات الخرز وعلق الواحد منهم لفة السلك النحاس حول رقبته ووضعوا دروعهم وما يخصهم فوق رءوسهم ورحلوا غاضبين ، صرح موهانيكوم Mohanycom وقد فتح فككه الشبيهين بفكى سمكة القرش المفترسة أن صاحب الجلالة سيكون قلبه أسفا بمجرد تلقيه هذه الهدايا التافهة .

النجاة . . النجاة :

وتابعنا طريقنا بلا مترجم ولا دليل ولا حامية فى برية مجهولة تشهد صراعا دمويا بين أطراف متقاتلة ، لقد تخلى الملك عن مجموعتنا الصغيرة الآن فى موقع لا نحسد عليه بعد أن كان قد وعدنا بتقديم دليل حتى نهاية حدود مملكته ، الا أن جلالته لم يعتبر من الضروري أن يرافقنا الأدلاء الى قرب مناطق الخروج . اننا الآن قد فقدنا كل وسائل الاتصال مع جنوده فاذا ما التيقنا بهم كان أقل الشرور احتمالا هو أن

يعودوا بنا الى كابين Kapain أضف الى هذا احتمال أن
تضايقنا الحامية الخائنة التى تخلت عنا عائدة للملك ، لكل
هذا كان واضحا لنا أن أفضل طريق للنجاة بأنفسنا هو أن
نسرع بالخروج من حدود مملكة موسيليكاتسى .

لقد كان الماتابيلي يتراجعون سريعا فى صف واحد
فى اتجاه الأفق الشمالى فى الوقت الذى كنا نحن نتراجع فى
اتجاه الجنوب ، وعبرنا النهر مستخدمين ممرا طبيعيا
يشكل شلالا صغيرا ، وقد هدّد هذا الممر طريقنا على طول
الشاطئ . . . ورأينا قطعانا من العنيدة ترعى فى المروج
الخضر وكأنها قطعان ماشية أليفة وكانت تجرى أمامنا .
وكان المجرى الفضى المتمعج لشوناباس Chonapas وقد أعطته
الأعشاب المائية لون قوس قزح ، وقد أقنعنا الاتجاه الذى
يتخذّه هذا النهر أنه لا بد أن يكون أحد روافد النهر الذى نود
الوصول اليه (نهر الفال) ، وقد صممنا - بالتزامن -
للشاطئ - أن نتجنب أن نقضى الليل بدون ماء وأن نتعاشى
بقدر الامكان أن نقع فى أية مشاكل أو صعوبات ومن ثم
فقد صدرت الأوامر بنظام جديد للمسير يقضى بأن تكون
الثيران والخراف والخيول سائرة بحذاء العربات غير بعيد
عنها ، بحيث يشكل مسيرنا كتلة واحدة ، وأن نسير فى
مجموعات أو متفرقين كما كان الحال قبل ذلك .

وسرنا حوالى عشرة أميال على هذا النحو ثم ظهر لنا على
البعد شبح آدميين معهما عدد من الكلاب ، واختفيا - بمجرد
أن أدركا وجودنا - بين الأشجار ، وعندما اقتربنا فرا بذعر
شديد وجلسا مكتئبين وكأنما فقدوا كل أمل فى النجاة حتى
وصلت خيولنا بالفعل اليهما ، ولم يكونا يتوقعان منا شيئا
الا أن نقتلهما على الفور ، لذا لم تكن دهشة هذين البائسين

قليلة عندما فوجئنا بأننا نقدم لهما التوباكو وندعوهما لركوب العربات حيث رحبنا بهما بحرارة ومع هذا فقد كانا قلقين من اصطحابنا حتى أنهما لم يستطيعا الخطو ، وعرفنا أنهما من قبيلة (شعب) البارابوتسا Barepootsa التي يحكمها ملك مستقل هو بابوتسا Bapootsa وتشغل هذه القبيلة (الشعب) التلال الكائنة عند رأس نهر ليوكا Likwa الذي لا يمكن أن نصل اليه كما أكدنا لنا قبل ليل اليوم التالي

التقاليع في أفريقيا قصر على الرجال :

وطبقا للنزوات الأفريقية التي تبدو قصرا على الرجال دون النساء ، فقد كان كل واحد من هذين الرجلين مزودا بنبوت طويل مزين بريش نعام أسود يقوم بدور المظلة فيحميها من الشمس كما يستخدم أحيانا في مطاردة الطرائد ، بالإضافة الى استخدامه في تضليل الأسد اذ يقذفه الواحد منهم بعيدا ليراه الأسد الجريح فيجرب نحوه ، فيبعدونه بذلك عن الشخص الذي قذفه وبذلك يصرفون الأسد عن وجهته الصحيحة مما يمكن بقية المجموعة من الهرب وهم يقذفونه (أى الأسد) فى الوقت نفسه بمزيد من السهام . وعند الغروب توقفنا عن التقدم بسبب انغراز عربة التحميل فى مستنقع ، وكان ذلك بعد أن تخلينا عن اثنين من الثيران المريضة وبعد أن كنا قد قطعنا خمسة وعشرين ميلا ، وأخيرا استطعنا اخراج العربة من المستنقع ودفع ضريبة ذلك اثنان من حيوانات العنيدة كانا يرعيان فى المنطقة المجاورة بأن قتلناهما وجعلنا من جلودهما حبال سحب ، وسحبنا العربة بقوة واستخدمنا حجرا كان جزءا من جدار حظيرة ماشية كما دعمنا مؤخرة العربة بكومة أتربة ، وقد تنبأ أندريس ببعض المصاعب أما قلب الأسد فقد طرح نفسه

فوق قمة ناتئة وظل ساهرا للمراقبة طوال الليل الذى غمر
نور القمر المتألق نصفه الأول .

وبدأنا مشيرا نشطا قبل شروق الصبح فى التاسع عشر
من الشهر وظللنا متخذين مستارا متحاذيا لنهر شوناباس
chonapus ، واتجهت مارة بنا قطعان من الجاموس البرى
فى طريقها خارجة من التهر ، كما مر بنا أسند كان راقفا
ذيله ويتابع باهتمام مجموعة من حيوانات الجنو Gnoo
التي تجول بالمكان . ليس فى أى مكان آخر فى العالم ما هو
أكثر فى اشكال الحيوانات مما عليه الحال فى أفريقيا ،
وليس هناك ما هو أكثر غموضا من سر توزيعها ومعرفة
الأسباب الغامضة التي تؤثر فى ذلك والتي تعد بدورها من
الأمور المربكة فى فهم البناء الهائل للمخلوقات . ففى خلال
الأيام الثلاثة الأخيرة تغلت حيوانات الجنو Gnoo الرمادية
والموشحة جلودها بخطوط داكنة - فجأة عن الأرض لتشغلها
حيوانات أخرى ذوات ذيول بيضاء وظلت هذه الحيوانات هى
السائدة بقية أيام رحلتنا .

الحادث الخطير :

وبينما كنا نصطاد الحيوان المتوحش - كما يسمى
مستوطنو مستعمرة الرأس هذا النوع الأخير - اعتري حذائى
تمزق ولأتحاشى السير حافيا وهو أمر غير مقبول اضطررت
لللبس حذاء من جلد خام غير مديوغ وقد تعقد رباط هذا
الحذاء فاشتبك فى ركاب الحصان فى الوقت الذى كانت
يدأى مشغولتين ولا أستطيع استخدامهما ، وبينما أحاول
تخليص نفسى بالقفز من فوق الحصان سقطت على ظهري ،
وفى اللحظة نفسها كان الحيوان الجريح يجار بصوت عال

ويكافح للنهوض ، وجفل حصانى ، وقبل أن أستطيع تخليص
نفسى ركلنى بقسوة فى ركبتى وكاحلى وانطلق فسحبنى
مسافة طويلة فوق الأحجار غير الثابتة فأدى ذلك الى تمزق كل
ملابسى وسلخ جزء كبير من جلد ظهرى .

وتمكننا من قطع خمسة وعشرين ميلا أخرى قبل الساعة
الرابعة عصرا مع أننا كنا قد فقدنا ثورا آخر وكان ذلك
بفضل الحبال الرفيعة والسيور الجلدية المزدوجة التى رحنا
نستحث بها الدواب بلا رحمة ولا شفقة . سلسلة الجبال
الزرقاء أصبحت الآن عن شمائلنا وأصبحنا نتقدم على صدر
سهل منبسط كما لو كنا نركب سفينة فى محيط ، فلم يكن
فى السهل طرق محددة واضحة ، وأخيرا رأينا أمامنا على البعد
صفوفا طويلة من الأشجار تمتد موازية للأفق . لقد كانت
هذه الأشجار تحف النهر الذى نبغى الوصول إليه ، وانفجرت
صيحات الفرخ من أفواه الهوتنتوت وخرجوا من صناديق
العربة التى كانوا قابعين فيها يحملقون وفرقعوا بكرابيجهم
(أسواظهم) بطلاقة وحيوية ، وراحت الثيران الصبورة تجرى
خبيا ، فالهدف الذى نسعى للوصول إليه أصبح أمام كل
العيون حيا واضحا يتحدد شيئا فشيئا ، وسرعان ما زاد عرض
المجرى الذى كان بمثابة دليل لنا ، وعندما اختفت الشمس
وراء الأفق كنا نقف على ضفاف نهر القال .

رحلة

لويس تريشاردت

LOUIS TRICHARDT

منحدر دراكنزبرج

ولد لويس تريشاردت سنة ١٧٨٣م . وعندما كان في الثانية عشرة من عمره تمرد أبوه ضد شركة الهند الشرقية الهولندية . واعتبره الانجليز بعد احتلال الكاب خارجا على القانون ، لكنه انتهر فرصة العفو العام الذي اعلنته جمهورية باتافيا Batavian Republic وعاد هو واسرته الى المستعمرة . وفي سنة ١٨٢٩م ارسل ابنه الأكبر لينشيه مزرعة وراء الحدود الشرقية وانتقل هو نفسه اليها سنة ١٨٣٣م ، وهاجر من هناك بعد ذلك بعامين وكان بصحبته اطفاله : كارلوس وبيطرس ولويس وجريماس وابنته Anna ، وصحبه أيضا احفاده ، ودانييل بيفر Piffer وهو ناظر مدرسة كبير السن ، وصحبه أيضا اليو Albough واطفاله الملونون ، وعدد آخر من المرافقين والخدم . وعند نهر الأورانج انضمت اليه أربع أسر ، وعند نهر الفال انضمت اليه أسر أخرى وبمرور الوقت انقسمت المجموعة المهاجرة ، فواصلت شعبة منها الرحيل تحت قيادة جينس فان رينسبرج Van Rensburg Janes وعند زوتبانزبرج Zoutpansberg انفصلت المجموعات المرحلة ، فمجموعة رينسبرج اتجهت شرقا ولاقت حتفها على يد أهل البلاد ، وبعد بحث تأكد أن هذه المجموعة (مجموعة رينسبرج) قد لاقت حتفها . فكتب تريشاردت للبرتغاليين في خليج دلجوا Delagoe يسألهم النصيحة ، فوصل جنديان من أهل البلاد ليرافقا تريشاردت ومجموعته الى الخليج . وفي أغسطس ١٨٣٧م غادروا : زوتبانزبرج Zoutpansberg .

والنص التالي الذي يصف منحدر دراكنزبرج الذي يبعد حوالي ٦٤ ميلا الى الشمال من ليدنبرج Lydenberg الحالية - ترجمه السيد س. ج. برنارد Barnard عن كتاب :

Dagboek Van Louis Trichardt (1936-1938)

والذى حرره ج. س. بريلر Preller ونشرته المطبعة
الوطنية فى الكاب سنة ١٩٣٨ م . ويمكن لمن يريد التعرف على الأماكن
الواردة فى الرحلة أن يرجع لكتاب فلر C. Fuller المنشور فى
مدينة الكاب سنة ١٩٣٢ م بعنوان :

Louis Trigardt's Trek across the Drakens-
berg, 1837-1838.

★★★

الخميس ٧ ديسمبر ١٨٣٧ م :

أكملنا طريقنا وقررنا أن نحضر العربات فى غضون
يومين . . .

الجمعة ٨ ديسمبر :

غمر الضباب الكثيف الجبل طوال النهار فلم نستطع
عمل شئ للعربة ، وأمطرت الدنيا ليلا .

السبت ٩ ديسمبر :

استمر المطر والضباب حتى بعد الظهر ، وحاولنا
الهبوط بعربة التحميل الخاصة بى من الجبل ، وسارت الأمور
أفضل مما كنا نتوقع ، فقد نزعنا العجلات الخلفية ووضعنا
فرع شجرة تحت المحور axle-tree حتى لا ينكسر المسمار الملولب
(المسمار المصومل أو المسمار ذو الصامولة) أو ينثنى ،
ففى الجبل صعودا كان علينا أن نضع فوقه (فوق هذا
الصعود) العجلات . . لقد أردنا أن نسحب العربة لكنها
كانت ثقيلة جدا وانشئت عند حجر كبير . وتركنا العربة . .

الاثنين ١١ ديسمبر :

كان علينا أن نسحب العربة الى أسفل خلال فترة الصباح
لكننا فقدنا أحد الثيران وقلت انه كان يوجد عدد كبير من

الماشية لويلم Willem وسألت لماذا لم يرسل بوتّا Botha
أحد أطفاله • ان علينا الآن أن نتأخر يوما آخر وسحبنا
العربة الى الممر ، وقام بهذه العملية بيتا وديدرك ، ثم أنزلنا
عربة التحميل • • •

الثلاثاء ١٢ ديسمبر :

كان الطقس غير مستقر طوال اليوم فلم نستطع أن ننجز
شيئا ، وأرسلت الخراف مع بيتا واحتفظت بالحملان هناك
فى انتظار تحسن الجو لكن الجو لم يتحسن حتى المساء • ولم
يكن فى امكانى أن أترك الخراف ترعى لأن الضباب جعل
المساء مظلمًا ظلما حالكة • • •

الأربعاء ١٣ ديسمبر :

أنزلت الحملان لكن عددا كبيرا منها (حوالى ثلاثين) كان
مرهقا تماما فأخبرت بيتا Pieta أننى قد أعود للعربات لأن
جريمياس وآنى Anné كانا يعانيان من الحمى ، وأن
كورنيليا Cornelia التى لديها طفلان صغيران لا يمكن أن
تعمل كل شىء بمفردها ، وطلبت من ويلم Willem أن يحضر
الماشية أيضا ، وكانت الخيول مفقودة منذ الأمس • • •

الخميس ١٤ ديسمبر :

أنزل ويلم الماشية لبيتا • نهض كارلوس • وجد ويلم
الخيول ، لكننا مازلنا نفتقد حصانين ، وكان على ويلم أن
يبحث عنهما فى اليوم الثانى •

الجمعة ١٥ ديسمبر :

أثناء فترة ما بعد الظهر أنزلنا عربة كارلوس بعد أن عانينا في سبيل ذلك صعوبات كثيرة ، فأثناء الهبوط كان علينا أن نضع العجل (نثبتته ثم ننزعه مرة أخرى) ، وكان الممر ضيقا جدا حتى أنه لم يكن هناك موضع للوقوف . . . ولحسن الحظ فإن العربة كانت في الشاطئ الأول first bank (؟) حيث كان وجودها هناك ضروريا لنا . . . كان الطقس جيدا خلال النهار ، لكن المساء شهد تجمع السحب وخيم الضباب فوق الجبل ، وبدأ المطر يهطل . .

السبت ١٦ ديسمبر :

كان المناخ كريها في فترة الصباح فلم يمكننا من انجاز شيء . . وحصلنا على أفرع أشجار وجعلناها جاهزة لاحدى العربات وعزمنا على سحبها الى أسفل الجبل بمجرد تحسن الجو وانتعاشه ولو قليلا الا أننا وجدنا أن حالة الطقس لم تتغير وها هو المساء قد اقترب فرحنا نقطع بالفأس أكبر عدد من الأفرع اللازمة للعربات .

الأحد ١٧ ديسمبر :

سحب بوتا عددا من الأفرع ، ولكننى قلت بشكل قاطع اننا نحب أن نعرف أيام الآحاد .

الاثنين ١٨ ديسمبر :

أمنا أفرع أشجار للعربات ، وانتهينا من العمل مساء .

الثلاثاء ١٩ ديسمبر :

أنزلنا عربة بيتا Pieta وعربتى . وسارت الأمور

سيرا حسنا ، لكن عربتي - نظرا لثقلها ، فقد كانت تحمل
أشياء ثقيلة كالأدوات الحديدية والبارود والرصاص -
اصطدمت بنتوء حجرى لذا فلم نستطع الرحيل قبل حلول
الظلام . وهطل المطر ليلا واستمر يهطل فى اليوم التالى ،
وانطلقت لا ألوى على شىء لأتأكد مما اذا كانت بضائعنا قد
أصابها التلف . لقد كان كيس البارود محاطا بالجلد فلم
يصل اليه الماء فأحكمت غطاءه مرة أخرى حتى لا يتسرب اليه
الماء ، لكننا اضطررنا لتركه هناك طوال النهار . . .

الخميس ٢١ ديسمبر :

كان الضباب يغلف الجبل بغلاف كثيف، وكانت الأرض
مبتلة جدا حتى أننا اضطررنا للانتظار بعرباتنا حتى فترة
ما بعد الظهر ، فأنزلت جرافتى وعربة بوتا لكن كان علينا
أن نترك عربة السيدة شيبز على بعد أسفل الجبل لأن الظلام
كان قد هبط بالفعل . . .

الأحد ٢٤ ديسمبر :

ذهب أطفال بوتا والسيدة شيبز الى الكافر ليقايسوا
ويحصلوا على الذرة واللحم وكذلك فعل الأولاد الذين
تتبناهم البانج Albagh's Bastards واسحاق استريجدوم
Srigdom

الاثنين ٢٥ ديسمبر :

عندما نهضنا فى الصباح وجدنا أن اسحاق
الباغ وكوتجى ابن السيدة شيبز وفريدريك ابن بوتا قد
فقدوا . وقال ألباغ ان ابنه اسحاق قد أخذ بندقيته وكل
البارود الخاص به وكذلك الطلقات ، وقالت السيدة شيبز

ان ابنها كوتجى قد أخذ أيضا بندقية وحزام الطلقات وقرن البارود . أما بندقيتي فلم أجدها اذ أخذها كارلوس Carlus الذى كان قد كلفنى مائة ركسدولار rixdollars . لقد نقلوا كل البارود والرصاص الخاص بالجنديين . وأخذوا من دانييل بييفر Pfeffer لفافة من التوباكو ، ونصف لفة وقميصا ومعطفا وغزلا قطنيا وابرا وحلقة غزل وسكينا . وافتقدنا بعض الطلقات من حزام الرصاص ، قال اسحاق ستريجدوم Strijdom أنهم أيقظوه أثناء الليل وطلبوا منه أن يصحبهم لكنه لم يعرف أنهم كانوا يقصدون الهرب . وبعد برهة خرج بوتا فى اثرهم ، واقتربت أن يصحبه كارلوس Carolus لاننى كنت خائفا أن يسرقوا الخيول من بيتا Pieta ، وانخرط كارلوس فى حديث عاصف عن فقد البندقية فنصحته أن يقلل من حديثه عنها وأن الأفضل هو البحث عنها ، وهدد بقطع اذن المتهم ثم يطلق النار عليهم جميعا فوجدت أنه من الأفضل أن أذهب بنفسى ، فانطلقت وتبعنى كارلوس وأخذت اسحاق ستريجدوم معى .

وأخيرا رأينا الخيول فقال ستريجدوم انه رأى شخصا ما بالقرب منها . وبعد برهة هبطنا الجبل . لقد كانت الخيول فى موضعها حيث هى ، وعندما قابلنا بيتا Pieta أخبرته باختصار عن الوضع وطلبت منه أن يرسل من يحضر الخيول . وأخبرت كارلوس أن يخرج مع بوتا للقضاء عليهم ولكنه لم يبد ميلا كثيرا لذلك وأطلق سيلا من الدم والطمع فى أن يتبعهم وهو مرهق وفى الوقت نفسه هدد باطلاق النار عليهم جميعا . فقلت انه فى مثل هذه الأحوال فان عليه أن يمكث هنا ولا يتحرك لأننى لاحظت أن بوتا العجوز كان حزينا بمرارة بسبب الحكم الذى أصدره من هو أصغر منه سنا ،

ورفض أن يتقدم خطوة واحدة مع كارلوس فعرضت أن
أصعبه بنفسى وطلبت من كارلوس أن يبقى ، فقال كارلوس
مرة أخرى انه سيقطع أذن الجانى ثم يطلق عليه النار ،
فقال بوتا انه سيطلق الرصاص مع كارلوس اذا قتل ابنه .
وطلبت من بوتا أن يأتى معى ، فلم يفعل الرجل العجوز
شيئا سوى أن بكى .

وبعد أن سرنا قرابة الربع ساعة ، رأيت آثار أقدام
بدا لهم أنها آثارهم فاندفعنا فى اتجاه النهر أملين أن نصله
قبلهم ، وبعد فترة وجدنا ان آثار الأقدام كانت فى الحقيقة
هى آثارهم وأنهم يسبقوننا ، فتبعناهم مسافة طويلة لكننا
تأكدنا أن جهودنا غير مثمرة ، فقد لاحظ بوتا اننا لم
نتجاوزهم وأننا لازلنا ورائهم ، وأنهم يتقدمون بسرعة أكبر
من السرعة التى نلاحق نحن بها آثار أقدامهم . واقترح أن
نتابعهم فوق ظهور الخيول ، فتركته يتخذ طريقه آملا أن
أساعد بقدر الطاقة فى تصحيح الأمور ومعالجتها . وعند
عودتنا قدم له كارلوس حصانه فقلت انه يمكنه أن يأخذ
حصاننى ليركبه ديدريك Diëderik لكننى أضفت أنه يجب
أن يطلب أيضا حصان الباغ وحصانين آخرين متاحين وأن
الأمور يجب أن تسير بشكل طيب ، كان حصاننى لا يستطيع
حملى لفرط إرهاقه ، ومن ثم فقد كان على أن أصحبهم بأى
وسيلة أخرى فطلبت من الباغ أن أركب حصانه بدلا من
حصاننى ، وأن يعتنى بهما معا لكن راح يلتمس كل الأعداء
قائلا ان حصانه هذا هو فى الحقيقة ملك لـ Louw
وأنه مازال حصانا صغيرا (مهرا) ، فقلت له كيف يكون
مهرا وهو فى عامه الرابع ! . وعندئذ قدم لى بيتا فرسه ،
وكان بوتا مستعدا للذهاب معى . ولكن بعد أن فكرنا فى

الأمر برهة قال انه يتوقع أن نواجه صعوبات في ملاحقتهم مع الشاب ديدريك Diedrick . فقلت انه اذا كان لدى خيول لو اصلت مطاردتهم حتى ولو كنت وحيدا ولعلمتهم واجبهم أو قضيت عليهم وسجنتهم ، فقال انه يعتقد أنه لو ذهب يطاردهم بحصانه فان ابن ((القحبة) bastard سينصب له شركا وقد يطلق عليه النار ليستولى على الحصان ، أما اذا كانت الملاحقة سيرا على الأقدام فلن نلحق بهم . فقلت ان المحاولة اذا كانت منضبطة فمن السهل أن نعثر عليهم لكن كل ما أخشاه أن يحدث حادث سيء لزملائنا وممتلكاتنا أثناء غيابنا . . .

الجمعة ٢٩ ديسمبر :

وصل بيتا للعربات ومعه الماشية . وعندما اقترب من العربات هابطا المنحدر انضم اليه ثلاثة من الهاربين : اسحق ، الباغ الصغير وكوتجى سيبرز وفريدريك بوتا .

وعندما وصلوا للعربة سألناهم عن سبب ما فعلوه ، فقالوا انهم كانوا يريدون العودة لأرضنا السابقة ، لكن عندما ابتعدوا مسافة ثلاثة أيام بدأ فريدريك يندم . ويتراجع . . وفي اليوم الرابع قال انه يريد العودة لوالديه وظل يبكي ويصرخ طوال الليل ، فأشفق عليه الباغ ومن ثم عدنا للعربات . ورفض كوتجى في بداية الأمر ثم تبعنا . وقد اصطادا ظبيا أحمر ودجاجة برية . واستعدنا كل ما أخذوه أو سرقوه باستثناء ست وثلاثين طلقة تخص أنطوانى (وفقد أيضا بعض البارود الخاص بهذه الطلقات) ولم نستعد أيضا لجاما خاصا بالباغ العجوز ، وأربطة للثيران خاصة بكارلوس .

وسألني ألباغ ماذا يمكن أن أقترح لعقاب ابنه ، فقلت
انهم ما داموا قد عادوا وأعادوا تقريبا كل ما أخذوه أو
سرقوه فأنني أقترح أن نسامحهم هذه المرة ، فقالت السيدة
شبيرز انها لن تكون راضية الا اذا ضرب ابنها عدة جلدات ،
استدعت كارلوس وعددا قليلا فأوثقوه وجلدوه بسير جلدي
مزدوج . فعل ألباغ الشيء نفسه مع ابنه ، وكذلك عاقب
بوتا ابنه . وضرب كارلوس ابن الباغ فوق عينه بقبضة يده
فسببت اللكمة جرحا داميا . وسألته لم فعل هذا ، فأجابني
بأن « ابن القحبة Bastard » يبدو متغطرسا فأكدت عليه
أن يترك عقابه لوالديه فكل أب أقدر على معاقبة ابنه
بالطريقة المناسبة . وبعد الجلد عفونا عنهم جميعا هذه
المرة .

الأربعاء ١٠ يناير ١٨٣٨ م :

كان الضباب مخيما على الجبال في فترة الصباح ، فقلت
لبيتا انه من الأفضل أن نواصل بعرباتنا فاحتمال هطول
المطر مساء أمر وارد ، ولما أنزلنا خمس عربات بدأت السماء
تمطر ، وكان الممر زلقا جدا فخشيننا انزال العربتين
المتبقيتين ، لذا فقد تخلف ألباغ العجوز وستريجدوم . وفي
حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر عاد أنطواني من عند
الماشية فسألته عما اذا كانت كلها بحالة جيدة ، فقال ما عدا
خروفا من خرفان الباغ اذ أكله نمر أثناء الليل وأضاف
أن العجل الذي فقد قبل ذلك لم يعثر له حتى الآن على أثر .

السبت ١٣ يناير ١٨٣٨ م :

أنزلنا العربتين المتبقيتين من فوق الجبل ، واستفدنا
في بقية وقت النهار في تجميع كل العربات معا والصعود بها
(رفعها) فوق مستوى الشلال . . .

الأحد ١٤ يناير :

وساعدنا الشلال فى نقل العربات وكونا مخاضة فلم يكن تكوينها يستلزم جهدا كبيرا . فلما عبرناها تساءلنا أى طريق نسلك ؟ الطريق الذى أوجده جان أو الطريق الذى نحن عليه الآن ؟! فإذا سلكنا طريق جان كان علينا أن نقطع مسافة يومين قبل أن نصل الى السفح ، وإذا سلكنا الطريق الذى نحن عليه الآن كان المسير صعبا وان كان المنحدر قصيرا موجزا . وفكرنا طويلا فى الأمر ، وذهبنا لنتفحص طريقنا . لقد كان فى بدايته صعبا للغاية ، وأخيرا قررنا أن نشق طريقا خلال البوسكلوف Boskloof

السبت ٢٠ يناير :

كنت مع بوتا ومعنا الماشية وقبل أن نصل بها الى المروج (الفلد) أرسل لى الزعيم المحلى the Chief بعض رجاله يطلبون أن أرسل له ساكانا Sakenna ليخبره بأمر ما ، فقلت لمبعوثى الزعيم اننى سأرسل ساكانا على أن يعود معه الزعيم ليخبرنى شخصا بالأمر ، وسرعان ما أتى وذكر أن بعض أفراد قبيلته (شعبه) قد رأوا آثار أقدام حوالى مائة رجل ، وبينما هو يتكلم أقبل أخوه حاملا أخبارا مؤداها أن هؤلاء الناس قد ناموا أثناء الليل فى مسكن خاو لأحد أفراد قبيلة الزعيم وأنهم رحلوا مبكرين الى المنطقة التى كانت الماشية ترعى فيها كل يوم بقصد قتل الحراس وسرقة الماشية ، فسألتهم من أى قبيلة هم فقالوا ان زعيمهم يعيش فى اتجاه مازوو Masouw ، فقلت له عن طريق أنطونى أن يخبر هؤلاء الناس أنه فى امكانهم أن يأتوا ويمتلكوا ماشيتى ، وأضاف الزعيم قائلا اننا يجب أن نأخذ حذرنا ليلا لأنهم قد

يسرقوننا ، فأخذت بندقيتي وتسليح كذلك جوستاف وجيريمي وأنطواني أيضا وصحبوني * وأخبرت بيتا ديدريك بما يتربص بنا من تهديد * وفي المساء وضعت الحراس حول الماشية في المواضع التي توقعت أن يقتحمها اللصوص *

كان بيتا وأنطواني أول من لاحظا جلية الأمر ، ففي حوالي الساعة العاشرة هاجموا الماشية فأطلق بيتا وأنطوني النار ، فجرى المهاجمون بأقصى سرعتهم * وفي التواتخذنا جميعا أهبة الاستعداد ، ولما سألتهما عن عدد المهاجمين ، قال بيتا انه رأى اثنين ، وقال أنطوني انه رأى ثلاثة ...

الأحد ٢١ يناير :

... في الصباح ذهبنا لنستطلع شيئاً مما خلفوه فوجدنا درعا جلديا قذفه أحدهم عندما أطلق بيتا طلقاته الثانية ..

وفي حوالي الساعة الواحدة ليلا أقبل ثلاثة من الكافير Kaffir واستولوا على واحد من الحيوانات كان بعيدا عن القطيع بمائة ياردة ، ولاحظ بيتا وأنطوني ذلك * وقال بيتا انه لا يستطيع أن يطلق النار خشية إصابة الحيوان ، وأصر على متابعة الكافير والحيوان * وبعد ربع ساعة عاد الكافير فأطلق أنطوني النار ، وكنت مستعدا في الحال لكنهم (الكافير) ولوا الأدبار * * ووجدنا في اثرهم نبوتا وسهما ، ووجدت أن الرصاصة قد أصابت السهم ...

الأربعاء ٢٤ يناير :

لقد أنزلنا العربات دن حوادث مؤسفة ، وصعدنا بها آخر المنحدرات *

الخميس ٢٥ يناير :

ونزلنا لما شيتنا بالعربات ، لقد مضى شهران وعشرة أيام بالضبط منذ أخذنا أول عربة فوق الجبل الى قمة أول قننة the first rise ، ولكن لو أن المناخ السيئ لم يؤخرنا ، لكان في امكاننا أن نستغرق - فقط - نصف هذا الوقت في الصعود والهبوط بعرباتنا . وبالنسبة لنا فقد كان يوم اتمام اجتياز هذه المنحدرات الهابطة الصاعدة هو أسعد الأيام التي شهدناها في فترة محنتنا هذه .

★★★

رحلة

وليم كوتون أوزويل

WILLIAM COTTON OSWELL

بحيرة نجامي

ولد وليم كوتون أوزويل في إيساكس Essax سنة ١٨١٨م وعمل سبع سنوات في شركة الهند الشرقية وبالتحديد في مؤسسة مدراس Madras establishment التابعة للشركة ، وبعد أن أصيب بالحمى نصح بالتوجه للكاب للاستشفاء فوصلها سنة ١٨٤٤م وخرج مع منجو مر Murray ، وهو موظف مدني للقيام برحلة صيد في المناطق الداخلية ، وفي كورمان KWuruman التقيا بكل من موفات وهرم Hume . وقد قام أوزويل وصاحبه بالصيد بين الباكاتالا Bakatala وهناك قابلا ديفيد ليفنجستون Livingstone كما قاما بالصيد بين الباونجكتسي Bawangketse واليامانجواتو Bamangwato وفي سنة ١٨٤٦م عاد أوزويل للمناطق الداخلية بصحبة الكابتن فرانك فاردون Vardon فقاما بالصيد ، واكتشف أوزويل نهري ماريكو Marico ولبوبو Limpopo حتى موكولوي Mokolwe . وقد تأخر أوزويل ففقد وظيفته الدائمة . وزار الهند وانجلترا وعاد الى جنوب افريقيا في نهاية سنة ١٨٤٨م . وفي بداية ١٨٤٩م غادر الساحل متجها للداخل للبحث عن البحيرة العظمى التي سمع تقارير عنها في جولاته السابقة والتي سمع الرحالة السابقون عنها كذلك . والنص التالي عبارة عن خطاب كتبه أوزويل من مدينة الكاب في ١٠ يناير ١٨٥٠م للكابتن فرانك فاردون هذا الخطاب في كتابه : Wiliam Cotton Oswell, Hunter and explorer (London, Heinemann, 1900).



. . . فى العاشر من مارس غادرت مدينة جراهام قاصدا
 Kolobeng كولو بنج ، وكان معى خمس عربات وخمسة
 من خدمى القدامى ، وكنا نشترى الخيول فى الطريق ،
 وتأخرنا فى كدلزبرج Colesberg لأربعة أسابيع فى انتظار
 مرى Murry ، وبمجرد وصوله فى ٢٣ ابريل واصلت
 الرحلة فوصلت كولو بنج Kolobeng فى ٢٥ و ٢٦ مايو .
 وتقع هذه المدينة فى موقع عار غير ملائم على جانب سلسلة
 جبال من حجر رملى أحمر حديدى ، وعند سفوح هذه التلال ،
 وكان مقر البعثة الارسالية التبشيرية يقع على بروز صخرى
 فوق نهر كولو بنج Kolobeng وقد غادرناه فى اليوم التالى
 لوصولنا واتخذنا طريقنا ببطء الى ماء يقال له ماء شكوان
 Shokuan ، وهناك توقفنا فى انتظار لفنجستون .
 وغادرت كل المجموعة مياه شكوان فى صباح اليوم الثانى
 من شهر يونية . وكان الطريق الى ماشوى Meoshue يشبه كثيرا
 الطرق الأفريقية الأخرى . أحيانا يكون منبسطا ومكشوبا ،
 وأحيانا أخرى يكون مليئا بالأشجار والأشواك ، وثمة طريق
 آخر الى بامانجواتو Badanguato . ومن هذه المدينة
 اتخذنا اتجاهها شماليا تقريبا وبشكل عام وقطعنا أربعين
 ميلا حيودا وسلاسل تلال رملية ومسطحات تغطيها الشجيرات
 القصيرة القليلة كثافتها فوصلنا فى صباح اليوم الثالث
 لموضع يسمى سيروتلى Serotli (كنا قد سقينا ثيراننا
 مرة فى الطريق عند لوبوتانى Lobotani) ، وقد ألقىت
 نظرة على هذه المنطقة باعتبارها مدخلا للصحراء التى كثر
 الحديث عنها ، ولذلك فسأحاول أن أقدم لك فكرة عنها .
 تخيل رمالا كثيفة غائرة بها حوالى ستة ثقوب أو منخفضات
 كالتى يصنعها حيوان الكركدن (وحيد القرن) عندما
 يتمرغ لافا نفسه على الرمال - كما تعود أن يفعل . وفى

واحدة من هذه الثقوب أو المنخفضات حوالى ملء كوبين صغيرين من الماء ، وفى هذه البقعة — كما أخبرونا — تكمن الفرصة الوحيدة لوجود الماء طوال سبعين ميلا (مسيرة ثلاثة أيام بالعربات التى تجرها الثيران) • ربع جالون لثمانين ثورا وعشرين حصانا وعدد كبير من البشر • وقد اعتاد أهل البلاد عند وصولهم لهذه المنطقة أن يزيحوا الرمال عن الثقوب والمنخفضات الصغيرة مؤكدين أن تحت الرمال مياه كثيرة *Plenty of mesté* وفى مساء اليوم الأول لوصولنا كان متيسرا لنا حفرتان غرطنا منهما مياه كانت كافية لتقديم جردل لكل حصان ، لكن هاتان الحفرتان لم توفرا ماء للثيران ومن ثم حفرنا مزيدا من الحفر لكن الماء لم يكف فصممت على ارسال الثيران لتعود خمسة وعشرين ميلا الى لوبوتانى *Lobotani* لتبقى هناك حتى نتأكد مما اذا كان ما سيتوفر من الماء يفي بالحاجة أم لا • لقد ظلت هذه البهائم المسكينة حتى فترة متأخرة من صباح اليوم الخامس عطشى بلا ماء حتى وصلت أخيرا الى موضع شربها ومعنى هذا أنها ظلت بلا ماء طول ست وتسعين ساعة (أربعة أيام كاملة) • أما الخيول فقد أبقيناها معنا لأننا كنا نتوقع أن نجد قدرا من الماء يكفيها • • • لقد امتلأت الحفر التى كنا قد حفرناها فى اليوم السابق • • وعادت الثيران من لوبوتانى *Lobotani* فى اليوم الخامس بعد أن واجهت حوادث صعبة سأقصها عليك يوما ما عندما نلتقى ، فهى حوادث لا تستحق أن تكتب • لقد جهزنا لها قدرا كافيا من المياه ، وتركناها تشرب كل الماء مرة واحدة • وتقدمنا لكننا لم نقطع سوى ستة أميال حتى مغرب الشمس وذلك بسبب الحرارة الشديدة والرمال • وباستخدام السوط (لحث الثيران) استخدما قليلا وصلنا الى موضع يسمى موكالانى *Mokelani* على بعد

خمسة وعشرين ميلا من حفر سرتولى Serotli وبعد
مرشدونا يشيرون الى أننا لو سرنا بهذا البطء فان وصولنا
لمورد المياه التالى أمر مشكوك فيه . سيمضى وقت طويل قبل
أن أتمكن من نسيان هذه الليلة فى موكالانى Mokalani
لقد كنا بعيدين جدا ولا يمكن لأى فرد منا - كما أظن - أن
يفكر فى العودة لأى سبب من الأسباب ، وكان القلق فيما اذا
كنا سننجز مهمتنا أم لا يتردد فى نفسى بشكل قوى فى كل
المواقف والأحداث التى مرت بنا . لقد كانت ندرة المعلومات
المتوفرة عن الطريق - باستثناء أنه طريق بلا ماء تقريبا -
بالاضافة الى صعوبة سحب الثيران للعربات الثقيلة فوق أرض
رملية فى اليوم السابق ، مما جعلنى أجعل هذه الحيوانات
تحت الرعاية الدائمة . . .

وبعد الافطار فى اليوم التالى من رحيلنا من سرتولى
Sertoli أرسلنا الخيول فى المقدمة مع مرشدينا ، فالخيول
تستطيع أن تصل للمياه أسرع مما تستطيع الثيران التى
ما كانت لتظل على قيد الحياة حتى تصل لمورد المياه بسرعتها
المعتادة وحالتها التى هى عليه الآن .

الفرج بعد الشدة :

وسرنا فى اثر الخيول التى سبقتنا تقطع الفياقى وتشق
الآجام . لقد سبقت الخيول ثيراننا البائسة بتسعة عشر ميلا،
تلك الثيران التى كانت تعبر عن عطشها بشكل يثير الجزن
. . . لقد قطعنا أربعة وأربعين ميلا - بصعوبة شديدة - فى
احدى وعشرين ساعة . وكان مرى Murry بصحبة الخيول،
بينما بقيت أنا وليفنجستون فى المؤخرة . وجلسنا نتناول

غداً ، ولم تكن الوجبة مريحة أو مريحة لأن كل من حضر
الوليمة كان يدرك تماماً أن الثيران البائسة لا يمكنها أن
تجر العربات لما هو أبعد من هذا المكان ، ولأن الجميع كان
يدرك أن مورد المياه التالي على بعد حوالي ثلاثين ميلاً .
وصممنا على أن نستمر في سفرنا هذا بأخر جهد هذه الثيران
ثم بعد ذلك نخلي سبيلها ، وبعد نصف ساعة في الصباح وصلنا
لحافة الدغل الذي قضينا فيه الليل وسرعان ما ظهرت الخيول
على البعد . أثمة ماء ؟ لا ، فالدليل قد ضل الطريق في هذه
البرية غير المحددة طرقها ، ومرى Murry توقف فجأة .
ومع الشمس بدا أن ادراك الدليل قد انتعش وبدأ في التقدم
للأمام . . . وقال أهل البلاد المرافقون لنا أنه في مقدورهم
أن يسيروا في الطريق الذي أتينا منه فناحية اليمين منه
يمكنهم أن يسيروا غير بعيد فيجدوا ماء . وتبين بعد ذلك
أنهم تحدثوا عن بركة صغيرة ، وقد ذهبوا للبحث عنها . ولم
نكن قد أنهينا افطارنا بعد ، عندما أقبل أحد الوطنيين حاملاً
أخباراً مؤداها أن بركة كبيرة عامرة بالمياه قريبة . بالفعل -
منا ، وشددنا الثيران للعربات - وكانت هذه الثيران منذ
عشر دقائق تبدو وكأنها على وشك الموت . بعد ميلين وصلنا
إلى ماثولواني Mathuloani .

لقد كنا قد غادرنا سيروتلي يوم الأربعاء ، ونحن الآن
في يوم السبت ، وجعلنا يوم الأحد يوم راحة للماشية ،
وواصلنا مسيرنا مرة أخرى دون أن يكون لدينا أية فكرة عن
الوقت الذي سنرى فيه الماء ثانية . وأكد لنا أدلتنا
(مرشدونا) أنه حتى خيولنا لن تعاني العطش مرة أخرى ،
ذلك لأننا نسير بالفعل في بطن نهر لكننا لا ندركه . . .

. . . وبعد أن غادرنا ماثولواني تتبعنا مجرى هذا

النهر الرملی الذی سرعان ما تحددت ملامحه (*) لكن مظهره يدل تماما على الجفاف . وعلى أية حال فقد منحنا قدرا وافرا من المياه وان كان ذلك بعد جهد في الحفر . وفي لوتلوكاني Lotlokani (نبع ماء آخر صغير في موكوننج Mokokong) على بعد ثلاثة أميال من موكونونيا Mokokoniani) غادرنا نهر الرمال هذا ، والتقيناه مرة أخرى في صباح اليوم الثاني ، وغادرناه في الموضع الذي اتسع فيه ليصبح بحيرة سبخة ، هي الآن جافة ، وخلف هذه البحيرة الجافة تجول دليلنا pathfinder للمرة الثانية ، ولأنني لم أستطع الإمساك بامرأة بشمنية رأيته تتسلل بين الحشائش الطوال ، فلست متأكدا تماما اذا ما كنا سنصل الى الهدف الذي نبغيه فقد أمضينا يومين بلا ماء ، وبينما كنا نسير على غير هدى اكتشفنا وجود هذه المرأة البشمنية ، فقدمنا لها قليلا من الخرز ، فكانت هذه الخرزات القليلة بالاضافة لما اعترأها من رعب مميت سببا في اعترافها بأنها تعرف نبع ماء وعرضت أن تذهب بنا اليه . وبعد أن مررنا خلال حزام أشجار كثيف وصلنا فجأة الى حوض ملحي أو بمعنى أدق سلسلة من الأحواض الملحية . كنا في المساء وألقت الشمس الفاربة غيما ضبابيا أزرق على القشرة الملحية البيضاء فجعلتها تبدو وكأنها ماء حتى أنني ظننت أنني قد أصبحت قريبا من البحيرة رغم أنني لم أكن أبعد عن حافة هذا المسطح

(*) هذه الأنهار الرملية مربكة بالنسبة لي ، فمن شاطئها المرتفعين تجري المياه إلى باطنها . . . وتظل المياه تجري تحت السطح . وبالحفر إلى عمق معين ستجد الماء بالتأكيد ، لكنك لا تجده أبدا على السطح الا في مواضع قليلة خاصة عندما يكون الحجر فوق الرمال وعندما يكون هناك ينبوع . . وثمة حفر عديدة يحصل منها البالالا والبشمق على الماء . . وهم يغرسون قصبه مجوفة مسافة قدمين أو ثلاثة في الرمال ويسحبون الماء بأفواههم من الطرف الآخر وقد جربت ذلك ولكنني سأحضر معي مضخة في المرة القادمة .

الملحى بأكثر من ثلاثين ياردة ، فقدفت بقبعتى فى الهواء ،
وضحت فرحا حتى ظننت المرأة البشمونية ، والباكوان Bakuains
الذين معى أننى قد صرت مجنوننا . وسرعان ما اكتشفت
خطئى . لقد وقع كثيرون بعدى فى مثل هذا الخطأ . كان الى
جوار الحوض الملحى الأول نبع صغير مأؤه مالح جدا .
ووصلت الثيران اليه . أى الى هذا النبع المالح . فى صباح
اليوم التالى .

دخان بغير نار :

ومن هذا الموضع نرى فى اتجاه غرب الشمال الغربى
والى الشمال الشرقى ألوانا داكنة لدخان أسود يرتفع فى
السماء ، وكانوا يؤكدون لنا أن هذا الدخان ناتج عن احراق
الغاب (البوص أو القصب أو البمبو) المحيط بالبحيرة !
لكننى لا أظن ذلك صحيحا فالبحيرة لازالت على بعد حوالى
ثلاثمائة ميل منا . وصعدت مع ليفنجستون عدة آكام وتلال
صغيرة ، لنلقى النظرة الأولى على الأيام الثلاثة المقبلة ، لكن
عيثا كانت هذه المحاولة ، وفى اليوم الرابع من شهر يوليو
تلاشى كل أمل لنا فى رؤية البحيرة ، وذلك عندما انطلقنا ليلا
نبحث عن طريق مناسب ، فوصلنا الى نهر حقيقى يجرى (نهر
زوجا Zouga) فى اتجاه الشمال الشرقى ، وكان هناك قرية
فى مواجهتنا تقريبا وكنا بطبيعة الحال قلقين من بدء الحوار
مع أهلها ، لكن أهل القرية كلهم انتقلوا الى الجانب الآخر ،
وحاولت أن أقود حصانى خلال المكان الذى بدا شيئا غير
ثابت حتى أننى كدت أفقد الحصان ، إلا أن ليفنجستون واثنين
من الباكوان سيطروا على الموقف وسعدنا عند هودتهم
(ليفنجستون والباكوان) يحملون أخبارا مؤداها أن الماء

الذى رأيناه يأتى من البحيرة العظمى التى نبحت عنها ونسعى
للوصول اليها .

وذهبت الآلام :

وشعرنا كأن كل مشاكلنا ومتاعبنا قد انتهت ، وفى
صباح اليوم التالى عندما رست عرباتنا على ضفاف نهر زوجا
the Zouga بدأ يتلاشى كل القلق الكامن فى نفوسنا عن
نهاية هذه الرحلة ونتائجها . وقال أهل البلاد انهم يرون
القمر لامعا لكننا فى خاتمة المطاف رأينا مساحة عريضة من
الماء فالنهر تحت أقدامنا ولم نفعل شيئا أكثر من أن نتتبع
مجراه . وسأتحدث عن هذا النهر فيما بعد فلن أؤخر كعنده
الآن . لقد تتبعنا المجرى صاعدين ستا وتسعين ميلا منذ
التقينا به (بالنهر) . لقد تعبت ثيراننا ولم نجد تستطيع
أن تقوم الا برحلات قصيرة بحملها الثقيل ، وعلى هذا فقد
أفرغت عربتى وأنزلت أحمالها وتخيزت ثورين كانا أكثر
نشاطا وصمنا على الانطلاق ، وتركنا العربات الأخرى
وباقى الثيران مع العدد الأكبر من خدمنا ، وانطلقا فى ١٦
يوليو وبعد اثنى عشر يوما من السفر الشاق وصلنا الى
قبيلة (★) بامانجواتو Bamangweto وهم يسمون أنفسهم
بتوانى Batauani ، وسرنا تقريبا الى جانب المدينة عند
الطرف الأدنى للبحيرة .

وصلنا للبحيرة :

وثمة لسان من الأرض أو جزيرة (لم أتبين الأمر)
تنتا بطريقة مميزة ، ومنعتنى التلال الرملية من القاء نظرة

(★) استخدم المؤلف تعبير the half tribe ولعل المقصود ما يشبه

القبيلة - (المترجم) .

عريضة على المياه التي تقف عربتنا عندها الآن ، لذا فقد
امتطينا خيولنا وسرنا على طول الشاطئ خمسة أميال أو
سته وعندئذ رأيت ما أرضاني تماما . . . انها مساحة عريضة
من المياه تربض أمامنا الآن . مساحة ماء شاسعة نحاول عبثا
رؤية شاطئ لها اتجاه الغرب والشمال الغربي . ان كل
الشواهد تدل على أنه لا حدود لها في هذه الاتجاهات ، وكأنها
منحيط . لقد كانت شواطئ البحيرة في اتجاه شمال الشمال
الشرقي من الموقع الذي نقف فيه - كما نظن - تصل الى حوالي
أربعة عشر ميلا ، اذ قسمنا شواطئ البحيرة الى أقسام ،
ويمكن للمعين أن تتبع آثار الشاطئ الى الشمال وشمال
الشمال الغربي لمسافة قصيرة ، أما ناحية الشرق فهي تمتد
ببطء ولكن تدريجيا ليقترب بعضها من بعض ثم تضيق فجأة
في الوضع الذي تقف عنده الغربية . ويجري من تحتنا الآن
نهر يقال ان عرضه مائتا ياردة ، وكان شاطئه الذي نقف
عليه مستويا ، ومن المحتمل أن يكون الشاطئ المقابل
كذلك ، لذا فهو لا يظهر للعيان من مسافة بعيدة . وبالنسبة
لمرضه الحقيقي فأننى بطبيعة الحال - لا أستطيع أن أذكر
تقديرًا صحيحًا . فالقوارب لاتغيره أبدا . أما عن امتداده
فربما يمكننا أن نصل اليه بالتقريب اذا وضعنا في اعتبارنا
تقديرات قبيلة الباتواني Batouani الذين أكدوا أن رجلا
يمشي يومين (خمسين ميلا) على طول الشاطئ الى الجنوب
الغربي ويوما (خمسة وعشرين ميلا) الى الشمال الغربي ،
سيجد البحيرة التي يأتي منها النهر من شمال الشمال
الشرقي . . .

وكان لابد لنا - بل كنا مضطرين - لسماع هذه
الأقوال . . .

وأثناء الحملة (الرحلة) كانت بعض رحلاتنا اليومية قصيرة بما فيه الكفاية ، إذ كانت غالبا لا تزيد على عشرة أميال ، ومع هذا فقد كان الجهد الذى نبذله شاقا بسبب كثافة الأدغال وثقل وطأة الرمال ، وفى خمسة أميال ونصف قطعنا ما يزيد على مائة شجرة ، ومن ثم فقد استغرقت هذه المسافة ست ساعات ونصف الساعة . وثمة مرتفع رملى كثيف مغطى بالأشجار بكثافة وكان يمتد ميلا ونصف الميل أدى الى تأخرنا مدة ساعتين ، وفى هذه الظروف كنت أسبق بعربتى لأتلمس الطريق العملى والأكثر سهولة ، وغالبا ما كنت لا أرى شيئا سوى رعوس الثيران الأمامية ولم أكن أعلم فى أى مكان تسير العربة حتى أننى كنت أوقف الثيران لأقوم بقطع الأشجار وإزاحة الفروع خلال الدغل لأهيب لها طريقا . وقد تسببت الأشجار الشوكية القصيرة فى أحداث مضايقات لنا فكانت أشواكها تدمى أنوف الثيران وسيقانها ، كما كانت تمنعها من السير معا .

وتقع بحيرة نجامى Ngami (وتسمى أحيانا انجهابى Inghabe أو نوكا آ . ممبورى Noka a Mampooré أو نوكا آ . باتلاتلى Nokaa Batlatli عند خط عرض ١٩° ر ٢٠° جنوبا وحوالى خط طول ٢٤° شرقا ، وترتفع فوق مستوى سطح البحر ٨٢٥ ر ٢ قدما . ومن الممكن أن تعتبر خط العرض صحيحا أما خط الطول فلم تكن معنا الأداة المناسبة لتحديد ، فقدرناه بالمسافات ، أما الارتفاع عن مستوى سطح البحر فتقريبى كما تأكدنا باستخدام المقاييس البارومترية (مقياس الضغط الجوى Newmen's barometric thermometers)

والمسافة التى قطعناها من كولوبنج Kolobeng وصلت الى ستمائة ميل وثلاثة أميال مقاسة بواسطة تراشياميترون

tracheameter (☆) جيد . وتقع كوبولنج على بعد خمسمائة وسبعين ميلا من كولزبرج Colesberg أو تسعمائة ميل من خليج الجوا Algoa . والآن وقد عرفنا أقصر الطرق فربما قمنا برحلة تستغرق خمسمائة وخمسين ميلا . والطريق المباشر يتخذ اتجاهها شماليا غربيا من كوبولنج ويسير فيه الناس عقب المطر ، واذا لم تهطل الأمطار تعذر العثور على الماء فيه .

وليس للبتواني Batouani اتصالات بالبرتغاليين . والقبيلة الأخرى الكبيرة الوحيدة على ضفاف البحيرة هي قبيلة مكلوما Maclumma وهي منحدره من الدامارا Damara كما أظن . ويقال ان سيبتوان Sebitoane تعيش على ضفاف من روافد نهر تاموناكلي Tamunaklé الذى يصب فى نهر زوجا Zouga وتعرف بلاده ببلاذ الأشجار الكبيرة والمياه الوفيرة وقد أجرى اتصالات مع البرتغاليين لكن عن طريق قبيلة أخرى ، ولم يجر اتصالات مباشرة . لا تحسدنى على رحلتى ، فالكل يتحدث عن ذبابة تسمى تسي فى مواضع بعينها لكن ما دام الزعيم من نوع موزيليكاتسى Moselekatsé فى الغرب وغنى بقطعان الماشية جدا ، فهذه الذبابة كما أظن لا تستطيع أن تنتشر عبر بقاع واسعة .

بقيت كلمات قليلة عن نهر الزوجا Zouge ، والسكان على ضفتيه . . . الخ وأنهى حديثى . ان مجراه - كما ترى - يتخذ فى البداية اتجاهها شرقيا تقريبا ثم جنوبيا ثم جنوبا بشرق ، ثم شمالا بشرق ثم شرق الشمال الشرقى ،

(☆) لم نستدل على معنى الكلمة ولا مفهوم الجهاز من المعاجم العلمية والفنية المتوفرة بين أيدينا - (المترجم) .

وهو عريض على بعد يومين أو ثلاثة من البحيرة إذ يتراوح عرضه بين مائتى ياردة وخمسمائة فى بعض المواضع ، أما شاطئاه فمستويان وذوا طبيعة سبخية ، ثم بعد ذلك يضيق ويظل يسير بين شاطئين مرتفعين من صخر جبرى مسافة ستة أيام ، ثم يتسع مرة أخرى وعند طرفه الجنوبى ينتشر مشكلا بحيرة صغيرة يبلغ قطرها أربعة أميال أو نحوها ، ثم يتفرع الى مجريين ، أحدهما (وهو الأكثر انتحاء نحو الجنوب) يقال انه ينساح ويتبدد مجراه فى حوض ملحي (منخفض ملحي) الى الشرق ، أما الفرع الأكبر أو المجرى الأكبر فيتجه - كما يقول أهل البلاد - الى الشمال الشرقى والى شرق الشمال الشرقى خلال بلاد الماتابيلى Matabelé * ولا بد أن أذكر أن كل هذه الأنحاء من شاطئى النهر - فى المناطق التى رأيناها على الأقل - مغطاة وبكثافة بالبوص (القاب) والبمبو المرتفع ، وهناك ما يشير الى انها تعرضت للغمير بالمياه * . يمكن أن ينحنى تجاه الجنوب الشرقى ويتحد مع نهر الليمبوبو Limpopo ؟ طوال عشرة أيام قطعناها كان شاطئى النهر فى الغاية من الجمال ، فالأشجار - ومعظمها غير معروف للاكووان Eakuains - رائعة بإسقة ، وتعتبر أشجار الموشيو شونج Mochuchong التى تحمل ثمارا تؤكل خير ممثل للجمال فى عالم الأشجار لا فى أفريقيا فحسب وإنما فى العالم كله ، وتتمو أشجار المورلواناهس Morlwanahs بالقرب من مدينة البتوانى Bataoni ، وأضخم أشجار هذا النوع يزيد سمكها (محيط جذعها) عن سبعين قدما ، لكنها غير منتشرة كثيرا * وتتناثر نخيل البالميرا (★) هنا وهناك فى

(★) أوردها معجم الشهابى للمصطلحات الزراعية تحت المسمى العلمى Borassus

flabelliformis وترجمتها نخيل التال أو نخيل التار ، يستخرج من طلعه نوع من

المسكر (المترجم)

الجزر وعلى شاطئ نهر الزوجا Zouga وهي منتشرة على طول الموكوكونج Mokokoong (نهر الصحراء الرملية) (the sand river of the desert) وهي تشبه النوع نفسه الذى نعرفه فى الهند ، وان كانت ثمارها أصغر حجما . وقد أحضرت بعض هذه الثمار معى . وثمة شجرة تشبه كثيرا شجرة البانيان الأصفر فى الهند تنمو على شاطئ نهر . ويقول أهل البلاد انها - أحيانا - تنزل قطرات سائلة ، ولكننى لم أر شيئا من هذه القطرات . وعلى أية حال ، فأننى . أظن أنها من نفس النوع الهندى ، ذلك لأننى لاحظت أن فرع هذه الشجرة اذا ما جذبه الانسان بشدة الى الأسفل فانه سرعان ما يفلت ليعود - بشدة - الى موضعه . ونبات النيلة (الصبغة الزرقاء) البرى متوفر بكثرة ، و قبيلة الماكالاكا Makalakka أو الماشونا Mashuna (أظن أنهما اسمان لقبيلة واحدة) يصنعون الملابس ويصبغونها باللون الأزرق ، ألا تذكر مدى تشككنا فى هذه النقطة ؟ انهم يستخدمون القطن من نوعين ، أحدهما تنتجه شجيرات والنوع الآخر تنتجه شجرة كبيرة ، والنوع الذى تنتجه الشجرة الكبيرة هو الأردأ والأقل جودة . والباكوبا Bakoba هم السكان الرئيسيون للجرار وضاف نهر رغم وجود عدد قليل متناثر من قرى (زرائب Kraal) البشمن والباهاروتزى Baharootzi عند الطرف الأدنى . وكلمة باكوبا Bakoba تعنى (عبد) لذا فهم لا يطلقونها على أنفسهم وانما يطلقها الآخرون عليهم ، أما هم فيسمون أنفسهم بايىي Bayeiye وتعنى « الرجال المتفوقون أو المبرزون » . انهم رفاق أذكاء ويتسمون بالكياسة والظرف وهم أشد قوة وأضخم أجساما من البشوانا Bechuanas وهم أرقى منهم فى كل الجوانب ، ولغتهم محددة وبها طقات click (طقطقة أو قرقعة) لكن

ليس بها (لعبكة) Bush ، وأظن أنهم لابد أن يكونوا قد
أتوا من ناحية الدامارا Damara وليسوا بأى حال من
الأحوال مرتبطين بنهر زوجا Zouga أو من سكانه الأصليين
وانما هم يصطادون السمك ويرحلون تماما كما ذكر
ليفنجستون فى خطابه (fish & float) وهم يفعلون ذلك فى
كل المسطحات المائية المجاورة .

فالتجديف وركوب القوارب هما وسيلتهما الوحيدة
للتقدم ولا يعرفون القوارب الشراعية ، وهم يعيشون - بشكل
أساسى - على الأسماك (وهى - أى الأسماك - شىء كرىه
وبغض بالنسبة للبشوانا الجنوبيين Southern Bechuanas)
يصطادونها بشباك جيد صنعها مصنوعة من نوع من الكتان
البرى ، وهم يصنعون حبال طواقاتهم من نبات السوسن البرى
aflag ، ويصنعون العوامات المعلقة فى شباك الصيد من
عقل (بضم العين وفتح القاف) الغاب (البوص) . وإذا
حدث أن غطس واحد من هذه العقل ظلت العقل الأخرى
طافية . وقد حصلت على قطع من حبالهم وشباكهم وتيلهم
وقنبهم hemp ، وسأريك هذه الأشياء يوما ما . وليمنعوا
الشباك والحبال من أن تتنقن (تصير نتنه) فانهم يصبغونها
ويدبغونها بمادة معدة من لحاء أشجار شوكية
Camel-thorn (★) وليس لدى الباهاروتزى قوارب طويلة
Zouga ولا شباك وانما يصطادون الأسماك بالأسهم
والرماح . . والأسماك متوفرة بكثرة وبأحجام هائلة
وللباهاروتزى والباكوبا والبشمن طريقة أخرى للحصول
على طعامهم ، يصعب على أن أنقدها أو اعترض عليها ،

(★) نبات العاقول ويسمى أيضا شوك الجمال ، وهى تفرز منا وتسمى أيضا بنبات
الحاج ، والاسم العلمى هو - كما ورد فى معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية -
Alhagi mannifern - (المترجم) .

فقد حفروا حفرا على طول شاطئ نهر الزوجا Zouga . لقد سقط أحد عشر حصانا من خيولنا في هذه الحفر ، وعلى أية حال ، فلم يمت الا حصان واحد ودفن ثوران ، ولحسن الحظ اننا كنا نملك عددا قليلا آخر استخدمناها كبدائل . بل اننا نحن أنفسنا ، فقد سقط التاجر مرتين أو ثلاث بينما كان يبحث في هذه الحفر ويكشف عنها ليمنع وقوع حوادث مميتة للماشية . فهذه الحفر تغطي وتوارى بدهاء وبراعة اذ كانوا - في بعض الأحيان يغطون الأفرع والحشائش التي يضعونها فوق الحفرة بالرمال ، فتبدو الأرض طبيعية وكأنما لا حفرة تحتها ، بل يضعون روث حيوان وآثار أقدامه فوق الرمال الموضوعة فوق الأفرع التي تغطي هذه الحفرة ، فيبدو ما فوق الحفرة وكأنه طريق مطروق تجتازه الحيوانات . واذا سقط واحد من هذه الحيوانات في حفرة من الحفر تنبه بقية القطيع فيتراجع بعيدا ولا يعود مرة أخرى الا ليشرب ومن ثم يولى هاربا ولا يفلت من هذه الحفر (الشراك) أى حيوان بدءا من الفيل وانتهاء بالظبي الصخري Steinbuck

لقد بذلنا جهدا كبيرا في الصيد لكن بدون عائد كبير ، فقد قتلت بعض الأفيال الذكور الجميلة . والأفيال وحيوانات الكركدن (وحيد القرن) متوفرة هنا بالاضافة للطرائد الأخرى الا أنها في بعض المواضع تكون نادرة ، ونصطاد اليا بوكا حيوانات فرس النهر أيضا ، لذا فهي تغطس وقلما تظهر للعيان فوق سطح النهر الا قليلا ، والأفيال هنا مختلفة بشكل واضح عن أفيل اللمبوبو Limpopo فهي أصغر حجما وأقل ارتفاعا (فالفيل الذكر الكبير يبلغ ارتفاعه عشر أقدام) ، وان كانت أثيا بها أكبر حجما ، وقد رأيت اثنين من الكيبابا Quebabas (حيوانين من حيوانات وحيد

القرن ، للواحد منهما قرن مستقيم) وجرحت واحدا منهما
لكننى لم أخذه ، وأسقطنا ثمانية أو تسعا من الليشى
léchié (★) اذ أسقط بيت سائق عربتى الأول منها ،
وأسقط ليفنجلستون الثانى ، وأسقط مرى mury .
الثالث وكانت قرون الليشى léché تشبه كثيرا قرون ذكر
أيل الماء mele-water buck (★★) وسلوكه يشبه سلوكه ،
وذكر أهل البلاد نوعين آخرين من الظباء ، وقد رأينا نوعا
منهما وهو يشبه الظباء من نوع الكردو Koodo غير أنه
أخف وزنا وأصغر حجما ، ولم نر النوع الآخر * وتقل
الأسود كثيرا على طول النهر وحول البحيرة فلم نسمع آيا منها
إلا مرة واحدة لذا فقد اعتدنا أن نترك ثيراننا تتحرك بحرية
أثناء الليل بين الحين والحين * وعلى أية حال ففى اليوم الذى
سقط فيه حصانى فى حفرة (شرك) هذا النهار ومات ،
ووجدنا حفرا (شراكا) أخرى ، ضاع منا الطريق الموصل
إلى كولوبنج kolobeng (ضللنا الطريق) وانطلقنا بخيولنا
تجرى خيبا بين بعض التلال الصخرية أملين فى أن نتبين
الطريق .

وهجم الأسد :

فسمعت غمغمة قاسية غليظة خلفى ، ولما استدرت ،
رأيت أسدا لا يبعد عنى سوى بثمانى ياردات ، وكان قد اتخذ
أهبطه للهجوم فرأسه مرفوع وذيله مرفوع فأطلقت طلقة من
بندقيتى كانت كافية لتمكينى من التراجع مسافة خمسين
ياردة ، ثم قفزت (فوق حصانى) وأعدت تعمير البندقية

(★) لم نستدل على المقابل العربى أو المعنى فى المعاجم المتوفرة لدينا .

(المترجم)

(★★) الترجمة اجتهادية هنا ، ولا نعرف شيئا عن أيل الماء هذا . (المترجم)

ودعوت صديقي (يقصد الأسد) ، ولم تكن قدمي قد استقرت
بعد في الركاب عندما وجدته (الأسد) عندي ، فألقمته
طلقة جعلته لحسن الحظ يسقط بين الشجيرات والصخور على
بعد لا يزيد عن خمس عشرة ياردة أو عشرين ياردة من
الموضع الذي أقف فيه .

ان علينا الآن أن نتأكد من مسألة مهمة وهي : أمن غير
الممكن أن نصل للمستقرات (المستعمرات) البرتغالية على
الزنبيزي باستخدام الطريق البري ؟ آأ أرجو أن أقوم بعمل
ما لتوضيح ذلك ، وأن أغادر الكاب في نهاية الشهر الحالي .
ان معى خطابات أتقدم بها للسلطات البرتغالية اذا حدث أن
التقيت بهم ، ولا أتوقع خطرا يحيق بي من أهل البلاد . وفي
كل الاحتمالات فاننا لم نصل الى المحطات المقامة على
الزمبيري لكننا قد نكون قادرين على أن نثبت للرحالة القادمين
أن ذلك ممكن ، وسيصبحني ليفنجستون في رحلتى هذه .

رحلة

جيمس شابمان

JAMES CHAPMAN

الاقتراب من شلالات فكتوريا

ولد شابمان في إنجلترا سنة ١٨٣١ م ، ووصل للناتال سنة ١٨٤١ م ، وعمل وهو في سن الحادية عشرة ، وأقام في مدينة الكيب لفترة ثم عاد للناتال حيث شغل وظيفة رئيس شئون العاملين Chief clerk في مكتب الشئون الوطنية ولكنه كان يفضل حياة أهل قيوذا فانتقل إلى بوتشفستروم Potchefstroom في نهاية العام وافتتح متجرا ، وكان يقضى وقت فراغه في الصيد وجمع نماذج حيوانية ، وقرر أن يجرب نفسه في صيد الفيلة ، وفي مايو ١٨٥٢ م قام برحلة للمناطق الداخلية وصحبه جان فلجون Jan Viljoen وعددا آخر من المدافعين ، ومروا بمابوتسا Mabotsa وزاروا ناتواني Natuani وهناك قتل شابمان أول فيل في حياته ، وواصل إلى نهر بوتليت Botletle والمنخفض الملحى نتيتوى Ntewe وثومثا Thumtha وذازار Zouthara والنض التالي من كتاب :

Chapman's travels in the Interior of South Africa (Vol. I, Bell and Daldy, & Edward stanford, London, 1868)

★★★

عندما تلقيت معلومات خاصة عن وجود نهر يسمى شوا Shua (شوان Shuane) على بعد عشرة أيام الى الشرق من ذوثارال Zoutharel - وهو - أى هذا النهر يشكل الحدود بين بلاد سيكومي Sekomi وموزيليكيس Mosetikatse - صممت عند عودتنا فى طريقنا عند مركز جورج George's post (أو ثومثا Thumtha) أن أجمعل هذه المدينة نقطة انطلاق لاكتشاف هذه المناطق بالسير شرقا بحثا عن الطرائد ، وان وجدت أن هذا غير عملى تبعت مجرى نهر بوتلتلى Botletlie الى بحيرة نجامى .

سرعة النعام :

وفى ١٢ أغسطس (سنة ١٨٥٢م) بينما كانت العربات تسير بنا فى الطريق القديم عائدین قمت بجولة فوق ظهر حصانى فاكشفت آثار أربعة فيلة ذكور مرت هنا فى اليوم السابق ، فتبعتها لعدة أميال ، فلما اكتشفت موضع شربها ، وأثناء ركوبى أطلقت النار على ثلاث نعلمات من بين قطع نعام كبير حجمه كان عائدا لتوه من مورد الماء ، وكان يمكننى أن أقتل عددا أكبر لكنها كانت نعلمات صغارا ليس لريشها قيمة ، ورغم أن النعام أسرع من كل الحيوانات الا أن حصانا جيدا يمكن أن يلاحقه عندما يكون عائدا من مورد المياه فى يوم حار .

متى تشرب الأفيال الأفريقية ؟ :

وفى يوم ١٤ أغسطس عادت الفيلة الأربعة مرة أخرى لتشرب ، والفيلة لا تشرب الا كل يومين بمعنى أنها تشرب يوما وتمتنع عن الشرب فى اليوم التالى لليوم الذى شربت

فيه ، ثم تشرب فى اليوم الثالث ، أى أنها تشرب يوما وتمتنع عن الشرب يوما ، ويكون شربها ليلا ، وبعد الشرب تذهب بعيدا لترعى طعامها . وفى المناطق التى تتعرض فيه كثيرا لعدوان الانسان تظل بعيدة عن الماء ليلتين كاملتين ثم ترده فى اليوم الرابع . لقد التقينا فى غضون ثلاث ساعات بهذه الأفيال ونجحت مع فلجون Vilgoen وبيت جريلينج Piet Greyling فى قتل ثلاثة أفيال ضخام ، كل واحد منها قتل فيلا .

كاد الفيل الرابع يقتلنى :

أما الفيل الرابع فقد كلفنا أكثر من ثمانين طلقة بدون تأثير كبير ، وعندما وصلت للبقعة التى كان رفاقى يحاولون قتله فيها ، أطلقت طلقة واحدة ، وكانت هذه الطلقة الأولى منى عليه ، هى لحسن الحظ الطلقة التى أصابت سياقه الخلفية فكسرتها لكنه حاول النهوض ثانية ، فأطلقت عدة طلقات أخرى قليلة فسقط ، وبدأ ميتا ، فترك حصانى وما هى الا دقائق حتى كنت فوق ظهر الفيل ، لكننى شعرت بالحيوان (الفيل) يتحرك حركة عنيفة فتركته ظهره بسرعة وما كدت المس الأرض حتى أطاح بخرطوميه إطلاحة قوية كادت تصيب رأسى من الجانب ، فأطلقت بندقيتى - كما اتفق - بينما أجرى هاربا بأقصى سرعتى ، فقام الفيل بنشاط قائما وراح يتعثر فى مشيته فوق الأفرع والنباتات البرية . يا للدهشة ! وعلى أية حال ، فلم يعد ثمة خطر منه فرغم أنه كان يسير على ثلاثة أرجل ويصيح عاليا فإنه لم يكن قادرا على أن يخطو للامام ، فألقمناه إحدى عشرة طلقة فهو . لقد مات الآن تماما . وقررنا - بعد هذه التجربة - أن نكون أكثر حذرا فى المستقبل .

وكانت غيرة الفيل عن الماء هى التى تسببت فى ذلك .

وكانت غيرة الفيل عن الماء هى التى تسببت فى ذلك .

تحذير لصائدي الأفيال :

ولا بد أن نذكر - على سبيل التحذير للصيادين في جنوب أفريقيا أن معظم الأفيال تستعيد قواها وتقوم بأعمال مؤذية بعد أن يبدو أنها قد جرحت جروحا مميتة ، لذا لا بد من التأكد من أنها قد أسلمت الروح تماما . لقد شاهدت أفيالا تسقط أربع مرات أو خمس وكأنها ماتت ، ثم تنهض من جديد .

وفي هذا اليوم أيضا (١٤ أغسطس) قمنا بالصيد لأعداد لا حصر لها من الظباء (ظباء القوقز المعروفة في جنوب أفريقيا - بفتح القاف وتسكين الواو) ، ففي غضون نصف ساعة أطلقت النار على خمسة ظباء منها وكان كل من معنا سعيدا ويتحلى بروح عالية بسبب نجاحنا في الصيد في هذا النهار الطيب ، وأخيرا عزمنا العزم ... وأثناء الليل ابتلينا بأسد يزأر ويدور حول معسكرنا وهو يبحث عن مدخل إلى الحظيرة ، وفي الصباح اكتشفنا أنه كان يلاحق أثر واحد من رجالنا (ما خلفه واحد من رجالنا) (★) .

اللحية المكهربة :

وفي ١٧ أغسطس وصلنا إلى مركز جورج George's Post حيث وجدنا اثنين من زوجاته في مسئولية عدد من البشمن فاستبدوا بهما وعاملوهما بطريقة مخزية في غيبة الزعيم . ووجدت صعوبة في تدبير مرشدين لتحقيق هدفى في الاتجاه شرقا ، وبالإضافة كذلك فقد كان رفاقى الهولنديون غير تراغبين في الاقتراب بأي حال من الأحوال من بلاد موزيليكاتسى

(★) قد يكون المعنى أن الأسد يقتل أثر الإنسان ببرازة على نحو ما يقتل أثر الماشية ، وهذا هو النص على أية حال :

... he had followed immediately on the spoor of one our men

Moselekatzé ، لذلك فقد اقترحت أن نتجه مباشرة الى البحيرة (بحيرة نجامى) لكننا كنا فى موسم انتشار الحمى فقد بدا هذا الاقتراح غير مقبول ، وشعرت بمزيد من الارتباك فيما يتعلق بالطريق الذى سأسلكه . وكانت عودتى بانياب اثنين وثلاثين فيلا فقط بعد كل هذه الاستعدادات - فكرة غير مرضية ، فرغبت - على الأقل - فى رؤية مزيد من أرجاء المنطقة ، فهذا خير عزاء اذا لم تتح لى فرصة لمزيد من الصيد . كانت الحرارة تزداد يوما بعد يوم ونمت لحانا (جمع لحية) بشكل كثيف فهى تنمو منذ عدة أشهر ، وعندما كنا نمشطها ونسويها كان ينتج عنها ما يشبه الماس الكهربائى كما كان يصدر عنها صوت شبيه بالصوت الذى يصدر عن تمسيد شعر ظهر القطة ، وربما كان هذا بسبب تأثير نوع خاص من المناخ .

وفى اليوم التالى حثت رفاقى أن يتطلقوا معى لمسافة الى البوتليتلى Bolletlie لكن هدفنا أصبح معروفا لزوجات جورج ، فضغط علينا لنتنظر حتى عودة زوجهم الذى خرج واتجه شمالا لتجميع العشور (الضرائب) tribute . وقد أخبرتنا أنهم كرهوا سمعوا منه أنه يرغب فى أن يرينا منطقة رائعة خاصة بالأفيال . ودفعنا هذا العرض المقبول على البقاء هنا عدة أيام .

الخُدعة :

لكن بقليل من التفكير اتضح أن هذا العرض ليس الا خدعة يقصدون بها أن يستنزفوا ما معنا طوال فترة اقامتنا ، وليجعلتنا نصطاد لهم ونوفر لهم اللحوم . . لقد كنا نجهل طبيعة شخصية أهل البلاد . وعلى أية حال فان وعدهم لم

يتحقق أبداً ، فقد كنا نخرج يوماً بعد يوم فى اثر الطرائد واصطدنا زوجاً من ذكور حيوان العنودة وعدداً من الزرافات بالاضافة الى حيوانات أخرى صغيرة ، وكنت مضطراً للحديث مع رفاقي الهولنديين بحدة أكثر بسبب الممارسات القاسية الشائعة بين البوير ذلك أنهم يتركون الحيوانات التى جرحوها لتتعذب حتى تسلم الروح وتكون فى أثناء ذلك عرضة لهجوم النسور ، وربما راحت النسور تنهشها قبل أن تموت ، فالبوير كسالى يكسلون عن الاجهاز على الحيوان الجريح وتغطية جثته بأفرع الأشجار .

ووجدت من الحكمة أن ينشغل رجالى فى الصيد ، مخافة أن تخلو أذهانهم فساعتها قد يحسون بعدم الرضا وتمتلىء صدورهم بالمخاوف التى سمعوها عن وحشية البدائيين وعن الحمى التى تنتشر فى المناطق التى سنسلكها . . ان هذه الأفكار لو سيطرت عليهم لألغيت خططى ووجهت وجهى معهم لطريق العودة .

الكلاب البرية :

وفى واحدة من رحلاتنا القصيرة قابلنا مجموعة كبيرة من الكلاب البرية يبلغ عددها أربعين أو خمسين كلباً وقد أحدثت هذه الكلاب فوضى مفرقة بين ظباء القوقز (بفتح القاف وتسكين الواو) ولم تبد هذه الكلاب أية دلائل على أنها تخشانا ، بل على العكس فقد استعدت للهجوم علينا وعلى خيولنا ، وعلى أية حال ، فإن طليقة أو طليقتين جعلت هذه الكلاب تتشتت فى مختلف الاتجاهات وهى تنبح ويقال ان هذه الكلاب تصبح خطيرة فى بعض الفصول اذا تجمعت .

وحمل النسر ظييا وطار :

ورأينا أيضا نسورا أو صقور يسميها الهولنديون صائدة
الظباء (lamb fanger (Lamb catcher) تحاصر ظييا
كبيرا وتمسكه بمخالبها وتنطلق به فى الهواء .

البشمن وحفلات الرقص :

وفى اليوم نفسه دعينا عندما وصلنا لعرباتنا لرؤية
الرقص البشمنى ، اذ تجمعت حوالى ستين امرأة متزينات بكل
الخرز والحلى ، وشكلن نصف دائرة ، ورحن يصفقن ويغنين
فى الوقت نفسه مكونات ما يشبه مقطوعة الفالسن الموسيقية
السريعة ، ولازمهن رجال مزينون بخصل من ريش النعام
والنسور أسود لونه ، وضعوه فوق رؤوسهم ، وبعض الخرز
على أجسامهم ، وأمسكوا بمراوح من ذيول حيوان الجنو
Gnu بأيديهم وربطوا بثمار المونا (★) الى ربلات
سوقهم (بطات سيقانهم) ، ولأنهم يثقبون قشور المونا
ويخرجون ما فى جوفها ، فانها - بسبب كونها مجوفة - تصدر
أصواتا رائعة سريعة تتخلل الموسيقى الرتيبة الصادرة عن
النساء ، وراح الرجال يسرون أمام النساء زائحين غادين ،
يقفزون وينخرون ويفنون ويحاكون كل أنواع التهريج
الفظل ويؤمنون ويلتوون ويتخلل كل ذلك بعض الحركات
الرشيقة بين الحين والحين الا أن كل هذا وليد لحظته فليس
هناك تصميم مسبق للرقصات (أداء ارتجالى) * وبين الحين
والحين تنطلق جلبة وحشية wild Peol من الراقصين

(★) ربما كانت المونا هى جوز الهند بلغة البشمن أو باحدى اللغات المحلية -

(المترجم)

الأساسيين فتزد النسوة بصرخات مهتزة thrilling yells
 (ربما كانت زغرودات) . . وينهى الراقص الرئيسي رقصته
 وكأنما أصابه السعار أو الجنون المؤقت ويحرك يديه وقدميه
 بعنف وينطرح على الأرض ووجهه الى الشمس ، لقد أنهى
 الراقص رقصته بهذه الحركات المجنونة مع أنه بدأ الرقص
 وكأنه كائن عاقل . وأثناء هذه الحركات والالتواء التي
 تؤدي بخشونة يسبح هذا الراقص الرئيسي في سحابة من
 التراب ، فلا ينتهي العرض الا وقد تغطى جسمه بطبقة غير
 رقيقة من الطين ، كونها العرق والتراب . واذا ما انتهى هذا
 الرقص الوحشي اتجه الجميع نحو أطباق من الالبصال
 bulbs (lunches) والحشرات التي تستقر على شجرة
 الموباني (★) وهم يحبون هذه الوجبة ويقبلون عليها بشغف .

صفقة الملح الخاسرة :

وراحت الأيام تمر على هذا النحو ، ونحن في انتظار عودة
 الزعيم جورج ، وحدث أن طلبنا من زوجاته وأتباعه أن
 يجلبوا لنا بعض الملح من حوض ملحي قريب ، فأحضروا الملح
 المطلوب لكنهم بالغوا كثيرا في طلب المقابل (في الثمن الذي
 يتعين علينا دفعه) فرفضنا الصفقة ، وفي الحقيقة فنحن لم
 نكن نقدر على دفع كيل خرز مقابل كيل ملح . لقد كان
 هؤلاء الناس يطلبون منا لهما كثيرا رغم أننا اصطدنا لهم
 أكثر من مائة طريدة ، وكانوا يطلبون منا خرزا وتوباكو
 . . . الخ وعلى أية حال فانهم عندما وجدونا لم نستجب
 لصفقتهم في دفع كيل خرز مقابل كل كيل ملح صبوا على

(★) نفضل هنا ايراد النص الانجليزي لعدم تأكدنا من المعنى :
 To some dishes of bulbs (Lutches) and the insect deposits of the
 mopani trees.

رءوسنا جام غضبهم وسبونا سبا مقذعا ، فكنا مضطرين
لطردهم مع كلابنا التي راحت تنبحهم . . . وكانت كلابنا
متفرقة مع كلابهم حجما ونباحا ، فأثارت فيهم رعبا وكأنها
أسود . وفى الوقت نفسه ، لقد كان البشمن وكلاتهم نهمين
جدا ، فلو أمن هؤلاء البشمن العقاب لسرقوا كلابنا بل
وسرقوا حتى العاج . وكلات البشمن من نوع صغير وهجين
ذوات نباح ضعيف وليست عالية الروح ، وليس هذا بالأمر
المستغرب فهم لا يقدمون لها طعاما جيدا الا بالسرقة ،
بالإضافة الى أنها تعيش دائما فى ظروف بائسة ، وهى تقبض
كسادتها البشمن بالقرب من النيران أو على الرماد المحترق ،
لذا فهى مشوهة من جراء حروق واسعة على أجسامها .

وفى ٢١ أغسطس اصطدنا حوالى عشرين رأسا وقدمناها
للشمن البؤساء الذين كانوا أجدر بالاحسان من البامانواتو
Bamanwato لكن ما قدمناه للشمن من طرائد لم يبق
فى حوزتهم كثيرا فسرعان ما استولت زوجات الزعيم على كل
ما قدمناه بالإضافة لاستيلائهن على أسدين شابين كان البشمن
قد قتلاهما أثناء النهار .

جلود الأسود :

وإذا نظرنا للملابس هؤلاء البشمن التى تتكون أساسا
من جلود الأسود خلال العام . وعلى أية حال ، ففى بعض
الأنحاء لا يقتل الوطنيون الأسود واللبؤات أو الكلاب البرية
لأن هذه الحيوانات تعد صيادة للطرائد التى يتخلف منها
بعض اللحم يتناولونه ، بل انهم يطلقون سراح الكلب البرى
إذا وقع فى حفرة من حفرهم المميثة ، فهذه الحيوانات
المفترسة بالإضافة للنسور تساعد أهل البلاد على الاهتداء
لجثث الحيوانات الميتة .

الزعيم (العيل) :

وأخيرا ، في ٢٧ أغسطس وصل الزعيم جورج أو الزعيم موجوردى Moogorooi المستول عن منطقة (ولاية) ماديكنيسانا Madenisana باعتباره واحدا من الزعماء المحليين (الخوازي Khoisis) وعرفناه بهدف زيارتنا لكن اجابته عن الجاحنا المقرونة بوعود بتقديم مكافآت له ان هو ساعدنا في شق طريق رحلتنا كانت لا تزيد عن أنه (زعيم عيسل Child) وهو تعبير يستخدمه أهل البلاد ليشيروا به الى عدم كفاءة شخص ما ، وعندما أكثرنا من الاستفسارات لم يفتح فمه بكلمة واحدة . لقد أكد أنه لا توجد أية أفيال ولا أى ماء في اتجاه الشرق ، وانما يوجد فقط كثير من ذبابة تسي تسي tsetse وكان لدينا من الأسباب ما جعلنا نعتقد أن جورج بهذا الرفض انما كان يعبر عن رغبة سيكومي . لمنع أية اتصالات بين رموزيليكاتسي والبيض ، كما كان خائفا (سيكومي) من أننا سرعان ما سنكتشف مدينته بعد وصولنا لنهر شوا Shua .

وفي ٢٩ ديسمبر وجدنا أننا قضينا ثلاثة أيام في مفاوضات مخزية دون أن نصل الى نتيجة مرضية ، فأصررنا على أن نشق طريقنا شرقا بعربة واحدة فقط رغم ذباب (تسي تسي) ورغم عدم وجود مرشدين معنا لأن جورج أبعد عنا كل البشمن بحرص بالغ ، ولما رأى أننا أعددنا الثيران والدواب وشرعنا في البدء أتى ليقول انه سيصحبنا اذا انتظرنا حتى يوم الاثنين ، ومع أنه لم يقدم لنا تفسيراً لهذا التأخير ولم يعد بأن يدلنا على مناطق بها أفيال ، فقد قبلنا وأطلقنا النار على عدد من حيوانات الكاجا Queggas لا طعام أهل البلاد فرقصوا وغنوا بلا انقطاع .

وقد وصل الآن مائة بشملى أو أكثر حاملين معهم قطعة لحم كبيرة من فيل ولحوم أخرى فاستولى عليها جنورج كما استولى أيضا منهم على حوالى ستين ناب فيل وجلود نمبور وحيوانات ابن آوى وجلود حيوانات أخرى معدة ومنعمة . ولتجهيز هذه الجلود لأعدادها ملابس فانهم يكشطونها - اذا كانت سميكة - بالقدوم adze حتى تصبح ناعمة جدا ومرنة ، ثم ينقعونها ويكشطونها ويبشرونها بحجر خشن أو بسن فيل ثم يفركونها بأكفهم أو قبضاتهم حتى تغدو جافة ناعمة ، ويصبغون الجلود ببعض اللحاء الرطب .

وفى ٣١ أغسطس انفصل بعض رفاقنا فى الرحلة عنا ، واتجهوا صوب البحيرة ، وكانوا من الماتيبى Matebe وذلك خوفا من الاقتراب من البلاد التى يحكمها موسيليكاتسى Moselekatse ، بينما استمرت أنا ومى فلجون وجريلنج ودوال فى الاتجاه شرقا بعربة واحدة ومعنا خدمنا ، وتركنا صديقى ويرزنج Wirsing ومعهم بقية العربات وما تبقى من الخدم ، واتخذنا طريقا شماليا شرقيا موازى للمتنخفض الملحى نتيتوى Ntewe فتجاوزناه ومررنا بثلاث برك أو أربع جميلة احتشدت فيها دجاجات الماء . وأطلقنا النار على عدد من حيوانات الكاجا Quagga والجنو Gnus وطلباء القوقز (بفتح القاف وتسكين الواو) التى عبرت من أمامنا بأعداد لا حصر لها أو راحت تنظر لموكبنا يمر فى مملكتها التى لم يكتشفها أحد من قبل .

وعلى هذا النحو ظللنا سائرين لأربعة أيام ، وكنا فى كل يوم نمر ببركة أو بركتين ، وكانت قيعانها حجرية ، وكنا نقيم معسكرنا لمبيتنا بالقرب من واحدة منها ، وكنا

— بشكل عام — ننتظر بالتناوب الى جوار هذه البرك (البحيرات الصغيرة) لنقتل حيوانات الكركدن (وحيدة القرن) ونحن مختبئين خلف جدار حجري دائري لا يزيد ارتفاعه عن قدم واحدة كما كنا نسهر بهذا الغرض ليلا في الوقت الذي كان فيه البامانواتو Bamanwato الكسولون يغطون في نومهم على الحشائش حول النيران ، وكان الواحد منهم يجعل قدميه أثناء النوم ناحية النار ويضع تحت رأسه — كوسادة — حجرا أو قطعة خشب . وفي طريقنا الى هنا أطلقنا النار على سبع زرافات وعدد من الجنو وحيوانات الكاجا وطلباء القوقز (بفتح القاف وتسكين الواو) . . الخ .

موزيليكاتسى يحطم المدن :

ووصلتنا الأخبار الآن من كل المصادر أن قائد جيوش موزيليكاتسى قد حطم تماما مدينة لا تبعد عن موقعنا هذا بأكثر من ستة أميال وأن هذا القائد يبحث عنا بعد أن علم أننا نصطاد الأفيال في هذه الأنحاء ، ويمكن أن يصلوا اليينا في اليوم التالي .

النجاة . . النجاة :

وعندما وصلت هذه المعلومات أسرج واحد من رفاقي الهولنديين اثنين من أفضل الخيول وفر هاربا عائدا الى الثومثا Thumtha وحذر صديقي ورزنج Wirsing قائلا له اننا قتلنا بالفعل أو سنقتل بالتأكيد .

مناورات كى نعود :

وتظاهر البامانواتو Bamanwota الذين معنا بإسداء النصيح قائلين انه كان يجب علينا أن نرسل الجواسيس في

كل اتجاه ، وأنه لم يكن أمرا مأمونا أن نصطاد لأن أصوات
بنادقنا قد تجمع الناس ، وقد يبلغ عدد هؤلاء المتجمعين
آلافاً ، ولكنني بعد أن أدركت ما في تقاريرهم من تناقضات
أدركت أنهم يهدفون بمناوراتهم تلك أن نعود من حيث
أتينا ، فهددت بالانطلاق ومواصلة الرحلة بدونهم . وعلى
آية حال فإن رفاقي الذين كانوا قد فقدوا عدداً من أصدقائهم
في مذابح الكافر لم يكونوا يشعرون بالاطمئنان مثلي وبدوا
مستعدين لتصديق أن الخطر وشيك ، لذلك لم أعترض على
رغبتهم في العودة إلى ترانس فال trans-vaal .

وبينما كنا في طريق العودة قابلتنا جماعة من الماكالاكا
Makalakas مساءً ، وكانوا قادمين من الشرق حيث كانوا
يزرعون الحنطة وقالوا لنا أنهم هاربون من قائد موزيليكا تسي
الذي رأوه في اليوم السابق . وعلى آية حال فقد وجدنا أن
هؤلاء الناس قد عادوا لديارهم أثناء الليل محملين باللحوم ،
ولاحظنا خلال مناقشتهم للبسانسواتو Bamanwato وهم
متعلقون حول النار برقيق النصر في عيونهم أو هذا ما تخيلته ،
لقد كان هؤلاء الناس يتظاهرون بصداقتنا ، وشعرت بالرضا
أن كل الأخطار المتوقعة ، والتهديدات ، كانت مجرد حكايات
غير حقيقية (فبركة) بهدف إحباط خططنا فالغش والخداع
من خصائص معظم هذه القبائل . وعلمت بعد ذلك من خلال
الخبرة التي حصلت بها في رحلاتي أن شكوكي في هذه القبائل
شكوك حقيقية لها أساس .

الحمى :

وقد حدث الآن من الأمور ما يجعلنا نعجل بالعودة دون
تأخير ، بصرف النظر عن ادعاءاتهم ، فقد هاجمتنا الحمى

بدون استثناء ، نحن وأهل البلاد ، وكانت من نوع الحمى
الروماتيزمية ، وكان هجوما شرسا ومفاجئا فأسرعت
لذلك باللقاح بصديقى ورزنج فى ثمنا athumtha أو مركز
جورج كما تسمى أيضا . ووصلنا الى هذا المركز فى غضون
أيام قليلة ، فوجدنا أن مجموعتنا هذه قد هاجمتها الحمى
أيضا فى ذات اليوم الذى تعرضنا فيه لهجومها رغم أن المسافة
كانت بيننا وبينهم بعيدة . وعلمنا بعد ذلك أن أصدقاءنا
من المساتيبى Matebe قد أصيبوا أيضا بالحمى فى
الوقت نفسه ، ولتزداد متاعبنا وجدنا أن ثرائنا وخيولنا
كانت تعاني من آلام حادة فى عيونها لدرجة أن بعضها كان
قد أصيب فعلا بالعمى ، وكان المتسبب فى هذا المرض هو
فراشات صغيرة تمرح فى الأعشاب القريبة من ينابيع الماء .
ووجدنا أن الماء بالملح كان مفيدا فأعدنا القدرة على الابصار
لبقية الدواب التى لم تكن قد أصيبت بالعمى تماما . وبعد
أن مكثنا فى مركز جورج أياما قليلة واصلنا رحلة العودة .

رحلة

فرانسيس جالتون

FRANCIS GALTON

بلاد الأوفامبو

OVEMBO LAND

ولد فرانسيس جالتون - ابن عم شارلز دارون - في برمنجهام Birmingham سنة ١٨٢٢ م في أسرة كيكس Quaker الشهيرة ، وطاف بالشرق الأدنى وعمل في المجال الطبي ، وهجر مهنة الطب عندما أصبح ثريا ، ورحل إلى مصر والسودان وسوريا ، وفي الفترة من ١٨٤٥ إلى ١٨٥٠ وجد ميلا لممارسة الرياضة ، ثم صمم على ممارسة الصيد والكشف في مناطق جديدة مستلهما أعمال أوزويل Oswell وليفنجستون Livingstone ، واحد معه إلى جنوب إفريقيا - كرفيق - شارلز أندرسون Anderson ، وقد نصحه السير هنري سميث - الحاكم - بأن يعدل عن تجريب طريق بتشوانالاند Bechuanaland إلى بحيرة نجامي ، فقرر أن يتجه إلى بلاد الدمارا (دمارالاند Damaraland) في المرحلة الأولى ، فذهبوا إلى خليج ولفز Walvies bay بمركب شراعى ، وكان النمساكوا Namaquas يغيرون على الدمارا ، لكن جالتون حقق بعض النجاح في التحذير من انتهاك القانون ، وقرر جالتون - بعد أن سمع عن بحيرة إلى الشمال وعن أمة عظيمة وكبيرة خلفها - أن يؤجل محاولته للوصول إلى بحيرة نجامي من ناحية الغرب ، وأن يبحث عن بحيرة أومانبوندي Omanbonde وعن شعب الأوفامبو Ovambo ، وبالقرب من أوكامبوتى Okambuti تحطمت عريقته ، فغادر جالتون لارسن Larsen لإصلاحها هي والعربة الأخرى ، واندفع مع أندرسون وقد ركبا حصانين ومعهما بعض دواب التحميل ، مثل المرشدون الدمارا الطريق بالقرب من نبع أوتجيكونجو Otjikongo

والنص التالي من كتاب :

Galton's Narrative of an explorer in tropical South Africa (John Murray, London, 1853).

وقد حقق جالتون أخيرا شهرة كعالم ارضاء جوية وعالم نفس تجريبي
وخبير احصاء وعالم بتحسين النسل eugenist وخبير
بصفات .

★ ★ ★

نوع جديد من البشر :

• • رأينا ثلاثة من السود يجرون قادمين من ناحية
أوتجيكونجو Otjikongo ، وبمجرد أن تبينا ملامحهم صاح
البشمن والدامارا قائلين : أوفامبو • • وكان الأمر كما
قالوا :

لقد كانوا جزءا من قافلة طال توقعها كانت قد وصلت
حالا بعد أن كنا قد بدأنا رحلتنا ، ولأن آثار أقدام دوابنا
وطريقتنا في التجمع أثارت دهشتهم كأقصى ما تكون الاثارة
فقد أرسل رجال القافلة هؤلاء الأفراد الثلاثة ليجعلونا نعود
من حيث أتينا • لقد كانوا رفاق سوء خشنين وغيونهم حادة ،
وقد أصروا أن نعود من حيث أتينا ، فضحكنا منهم ، فانتحوا
جانبا بالرجل البشمنى التابع لنا واستخدموا معه كل أنواع
التهديد حتى جسر على التقدم بمشقة ، وفي الوقت نفسه
فاننى صدمت ببرود هؤلاء الرجال وعدم خوفهم ، وطريقتهم
في حسم الأمور وهى ليست بعيدة عن التحضر تماما ، ووجدت
اننى ازاء نوع جديد من الرجال يختلف تماما عن البشمن
والدامارا فهم كانوا راغبين فى معرفة بعض الشئ عن
الغرياء قبل السماح لهم بالمرور فى بلادهم فعدت معهم الى
معسكرنا الذى غادرناه صباحا •

لقد كان معارفى الجدد يختلفون فى منظرهم تماما عن
الدامارا ، ولكنهم يشبهون كثيرا الجوداموب Ghoudamup
كان منظرهم رديئا ، وكانوا نحالا بارزى العظام ، ولامحهم
حادّة قويّة وملايشهم غير مسرفة وقليلة ومضحكة ، وكانت

رعوسهم حليقة وقد كسروا أسنانهم الأمامية ، وكانوا يحملون سهاما خفافا ، يبلغ طول الواحد منها ثلاثة أقدام ونصف قدم ، وكان الواحد منهم يحمل في يده الأخرى رمحا حسنا صنعه قصيرا طوله ، وفوق ظهر الواحد منهم كنانة تحوى ما بين عشرة الى عشرين سهما مسمما ، ويضع خنجرا فى جراب (قراب) محكم وهو اما مثبت بحزام حول الوسط ، أو مثبتا حول الذراع فوق الكوع ، ويضعون حول رقابهم قلائد يعرضونها للبيع ، ويحمل الواحد منهم فوق كتفه عصا منقمة يعلق فيها عددا من الصرر (جمع صرة) فى بعضها أدوات من الحديد للتبادل ، وفى بعضها قمح وأنية لحفظ الماء .

وكان عدد الأوفامبو أربعة وعشرين ، ورئيسهم (قائدهم) رجل طويل تدل نظراته على أنه مغامر مقدام . وقد أعجبت حقا بانضباط معسكرهم ونظامه ، وكان سلوكهم مهذبا بالفعل . وسرعان ما أصبحنا أصدقاء ، ونحرت ثورا من أجلهم ، ومن أجلنا أيضا ، قدموا بعض القمح الذى كان بمثابة تغيير فى طعامنا يستحق أن نشكرهم عليه . لقد اهتموا بنا كثيرا لكنهم رقصوا بحسم أن يقدموا لنا دليلا منهم وأصروا على أن تعود معهم الى قرية شابوبا Chapunpa's واعدوا - فى الوقت نفسه - أنهم اذا ما أنهوا صفقاتهم وعادوا فانهم سيأخذوننا معهم ، كان أول سؤال وجهه قائدهم لنا (وكان اسمه شيكورونجو اونسكومبى Chikorongo-Ontompé) هو ما اذا كنا من طائفة جالبى المطر Rain makers فأجبته بأننا آسفون فلسنا جالبى مطر لكننى نساغر أينما نريد ومتى نريد وبدون مرشدين ، فارتجل لنا جملة أكاذيب طويلة « ومتقنة »

— لكنه بعد ذلك أنكر كل كلمة قالها — لقد قال لنا ان جالبى
المطر مطلوبون بشدة فى بلاد الأوفامبو وأن قبيلة منهم تعيش
بالقرب من نهر كبير من ناحية الشمال وأن النانجورو
Nangoro يرسلون امرأة محملة ببعض الهدايا لهؤلاء
الناس (جالبى المطر) ، فاذا قل المطر فى أى عام قتلوا هذه
المرأة واكلوا لحمها فيرسلون لهم امرأة أخرى ، وقال لنا
أيضا ان البشمن فى طريقنا الى نانجورو شرسون جدا ، وأنه
ورفاقه كانوا فى حالة حرب معهم ، وأنهم — أى البشمن —
ساخطون وهائجون أكثر من أى وقت مضى . أتلك كانتا
الأكذوبتين اللتين سمعتهما عن الأوفامبو ، وهما من ضمن
الأكاذيب التى لم أسمع مثلها فى أى وقت مضى ، أما الأكذوبة
الأولى فكانت طبيعية ، وأما الثانية فلا أدري لم تكبد عناء
حبكها .

عن لغة الأوفامبو والدامارا :

ولنطلق على هذا القائد من الآن فصاعدا اسم شيك
مراعاة للاختصار بدلا من اسمه الطويل . لقد كان شيك
يتحدث بلغة الدامارا تماما وان كان ولكنه خاصة ، وكذلك
كاتوندوكا Katondoka ونتجو Netgo وهما نائباه ،
أما الآخرون فكانوا — بالكاد — مفهومين . ولغة الأوفامبو
أكثر مرونة وموسيقية وهم يتحدثونها وكأنهم يغنون وهى
لا تفتقد شيئا سوى وهم يتحدثونها وكأنهم يغنون وهى
لا تفتقد شيئا سوى حرف اللام (l) مثلهم مثل الدامارا
الذين لا يستطيعون نطقه ، فأطفال الدامارا لا ينطقون حرف
اللام الا اذا كانوا يريدون نطق حرف الراء (R) مثلهم فى
ذلك مثل كل الأطفال ، فاذا ما كبروا — أى أطفال الدامارا
نسوا كيف كانوا ينطقون حرف (l) فهم دائما يضعون الراء
R ٢ مكان اللام (l) لذا فاسم السيد كولبى kolbe أصبح

كوروبي Korube ، واسمى الذي ينادي رفاقي به هو بل
 ليظ تحول في السنتهم (الدامارا) الى ايرو Eiro . لقد
 عانوا في السيطرة على نطق اسمي ، وفي خاتمة المطاف وبعد
 محاولات عديدة استقر على بورتينو Bortonio ، واللاحقة
 (يو) تستخدم للتصغير أما اسم أندرسون Anderson فكان
 بالنسبة لهم مليئا بالخروف الساكنة فأطلقوا عليه اسم
 كاباندرا Kabandera وتعني صائد الطيور . وكثير من
 الكلمات بلغة الأوفامبو تشبه الكلمة بلغة الدامارا شيها كبيرا
 فعلى سبيل المثال فان جملة (أحضر النار) بلغة الدامارا هي
 (ات أميوريرو et Omiorio) وبلغة الأوفامبو هي
 (الا أوميوليلو ella Omuliloo) .

وطريقة الأوفامبو في اقامة المعسكرات طريقة مميزة
 فهم لا ينامون الى جوار كتل خشبية محترقة وانما هم يجمعون
 من السهل أحجارا الواحدة منها بحجم الطا بوقة (حجر البناء
 الصغير) ، ويوقدون نيرانا تتخذ شكل صفوف ثلاثة أو صفين ،
 وفي كل صف خمس نيران تقريبا ، ويضعون الأحجار حول
 كل نار من هذه النيران بحيث تشكل هذه الأحجار دائرة
 قطرها قدمان لتمنع الرماد المتطاير وتمنع الجمرات من
 الخروج بعيدا عن النار ، ثم ينامون ويستغرقون في النوم
 بين صفوف النيران هذه ، وهم ينظمون معسكرهم بانضباط
 شديد ، وتعتبر خطتهم هذه خطة جيدة في مناطق تتوافر فيها
 فروع الأشجار والشجيرات ، لكن لا تتوافر الكتل الخشبية
 الضخمة ، وإذا ما انطفأت النيران بعد منتصف الليل ظلت
 الأحجار ساخنة تشع حرارة في الوقت الذي يكونون فيه
 مستغرقين في النوم . وقد قمنا نحن بالتصرف كما يتصرف
 الدامارا فأشعلنا نارا هائلة ونمنا في الجهة المقابلة لها لأننا

كنّا نمتلك قدرا كبيرا من خشب الوقود • ولم أكن أنا أميل للنوم بين نارين لأن الدخان يضايقني ولخطورة الشرارة، فقد احترق أكثر من نصف فراش هانز Hans ذات ليلة وهو نائم ، وقد حمته بعض جلود الخراف التي كان يطرحها فوقه من أن يصبح عرضة للشواء ، كما أنقذت وعاء البارود الخاص به • وعندما تصبح كتلة الخشب نصف محترقة فإنها تنثر رمادها حولها ، فتحمله الرياح لمسافة •

الدامارا لا يتناولون الملح :

وعند الأوفامبو قدور صغيرة يطبخون فيها ، وهم يأكلون القمح (أو الذرة) بعد غليه في الماء ، وهم يأكلون أيضا بعض الملح وهو مالا يفعله الدامارا في أى مناسبة . (تناول الملح) • والحق أن الدامارا لا يستطيعون امتلاكه فليس في أراضي بلادهم ملح • وثمة ينابيع ملحية في المناطق الدنيا من بلاد السواكوب Swakop وقد وجدنا هذه الينابيع بعد مغادرتنا شيمانزودورف Scheppmandsdorf وثمة أحواض ملحية كبيرة وجدناها بعد ذلك في بلاد الأوفامبو لكن شيئا كهذا لا يوجد في بلاد الدامارا • وفي أوروبا يفترض أن الملح ضروري للحياة ، لكننا لم نجد الأمر كذلك هنا ، فذات مرة ركبت مع أندرسون وثلاثة رجال آخرين في رحلة استغرقت ستة أسابيع ولم نستخدم الا علبة ملح واحدة ، وكانت هذه العلبة هي كل ما استخدمناه جميعا من ملح طوال هذه المدة ، ولم نكن نتناول سوى اللحم والقهوة ، وحتى هذه الأخيرة لم يكن تناولها بوفرة أمرا ضروريا وكان من الممكن الاستغناء عنها في أى وقت دون أسف • ويستخدم الناماكوا الملح بين الحين والحين لكنهم لا يخزنونه • ولا شك أن هؤلاء الناس الذين يعتمدون في غذائهم على اللحوم والألبان في

غذائهم يحتاجون ملح أقل من أولئك الذين يعتمدون على الخضروات ، لكن نصف الدامارا يعيشون ببساطة على ثمار الجوز Pif-nut ولا شك أنه طعام غير مغذ ، كما أنه عسر الهضم ، ولا بد أن يتناول المرء منه كميات كبيرة حتى يقيم أود حياته . والهورنتوت بالقرب من خليج ويلفس Walfisch nera gourd والذين يعيشون في الغالب على القرع (اليقطين) لا يفكرون في جمع الملح مع أن البحر أمامهم ، والملاحات (الآحواض الملحية) من خلفهم ، وهو الأمر الذي كانوا سيفعلونه لو عرفوا أن الأوربيين في شوق شديد إليه ، والحقيقة الأخيرة التي يتعين على ذكرها فيما يتعلق بالملح أن الحيوانات في سواكوب Swakop لا تتردد كثيرا على الصخور الملحية للعقها كما يحدث في أمريكا ، وقد زرت هذه الصخور الملحية (أدنى أوسوب Oosop) عندما كانت المنطقة حولها عامرة بالطرائد ، وكانت آثار الأقدام توضح أنه مضى عليها شهر ، ولم تكن هناك آثار تشير إلى تقادم الحيوانات إلى الصخور الملحية التي يتراوح ارتفاعها بين قدم وعشرين قدما فوق الأرض ، في موضع به نبع ملحي يقطر فوقها ...

والأوفامو قوم اجتماعيون وهادئون ، ويبعدون وهم يصدرون الأصوات بصوت خفيض وأحيانا بعد أن ينتحوا بمن يأمرونه جانبا .

القدرة على العد :

وهم يستطيعون العد فهم قد شرحوا لي مرة عدد زوجات نانجورو Nangoro مستخدمين أصابعهم بسرعة لتبيان العدد ، كما أنهم قاموا بعد ثرائني بالسرعة نفسها التي كنت

ساعدتها بها . وفى اليوم التالى عدنا معهم ، وفى الغد وصلت
لمقرى my werft ، ثم تفرق التجار الأوفامبو الى مجموعات
وذهبوا للمقايضة . ولم يتخلف منهم الا القائد شيك Chik
حيث كان يتلقى ثورا يرسلونه اليه بين الحين والحين .
وقضى شيك معظم وقته معى وأخبرنى بقدر كبير من
المعلومات عن الأوفامبو والنانجورو . ووجدنا أن الأمر قد
يتطلب أسبوعين للوصول هناك ، لقد أصبحت ثيرانى نحيلة
جدا فقد عطلنا الأفامبو ، وقد كانت الحشائش فى هذا
الجانب من الأومورامبا Omoramba من نوع مختلف وتأثرت
خرافى بشكل محزن بسبب تغير نوعية الطعام ، فأصبح ذيل
(لية) الواحد منها كالحبل ، بعد أن كان سميئا عامرا بالدهن ،
ولم يكن ثمة طرائد حولنا لاصطيادها . . .



٢ مايو :

لقد أصبحنا نحن والأوفامبو مستعدين ، فانطلقنا
ووصلنا فى غضون ساعتين الى موضع الالتقاء العام ، وكنت
مندehشا لرؤية القافلة التى ستضمنا وطريقة تشكيلها ،
ووصف هذه القافلة يعطينا فكرة عن البضائع وكمياتها ،
وطرق المواصلات الى الشمال من بلاد الدامارا . ويشهد هذا
الطريق أربع قوافل من هذا النوع سنويا ، اثنان منها الى مقر
شابوبا Chapupa واثنان من الأوفامبو وبلاد الدامارا ،
وهاتان القافلتان تتخذان طريقا قريبا من البحر فى بعض
الأحيان ، وقد أخبرنى كاهيكنى Kahekené عن هاتين
القافلتين ، وسمعت كثيرا من التفاصيل عنهما .

لقد كان لدينا خمسة عشر ثورا من ثيران الركوب والتحميل وثمانية للذبح ، وبقرتان وعجل صغير وثلاثون خروفا وثلاثة من الماعز ، كانت الماعز مفيدة جدا لاستخدام جلودها فى رتق ما ثقب من أوعيتنا الجلدية كما أنها مفيدة فى عمل القرب (الأوعية الجلدية) ، وهى لا تحسن الرحلة (السير مسافات طويلة) كالخراف .

وأقمنا معسكرنا - كما هو معتاد - ليلا ، وتركنا الثيران ترعى حولنا ، وكنا لا نتوقع وقوع أحداث ، لكن الدامارا الذين كانوا يتجولون بين الأشجار لمحوا - لحسن الحظ - أسدا كان يقترب من واحد من ثيران الركوب الخاصة بى ، وكان غير بعيد عنه ، وقد رحل الأسد بالطبع - كما هى عادة الأسود - عندما تم اكتشافه وهو يتربص تربصا شريرا ، وكنا نسمعه طوال الليل وهو يزار بغضب ، وزئير الأسد وهو يجول حزينا بعد أن فشل فى الصيد ذو لحن حزين كما أنه صوت غير موسيقى ، لكننى لم أسمعه أبدا يعبر عن غضبه فى معرض الوحوش بانجلترا ، فقد كان زئيره صوتا جديدا تماما بالنسبة لى . ولم أكن أدري انه صوت أسد حتى أخبرونى بذلك . وصيحة الحمار الوحشى أيضا ذات طابع خاص فصوتها من بعيد أقرب ما يكون الى صوت اليمامة منه الى أى صوت آخر roocoo-Cooing of a dove وأنشأنا حظيرة (كراال) وأدخلنا فيها الثيران ليلا ، واتخذت قرارا بأن أنقل ذلك (أقيم حظيرة) للثيران كل ليلة حتى أتخلص من القلق .

المرأة نافعة :

لقد كان معى خمسة من الدامارا وأربع زوجات . النساء مفيدات جدا ، فهن يحملن أشياء الرجال ، ويشيدن أكواخهم ،

ويطبخن طعامهم ، وبذلك يتركن الرجال غير مرتبطين بعمل من هذه الأعمال الآنف ذكرها فيجرون ويركبون الثيران ويفعلون كل ما نطلبه منهم . وليس لدى المرأة من الدامارا كثيرا ما يستوجب الشكوى ، فهن رفيقات ذوات قيمة ، والواحدة منهن يمكنها تطليق نفسها كما تريد غالبا ، ونتيجة ذلك فان قاعدة الزواج لا تعتمد على العنف ولا على المصلحة وانما على العاطفة والشعور ، ولا تكلف المرأة الرجل الداماري شيئا فهي التي تجمع جوزها her own pignut ، بل انها تستخدم استخداما ايجابيا فهي التي تشيد الكوخ وتطهى الوجبات ، وتحمل أشياء الرجل ان انتقل من مكان الى مكان . ونادرا ما يضرب الرجل الداماري زوجته ضربا مبرحا ، فاذا ما فعل غادرته وذهبت . وكان توقير الرجال للزوجات على هذا النحو بشكل صعوبة كبيرة أمامنا لاقرار النظام فقد اردت كثيرا معاقبة سيدات (زوجات) من مجموعتي ففشلت في حث أزواجهن على جلدهن من أجل خاطري ، وبطبيعة الحال فقد كان لدى من الحكمة قدرا يمنعني من جلدهن بنفسى واصدار الأوامر - لغير أزواجهن - بجلدهن .

المرأة لا تحفظ السر :

لقد كدن يقتلننى بسبب كثرة كلامهن (ثرثرتهن) الذى لا ينتهى ، لكن دعنى أعترف أن شخصياتهن فيها كثير من الجوانب الطيبة ، فهن صبورات تماما ، رغم أنهن غير ممتلئات أنوثة بمفهوم الأنوثة الذى نعرفه ، وليس لديهن عواطف جياشة (غير مغناجات) (★) لأزواجهن وغير

(★) ما بين القوسين توضيح من المترجم - (المترجم) .

عطوفات بالنسبة لأطفالهن ، وفي الحقيقة فان الزوج - في الغالب - ما كان يتغير كل أسبوع (أى تهجره زوجته الى زوج آخر) ونادرا ما كنت أعرف من هو زوج السيدة ما لم أسأل . واحدى الفوائد الجليلة للنساء فى مجموعتى أنهن يكشفن أى خطة أو أى سر يريد أهل البلاد الذين أقيم معهم أن يكتموها . وقد دلت التجربة على حقيقتين : الأولى أن المرأة تبتهج بإفشاء سر أى شخص للشخص الآخر ، والثانية أن الزوج والزوجة يتبادلان كل ما يعرفانه من أسرار ، ومن هنا فان النسوة المتزوجات فى مجموعتى كن بمجرد اقترابى من مقرهن ، سرعان ما يخرجن كل الأسرار المتعلقة بالسكان الذين أفضوا بها الى زوجاتهم .

لقد كان هذا أسلوبا فى التجسس أثبت فعاليته . وقد أثرت بعض الصعوبات متعلقة بالاشاعات التى تثيرها النساء فى أوكامابوتى Okamabuti ، وقد تصرف شك Chik ازاعها بكياسة . فقد أخبر رجلى كمبانيا Kambanya زوجته أن الأوفامبو يخططون لسرقتى وقتلى بمجرد وصولي لبلادهم ، فقامت زوجة كمبانيا بإخبار الزوجات الأخريات، اللاتى قمن بإخبار أزواجهن ، وتضخمت الحكاية بتداولها بين عدد كبير من الناس ، وأضيفت اليها تفاصيل كثيرة ، ولأننى لم أكن أعرف أصل الحكاية فقد استدعيت شك Chick لأسأله عما سمعت فأكد براءته من هذا الأمر ، فقلت له ان عليه أن يبحث الأمر ويتقصاه ان كان يريد تبرئة نفسه ، ففعل ذلك بطريقة فيها اقتدار ، وتتبع كل الخيوط حتى وصل الى رجلى الشمس كامبانيا Kambanya الذى ابتدع (فبرك) هذه القصة ليحثنى على العودة وعدم الذهاب الى بلاد الأوفامبو ، ومن ثم فقد تم جلد كامبانيا ، وزادت صداقتى توثقا بشيك Chik .

٢٣ مايو :

واصلنا مسيرنا راكبين لمدة ست ساعات حتى وصلنا لموضع اللقاء الثاني (أوتوى Ootui) وهناك وجدنا كل الأوفامبو في معسكرهم ، كما وجدت جماعات من الدامارا متناثرين تحت الأشجار ، وعندما كنا راحلين في اليوم التالي أحصيت القافلة فوجدت فيها ستا وثمانين امرأة دamarية ، نصفهن تقريبا يحملن أطفالا فوق ظهورهن ، وعشرة رجال من الدامارا أيضا . وكانت مجموعتنا تتكون من أربعة عشر ، ومجموعة الأوفامبو من أربعة وعشرين ، وبذلك يكون المجموع ١٧٠ نفسا ، وكان في القافلة ٢٠٦ زعوس ماشية من ذوات القرون . ثلاثة أرباعها أبقار أو عجول أبقار .

وتفرقت نساء القافلة وعددهم ست وثمانون في مجالات مختلفة ، فبعضهن ذهبن للعمل في أرض الأوفامبو ، وبعضهن ليحصلن على أزواج ، وبعضهن ليبعن المشد (الكورسيه) النسوى المصنوع من قشور بيض النعام . وكان شيك Chik . يعتقد أن القافلة في هذا الوقت أكثر عددا من المعتاد بقليل . . . يمكننا إذن أن نقول أن صادرات الدامارا من الثيران للمناطق الواقعة الى الشمال منهم تبلغ حوالى ٨٠٠ ثور سنويا وعلى سبيل المبادلة بالأسلحة والأشياء التى تتخذ للزينة من الناماكوا والمراكز الارسالية الى الجنوب ، وليس لدى الدامارا اتصالات أخرى فالأراضى الواسعة تفصلهم عن أمم الشرق والشاطئ الرملى يحدهم من الغرب .

٢٤ مايو

بوصلنا الى أوتشيكانجو Otchikango وتعنى نبع القرد baboon-gountain ، مررنا بنبع دائرى لافت للنظر

فى وسط أرض من حجر طباشيرى • لقد كانت تشبه الدلو
تماما ، قطره تسعون قدما وعمقه ثلاثون قدما ، ويطلق عليه
السكان اسم أوروجو Orugo وجدرانہ قائمة ، وقاعه
مسطح وفى وسطه بئر صغيرة يمكن للمرء أن يزحف اليها ،
كل الأرض الى الأعلى من الحجر الكلسى ويرى المرء آبارا
أخرى جافة تشبه الأوروجو لكنها أصغر ، وثمة ثقوب
وتجويفات أخرى تشبه علبه الكبريت الدائرية
baboon-fountain ، وبعضها أكبر يبلغ قطرها قدما ، وفى هذه
التجويفات تنمو الأشجار (الصغيرة) فتبدو وكأنها أطباق
زهور ، أما التجويفات العميقة المكشوفة فهي بمثابة شراك
خطرة يمكن أن يسقط فيها الإنسان والحيوان ، انه منظر
مدهش وقد أخبرنى السيد أوزولى Oswell أنه رأى شيئا
كهذا قرب بحيرة نجامى •

٢٥ مايو :

غادرت أوتشيكانجو (والكلمة تعنى نبع القروء)
للمرة الثالثة ، وظللنا فى حالة ترحال طوال النهار وحتى
الساعة الرابعة عصرا ، ومررنا بمنطقة وعرة كثيرة أشواكها
لا تستطيع العربات اجتيازها فكان علينا أن نمر فوق سلسلة
من التلال المنخفضة • وكانت إقامة المعسكر ليلا ، وكذلك
قضاء الليل فى هذه المواضع أمرا ممتعا ، فأينما يولى المرء
وجهه يجد نيرانا مشتعلة للتدفئة والطبخ ، وكنا جميعا فى
روح معنوية عالية ، وراح الأوفامبو يغنون غناء جميلا ••

٢٦ مايو :

وصلنا موضعا يسمى أوتشيكوتو Otchikoto يشبه
دلو عميقا تماما مثل أوروجو Orujo الذى ذكرته آنفا ،

لكنه أوسع وأكبر اذ يبلغ قطره ٤٠٠ قدم ، لقد شكل صفحة مياه تربض تحت أقدامنا عميقة غائرة .. انها بركة جبلية قابلناها فجأة وعلى غير توقع ، وقد سبرت غورها وانحدارها الى عمق يزيد على ١٨٠ قدما .. وكان هذا هو العمق نفسه على بعد خمس أقدام أو ست من محيطها (شواطئها المحيطة بها) ، ويمكن الوصول للماء بأن يسلك الماء واحدا من طريقين ضيقين غير ممهدين ، لا يصلحان الا للسير على الأقدام (أى لا يمكن للعربات أن تصل عن طريق واحد منهما) وقد سحبنا الثيران الى نهاية أحد هذين الممرين لتشرب من الحوض الذى راح الرجال يملأونه بنزح الماء من هذه البحيرة . وكان فى ماء البحيرة سمك صغير .. مذهش ! كيف وصل السمك الى هناك ؟! وقد قيل لى ان السمك يوجد أيضا فى نبع أوتجرونجيوبا Otjironjiube لكننى لم أر ذلك بعينى .

عفريت النبع :

وثمة خرافات لا تنتهى عن أوتشييكوتو Otchikoto رئيس البحيرة (عفريت البحيرة) الذى قضى بأن أى كائن حى ينزل الى البحيرة (البركة أو النبع) لا يمكنه الخروج منها ، وقد بددنا هذه الخرافة أمام أهل البلاد بأن خلعنا ملابسنا ورحنا نسبح فيها ، وراح كل أفراد القافلة يحملقون بدهشة ، يل ان البشمن الذين يعيشون بالقرب منها كانوا هم أيضا مندهشين وغير مصدقين ، وكان هؤلاء البشمن قد أتوا لتحية الأوفامبو الذين كانت علاقتهم طيبة معهم .

أسعر هذا ؟!

ورغم أن الأوفامبو يعيشون على ضفاف نهر كبير ،

الا أننا لم نر أحدا منهم يسبح أبدا ، ويبدو أن التماسيح فيه كثيرة مما يجعل الأهالي يخافون من السباحة فيه . لقد كانت علاقتنا مع شيك Chik طيبة حتى الآن بل وتوثقت صداقتنا ، لكنه بدأ يتشكك بعض الشيء فينا ، فقد بدت سباحتنا في أوتشيكوتو Otchikoto أمامه سحرا ، مما أفزعه . ومرة أخرى كان الدمارا التابعون لي يضايقون الأوفامبو بأننا أكثر نشاطا منهم ، وهي حقيقة قد يقبلها الأوفامبو لكنها الآن - بعد سباحتنا - أصبحت مؤكدة لا تحتاج لجدل ، وراحت النسوة الست والثمانون يغنين أغاني تشير لتفوقنا . لقد كانت احداهن وهي الكبيرة ترتجل الأغاني فتصيح (الأخريات مزغردات على هذا النحو : « تر * تر * ترى * ترى ... tirri-terri » ومن المؤكد أن ثقة الأوفامبو في أنفسهم قد جرححت . لقد سخر شيك Chik في بداية الأمر من بنادقنا . لقد رأى بنادق قبل ذلك في بنجويلا Benguela لكن لا بد أنها كانت غير جديرة بالاهتمام ومن الصعب حملها وتوجيهها ، لدرجة أنه سخر من مقارنتها بالسهم ، وعلى أية حال فانه شيئا فشيئا بدأ يخشى البنادق وما يمكن أن تسببه حقيقة .

الرهيبة :

لقد كانت هناك بطة تسبح في الماء غير بعيد ، ولم تكن تبعد أكثر من ستين ياردة ، وان بدت بعيدة جدا ، لأنها كانت الى الأدنى منا ، وقد أطلقت عليها بندقيتي بتصويب محكم ، وفي اليوم التالي كان أندرسون يطلق النار على بعض الطيور ، وقد أفزع شيك Chik جدا واعتراه الرعب حتى أنه لم يلتقط الطيور المتساقطة . وضجكنا كثيرا في

أوتشيكوكو • فقد كان هناك كهف مليء بالخفافيش والبوم
فسبحنا اليه واكتشفناه ، وكان المكان مليئا بالحمام واليمام ،
وبين الحين والحين كان صقر أبيض ينقض ، وصادقني القائد
البشمي (الزعيم البشمي) وتبادلنا الابتسامات والهدايا
الصغيرة •

٢٩ مايو :

لقد عثرنا على آثار حوافر ثيران ، وسار الى جوارى
نتجو Netjo العجوز وهو رب أسرة ، وكان سعيدا مرحا ،
وراح يشير الى كل ما يتعلق بالأوفامبو المجاورين • ومررنا
بنبع حوله قصب (بوص أو غاب) ومستنقعات سبخة وبعد
ذلك بساعة وصلنا الى أوموتشاماتوندا Omutchamatunda
وكان الموضع غاصا بالأوفامبو وقطعانهم • وتلقونا بكرم
بالغ وعينوا لنا شجرة نقيم معسكرنا تحتها • وقدم لنا
الأوفامبو زبدا لندهن به أجسامنا ، لكنه لأنه كان زبدا
نظيفا ، ولأنهم أعطونا أيضا قمحا فقد فضلت أن نأكله بدلا
من أن ندهن به أجسامنا • وكان هناك عدد قليل من الطرائد،
فأطلقنا بنادقنا على بعضها ، وقمنا باصطياد بعض البط
وطيور الحجل ، واستحممنا •

القمح لا ينمو هنا كما لا توجد نساء ، ان هذا المكان
— ببساطة — هو بمثابة زريبة (حظيرة) ، وهو بعيد عن
المناطق التي يزرع فيها الأوفامبو قمحهم •

٣٠ مايو :

الرب أوماكورو Omakuru :

ومررنا بقبر الرب أوماكورو ، فألقى الدامارا جميعا
الحجارة على النصب الذي يغطيه ، وراحوا يغنون تاتى —

كورول tati kurul (أيها الأب . . أيها الأب) ، ووصلنا
الى حوض ملحى كبير يقال له اتوشا Etosha . انه يلفت
النظر بكل الأحوال ، فجوانبه مجددة وغايبية ، وسطحه ناعم
وعليه طفح ، ويبلغ عرضه تسعة أميال ، لكن السراب
منعنى من تحديد طوله لكنه بالتأكيد يزيد على خمسة عشر
ميلا ، وقال شك Chik انه لا يمكن اجتيازه أبدا فى الموسم
المطير ، وأنه يصبح أقرب ما يكون البحيرة فى هذا الموسم
(الموسم المطير) ، ووصلنا أخيرا متأخرين فى المساء لمكان
التوقف التالى Werft عند الحد الجنوبي للمسطح الكبير
GrandFlat الذى يسمونه أوتشيهاكو - وا - موتينيا
Otchihako-Wa-Motinya الذى يبدو ممتدا كمصب نهر
ممشوشب لا أشجار به ، وان كانت تحفه الغابات .

مباراة فى الرماية :

ولم يستطع الأوفامبو هنا أن يصدقوا أن فى مقدورى
تحويل الأصوات الى رموز مكتوبة على الورق . فأقنعتهم
بكتابة أسماء عدد منهم ، ثم قرأتها عليهم . وقمت بتعليم
عدد قليل منهم ألف باء اللغة . . وأقمت مباراة فى الرماية ،
وكان هناك عدد كبير من البشمن البدائيين فى المنطقة ،
ولأن كل الأوفامبو يحملون سهاماً ، لذا فقد كان هناك
متبارون كثيرون . فوضعت فراء خروف كهف وكان بعداه
حوالى ثلاث أقدام وقدمين ، وجعلت الرجال على بعد ثمانين
خطوة منه . كانت الجائزة عبارة عن ترياكو . وتنافس
عشرون رجلاً ، أطلق كل منهم ستة أسهم ، ومن ثم فقد كان
هناك مائة وعشرون قذفة ، لكن لم يصب الهدف الا مرة
واحدة ، بينما طاشت القذفات الأخرى ، أما التصويب من
قرب (من خمس ياردات الى عشر) فقد كانت نسبة

الاصابات الصحيحة عالية • وكنت أقدم الجوائز على نحو متتابع للدامارا والبشمن والأوفامبو ، لكن المباراة كانت بائسة (غير جيدة) أسوأ بكثير من مباريات الرماية فى انجلترا • • وكنت تواقا لتجريب الرماية بالبندق ، فقد كان أندرسون قد أصاب نعامة فى بلاد الدامارا بطلقة جميلة منضبطة وكان الطائر (النعامة) يقف على بعد مائتين وثمانين ياردة منه ، وكانت بين نبات كثيف لكنه قصير ومع هذا فقد كان يخفى بدن النعامة ، بينما كان عنقها مشربيا عاليا فى ارتياح جسور • لقد سار أندرسون ببطم ، لكن الطائر انتبه ، وسرعان ما أصبحت الأرض أمام أندرسون مكشوفة ، ولم يكن يستطيع أن يقترب أكثر ، فصبوب الى أعلى الرقبة قاصدا أن تصيب الطلقة بدن النعامة ، ولكن الارتفاع كان عاليا (ارتفاع أندرسون عن مستوى الأرض) ، وثبت أن التصويب كان سليما فقد أصابت الطلقة رقبة النعامة اصابة قاتلة •

اقتراب أصعب المراحل :

وتم ارسال كاتوندوكو Katondoko ليخبر نانجورو Nangoro بقرب وصول القافلة ، وليحمل رسالة منى اليه • لقد اقتربت الآن أصعب مرحلة من مراحل رحلتنا ، لقد قطعنا تسع عشرة ساعة متواصلة من السفر الفعلى وعاملنا الثيران بقسوة رغم ضعفها لتناولها حشائش غير مفيدة أثناء الطريق ، وعبرنا المسطح (السهل) فى أربع ساعات وكنا ملتزمين بجانبه الشرقى المتطرف لأنه يتسع ناحية الغرب ويمتد معانقا الأفق •

الشجرة الأم :

وعلى بعد أربع ساعات من الحد الشمالى للسهل مررنا بشجرة ضخمة فخمة • انها الشجرة التى تمثل الأب والأم لكل

الدامارا the parent of all the Damaras ، وتوقفت القافلة لحظة وراح البدائيون يرقصون ببهجة ويدورون حولها . ونمنا بلا ماء ، وفي الصباح تأخرنا عن مواصلة الرحلة بعض الشيء ، ولكننا واصلنا الرحلة مع اشراق الصباح ، ومررنا في الساعة الحادية عشرة ببئر خاوية ، ومررنا بعدها ببئر أخرى لا تبعد عنها كثيرا . واندفعنا خلال أشجار شوكية بعد ذلك طوال الوقت ، وكدنا نفقد الثقة في أوندونجا Ondonga لكن فجأة اختفت الشجيرات الدغلية لنجد أمامنا حقول القمح الواسعة التابعة للأوفامبو ، ممتدة أمامنا صفراء متموجة كموج البحر . وتناثرت أمامنا أشجار النخيل بمختلف أحجامها ، بما لا نحصيه عددا ، والأشجار ذوات الأخشاب المفيدة تنمو بكثافة ، وثمة مساحات غير مزروعة تركت كمراع . لقد كان المنظر العام يوحي بأننا ازاء منطقة خصبة غاية في الخصوبة . لقد كانت بالنسبة لنا كأرض جوشن Goshen ، فحتى سائق عربتي بارد المزاج انفجر مندهشا ومبتهجا . وكان منزل نيتجو Netgo العجسوز هو أقرب المنازل ، ومن ثم فقد ادعى لنفسه الحق في استضافتي أولا . وكان لديه زوجتان أو ثلاث ، وعائلة كبيرة مدهشة قدمها لنا فردا فردا ، ثم صعد بي وباندرسون الى السطح وأطلعني على أجرانه ودقيقه وديوكه ودجاجاته ، أما الخنازير ، فقد اعتذر لنا عن عدم رؤيتها لأنه أرسلها بعيدا ، وأخيرا قدمت لنا السيدة نتجو الزوجة (رقم ١) طبقا من فطير ساخن وآنية لبن رائب فشرعنا في الأكل بنهم ، واحترقت أصابعنا ونحن نقطع الفطائر الساخنة لتكون لقما كبيرة ، ورحنا نغمسها في اللبن الرائب ونزدردها ازدرادا ثم ذهبنا الى منزل شيك chik الذي أجلسنا تحت شجرة

رائعة وأخذ دوايتنا لتكون في رعايته ، وأخبرنا أنه قد بقي لنا يوم كامل من الرحلة لنصل الى نانجورو Nangoro وأن الطريق من هنا الى أن نصل اليه ، كله حقول قمح كالتى نراها الآن .

لقد انتهى موسم الحصاد الآن لكن الأعواد لازالت قائمة ومن ثم سمح للماشية بالرعى فيها .

محصول كالدرة المصرى :

ولدى الأوفامبو نوعان من المحاصيل ، أحدهما يشبه الذرة المصرى ، والآخر نوع من القمح (الحبوب) جديد بالنسبة لى لكنه نوع - كما قيل لى من البادجيرا الهندية badjera ، له رأس أسطوانى مليء بحبوب داكنة . ورغم أن شجرته ليست أكبر من شجرة الذرة الا أن كيزانه تحمل حبوبا كثيرة : وهذان النوعان من (القمح) أو (الحبوب) تبلغ شجرة النوع منهما الطول نفسه الذى تبلغه شجرة النوع الآخر - حوالى ثمانى أقدام ، وعند الحصاد يميل الحاصلد الشجرة ويقطع رأسها فقط (يقطع الكيزان) . ولم تتناقص دهشتنا فى اليوم التالى من الوقرة الزراعية التى تنعم بها المنطقة . وقد أخبرنا شيك Chik بمعلومات وافرة عن خيازة المزارع وطريقة عزقها ، فعلى كل فلاح أن يدفع نسبة من التوباكو الذى يزرعه الى نانجورو Nangoro (التوباكو هو العملة الرئيسية المتداولة عند الأوفامبو) ، أما القمح (الذرة . الخ) فيمكن زراعته دون دفع نسبة منه ، ويتم عزق الحقول قبل أى موسم بذر ، وهم يزرعون اللوبياء والفاصولياء والبسلة لكنهم لا يعرفون الدورة الزراعية المنتظمة . والنخيل التى تنمو هنا من نوع النخيل نفسه الذى رأيته بالقرب من أومانبوندى Omanbondé

لكن ثمار النخيل ممتازة تماما مثل الدوم المصرى Egyptian doum ، بينما ثمار نخيل أومانبوندى مرة • أما الأشجار الأخرى التى رأيتها فكانت مثمرة • انها متناثرة فى المنطقة ، وكانت معظمها أشجارا ضخاما تماما كالأشجار الموجودة فى الحدائق الانجليزية • وكانت خضرتها شديدة وأوراقها كثيفة لذا فهى تمد الانسان بظل ظليل حقيقى وليس الأمر كذلك فى بلاد الدامارا حيث تسود الأشجار الشوكية بأوراقها القليلة الذابلة • أما الثمار فعلى نوعين - نوع لم أره بنفسى فلم يكن موسم اثماره قد حل ، ومن هذه الثمار نوع من الكرز ، على حد قول تمبو Timboo الذى اعترف ذات مرة بكل ما تنتجه منطقة ماسابا Masapa بالقرب من موفيزا Moviza فى بلاد الأوفامبو • أما النوع الآخر ففاكهة حمضية شديدة الحموضة ليست بعيدة الشبه عن التفاح فى شكلها ولونها ورائحتها وحجمها وان كان فى قلبها بذرة • وليس من شجرة منتصبه وسط زراعات القمح فى بلاد الأوفامبو •

فالأوندونجا Ondonga - وهى الكلمة الدالة على الأرض (★) - ذات منظر موحد (منظرها تقليدى) وأظن أن أيا من الغرباء لا يمكنه أن يشق طريقه فيها لأى مسافة • ولا أدري ما كنت سأفعل هنا لو أحضرت عرباتى فلم تكن بقادرين على قيادتها فى حقول الأوفامبو ، فلن تكن الطرق أكثر من ممرات ضيقة بين الحقول وكنا مضطرين للالتزام بهذه الممرات وعدم الخروج عنها ، ولم يكن هناك حشائش الا قليلا ، وقد أبعد الأوفامبو ثيرانهم بعيدا عن الحقول فى زرائب (حظائر) ، أما الآن فانهم يعودون بقطعانهم من

(★) المقصود الأرض الزراعية كما سيتضح - (المترجم) •

الثيران فى أعداد صغيرة لياكلوا من خشاش الحقول بعد
الحصاد . وبالقرب من كل بيت يرى المرء خمس أبقار أو
ست وعدد من الماعز صغيرة حجمها وان كانت تدر قدرا
كبيرا من الحليب ، وتوفير المياه لهذا العدد مسألة شاقة جدا
لأن الآبار تحفر على عمق عشرين قدما أو ثلاثين فى تربة
رملية ، ثم يمضى وقت حتى يرشح الماء (ينز) ببطء ،
فتتوفر كمية تكفى بالكاد . فقد عانيت كثيرا فى توفير المياه
لقطيعى الصغير ، لكن شيك Chik قال انه لازال هناك
بعض الآبار لم ينضب ماؤها بعد ولكنها من ممتلكات نانجورو
Nangora وقد يسمح لثيرانى بالشرب منها ، ويتكالب
الأوفامبو محدثين جلبة وضجة حول الماء فاذا ما أردت أن
أسقى أيا من ثيرانى كان على أن أدفع ثمن هذا خرزا . وقد
كنت مسرورا بحسن النية وحرارة العاطفة التى تظهر
بوضوح بين الأوفامبو ، وقد كانوا كلهم ريانين ممتلئى
الاجسام واضح من مناظرهم أنهم يتناولون طعاما جيدا ،
حتى العميان منهم والذين بلغوا من العمر عتيا ، بينما يبدو
العميان وكبار السن فى بلاد الدامارا مخلوقات بائسة .
ونظر الناس بنجل الى لكن شيك Chik عبر لى - أثناء
الرحلة كلها - أننى يجب أن أبتعد عن كل الناس فى بلاده
حتى يقابلنى نانجورو Nangoro وأحظى بالقبول لديه ،
وعندها سيأتى الناس الى من كل حدب وصوب ويتلطفون
معى . وقد مدحنى شيك الى بعض من أخلص أصدقائه
وكانوا كرماء معى حقا فأوقفونا فى الطريق وقدموا لنا
الجنة (البيرة) والبقسماط (البسكويت) وغيرهما . ولم
تكن البيرة التى قدموها سيئة رغم أنها حلوة المذاق وغير
غليظة القوام ، وهى معمولة من خلاصة الحبوب والماء ،
وتستغرق يومين أو ثلاثة حتى تصبح صالحة للتناول . وهى

لا تسبب السكر الا اذا تجرع المرء منها كميات كبيرة ، لكن
كأسا أو كأسين منها تجعل الانسان يحس بالرغبة في
النعاس .

وقطعنا مراحل قصيرة ونمنا ليلة في بيت أحد أصدقاء
شيك الذي وضع ثيراننا في حظيرته ، وكنت متخوفا كثيرا من
أن تشرد ليلا فان حدث هذا فقد تسبب كل أنواع الدمار (؟) ،
وقد أحسست بالمرض بسبب الاعتماد على الغير في بلاد
الأوفامبو لأنني لم أعد سيد نفسي . لقد كان كل الناس
متحضرين وتمدنين لكنني لم أكن أستطيع أن أذهب أينما
شئت لقد انتابني شعور كالشعور الذي ينتاب البدائيين
(الأفريقيين) اذا ذهبوا لانجلترا . لقد كان معطفي الأحمر
مصدر بهجة للأولاد الصغار والبنات الصغيرات فراحوا
يجرون ورائي يغنون ويصيحون وهم فرحون سعادة . وقد
أثارت ثيران الركوب والتحميل اهتمام الأوفامبو فهم لم يروا
قبل ذلك ثيرانا تستخدم بهذه الطريقة فراحوا يتفحصون
بعناية الاخراج (جمع خرج) والسروج ، وطريقة وضعها .

ولكى أكون فكرة عن عدد السكان الأوفامبو ، أحصيت
عدد المساكن العائلية التي مررت بها ، فوجدت أننا
نمر على ثلاثين منها كل ساعة ونحن ركوب ، واستمر
الوضع على هذا النحو تقريبا طوال ثلاثة أميال ، على
أن يوضع في الاعتبار أن طبيعة المنطقة وأعداد النخيل
المتزايدة . . كل ذلك لا يمكنني من الرؤية الا في حدود الميل
ونصف الميل على كلا الجانبين ، وعلى هذا فان هذه الثلاثين
مزرعة - باعتبار كل مسكن عائلي يقع في وسط المزرعة -
ثلاثة أميال مربعة أو تسعة ، تضم كل مزرعة ما بين ثلاثين الى
أربعين نفسا ، وبذلك تكون الكثافة السكانية مائة نسمة في

الميل الرابع . ولا توجد مدن في الأوندونجا لقله Ondonga
عدد السكان قلة ظاهرة .

ومررنا أثناء رحلتنا بعدد قليل من الدامارا Damara
كانوا قد وصلوا مؤخرا من أومارورو Omeruru ليقدّموا
تعويضا (أو ترضية) الى نانجورو عن بعض السرقات التي
ارتكبها مواطنوهم ضد الأوفامبو . وتقابلنا بعد ذلك بمسافة
غير بعيدة بأربعة من الأوفابانجاري الذين كانوا قد قدموا
من ناحية النهر العظيم ، وقد كانوا خائفين ومتشككين ولم
يقم شيك Chik بالترجمة بينى وبينهم .

وأخيرا بدت تجمعات جميلة من الأشجار تظهر للعيان
وعندها قال شيك ان الأوامر الصادرة تقضى بتوقيفنا ، ولم
يكن المكان المسور الخاص بنجانبورو يبعد عنا أكثر من ربع
ميل . وقد أقمنا في موضعنا عند تجمعات الأشجار هذه
ما يشبه المعسكر . لقد نصبت خيمتى وأحطنا موضعنا بسروج
الخيول وغيرها من الدواب وبيعض الأفرع القليلة لكن
العشب والماء وخشب الوقود لم يكن أى منها متوفرا . وبعد
مجاهلات كثيرة ومنازعات لأجعل شيك Chik يحصل لنا
على إذن باستخدام بعض الآبار القريبة ، لكن كان علينا أن
ننتظر نصف يوم حتى ينفذ عنها مستخدموها . ولم أجد
مكانا أرسل فيه ثيرانى لترعى ، ولم يتعطف أحد بعرض أى
من الحقول التى تم حصاد زروعها لتأكل ثيرانى من خشاشها ،
ولم يكن شيك راغبا فى بذل جهد كبير لتحقيق طلباتنا . فقد
كان دائما يقول : « يجب أن تنتظر ، ننجارو سيأتى ويراك
غدا وبعد ذلك سيرتب كل الأمور بنفسه . » لكن ثيرانى
كانت جائعة وظمأنة . وكان أفراد الأوفامبو بعيدين عنا

لا يقتربون منا ، فقد كان شيك هو الشخص الوحيد الذى كان مسموحا لنا أن نتحدث معه ونتصل به . وكنا جميعا متضايقين غير مرتاحين ، ولم أكن أتوقع أن يشن الأوفامبو هجوما علينا لكننى أدركت أنهم حريصون على ترك ثيرانى فى حالة سيئة حتى لا أكون مستقلا تماما فى قراراتى .

ان أوندونجا Ondonga موضع يصعب جدا الخروج منه . حقيقة لقد كان يتعين على أن أكر راجعا بسرعة اذا حدث ما يستدعى ذلك ، ولم أكن أعلم الا بالكاد كيفية حدوث ذلك . بل لقد كنت متشككا فى حالة العودة . الاضطرابية مما اذا كنت سأهتدى الى بيت نيتجو Netjo فالمنطقة متشابهة الملامح كما سبق أن ذكرت ، كما أنها متموجة (أرضها غير مستوية) مما يحد من مدى الرؤية ، فالمرء لا يرى أكثر من ميل أو ميلين على امتداد بصره . وكانت هناك مشكلة الماء اذا لم نضل الطريق اليه بالقرب من بيت نتجو Netgo اذ ستبقى رحلة قوامها واحدة وعشرون ساعة منها ساعتان فى أندونجا Ondonga وتسعة عشر ساعة فى منطقة مسطحة وأخرى ذات أشجار شوكية ولا ماء فى كليهما ووجدت أن بعض الأوفامبو يتآمرون مع بعض الدامارا المكلفين بحراسة ثيرانى ، فقام أحدهم (من الدامارا) بأبعاد ثيرانى الى مكان قاحل بدلا من الذهاب بها الى حيث العشب ، وكنت قد صحبت هذا الشخص الدامارى معى من مقر شابوبا Chapupa ، لذا فقد اتخذت اجراء فعالا فجلدته على ظهره وكتفيه لدرجة أدهشت الأوفامبو ، وكان من نتائج هذا الجلد أن استقام الرجل وصلاح حاله .

٦ يونيو :

لم يصل نانجورو Nangoro لكنه أرسل لنا قليلا من الخبواب كهدية وطلب منا اطلاق بنادقنا ليعرف أى نوع من الأصوات يصدر عنها ، وكان لدينا قدر كبير من الذخيرة فسلينا أنفسنا باطلاق النار ، وكان عدد من الأوفامبو يراقبوننا من مسافة قريبة باهتمام بالغ .

٧ يونيو :

لقد بدت الثيران نحيلة جافة واعترانى الخوف أن تموت فساعتها سنطرح ما معنا ونعود سائرين على الأقدام ، وهو انهاك لا أستطيع احتمال تخيله الا قليلا . وعلى أية حال ، ففى منتصف النهار تقريبا أتى شيك ليخبرنى أن نانجورو fashion فى طريقه الى فاستعددت للقاءه . لقد كانت هناك جماعة من الرجال قادمة نحونا وفى وسط هذه المجموعة رجل كبير السن سمين ، لقد كان قصير النفس جدا . لقد كان هذا السمين العجوز هو الملك نفسه . لقد كان يتهادى فى مشيته وينظر بقسوة ، ووقف وسط رجاله يحدق فىنا ، وكان يتكىء على عصا نحيلة يبدو أنها رمز للملك (صولجان) ، ولم أكن أدري ما يجب أن أفعله أو أقوله فهو لم يلتفت الى انحناءتى الدالة مع الاحترام ، لذا فقد جلست وواصلت كتابة مذكراتى حتى يصفو العقل الملكى ، وبعد خمس دقائق أو ست سار نانجورو Nengoro وصدر عنه قباع كقباع الخنزير . (صوت الخنزير) يدل على رضائه واستحسانه ووضع عصاته (صولجانه) فى ضلوعى بطريقة دالة على المزاح والود ثم جلس . وأظن أنه كان يعرف لغة الدامارا بقدر كاف لكنه أصر على أن يقوم شيك بالترجمة

لى ، وتحيط بالملك حاشية صغيرة يلبسون ملابس جيدة وهم دائما محيطون به ملاصقون لرفقه ، ويضحكون بشدة عندما يقول ما يستوجب الضحك ، وينصتون بوقار واحترام اذا نطق بالحكمة ، وكل ذلك يتم ببساطة وبشكل طبيعى تماما .

وقدمت الى نانجورو Nangoro الأشياء التى أحضرتها له كهدايا واعتذرت له بشدة لأننى لم أحضر له ما هو أفضل .

والحق أن هداياى المبهرجة الملونة لم تلفت انتباه هؤلاء الناس الا قليلا ، فهم ينظرون للمبالغة فى التزيين *surround* النظرة نفسها التى ينظر بها الرجل الانجليزى . والسود والبيض سواء فى النظر للمودة Fashion وكان وضعى كرجل رحالة فى أوربا لم يكن يملك ما يدفع به حساب الفندق سوى صندوق مليء بالأصداف والأخفاف (جمع خف) الدامارية .

وكان على أن أقدم ما يساوى عشرة جنيهات خرزا من النوع المطلوب ، لكن نصف هذا القدر كان يمكن اعتباره هدية مناسبة وطيبة لنانجارو وتجعلنى محترما فى نظر شعبه كله ، ولأنه - أى نانجارو - كان لا يزال مقطب الجبين لأنه كان من غير المألوف بالنسبة لزعيم أفريقى أن تزوره وتمر فى بلاده دون دفع الاتاوة ، ففى هذا تجاوز للحد وإهدار لهيبته ، لذا فقد أصر على أن أهديه بقرة ، بالاضافة الى ثور وتجاوزنا أطراف حديث قصير ونظر الى بنادقنا وجعلنا نطلقها ، ثم تحدث قليلا وغادرنا وهو يقول انه أعطانا الحرية فى الاتجار مع شعبه . كما نريد ، وسرعان ما تزاحم حولنا الأوفامبو الذين شهدوا لقائى مع الملك فراحوا يضحكون ويتحدثون لكنهم كانوا حريصين ألا يلمسوا حاجياتنا كما كانوا حريصين على عدم ازعاجنا بأى شكل الأشكال . لقد كانوا سعداء ومرحين وكانت ملابسهم جيدة ويتحلون بقدر كبير من الخرز والحلقات ، ولم يكن الواحد

منهم يحمل معه شيئاً آخر سوى صندوق صغير يحتفظ فيه
 بخصلة شعر يستخدمها في دهن جسمه ونشر المساحيق عليه .
 وكانت السيدات ممثلّات أبدانهن ، ريانة صدورهن ، يدل
 منظرهن على انهن كادحات عاملات بشكل طيب . وكان
 شعر الواحدة منهن قصيرا من المقدمة لكنه طويل منتشر من
 الخلف على هيئة مروحة . كان منظرهن جميلا ووجوههن
 منبسطة سعيدة لكن ملامحهن أكثر خشونة وكانت الواحدة
 منهن تلمع من أعلاها الى أدناها بسبب ما دهنت به بدنّها من
 زبد وخضاب أحمر . لقد بدون مؤثرات على نحو مدهش فهن
 يقفن دائما في مجموعات وقد وضعت احداهن ذراعها على
 رقبة الأخرى . . . انهن يغنين طوال النهار ويتمايلن وفقا
 للنغمات وكن يخلبن لب من حضر معى الذين كانوا حساسين
 متجاوبين . وبدأت أشتري الحبوب والفاصوليا منهن فكانت
 الواحدة منهن تحضر سلالا صغيرة ممثلة لا تزيد سعة السلة
 منها غالبا عن حفنة من الحبوب ، وكن ندفع لقاء الحبوب
 خرضا . وكنت قد أحضرت معى قضيب حديد يبلغ سمكه
 نصف بوصة أما طوله فأربعة أقدام ، وقد اشتريت به مائة
 رطل من الحبوب . وكان تمبو Timboo هو أكثر المساومين
 نجاحا فقد جلس فى الوسط بين الخرز وحوله حوالى عشرين
 أو ثلاثين امرأة متزاحمات يردن بيع حبوبهن . وراح يثرثر
 ويتكلم بعظمة طوال النهار بلغة المساومين وطريقتهم لأنه
 كان قد التقط كلمات قليلة من لغة الأوفامبو الذين كانوا
 بدورهم يعرفون قليلا من لغة الدامارا .

الحفل الملكى الراقص :

وفى كل ليلة كان نانجورو Nangaro يعقد حفلا
 راقصا يحق لعلية القوم فى بلاد الأوفامبو حضوره دون

دعوة، وقد دعانى متفضلا - عن طريق تيبو Tippo وهو واحد من ثلاثة من رجال الحاشية كنا تحت حمايته . وبمجرد أن بدأ الليل حتى أقبل الضيوف من كل جانب ، ولأن المنطقة مليئة بالنخيل فان فردا من كل مجموعة كان يلتقط غصنا (جريدة) جافة ويوقد طرفها فتغدو كمشعل لقد أحدثت هذه المشاعل اضاءة رائعة ، وكان التأثير الذى تركته هذه المشاعل بضوئها المنبعث من كل جانب ، تأثيرا شاعريا ، وذهبت حوالى الساعة الثامنة الى الممشى الرملى بين سياج الأشجار التى تفضى الى الموضع المسور ، الخاص بفانجورو . دخلنا درنا لليمين فى صالة الرقص (حلبة الرقص) التى كانت بالفعل غاصة بالناس الذين راحوا يتحدثون ويتعابثون ويمزحون كما لو كانوا فى صالة رقص انجليزية .

وفى احدى الأركان كان هناك رجل يحمل جيتارا واهنا اوبانجو Bango وفى مواجهته من يدق على الطبله Tom-Tom بشدة . وكانت الرقصة الأولى استعراضا ملحوظا للبراعة ، وآكاد أقول للرشاقة والأناقة ، فقد أداها اثنا عشر رجلا أو أربعة عشر أما الآخرون فينظرون . واصطف الراقصون فى صفين ، ظهر كل راقص لظهر الراقص الآخر (اصطفوا فى صفين متدابين) ثم راحوا ينتقلون من صف لآخر (يتبادلون المواقع) بخطى سريعة رشيقة ، وبعيون حذرة يقظة ، وبين الحين والآخر يدور واحد من الراقصين فجأة ويوجه ركلة مربعة . . . وتبتدى المهارة فى تجنب الركلة وفى تسديدها وهذه الركلة ان أصابت كان لها قوة الركل بحافر الحمار . وقد لاحظت أن الثلاثة الذين يشكلون بطانة الملك يرقصون رقصا جيدا وناجحا للغاية . والحق أننى لم أكن أرغب أبدا أن أكون مظاهر التبو Tippo تحت أى ظرف

من الظروف (لم أكن أرغب أن يكون ظهري الى ظهره في
حلبة الرقص) . وراحت النسوة يصفقن للراقصين بحماس
شديد ، وبعد ذلك أتى الافتتاح (دخول الضيوف حلبة
الرقص) Promenade فدخلنا جميعا معا في حشد ثم
اصطفنا حول الحلبة في حلقات على صوت الطبله Tom-Tom
ورحنا تضرب الأرض بأقدامنا بايقاع منتظم ، أما الرقصة
الثالثة فأداها البشمن الذين كان لهم مقر كبير (قرية كبيرة
أو كرال كبير) الى جوار ساحة نانجورو Nangoro المسورة ،
وكانوا يقومون بدور الحراس الشخصيين له . لقد كانت هذه
الرقصة تنكرية فيها تمثيل صامت بالحركات Mimicry
سواء لخطوات الحيوانات أو غيرها ، وأخيرا كان هناك رقصة
عامة أنهت الأمسية ، ولم أر الا ثلاثين أو أربعين زوجة من
زوجات نانجورو Nangoro في هذا الحفل ، وكانت
الواحدة منهن تضع أساور نحاسية ليسهل تمييزهن عن نساء
العامة ، وأظن أن زوجاته الأخريات اللائي لم يحضرن الحفل
الراقص كن كبرات السن لا يستطعن الرقص .

تعويذة البصق في وجه الغريب :

ولقد واجهت مشكلة مع نانجورو ، لعدم تألفي مع عادة
أساسية من عادات الأوفامبو يتم ممارستها مع الداخل لبلادهم
للمرة الأولى ، اننى لم أحب هذه العادة رغم علمي بأهميتها .
فالسود جميعا وغالب البيض يؤمنون بالخرافات ، ويبدو
أن خوفا خاصا يعترئهم من غريب يقضى بسحره على
الشخص الذى يحدث أن يتناول الطعام معه . ولا أدري السبب
الذى يجعل وقت تناول الوجبة هو أنسب الأوقات لتحقيق
أثر السحر أو التعويذة ، وعلى هذا فانهم يعدون تعويذات
وأسحارا مضادة لتلك التى يمكن أن يقوم بها الغريب ،

وتتخذ هذه التعاويذ أشكالاً مختلفة ، ولما كان نانجورو شاباً
ابتكر لنفسه تعويذة مضادة لاستخدامه الخاص فقد كان
خياله خصباً ، وبطبيعة الحال فقد استخدمت حاشيته
التعويذة نفسها ، ثم أصبحت هي التعويذة المضادة في كل
بلاد الأوفامبو ، وكانت هذه التعويذة المضادة هي نفسها
التي اعترضت عليها * ومؤداها أن يجلس الغريب ويغمض
عينيه ويرفع رأسه للسماء ، ثم يقوم واحد من الأوفامبو
بوضع شيء من الماء في فمه (أى فم الأوفامبو) ويمضغ
الماء في فمه جيداً ثم يقف ويبصق الماء على وجه الغريب ،
وإذا ما تم تنفيذ هذا الطقس السحري مرة سارت الأمور بعد
ذلك يهدوء إلا أن هناك من جعلنى أميل إلى أن هذا الأمر —
كالتطعيم أو ندبة التلقيح — فى حاجة إلى تكراره بين الحين
والحين حتى لا يموت تأثير التطعيم الأول (فى حاجة إلى جرعة
منشطة) وقد استسلم نيتجو Netjo الفجوز لاعتراضاتى فى
اليوم الذى تناولت طعامى فى بيته ، وكذلك فعل شيك chik
عندما التقيت به للمرة الأولى ، وحل المشكلة بأن وضع قدراً
من الزبد بين عينى بدلاً من قذف الماء من فمه على وجهى *
لكن عقلية نانجورو لم تكن لتقبل هذا بسهولة وظل الشك
يملؤها ورغم أنه دعانى لشرب الجمعة (البيرة) فى قصره
إلا أنه دبر أن يكون خارج قصره عند وصول الجمعة ، وبدلاً
من أن يجلس هو نفسه ليشرّب معى جلس ثلاثة من أفراد
حاشيته بدلاً منه * .

ومخطط مساكن الأوفامبو معقد ، أما منزل نانجورو
فهو حقا متاهة (شبكة معقدة) بكل معنى الكلمة ولم أستطع
أبداً أن أجد طريقى حوله ، فثمة جدران (أسوار) يتراوح
ارتفاعها بين ثمانى أقدام وتسع ، أما الأعمدة المستخدمة

مربعة ومنعمة ، ومتماسكة جيدا (مصفوفة بعضها الى جوار بعض) الا فى بعض المواضع هنا وهناك حيث تترك بعض الفراغات حتى يتمكن القاذف من اطلاق سهم عبر هذه الفراغات الى خارج السكن ، وثمة موضع يتخذ شكل دائرة غير منتظمة يصل قطرها الى مائة ياردة وهى مسورة وليس لها الا مدخل واحد ، ويؤدى الى هذا المدخل ممر مزدوج وهو ممر تحده وتحده صفوف الأشجار ، وثمة ساحة دائرية خارجية مسورة أيضا يخرج من أحد جوانبها ممر يؤدى الى حظيرة الماشية ، وممر آخر يؤدى الى ساحة الرقص وممر ثالث يؤدى الى غرف نانجورو ، وممر رابع يؤدى الى أجران الغلال وممر خامس يؤدى الى مكان درس الغلال وممر سادس يؤدى الى غرف الزوجات ، وممرات أخرى تؤدى الى مقر إقامة ثلاثة من أفراد الحاشية ، وقد حاولت أن أرسم مخططا سريعا للمكان لكن عقلتى لم يستوعبه جيدا .

وقد أتى نانجورو الى معسكرى ذات صباح ليتبادل معى الأحاديث وليرى البندقية أثناء اطلاقها ، وتحدثنا عن البلاد الواقعة الى الشمال من بلاده وعن النهر العظيم الذى يمكن الوصول اليه بسفر سهل لا يستغرق أكثر من أربعة أيام أو خمسة لكنه لم يعرض تقديم مساعدة اذا فكرت فى الوصول الى هذا النهر ، وأخبرنى أن التجار (وهو يقصد البرتغاليين) الذين وصلوا الى هذا النهر لم يعبروه أبدا لكن أفراد شعبه ذهبوا الى هناك معهم (مع البرتغاليين) وساعدتهم الأوفابانجارى Ovapangari فى عبوره .

ولم يكن نانجورو Nangoro ممن يسهل الحديث معهم ، فقد عانيت كثيرا فى استخلاص الاجابات عن أسئلتى ولم يكن شيك Chik حاضرا لسبب أو لآخر . وكان موضوع الثيران

- دائما - موضوعا حساسا ومؤلما ، فلم يعطنى نانجورو حق استخدام الحقول التى تم حصادها لتأكل ثيرانى من خشاشها ، كما لم يعطنى الحق فى أن أسقى ثيرانى من الآبار قبل أن تشرب ثيرانه ، وكان من نتيجة ذلك أن كانت ثيرانى تظل بدون شرب حتى الظهر تقريبا ، ثم اننى كنت أذهب بها الى أرض قاحلة على بعد ميلين أو ثلاثة ولم يكن بها من العشب الا بمقدار ما يكون فى حديقة جرينتش Greenwich فى فصل الصيف . وكانت الثيران تعود كل يوم مساء وقد غدت أشد نحولا مما كانت عليه فى اليوم السابق . لقد أصبحت الآن فى حال يرثى لها ، لقد أصبحت ضعيفة حقا . . . وكان على أن أفهم منذ البداية أننى لن أستطيع العودة ولن أستطيع مواصلة الرحلة بدون اذن نانجورو ، لذا فقد كنا دائما فى حالة قلقه .



لقد تقلصت ممتلكاتى من المواد التى أستطيع مبادلتها الى حفقات قليلة من الخرز ، ولم أكن أستطيع البقاء فى المنطقة فترة أطول ، ولا يستطيع المرء أن يسافر هنا دون أن يكون لديه ما يبادل به ، تماما كما أن المرء لا يستطيع السفر فى انجلترا دون مال ، لذا فقد أصررت على أن يسمح لنا بمغادرة أوندونجا Ondonga فى الوقت الذى كانت فيه ماشيتى على وشك الموت وكانت مؤنى على وشك النفاد ولا أستطيع البقاء أكثر من هذا ، وتوسلت بشدة لأحصل على دليل يصحبنى لأصل الى النهر أو الى أى مكان أجده فيه المرعى والطرائد .

١٣ يونيو :

أرسل لي فانجورو أمرا : « هذا اليوم يمكنك أن تبيع
وتشتري ، وفي اليوم التالي يجب أن أذهب اليه لأستأذنه في
المغادرة ، وفي اليوم الثالث لابد أن أكر عائدا الى بلاد
الدامارا » .

رحلة

شارلز أندرسون

CHARLES ANDERSON

نهر أوكافانجو

ولد شارلز أندرسون في السويد سنة ١٨٢٧ م ، من والد انجليزي
وام سويدية . ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره عبر الى انجلترا
وباع مجموعة من الطيور والحيوانات والجلود . وأوصى فرانسيس
جالتون Francis Galton بأن يصحبه شارلز أندرسون في
رحلته لكشف نهر أوكافانجو . وبينما كان ينتظر وصول السفينة
في خليج ويلفز Walvis اتجه مع جالتون صوب الشرق لمبادلة ما
معه من بضائع بالعاج ، وربما أيضا للتعرف على الطريق الى
بحيرة نجامي Ngemi . فتركا عربتهما عند نبع مياه القيل
Elephant Fountain وتابعا طريقهما ومعهما مجموعة من
الثيران الى تونوبيس Tounobis ؛ وكان عليهما بعد ذلك
أن يعودا . وقرر أندرسون أن يمكث في جنوب غرب افريقيا واقام
هناك كتاجر وساعده جالتون بكرم وغير أندرسون العربات واقتنى
قطيعا من الماشية قاده الى مدينة الرأس Cape Town .
واشتري المؤن المطلوبة وعاد بحرا الى خليج ويلفز Walvis
واندفع متجاوزا تونيبز Tounbis ومعه قطيع ماشية وفي
سنة ١٨٥٢ م وصل الى بحيرة نجامي Ngami . وزار السويد
وانجلترا حيث نشر عمله عن بحيرة نجامي لكنه سرعان ما عاد
لجنوب افريقيا وادار هنجم نحاس الى الشمال من رهيبيوت Reheboth
وساعد بعض المستكشفين في رحلتهم الخطرة الى بلاد الأوفامبو
Ovamboland وليدقه عن نفسه مارس صيد الليلة وكشف
منطقة كونين Kunene . وليتجنب جماعات الأوفامبو
Ovambos واصل رحلته عبر كوكو فيلد (مروج الكوكو)

وفضل المرشدون في الوصول الى ينابيع اوكوهور (Kaokoreld)
Okohokanna فاضطر للعودة ، واصر بحسم على الوصول الى
كونين Kunene بالمرور الى الشرق من اوفامبو ، وبدا رحلته
مستخدما طريق اومانبوندي Omanbonde . والنص التالي من كتاب
الدرسون المعنون : نهر اوكوفانجو Okovango المنشور في
لندن سنة ١٨٦١ (الناشر Hurst & Blackett)



٠٠ في ليلة ١٩ سبتمبر سنة ١٨٥٧م التي كان يجلبها
قمر ساطع رائع اتخذت موقعي وحيدا - كما هي العادة
في واد شديد انحداره ، ضحلة ميساهه ، حيث يمكنني أن
ألقى نظرة شاملة على مناطق الأومانبوندي Omanbondé
وفي حوالي الساعة الحادية عشرة اقترب قطيع من الأفيال
ولما كان الفيل القائد على وشك عبور الوادي الذي أقف به
أطلقت النار فأصابته الطلقة في الجزء الأمامي من الكتف،
وظننت أنني قتلتة بالتأكيد ، الا أنه بدأ يئن بصوت خفيض
ودار فجأة واندفع بشكل مربع محطما كل ما يعوق هروبه .

وأصبح كل شيء هادئا الآن ، وبعد أن انتظرت بصبر
وقتا طويلا آملا في ظهور بعض الطرائد ، اعترائني الملل
من جراء المراقبة غير المجدية ، فاتخذت طريق العودة لمعسكري،
وعلى أية حال ، فما كدت أخطو عدة خطوات حتى لمحت
- بسرور بالغ - حيوانين من الكركدن الأسود (وحيدى قرن)
يسيران بمهل على حافة الوادي السبخ من الناحية الأخرى ،
فأنزلت عيائتي وبنديتي الاضافية عن كاهلي وانطرحت
أرضا وبدأت أزحف نحو طريديتي التي لم تكن في الحسبان ،
وكانت المنطقة - لسوء الحظ - لا تقدم لي أدنى سياتر أو
غطاء ولا حتى مجموعة حشائش طويلة وكان الوقوف في

هذه الحال مصدر خطر ، وتقدمت زهاء عشرين خطوة عندما رأيت حيوانى وحيد القرن يستديران فجأة مبتعدين عن المياه ويتجهان مباشرة نحوى ، وقد سبب لى ذلك رعبا شديدا واحساسا بالخطر حتى أن الفكرة الأولى التى راودتنى هى أن أجرى وأولى هاربا ، لكننى - بعد تمنع - قررت أن أثبت وأنتظر اقترابهما ، فلما اقتربا وأصبحا على بعد حوالى ستين ياردة منى توقفا فجأة وحملقا بشك فيما أمامهما من أشياء داكنة ولم يسفر بحثهما عما يبعث فيهما الاطمئنان تماما ، فراحا يدمدمان ويهزان رأسيهما الثقيلين الى أعلى وتراجعا للخلف خطوة أو خطوتين كما لو كانا قد بدءا يستعدان للهجوم : فلما رأيت ذلك قررت أن أكون المسارع وأن أبدأ فى مهاجمة خصمى هذين فأطلقت قذيفتى فأصابته الهدف * لقد انحرف الحيوان الذى تلقى الطلقة الى اليمين قليلا ثم اندفع بوحشية للامام يتبعه الحيوان الآخر ، وشعرت بالاعتناء أن أحد الحيوانين قد جرح جرحا خطيرا - ان لم يكن مميتا ، وأعدت تعمير بندقيتى وتبعتهما مستعينا بما يصدر عنهما من أصوات أثناء تقدمهما * وما هى الا دقائق حتى وصلت لهما * لقد وقفا بسكون تام وكأنهما يتنصتان ، لكن عندما حاولت الزحف فى اتجاههما تقدم نحوى وحيد القرن الذى فى المؤخرة (الواقف خلف زميله) بشكل مرعب وكنت سعيدا أننى أنقذت نفسى بالفرار سريعا ، ومع ذلك فاننى متأكد أن الحيوان المصاب قد أضحى عاجزا عن الحركة تماما ، وأنه يمكننى أن أجهز عليه تماما فى صباح اليوم التالى .

وعلى هذا فقد بدأت فى الصباح الباكر بمجرد توفر الضوء الكافى الذى يتيح البحث عن طريدى بأمان فى

اصطحاب تابعي Damera (كوزنجو Kozengo) ورجل آخر هو شوكورو Chookoroo ليحمل بندقيتي الاحتياطية . وبعد أن سرنا مسافة قصيرة وصلنا للبقعة التي تركت فيها وحيد القرن في الليلة السابقة . برك من الدماء كانت تدلنا على تقدم الحيوان الذي أصيب في رجله اليمنى الخلفية اصابة بالغة ، ولأنني أعلم مدى الشراسة التي يكون عليها وحيد القرن الجريح فقد حذرت رفيقي بشدة ، ونبهت أن يحرساني ويحرسا نفسيهما وبينما كنا على وشك الخروج من أجمة أشجار منخفضة ، لدخل أجمة شجيرات شوكية ، حتى رأينا الحيوان الضخم المخيف منطرحا على جنبه ، وتشير كل الشواهد الى أنه ميت ، ولما اتضحت هذه الحقيقة عاد كوزنجو ضاحكا وهو يصيح : « لقد مات جاكوكو Jacocco - مات » فقلت : « حسنا ، لكن خذ حذرك فقد كان معه حيوان وحيد قرن آخر في الليلة الماضية » .

وتقدمت خطوة أو خطوتين حتى وجدتني وليس بيني وبين حيوان وحيد القرن سوى شجرة صغيرة ، ولاحظت - فجأة - أن المرافقين لي قد ولوا هاربين ، ولم أر سببا لهروبهما المفاجيء حتى وجدت نفسي فجأة على بعد خطوات قليلة من رأس بشع لحيوان وحيد القرن الى اليمين مني مباشرة ، وفي ظل هذه الظروف ، أدركت أنه من الحمق أن أطلق النار عليه وبسرعة وليت مبتعدا ، فتبعني بخطى سريعة اذا وضعنا في الاعتبار انه مصاب في رجله ، وجمانبي العذر أثناء هروبي فسقطت يميننا في طريق الحيوان الهائج الذي انسحب فجأة ، فاستدرت لأطلق النار لكنني خشيت أن يندفع الحيوان مرة أخرى للأمام خاصة أنه كان يدمدم بعنف ، وبعد أن جري لمسافة قصيرة توقف مرة أخرى

فرحفت بحذر حتى أصبحت على بعد حوالي مائة ياردة منه وبعد لحظة غير وضعه ليكون جانبه كله أمامي ، فأطلقت النار فسقط ميتا .

وبعد أن تأكدت أنه أصبح جثة هامة صحت أستدعي رجلى الهاربين فلم يجب أى منهما ، فاستنتجت أنهما عادة للمعسكر ، فلما اطمأننت لهذه الفكرة رحت أحملق فى الحيوان الممدد فاسترعت انتباهي - فجأة - أصوات وضوضاء تقترب مني ، انها أصوات مجموعة أشخاص تناقش حدثا مثيرا ، وما هي الا لحظات حتى رأيت جمعا من أهل البلاد على رأسهم شوكورو chokoro وبادماكر Paadmaker - وكنت قد أرسلت هذا الأخير فى اثر فيل جريح . وكان شوكورو يصرخ بمرارة ، بينما كانت يدا بادماكر ملتصقة بجانبيه وكأنما أصابه ألم مفاجيء . وكان انطباعي الأول أن الفيل الجريح ألحق به أذى . لكن وا أسفاه ، لقد كان الأمر أخطر من هذا ، فسألت : « أين كوزنجو Kozengo ؟ » فكانت الاجابة الجادة المؤلمة فى كلمة واحدة : « مات ! » فرحت أكرز غير مصدق : « غير ممكن . . كيف ؟ ولماذا ؟ . . ان حيوانات وحيد القرن لم تختف أبدا عن النظر » واستطردت وكأنما أحدث نفسي « بالاضافة أننى لم أسمع أى صرخة أو استغاثة » فقال شوكورو البائس وهو ينتحب « آه يا سيدى العزيز . . لقد مات كوزنجو . . لقد قتله حيوانات وحيدة القرن » فقلت : « أرونى الرجل والبقعة التى قتل فيها » ، واستدرت لأتبع الرجال ، ولم نذهب بعيدا فعلى مرمى حجر وجدت القتييل المسكين منطرحا الى الأذنى من الشاطئء يابسا لا حراك به ، وقد شقت جبهته الى شقين بفعل قرن الحيوان الهائج ، وقد تناثر جانب من مخه على التراب . .

... وبعد يومين من مغادرتنا أومورامبا Omuramba

تغيرت المناظر تغيرا كاملا ، وكان التغير - غالبا - للأسوأ
فبدلا من منطقة الأحجار المسامية التي تتناثر فيها مجموعات
الشجيرات الجميلة ، والغابات - دخلنا الآن منطقة تسودها
الرمال المتحركة والتربة المتموجة التي تغطيها أدغال
الأشجار الشوكية البغيضة التي تكون أحيانا من الكثافة
بحيث يتطلب شق طريق بينها ساعات طويلة ، وأكثر من
هذا فقد كانت الثيران غير معتادة على السير في هذه الرمال
الكثيفة ، وراحت تجر العربات بتثاقل ، وبالإضافة لذلك
فقد كان ثمة صعوبة أخرى خطيرة تفرض نفسها وهي نقص
المياه . لقد كانت الأمطار بين الحين والآخر لكن بقدر
ضئيل ، فالأمطار قليلة في هذه الأنحاء وأحيانا لا توجد
أمطار على الإطلاق . وكنا نضطر حتى نصل الى بعض المياه
المتجمعة بين الأحجار الكلسية أو الى بعض الآبار الخربة
المهدمة - لنروى ظمأنا . ومع هذا فانه يوجد هنا كثير من
الوديان الصغيرة الجميلة ، كان معظمها جافا ، وأخيرا فقد
أرهقنا هذه الوديان - جميعا - ارهاقا شديدا .

وفي التاسع عشر من شهر يناير كان قد مضى علينا
يومان ونحن لا نملك - تقريبا - قطرة ماء لنقدمها للماشية
التي معنا . وكانت الحرارة شديدة والشمس تحرق جلودنا
وكانها نار ملتهبة ، وبدا مرشدنا وهو رجل عجوز حساس ،
بدا هو نفسه مرهقا بائسا وراح يكرر أن محاولتي التوغل
في هذا الاتجاه قد تؤدي الى أن نقضى جميعا نحبنا فليس
ثمة بئر واحدة أو نبع ماء واحد على مدى مائة ميل ، لكن هذا
الكلام الذي يردده كان مجرد اشاعات سمعها ، أما هو
شخصيا فلم يسبق له أن تعرف على المنطقة بنفسه . وكانت

أقواله هذه مثبتة للهمة ولسكنتى قررت المضى فى مغامرة
على مسئوليتى الشخصية ، وعلى هذا فقد أسرجت حصانى
العجوز وخملت الخمير بالماء القليل الذى معنا ، وانطلقت
مصحوبًا باثنين أو ثلاثة من أهل البلاد المرافقين لى بخشا عن
الماء ذلك السائل الثمين ، وأعطيت أوامرى لباقي المرافقين
لى أن يعودوا أدراجهم مصحوبين بالعربة اذا لم أعد لهم خلال
اليوم التالى .

وتركت الرجال ، وتبعتنى الخمير بأقصى سرعة
تستطيعها ، وانطلقت بخصانى ، وبعد حوالى ثلاث ساعات
من السير الشاق كان الحظ حليفى ، فاكتشفت ، ويا لفرط
سعادتى . واديا صغيرا ليس به الا كمية قليلة من الماء لكنها
كافية لاستخدامنا لأيام قليلة ، فعدت مرة أخرى الى عربتى
وباقى الرجال فى الليلة نفسها فقابلوا عودتى بالماء بفرح
غامر . وفى اليوم التالى واصلت المسير حتى وصلنا للماء .
أن القارىء الذى لم يخض مثل هذه التجربة لن يستطيع أن
يدرك مدى البهجة والسعادة التى غمرتنا عندئذ .

وقد طلب دليلنا باصرار الآن أن يتركنا وأن يعود
لدياره مدركا أنه لم يعد مجديا لنا ، وفى حالة ما اذا دبر
لنا بديلا له ، فانه لم يكن لدى مانع من تلبية طلبه ، وان
كانت الحقيقة هى أننى لم أكن فى هذه المرحلة فى ميسس
الحاجة لمرشدين خاصة وأن تقدمنا - بسبب بشاعة المرح
الذى نقطعه - كان بظيئا جدا لدرجة أن أحدا من البشمن
لم يكن راغبا فى البقاء معنا . وعلى أية حال فقد كان هناك
اعتبار واحد يجعل بقاء مرشد معنا ينتقل من مكان الى مكان
مسألة مفيدة لنا ، فهو سيكون قادرا على اخبار قومه عنا
وعمن نكون ، وعن هدف رحلتنا ، فهو سيكون أقدر على

اقناعهم كما أنهم سيكونون أكثر استعدادا لتصديقه أو على الأقل سيكونون أكثر استعدادا لسماعه ، اما ان قلنا نحن بأنفسنا عن أهدافنا فقد نكون عرضة للسخرية ، وقد يظنون أننا أتينا من بلاد معادية لهم ، فليس أخطر على الرحالة من أن يصل - فجأة - الى منطقة دون تمهيد أو مقدمات في بلاد يقطنها شعب غير متحضر .

ولم ينتظر مرشدنا العجوز حتى نأذن له بالانصراف بل على عكس ما هو متوقع ، فقد عاد بعد غياب استغرق ثلاثين ساعة ومعه عدد من الشباب ليعملوا معنا كمرشدين في المرحلة التالية من الرحلة ، لكننى لم أرتح لمنظرهم ، فقد بدوا صفارا جدا وجهلة ، ومع هذا فقد قبلت خدماتهم لا لشيء سوى للسبب الآنف ذكره ، فلا جدوى منهم فى الواقع ، كما أن وجودهم لن يقدم أو يؤخر سوى أنه يمكن استخدام الشباب فى جمع المعسكر ايذاننا بالرحيل .

وبينما كنا فى انتظار عودة مرشدنا العجوز كنت قد قمت باستكشاف المنطقة التى سنصلها (التى أمامنا) كما أننى لحسن الحظ اكتشفت مجموعة من الأخاديد الصغيرة Vleys حقيقة لقد كان مأوها سيئا اذ كانت ترتاده بين الحين والحين جماعات من الأفيال أحال غائطها (برازها) وتمرغها هذه الأخاديد الى ما يشبه دورات المياه أو البالوعات ومع هذا فقد فرحت كثيرا بهذه الأخاديد (الشقوق التى بها ماء) فهى على الأقل ستبقينا على قيد الحياة فى هذا الجو القاتظ الشديد جفافه .

ولما اكتملت استعداداتنا بعد انضمام مرشدينا الجدد لنا أصبحنا قادرين بعد فترة يسيرة على مواصلة الرحلة ،

وفى اليوم التالى أسعدنى الحظ أن أكتشف شقا به ماء رائق ،
وأقول اننى اكتشفت لأن أدلتنا - كما سبق أن توقعت - قد
ارتحلوا فجأة هذا الصباح . وبعد أن سرنا دقائق قليلة بعد
هذا الشق ذى الماء الرائق حدث لعربتنا حدث خطير ، فبسبب
إهمال السائق فان محور العجلات (الأكس Axle) الخلفى
اصطدم بشجرة شوكية ملقاة على الأرض فكسر أحد طرفيه
(طرفى الأكس) ، ويعد كسر (أكس) العربية فى أى ظرف
من الظروف مسألة خطيرة ، وتزداد الخطورة إذا كان هذا
الكسر فى ظرف كظرفنا حيث لا توجد أخشاب مناسبة ،
وحيث البرية ، ومن حيث وجودنا بين مناطق لا يميل أهلها
لاستضافة الغرباء . لقد كان يتحتم على طوال مائة وخمسين
ميلا أن أعرف أن هذا عمل ليس سهلا ولا يبعث على السرور ،
خاصة وأنه ليس فى هذه المناطق إلا نوع من الأشجار تسمى
أكاسيد الزرافة *aacia giraffe* ، وهى شجرة موطنها بلاد دامارا
Damara Land وما حولها - تصلح لعمل منها محاور العربية
(الأكس) . ويجب أن أذكر أيضا أنه حتى هذا النوع من
الأشجار لا يوجد بالمئات ولا أقول بالآلاف ، فمعظم الأشجار
من هذا النوع قد نخرت من قلبها أو أضعفها النمل وتسالت
إليها الديدان فأصبحت هشة لا تصلح لشيء . انها تبدو على
البعد سليمة متينة لكن عند تجريب استخدامها فى عمل أى
قطعة مناسبة لعربة أو فى أى عمل من أعمال النجارة أو البناء
يكتشف المرء أنها لا تصلح .

وذات مساء بينما كنا نتابع طريقنا كنا على وشك
التسمم بسبب بعض البقول البرية *Wild beans* التى جمعها
الطباخ أثناء الطريق ، اذ رأيت على وشك وضعها فى وعاء
الحساء ، فقلت له : « لقد أصبت بمرض شديد بعد أن

تناولت بعض هذه البقول خضراء دون طبخ « وأضفت أنه من الممكن ألا تسبب أذى إذا تم طهيها ، ووجدنا أن طعم البقول بعد طهيها لذيذ ، فرحنا نأكل منها بوفرة وما كدت أنتهى من تناول وجبتى مع الطباخ وبريرا Pereira حتى أصبنا بالغثيان والقيء وأحسسنا بصداع عنيف واضطراب شديد فى القلب ، وعلى أية حال فقد انقذتنا العناية الالهية اذ تقيانا الطعام السام ، ولم تحدث عواقب وخيمة لذلك خلا الاحساس بالقرف من جراء طعم هذا الطعام فى أفواهنا واستمر هذا طوال الليل كما استمر احساسنا بالهبوط والانهاك ، وهو الاحساس نفسه الذى يعقب تناول المرء جرعة كبيرة من زيت الخروع .

وهذه الحبوب (البقول) ضارة جدا بالانسان الا أنها نافعة للماشية والأغنام والماعز .

ولن أرهق القارئ بأن أروى عليه الأحداث يوما يوما فهي بشكل عام أيام ملأى بالارهاق والعناء ، فأحيانا كنا نحظى بوفرة من المياه وأحيانا وأحايين كنا نعانى من كل متاعب الظما وعندما كنا ننشغل باصلاح العرببة كنت أترك رفاقى وأذهب باحثا عن طريدة سواء على ظهر حصانى أو سيرا على الأقدام ، أو أذهب باحثا عن شق (أخدود صغير) به ماء أو للاستدلال مقدما على الطريق ، أو لكل ذلك معا .

لقد بذلت جهودا كبيرة لتأمين لحوم الطرائد لى ولرفاقى ، ومما يؤسف له أننى لم أنجح كثيرا رغم هذه الجهود بسبب قلة الحيوانات البرية لوفرة حشود ذباب الماشية ، وهو ذباب مؤذ وسام يغزو هذه المنطقة ويغمرها . ان هذا الذباب يهاجم البشر والحيوانات على حد سواء ، والذبابة من هذا النوع تسحب قدرا كبيرا من الدماء عند كل عضه (لسعة) . لقد

كان المرافقون لى من أهل البلاد يعانون بشدة من الآلام المبرحة عند هجوم هذا الذباب . أما الدواب فقد كانت جديرة بالشفقة . لقد كانت تعاني كثيرا من هذا الذباب لقد كانت بطون هذه الحيوانات البائسة مسلخة ممزقة ، مطلية بالدم المتخثر من جراء قرصات (لسعات) هذا الذباب اننى لا أبالغ أبدا فى هذا الوصف . وقد أكد لى البشمن Bushmen أن الماشية والحيوانات الأخرى تموت غالبا نتيجة السم الذى يبثه هذا الذباب الشره للدماغ فى أجساد ضحاياه ، وأنا أصدق ما يقولون . ولقد ظلت أسراب هذا الذباب تتبعنا لعدة أيام ، وكانت تتجمع ليلا على هيئة عناقيد تحت العربة .

وعلى أية حال فإن أسراب الذباب المرعبة هذه لا تستطيع أن تطارد الأفيال القوية ، رغم أنها — أى الأفيال — لا تسلم — بلا شك — من أذاها .



لقد تأخرنا لأسبوع كامل بسبب الأمطار الغزيرة وبسبب جهودنا فى تقطيع لحوم الفيلة وتجفيفها . وفى السابع من فبراير أصبحنا — على أية حال — قادرين على التحرك للامام وان كان تقدمنا بطيئا هذا اليوم وخلال اليومين التاليين . حقيقة لقد كانت المسافة كلها التى قطعناها لم تكن لتستغرق أكثر من ساعة فى الظروف العادية المناسبة ، فقد أدت الرطوبة الشديدة وكثافة الأشجار الى تأخرنا . فبدلا من الحيود الرملية التى تغطيها الأشجار الشوكية القصيرة ، أصبح يتحتم علينا الآن أن نقطع حيودا عالية تغطيها أشجار باسقة كثيفة ، وكانت بعض هذه الأشجار جديدة بالنسبة لى اذ لم يسبق لى معرفتها ، وكانت الشجيرات تحت الأشجار

العالية ، كثيفة جدا ، حتى أن الرجل لا يستطيع اجتيازها حتى وهو سائر على قدميه ، ومن ثم فقد استغرق شق طريق للعربات وقتا وجهدا كبيرا ، ويمكن للقارىء ادراك ذلك اذا أخبرته أننا قضينا ثلاثة أيام فى عبور حيد لا يزيد عرضه عن ميل ، وأن ذلك حدث أكثر من مرة ، وكان يعمل فى شق الممر سبعة رجال أو ثمانية يعملون بشكل مستمر من الصباح حتى المساء . لقد كان مثيرا أن نحصى عدد الأشجار والشجيرات التى قطعناها لنعد ممرا مسافته ميل أى بواقع ١٧٠٠ شجرة فى ٣٠٠ ياردة ، لقد كان الأمر يحتاج الى ١٢٠٠٠ ضربة فأس لقطع الفروع والسوق - التى يتراوح سمكها بين سمك الاصبع وسمك ساق الرجل - خلال ميل واحد . وكان علينا أن نقطع مائتى ميل فى هذه المنطقة قبل أن نصل الى الهدف النهائى للرحلة ، وقد نجحنا بالفعل فى القيام بهذا العمل الشاق ، وبذلك استلزم الأمر ٢٠٠٠ رطل ٤٠٠٠ ضربة فأس لقطع ما لا يقل عن ٢٠٠٠ شجرة .



لقد أصبحت ممرات الأفيال الآن كثيرة متعددة ، وراحت تعبر المنطقة وتعيد عبورها فى كل اتجاه ممكن . وفى بعض الأحيان تبدو ستة ممرات من هذه الممرات أو أكثر من ذلك أو أقل - تبدو وكأنها مغطاة عند نقطة معينة ، خاصة عند شقوق المياه ، ومن هنا كان من الصعب أن نختار الممر الصحيح . وكنا لا نقدر على اهمالها (تركها جميعا) فلم يكن ثمة مناص من اجتياز أحدها حتى يتسنى لنا الوصول للمياه . وذات مرة كانت بعض هذه الطرق الخادعة تعود بنا مرة أخرى فى اتجاه بلاد دامارا Damara Land . وعلى أية حال فإن هذا كان يؤدى الى بعض الاضطراب لكننى كنت

أعرف فى النهاية الطريق الصحيح أما البشمن فقد كان بعضهم يناقض بعضهم الآخر ، حتى أننى كنت أعانى تماما من الارتباك نتيجة تناقضهم هذا ، فأحيانا كانوا يشيرون بالاتجاه شمالا بينما يشيرون آخرون منهم الى اتجاه الشمال الشرقى ، بينما يرى فريق ثالث أنه يتحتم علينا أن نتجه شرقا للوصول الى النهر . وقد كانت معاناتنا من هذا الاضطراب أمرا مزعجا ثقل الوطأة خاصة وأن حركتنا ثقيلة بما معنا من عربات لدرجة أننى قررت أن أترك العربة عند أحد الشقوق المائية ، وأن أواصل الرحلة للأمام وليس معى الا ثور تحميل واحد ، وذلك لاستكشاف المنطقة ، والوصول للنهر اذا أمكن .

ولانجاز هذا العمل سريعا مع توفير قدر من فرص النجاح أخذت معى أقل قدر من الضروريات وتخبرت لصحبتى بعض أهل البلاد المرافقين لى والذين يتسمون بالقدرة على التحمل ومواصلة السير بسرعة . وفى اليوم نفسه الذى انطلقت فيه ، وعند الغروب تقريبا رأينا عمود دخان صغير ينبعث من بين مجموعة من الأشجار ، ولما أرسلت مجموعة من المرافقين لى ليحوموا حول المكان نجحنا فى الامساك بكل البشمن القاطنين فى مستوطنة بشمنية صغيرة ، ولم تكن هذه المجموعة سوى عدد قليل من النسوة والأطفال ورجلين أو ثلاثة . وكانت هذه المجموعة البائسة - بطبيعة الحال - خائفة خوفا شديدا لكننى هدأت من روعهم بأن قدمت لهم هدايا من اللحوم وانتوباكو . ووجدت من الحكمة ألا أخبرهم اننى فى حاجة الى مرشدين ، وانما اكتفيت بالقول أننى فى طريقى للنهر . وعلى أية حال ، فقد كنت مصمما على تدبير رجلين كمرشدين - فى الصباح - حتى اذا لم يرحلوا ليلا . وقد أدت طريقتى الى نتائج طيبة ففى بكور الصباح التالى

وجدتهم سعداء يسلون أنفسهم بأمان ويشعلون النيران ،
ويدون تأخير أمرت اثنين منهم أن يصحبونا لكنهما نفرا منا
تماما ، لكنني افهمتهما أنهما يجب أن يطيعاني ، لكن
موقفهما لم يتغير .

وبعد عدة ساعات من السفر المريح توقفنا عند شق ماء
جميل فأنعشنا أنفسنا ، وقبل أن ننهي وجبتنا المتواضعة
ظهر البشمن وقالوا انهم عائدون الى ديارهم ، وفي الوقت
نفسه أشاروا الى طريق من طرق الأفيال وذكروا أنه الطريق
الذي ينبغي لنا أن نسلكه (للوصول الى النهر) ، لكنني لم
أدعهم يذهبون فقد ترجلت وحاصرت واحدا منهم فوافق
— على كره منه — أن يصحبنا . والآن فمن الطبيعي أن تكون
وظيفة المرشد هي أن يقودنا أثناء الطريق ، ولكن من
الصعوبة أن تحت أفريقيا أصيلا أن يكون قائدا لمجموعة ، فهو
يلتمس دائما كل مناسبة ليكون في المؤخرة ، وخشيت ان أنا
تركت الرجل حرا أن يولى هاربا فربطت يده اليمنى بالذراع
اليسرى لأحد المرافقين لي وتركت بينهما مسافة ثلاث أقدام
حتى لا أعوق حركتهما ، ثم أمرت هذا الرجل البشمني (من
البشمن) أن يتقدم ، ولتخاشي أى محاولة منه للهرب سرت
قريبا منه في اثره . لقد اعتري الرجل البشمني خوف
شديد وتوقف مرارا متوسلا أن أطلق سراحه لكنني — بطبيعة
الحال — لم أعره الا أذنا صماء .

وفي عصر هذا اليوم وجدنا بعض آثار حديثة لجماعات
البشمن فتتبعناها فوجدنا بعد فترة يسيرة امرأة من البشمن
تحفر بحثا عن جذور النباتات ، فبحثت فيها الاطمئنان لكنها
راحت ترتعد عندما خاطبها مرشدنا الذي أطلقت يده الآن

فأصبح حر الحركة ، وبعد خمس دقائق وصلنا لمستوطنة
يشمنية مكونة من عشرين كوخا أو ثلاثين .

وبينما كان رجالى هنا يعدون كل شىء لقضاء الليل
أجريت حوارا مع زعيم البشمن فى هذا المكان ، وكان شابا
ذكيا لطيفا ، وقد أخبرنى أنه يمكننا الوصول للنهر خلال
يوم ونصف اليوم بسفر مريح لا مشقة فيه . إنها أخبار
رائعة زاد من روعتها أنه وعدنا أن يصحبنا للنهر بنفسه .
وهكذا قضيت ليلة مريحة وأنا سعيد سعادة لم أحظ بمثلها
منذ أيام كثيرة ، وكانت روحى المعنوية عالية .

وفى صباح اليوم التالى تحركنا مبكرا ببطء ، وحوالى
الظهر وصلنا الى أومورامبا Omuramba ويسمى أوبونجو
Obongo وهو أول مجرى مائى حقيقى منتظم بشكل دورى
نقابله طوال مائة وخمسين ميلا قطعناها ، وحتى هذه النقطة
فان هذا المجرى يجرى فى اتجاه الشمال ، وفى باطن هذا
المجرى وجدنا شقوقا مختلفة مليئة بالماء بل وحتى بعض
الينابيع الطبيعية ، وهى الأولى من نوعها التى رأيناها منذ
غادرنا منطقة الأحجار الكلسية المسامية التى تحدثنا عنها
فى الصفحات السابقة . وتوقفنا هنا حوالى ساعة ونصف
ساعة ، ثم واصلنا رحلتنا حتى غربت الشمس فأقمنا
معسكرنا لقضاء الليل .

وفى اليوم التالى كان علينا أن نحل المشكلة التى شغلت
عقلى مدة طويلة والتى كانت تمثل مشكلة بالنسبة لى لا فى
رحلتى الحالية فحسب ، بل طوال حياتى . وقد شعرت لذلك
بقلق غير عادى ازاء الوصف الذى قدمته للنهر فى مرحلة

الكشف • لقد تحدث بعض البشمن الذين قابلناهم أثناء
تجوالنا على أكثر من أنه ليس أومورامبا Omuramba
أى ليس أكثر من واد عميق تتخلله شقوق تمتلئ بالمياه ،
بينما أكد بشمن آخرون أنه مجرى مائى دائم يعبره أهل
البلاد بالقوارب Canoes وتكثر فيه أفراس النهر والأسماك
والتماسيح ، وقد فزعت خشية أن يكون الاحتمال الأول غير
صحيح ، ففى هذه الحالة تكون كل النفقات بالاضافة لكل
الجهد المبذول فى الكشف قد ذهبت هباء •

وعندما أشرق الصباح سرنا على الأقدام ، لكن هواء
الصباح كان حادا وقاسيا ، وقد واجهت فى البداية بعض
الصعوبات فى الانسجام مع المرشدين • وبعد حوالى ست
ساعات من التقدم السريع توقف هؤلاء البشمن فجأة وسحب
كل واحد منهم من جعبته ثلاثة سهام أو سهمين كانوا يخبئونها
بعناية بين الأشجار ، وعندما طلبت تفسيراً لهذا الاجراء قيل
لى ببساطة ان أهل أواكوا نجارى Ovaquangari اذا أحس
الواحد منهم بقوته أصبح عديم الضمير لا خلاق له يستولى
بالعنف على أى شىء يستهويه ، ولما كانت السهام جديدة
بالنسبة للبشمن وذات قيمة ، فانهم لم يميلوا للتخلي عنها
بل انهم حذرونى كى أتخذ عدة الدفاع عن نفسى (أن أكون
تحت الحراسة) لأن أهل القرى التى سنمر بها قساة
متوحشون • انها حكاية قديمة رغم أننى لم أهمل التحذير ،
لكننى توقعت أن وصولنا المفاجئ لقراهم سيثير فيهم الرعب
أكثر مما سيدفعهم لتدبير أمور معادية •

وبعد تأخير قليل واصلنا مسيرنا ، وقطعنا شوطا طويلا
قبل أن أدرك فى الأفق البعيد مجرى مائيا أزرق داكنا ،
فهتفت لنفسى : آه • • آه • • انه ليس مجرد مجرى مائى

مؤقت « وما هي الا دقائق قليلة حتى التقت عيناى بصفحة ماء
واسعة على البعد * وصدق حدسى ، فانفلتت منى صيحة فرح
ورضا عند رؤية المشهد العظيم * وما هي الا عشرون دقيقة
حتى أصبحنا على ضفاف نهر عظيم كان يبلغ عرضه فى
المنطقة التى التقينا به حوالى مائتى ياردة ، انه - اذن -
وفقا لكل الاحتمالات الموكورو موكوفانجا Mukuru Mukovanja
للأوفامبو Ovampo الذى أفهمنا البشمن أنه يتجه غربا ،
ولأننى أخذت أقوالهم على محمل الجد فقد مضى بعض الوقت
وأنا واقف أمام النهر قبل أن أكتشف أننى وقعت فى خطأ *
يا الهى ، لقد صحت فجأة قائلا لنفسى : « إن النهر ينساب
نحو قلب القارة الأفريقية ، ولا يتجه للمحيط الأطلنطى
ليصب فيه » *

رحلته

ديفيد ليفنجستون

DAVID LIVINGSTONE

شلالات فكتوريا

ولد ديفيد ليفنجستون في بلانتير Blantyre في سنة ١٨١٣ م ،
وعمل بمصنع قطن ولكنه راح يقرأ يتهم وخطط لنفسه لدراسة الطب
واللغة اليونانية والاديان . وفي سنة ١٨٣٨ م قبلته جمعية لندن
التبشيرية وفي نهاية فترة تدريبه بها تسببت حرب الافيون في اعاقة
هذه الاساسي وهو السفر للصين ، ومن ثم فقد وجد من يحلّزه على
السفر الى بتشوانا لاند وهو مجال كان قد بدا العمل به موفات Moffat
وقد وصل الى جنوب افريقيا سنة ١٨٤٠ ويعد ان زار شعوب الباكويينا
Bakwena والبامانجوييتو Bemangwato والباكا Bakaa
اسس محطة Station (مركزا) في مابوتسا Mabotsa ،
وبيتسا كان في مابوتسا هاجمه اسد فسبب له اذى شديدا في ذراعه
وكتفه . ولانه لم يكن على وفاق مع رفاقه الارساليين ووجد نفسه
مع سيشل Sechele وسرعان ما حثه على نقل مركزه الرئيسي
الى موقع جديد على ضفاف نهر كوبولنج Koboleng وقام
لفنجستون برحلتين الى قبائل ناحية ماجاليزبرج Magaliesberg
لكن اتجاهات البوير Boers جعلته يتطلع للشمال وليس
للشرق ، حيث هناك مجال ارحب لتحويل الناس للمسيحية . وفي
سنة ١٨٤٩ م صاحب اوزويل Oswell لبحيرة نجامي . وفي العام
التالي انطلق مع زوجته (وهي ابنة موفات Moffat) ليصل الى
سيبيتوين Sebituane زعيم قبيلة (شعب) ماكولولو Makololo
لكنه اضطر للعودة بسبب ذبابة تسي تسي . في تامانكا Tamanaka
وبسبب معاناة زوجته من مرض الحمى .

وفي سنة ١٨٥١م وصل - - ومعه اوزويل - الى الشوي Chobe وسيتوين واكتشف نهر الزمبيزي عند سيشيكي Sesheke . .
وفي سنة ١٨٥٢م عاد الى المناطق الداخلية وقل يجول باحثا عن موقع مناسب وصحى يمكن ان يصبح مركزا للبحث الحضارى على ان يسهل - من هذا المركز - الاتصال بالساحل الافريقى الشرقى او الغربى ، وقد اقتنع خلال رحلته الى لندن انه ليست هناك امكانية لإنشاء طريق للعربات التى تجرها الثيران وغيرها من الدواب من داخل القارة الى المحيط الاطلنطى (الساحل الغربى) ،
فقرر ان يكشف امكانية نهر الزمبيزي وعندا تتبعه النهر (الزمبيزي) هابطا فى مجراه اكتشف شلالات فكتوريا .

والنص التالى من « رحلات ليفنجستون الارشالية والبحثية فى جنوب افريقيا ، والذي نشره فى لندن جون مرأى John Murray سنة ١٨٥٧م »

Livingstone's Missionary Travels and Researches in South Africa. John Murray, London, 1957.



فى الثالث من نوفمبر ودعنا أصدقاءنا فى لينيانتي Linyenti وصحبنا سيكيليتو Sekeletu وحوالى مائتين من الأتباع (المرافقين) وتناولنا جميعا طعامنا على نفقته ، وقد أخذ ماشية لهذا الغرض من كل محطة station وصلنا اليها .
وكان الرجال المهمون (الزعماء) من شعوب (قبائل) الماكولولو Makololo والليبول Lebeole والنتلارى Ntlarie والنكواتليل Nkwatléle الخ من بين المجموعة أيضا - وقد مررنا ليلا خلال منطقة عامرة بدبابة تسمى تسمى بين لينيانتي Linganti وشيشيكي Seshe'ke . وكان أغلب المجموعة قد سافروا فى ضوء النهار ليعدوا لنا أماكن نومنا . أما أنا وسيكيليتو Sekeletu ومعنا حوالى أربعين شابا فقد انتظرنا خارج المنطقة الموبوءة بدبابة تسمى تسمى حتى يحل الظلام ، ثم

انطلقنا ، وفي حوالى الساعة العاشرة صار سواد الليل حالدا
(أغطش الليل) فلم تعد الخيول - ولا الرجال - ترى شيئا .
وأبرق البرق فى السماء مكوئا - فى المرة الواحدة - ثمانية
أفرع أو عشرة ، بحيث أصبح - تماما - على هيئة شجرة .
وكان ضوء البرق الشديد يمكننا من رؤية المنطقة كلها فى
لمحات سريعة - أكثر من مرة . أما الفترات ما بين برق
وبرق ، فقد كانت حالكة السواد الذى يغمرنا فتسيطر علينا
فكرة أننا أصبحنا عميا ، مرة أخرى ، فتضلرب الخيول
وتسهل وتدور حول نفسها وكان كل حصان منها يبحث عن
الحصان الآخر ، وعند كل برق جديد يكتشف الرجال أنهم
اتخذوا طرقا مختلفة فيضحكون ويتعثرون ويواجه بعضهم
بعضا . أما الرعد فكان عاليا صاكا للمسامع لا يسمع رعد
فى مثل قوته خارج هذه المناطق الاستوائية ، وقد أكد لى
أصدقاء هنود أن الرعد فى أفريقيا الاستوائية أشد صوتا
منه فى أى مكان آخر فى العالم ذهبوا اليه . وبعد قليل هبط
مطر شديد غير منقطع فزادنا اضطرابا وعمت بيننا الفوضى .
وسرعان ما شعرنا ببرد شديد وزحنا نرتجف ، فغيرنا اتجاهنا
بعد أن أنسنا نارا على البعد ، لعلنا نحصل منها على جذوة
فنصطلى بها . أليس غريبا أن نعانى من شدة البرد ليلا بعد
أن عانينا من الحرارة الشديدة نهارا . لقد أوقد بعض
الناس هذه النار أثناء سيرهم لأنه من النادر ألا يكون هناك
بعض المسافرين فى هذا الممر آتين من العاصمة أو ذاهبين
اليها . لقد فقدت ملابسى فانطرحت على الأرض الباردة متوقعا
أن أقضى ليلة تعسه ، ولكن سيكيليتو Sekeletu تعطف على
فغطائى ببطانيته بينما قضى هو ليلته دون غطاء وتأثرت
كثيرا بهذا العمل البسيط الذى يتم عن كرم ورقة أصيلة .
إن هؤلاء الناس إذا انقرضوا بسبب تقدم الحضارة ووصولها

لهم — تماما كما حدث لبعض أجناس الحيوانات — لكان هذا أمرا يدعو للشفقة والثناء . انه من الممكن أن يتلقى هؤلاء الناس الكتاب المقدس ليكون عزاء لأرواحهم عند الموت قبل أن يأتى هذا اليوم الذى ينقرضون فيه .

وبينما كنا فى سيشيكى Sesheke زودنى سيكيلوتو باثنى عشر ثورا — منها ثلاثة للركوب — بالاضافة الى فأس وخرز حتى أتمكن من شراء قارب عندما يتحتم على ذلك فى الليامبى Leéambye . فيما وراء الشلالات ، كما قدم لي كثيرا من الزبد الطازج وعسل النحل وبذل قصارى جهده ليجعلنى مرتاحا أثناء الرحلة . لقد كنت معتمدا اعتمادا كاملا على كرمه لأن كل المؤن التى جلبتها من الرأس (الكاب Cape) كانت كلها قد نفدت منذ بدأت رحلتى من لينيانتي Linyanti الى الساحل الغربى ، فهناك سحبت سبعين جنيها استرلينا من مرتبى ودفعت لرجالى منها واشتريت مؤنا لاستخدامها أثناء العودة الى لينيانتي Linyanti . لقد نفدت الآن كل ما معى ، وقام الماكولولو Makololo بتجهيزى مرة أخرى وأرسلونى للساحل الشرقى ، وقد شعرت بامتنان عظيم لهم . والعملة النقدية لا قيمة لها هنا فالذهب والفضة غير معروفان بالمرة . وقد لحق بنا موريانتسانى Morianlesane وزعيم ، سيشيكى Seske'ke عم سيكيليتو Sekeletu وفى الثالث عشر من هذا الشهر استقل بعضنا القوارب وأبحرنا هابطين فى النهر الى التقاء النهر بفرع شوبى (عند ملتقى شوبى the Confluence of Chobé) بينما راح الآخرون يقودون القطيع على طول شاطئ النهر وقضينا ليلة واحدة فى مباريا Mparia وهى جزيرة عند ملتقى شوبى Chobé الأنف ذكره ، وهى جزيرة تتكون من صخر بركانى به بلورات من الكوارتز quartz مغطاة بقشرة من خام

النحاس الأخضر . وحاولنا فى اليوم التالى أن نواصل
الابتار هابطين فى النهر ، فتسببت رياح شرقية قوية فى
تأخير تقدمنا لعدة ساعات ، فقد ارتفع موج النهر بشدة تهدد
بغمر القوارب واغراقها . ان النهر فى هذه المنطقة واسع
وعميق ، وتقابل فى مجراه جزيرتان كبيرتان تبدوان من
الشاطئ الآخر . وبينما كنا ننتظر هبوب رياح مواتية راح
أصدقائى يقصون على حكايات متوارثة عن هاتين الجزيرتين ،
وكما هى العادة فقد امتدحوا حكمة سبيتوان . Sebituane
الذى كان يحتجز الباتوكا Batoka ، ويفرى القبائل
الجوالة بالقدوم للجزيرتين ، ويتركهم بلا طعام (يجوعهم) ،
وما معهم من ماشية - النهر . ويعتقد الباروتر Barotse
أنه يكمن فى بعض أجزاء النهر غول (أو حيوان غريب
شكله) هائل وأنه سيقتنص القارب ويوقفه جاعلا اياه بلا
حراك رغم كل جهود القائمين بالتجديف . وبينما كنا
بالقرب من ناميتا Nemeta ايتعد المجدفون عن بقعة بعينها
اعتقادا منهم بوجود الغول بها ، وتركوا عرض النهر وسلكوا
أحد فروعه . وهم يعتقدون أن لدى بعضهم معلومات عن
الرقى والدعوات التى تبعد أذى الغول . وأنه لأمر غريب
أن تجد حكايات مشابهة لدى أمم الشمال الأوربي مشابهة
لحكايات قلب القارة الأفريقية ، أيمكن أن يكون هذا بقية
تراث متعلق بالحيوانات لزال موجودا ؟! فالعظام المتحجرة ،
الموجودة فى الصخور الكلسية المسامية فى هذه المنطقة يمكن
أن تبين لنا - شيئا عن حيوانات الحقبة القديمة ، اننى أمل
فى ذلك .

وبعد أن هبطنا مع النهر حوالى عشرة أميال وصلنا الى
جزيرة نامبين Nampene ، وعندها تبدأ منطقة الجنادل

rapldo فأصبحنا مضطرين لمفادرة قواربنا والسير على
الأقدام بعداء النهر ، وفى المساء التالى نمنا فى مواجهة
جزيرة شوندو Chondo ، ثم عبرنا اللىكون Lekone
(أو اللكوين Lekwine) وفى بكور الصباح التالى أصبحنا
فى جزيرة سيكوتى Sekote (نسبة الى أحد الزعماء
المحليين) وتسمى كالاى Kalai وسيكوتى هذا هو آخر
زعماء الباتوكا الذين أقتلع سيبتوين جذورهم * . ويحيط
الجزيرة شاطىء صخرى ومنطقة مائية عميقة ، ويضرب موج
النهر شواطئها بعنف * ولأن سيكوتى يحس بالأمان فى جزيرته
هذه فانه يجسر على عبور النهر ليهاجم أعداء الماتيبيلى Metebele
التابعين لسيبتوين * وعندما تراجعوا اتخذ سيبتوين من
المواضع المحيطة بأحد الجنادل مجالا لنشاطه ، ثم هبط من
ناليل Naliele فى فرع ليامبى Leeambye وأبحر طوال
النهار بالقرب من شواطئه أما فى الليل فقد كان يبحر وسط
النهر ، وذلك لتجنب أخطار أفراس النهر * ولما وصل الى
كالاى انتهز سيكوتى Sekote وجود القوارب الكبار التى
تم استخدامها فى مناطق الشلالات وعبر النهر ليلا * وقد
وقع معظم شعبه فى الأسر وتعرض للقتل ، ومنذ ذلك الحين
أصبحت الجزيرة تحت سيطرة الماكولولو Makololo * انها
جزيرة واسعة جدا اذ تضم مدينة كبيرة * وقد وجدت فى
الجانب الشمالى منها الكولتا Kolta الخاصة بسيكوت
الكبير مزيينا بعدد من الجماجم البشرية الموضوعة فوق أعمدة ،
وثمة جمجمة فرس نهر هائلة على أحد جوانب الكولتا * ولم
يعبث أحد بهذه الجمجمة الا أنها بدت قديمة بفعل الزمن ،
وعلى مسافة غير بعيدة ، وتحت بعض الأشجار رأينا قبر سيكوت

وقد زين بسبعين نابا ضخما من أنياب الفيلة ، وقد غرست هذه الأنياب نحو الداخل (فى اتجاه القبر) وئمة أكثر من ثلاثين نابا أخرى موضوعة فوق قبور أقربائه . وقد لحق بهذه الأنياب العاجية بعض التلف بفعل الشمس والمناخ ، وإن كانت الأنياب التى يحميها الظل فى حالة جيدة . لقد شعرت بميل لأخذ عينة من أنياب فرس النهر الموجودة حول هذه المقابر ، لأنها أكبر أنياب فرس نهر سبق لى أن رأيته ، لكننى خشيت أن ينظر لى الناس باعتبارى سارق قبور (أو مقلق أرواح الموتى resurrectionist) فيربطون بين حدوث أية أحداث سيئة بعد ذلك ، وبين فعلى هذا ، ويعتبرون الأحداث السيئة التى حدثت لهم عقابا على انتهاك حرمة الموتى .

ويعتقد الباتوكا أن سيكوت كان يمتلك جرة دواء (سم) دفنها هنا ، وأن هذه الجرة اذا تم فتحها سببت وباء وأمراضا تجتاح المنطقة . لقد عمل هؤلاء الطغاة كثيرا من الأعمال التى تسبب رعبا هائلا لشعبهم .

ولما كان الموضع الذى نحن به ، هو الموضع الذى سنتجه منه الى الشمال الشرقى ، فقد قررت أن نزور فى اليوم التالى شلالات فكتوريا التى يسميها أهل البلاد موزيواتونيا Mosioatunya وشونجوى Shongwe وهذا الاسم الأخير هو الأقدم . لقد كنا نسمع عن هذه الشلالات منذ قدمنا للمنطقة . حقيقة لقد كان من بين الأسئلة التى سألها سيبتوين Sebituane هى : هل سبق أن « دخنت » الأصوات فى بلادك ؟ Have You Smoke the Sounds in Your Country ?

انهم لم يقتربوا من هذه الشلالات اقترابا كافيا
يتيح لهم معرفتها معرفة حقيقية ، وانما كانوا يسمعون
صوتها - يحذر - وهم على البعد بسبب رذاذ الماء الكثيف
الذى يصل بعيدا ، وبسبب الصوت الهائل الناتج عنها ،
حتى انهم يقولون ان الصوت عندها يصدر دخانا أو على حد
التعبير بلغتهم المحلية *Cosi Oa tunya* . وكانت هذه
الشلالات - فى الماضى - تسمى شونجوى *Shongwe* ولم أتأكد
من معنى هذه الكلمة ، وان كانت الكلمة التى تعنى اناء أو
جرة « *Pot* » تشبهها وقد يكون معناها « الرجل الهائج أو
الغالى » الا اننى غير متأكد من ذلك . ولأننى - بالاضافة
للسيد أوزويل *Oswell* كنا أول أوروبيين زارا الزمبىزى
فى قلب هذه القارة الأفريقية ، ولأن المنطقة التى وصلت
اليها هى المنطقة التى تصل بين ما هو معروف وما هو غير
معروف بالنسبة لهذا النهر - فقد قررت أن أعطى الاسم
الانجليزى الوحيد الذى ثبته لآى جزء من القارة . وأفضل
برهان على الجهل السابق بهذا النهر من أن الجغرافيين الذين
لم يرحلوا الى النهر ، والذين اكتفوا بقراءة كل ما كتب عن
أفريقيا منذ بطليموس (الجغرافى) حتى الآن ، جعلوا نهر
ليامبى *Leeambye* منبت الصلة بنهر الزمبىزى ، وجعلوه
ينساب فى صحراء كلاهارى *Kalahari* ، ويضيع فى رمالها ،
كما أكدت الخرائط القديمة أنه ينبع من التلال العالية
التي وصلنا اليها الآن » . ان قولهم هذا أو تأكيداتهم تلك
لا تخرج عن كونها تأكيدات بلا دليل (رغم صحتها أحيانا)
تماما كما يؤكد أهل تمبكتو أن نهر التيمز ونهر بول *Pool*
هنا نهران منفصلان رغم أنهم (أى أهل تمبكتو) لم يروا
أيا من النهرين . ونهر ليامبى *Leeambye* هو نهر الزمبىزى ،
فكلتا الكلمتين تعنى الشيء نفسه - أى النهر الآنف ذكره .

واعتزم سيكيليتو اصطحابي ، الا أن ما وصل كان قاربا واحدا وليس قارين كما كان قد أمر ، فسلمني هذا القارب الوحيد . وبعد أن أبحرنا في النهر تاركين كالاي Kalai رأينا - لأول مرة - أعمدة بخار من المناسب أن نطلق عليها (دخان) وكانت هذه الأعمدة تبدو للنظر من بعد خمسة أميال أو ستة ، لقد بدت وكأنها أعمدة دخان حقيقي منبعث من نار مشتعلة نتيجة احراق قدر هائل من الحشائش الأفريقية ، لقد ظهر لنا الآن خمسة أعمدة كانت تتمايل مع الريح ، وبدت كأنها تواجه حيدا منخفضا تغطيه بعض الأشجار ، وبدت قمم أعمدة البخار هذه - على البعد - وكأنها تختلط بالسحب . وكانت هذه الأعمدة في جزئها الأدنى بيضاء ، أما أطرافها العليا فبدت سوداء ، ومن هنا وصفها أهل البلاد وصفا غير صادق ، قائلين انها دخان . لقد كان المنظر كله في الغاية من الروعة والجمال . كانت شواطئ النهر وجزره مزدانة بخضرة غابية متباينة تباينا شديدا في ألوانها وأشكالها . وفي فترة زيارتنا كانت أشجار متنوعة مغطاة بالزهور . وكان لكل شجرة ملامحها الخاصة وسماتها، وكانت أشجار الحميرة (أو التبلى) (★) الخالصة الضخمة هي الأعلى والأضخم ، لقد كان كل فرع من فروعها بمثابة شجرة مستقلة كبيرة ، بالإضافة لمجموعة من النخيل الرشيقة السامة المرتفعة تطاول السماء يسمفها الشبيه بريش

(★) عن معجم الشهابي لمصطلحات العلوم الزراعية :

(Adansonia digitata) baobab

با أو باب أو تبلى (بكسر التاء والياء وتسكين اللام) والكلمة الأولى سنغالية معربة والثانية سودانية نكرها أحمد قدى وهو شجر من فصيلة الخبازات في ثماره لب يؤكل ، ويسمى أيضا حميره (بضم الحاء وفتح الميم) في السودان - (المترجم) .

الطيور • لقد كانت هذه النخيل تضيف لجمال المنظر مزيدا من الجمال • وكما فى الهيروغليفية فان (الكلمة الدالة على النخيل) تعنى دائما « البعيد عن الدار » لأن المرء لا يمكن أن يتجاوز فكرة أصولها الأجنبية • وهناك أشجار الموهونونو mohonono الفضية وهى بالنسبة للأشجار الأفريقية تشبه أشجار الأرز بين أشجار لبنان ، فهذه الأشجار (الموهونونو) تبدو جميلة فى تناقض لونها مع أشجار الموتسورى Motsouri الداكنة ألوانها • • • وبعض الأشجار يشبه أشجار البلوط oak (★) وثمة أشجار أخرى تشبه أشجار الدردار وأشجار الكستناء ، لكن أحدا لا يمكنه أن يتخيل جمال المنظر فلا شئ فى انجلترا مثله ، ان عيني لم تقع على منظر يمثل هذا الجمال علما بأننى أنظر بعيون أوروبية ، فهذه المناظر الرائعة لابد أن تلقى عليها الملائكة نظراتها وهى محلقة فى السماء • لم يكن ينقص المنظر ليكون آية الآيات فى الجمال سوى الخيال فى خلفية الصورة • ويحيط الشلالات من ثلاثة جوانب بحيود يبلغ ارتفاع الواحد منها ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ قدم ، وكلها مغطاة بالغابات ، وتبدو التربة الحمراء بين الأشجار • وبعد أن أصبحنا على بعد حوالى نصف ميل من الشلالات غادرت

(★) البلوط شجرة من الفصيلة البلوطية ، وكلمة البلوط آرامية الأصل ، وقد أورد معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية حوالى خمسين نوعا من البلوط منها : بلوط الجزائر ، بلوط مائى ، بلوط بهش الورق ، بلوط أسود ، بلوط دوغلاس ، بلوط كبير الثمر ، بلوط أحمر (وهو بلوط يتحول لون ورقه فى الخريف الى اللون الأحمر الداكن) ، بلوط زندى ، بلوط الفلين ، بلوط لاطى الزهر ، ملولى (ويسمى أيضا بلوط البرتقال) بلوط أخضر ، بلوط العفص ، بلوط كبير الثمر ، بلوط لبنان ، بلوط قرعزى ، بلوط المنافع ، بلوط رومى • • • الخ •

راجع مزيدا من الأنواع ، وكذلك المقابل اللاتينى لها فى معجم الشهابى لمصطلحات العلوم الزراعية ، مادة Oak - (المترجم) •

القارب الذى قطعنا به هذه المسافة كلها ، وركبنا قارباً آخر
أخف وزناً وركب معنا رجال يعرفون طبيعة الشلالات وسبق
لهم التعامل معها ، اذ سبق لهم أن أبحروا فى النهر وسط
الدوامات ويعرفون المواضع التى بها تتواعت تسبب سرعة
جريان النهر عندها ، وقد وصلنا بالفعل الى جزيرة تقع
وسط مجرى النهر ، وكان الماء يدور حول احدى حوافها ،
ولما اقتربنا أكثر كان ثمة خطر أن يجرفنا الماء الذى كان
يندفع اندفاعاً شديداً ويرتطم بشواطئ الجزيرة الا أن
النهر - الآن - كان منخفضاً ، ومن ثم فقد وصلنا لموضع
ما كنا لنصله لو أن النهر كان مرتفعاً ، ومع أننا وصلنا
للجزيرة وكدنا نصل للبقعة التى سنراقب فيها المنظر ونحل
المشاكل غير الواضحة بالنسبة للنهر ، بدا أن النهر يضيع
فى الأرض (يسيخ فى الأرض) فعند الطرف المقابل
(الحافة المقابلة) يبدو النهر وكأنه غاص فى شق (أو صدع)
لا يبعد أكثر من ٨٠ قدماً ، أو على الأقل اننى لم أستوعب
وضع النهر حتى زحفت بنحدر الى الحافة ، ورحت أهدق من
أعلى لأرى نهر الزمبىزى العريض بشاطئيه لقد اتضح لى أن
عرض النهر يبلغ ألف ياردة . ان النهر ينحدر الى الأسفل
لمائة قدم ثم ينضغط - فجأة - فى مساحة (عرض) خمس
عشرة ياردة أو عشرين ، ان الشلال كله هو - ببساطة -
عبارة عن شق (صدع) فى صخر بازلتى شديد يجتازه النهر ،
ويقطع - أى هذا الشق شاطئى الزمبىزى من اليمين الى اليسار
ثم يمتد ناحية اليسار بين التلال ثلاثين أو أربعين ميلاً .
وإذا أراد شخص ما أن يتخيل الصورة فليضع التيمز Thames
فى ذهنه ويجعله ممثلاً بالتلال المغطاة بأشجار منخفضة فى
المنطقة الواقعة مباشرة خلف المجرى (القناة) ، ويجعله يمتد
الى جريفسند Grävesend وأن يكون باطن مجراه من

أحجار بازلتية لا من طين لندن ، وأن يتخيل شقا من طرف
القناة (المجرى) الى طرفها الآخر ، ويمتد هذا الشق
من ناحية الشاطئ الأيسر مسافة ثلاثين ميلا بين التلال ،
ويتخيل أن مجرى الماء (الجديد) يكون أدنى من مجرى النهر
(الأساسى) بمائة قدم ، ثم يقفز نهر (ماء نهر) التيمز
بعنف (ليصب) فى الخليج حيث يجبر على تغيير اتجاهه
لتجرى من شاطئه الأيمن الى شاطئه الأيسر (كذا) ثم يندفع
بعنف عنيف هائجا مصدرا زئيرا بين التلال ، ان القارىء
(الانجليزى) ان تخيل هذا ، فسيكون لديه فكرة ما عن أكثر
المشاهد مدعاة للدهشة . الى الأسفل فى الشق الواقع الى اليمين
من الجزيرة لا يرى المرء شيئا خلا سحبا بيضاء كثيفة ، وفى
الوقت الذى زرت فيه المنطقة ورأيت هذا المشهد ، كان يوجد
فى هذه السحب قوسان من أقواس قزح لأن الشمس كانت فى
الأوج . ومن هذه السحب يندفع بخار كهرمانى أسود ، يشبه
مجرى النهر تماما ويرتفع ، ن أى هذا البخار مائتى قدم أو
ثلاثمائة ، ثم يتكاثف وتتغير درجاته اللونية ويصبح وكأنه
دخان داكن ، ثم يهطل مطرا كثيفا يبللنا حتى الجلد ويكون
سقوط هذا المطر - بشكل أساسى - على الجانب الآخر
(المقابل) للشق الى الخلف من الحافة ببضعة ياردات حيث
يوجد حزام من أشجار دائمة الخضرة ، مبتلة أوراقها دائما ،
وتنساب غدران صغيرة من عند جذور roots (كذا) هذه
الأشجار وأثناء سقوطها من فوق منحدر شديد يتصاعد عمود
بخار .

والى اليسار من الجزيرة نرى الماء فى القاع يدور فى
دوامات ضخمة . بيضاء تتجه نحو امتداد الشق الذى يتشعب
الى شعب (فروع) بالقرب من الشاطئ الأيسر للنهر . وقد

أسقطت حجرا عند الشاطئ الأيسر للجزيرة واستنتجت أن الماء يهبط (يندفع للأسفل) من ارتفاع يصل الى مائة قدم (★) ان جدران هذا الشق الهائل عمودية ويتكون كل جانب من جوانب الشق من قطعة صخرية هائلة ومتجانسة ، والحافة التي ينساب من فوقها الماء قد نحتت (بفعل الماء) بمقدار قدمين أو ثلاث ، وتساقطت قطع حجرية منها ، فبدت - أى الحافة - مثلثة (مشرشرة) على نحو ما . فالماء لا ينساب بشكل متساو على طول الحافة ، اللهم الا في الجانب الأيسر حيث يبدو في الحافة شق واضح ، وبدت كتلة حجرية على وشك السقوط . والصخرة بنية داكنة ، الا عند القاع بارتفاع عشر أقدام حيث اللون غير واضح بسبب الارتفاع السنوى للماء ، والى الجانب الأيسر من الجزيرة يمكن القاء نظرة رائقة على المياه الهائلة التى تسبب عمود نخر الماء (رذاذ الماء) الذى يتصاعد بشكل واضح ، ويشكل ما يشبه الثلج المندوف فى القاع . انه منظر ظل مسيطرا على خيالى عدة أيام . .

. . لقد ذكرت أننا رأينا خمسة أعمدة من البخار (الرذاذ) تتصاعد من هذه الهاوية الغريبة . لقد تكونت هذه الأعمدة بفعل انهمار الماء انهمارا عنيفا فى مساحة صلبة ، ومن بين هذه الأعمدة الخمسة يعتبر العمودان الى اليمين من الجزيرة ، والعمود الى الشمال منها ، هما أعظم (أضخم) هذه الأعمدة . . . وعلى أية حال فقد كان وقت زيارتنا فى فترة انخفاض النهر (ليامبى Leeambye) لكن - وعلى قدر ما يمكننى أن أخمن - فثمة فيضان مقداره

(★) هذا يعنى أن ارتفاع الشلال الرئيسى هو ٢٧٢ قدما .

خمسمائة أو ستمائة ياردة من الماء ، تبدو عند حافة الشلال على عمق ثلاث أقدام على الأقل . اننى أكتب ذلك على أمل أن يتمكن آخرون ممن رأوا هذا المشهد من تقدير المسافة تقديرًا أفضل مما قدرته ، فالحقيقة اننى لم أفعل أكثر من تسجيل الانطباع الذى أحسست به فى ذلك الوقت ، لقد اعتقدت - ولازلت - أن عرض نهر الزمبيزى فى المنطقة أعلى الشلال ، يبلغ ألف ياردة ، لكن حكى على المسافات عبر المياه حكم بئس (غير دقيق) فقد حدث أن أشرت لصديق بحار أن مسافة ما فى خليج لونداء Loanda تبلغ أربعمائة ياردة الا أنه أكد - لدهشتى - أنها تبلغ تسعمائة ياردة .

وقد حاولت أن أقيس عرض نهر ليامبى Leeambye بجبل قوى لكن رجالى بعد أن قطعوا مائتى ياردة أو ثلاثمائة انخرطوا فى نقاش فلم يسمعوا ضيحاتى التى تحذروهم أن الجبل قد تعقد ، لذا فقد انقطع الجبل بسبب مواصلتهم الحركة ، وبعد أن انقطع علق ببقايا جذع شجرة فى القاع ، وعبثًا حاولت أن أتذكر الطريقة التى كنت قد تعلمتها بقياس عرض النهر بقياس زاوية السدسية Sextuant . لقد كنت أعرف هذه الطريقة يومًا ، انها طريقة سهلة ، لكننى نسيتها الآن . . أين تذهب الأفكار ، اته شيء يبعث على الغيظ ، وعلى أية حال ، فقد قست النهر فى اتجاه هبوطه بخطه أخرى ثم ثبت أن البرتغاليين قد قاسوه عند تيتى Tete فوجدت أن عرضه يزيد عن ألف ياردة بقليل ، وعرضه عند الشلالات كعرضه عند تيتى ان لم يكن أكثر . وأرجو ألا يكتشف من يأتى بعدى اننى مبالغ (١) .

(١) المحرر : العرض ١٨٦٠ ياردة .

ويقول الماكولولو Mokololo ان الشق (الصدع)
أعمق كثيرا ناحية الشرق ، وفي موضع واحد نجد أحد
جانبي الصدع مائلا بحيث يمكن للناس أن يهبطوا اليه
منحدرين والواحد منهم في الوضع جالسا ، وذات مرة تابع
الماكولولو بعض الهاربين من الباتوكا Patoka ولم يستطيعوا
وقف اندفاعهم (تزلجهم) بعنف حتى وصلوا للقاع بعد أن
تحطموا وتكسروا قطعاً - بكل ما تعنيه الكلمة حرفياً -
في قاع الشق . والماكولولو يصفون مجرى الشق (الصدع)
الأسفل بأنه يبدو لهم كالحبل الأبيض « White Cord » ...

والآن فرغم أن حافة الصخرة التي ينخر النهر من فوقها
(ينساب النهر فوقها وينهمر ماؤه منها) لا يبدو أنها ستتحمل
كثيراً لأكثر من ثلاث أقدام (نحتاً) ، وليس هناك ما يدل
أن الجدار المعاكس (المقابل) للصدع سيبنى (سيتفتت)
عند القاع في الأجزاء المرئية ، إلا أنه من المحتمل أن أجزاء
الصدع التي تبدو من السطح وكأنها (حبل أبيض) ليست
كذلك بالفعل - إنما هي أعرض بكثير ، وقد يكون جانباً
الصدع يسمحان بتسرب المياه ، وربما كانت هناك تشعبات
في هذا الصدع بما يشبه المجارى المائية بين الصخور ، لكنني
لست متيقناً من ذلك .

وإذا وضعنا في اعتبارنا شدة النحت عند شفة (حافة
Lip) الصخرة البازلتية الشديدة فإن الوقت الذي
ستبلى فيه (تنتهى بفعل النحت) ليس - من الناحية
الجيولوجية - بعيداً جداً . واني آسف لنقص الوسائل التي
تمكنني من قياس عرضها عند الشلالات حتى نتمكن مستقبلاً
من معرفة مدى تأكلها (ما أحدثته المياه فيها من نخر) . . .

قوس قزح موطن الآلهة :

وفى ثلاثة مواضع بالقرب من هذه الشلالات بما فى ذلك الجزيرة التى نقف الآن فى وسطها - يعبر الناس هذه الشلالات ويتجهون بصلواتهم ودعواتهم نحو مصدر الصوت ، فثمة ثلاثة زعماء من زعماء الباتو Batoka يصلون للباريمو Barimo ويقدمون لها الأضحيات (المترجم : من الواضح أن المقصود هو الشلالات أو الصوت المنبعث منها) - لقد كانوا ينظرون لمنظر الشلالات وما حولها وللقوس الظاهر فى السماء بخوف ذى طابع غيبى دينى ، وبدا النهر بالنسبة لهم غامضا حافلا بالأسرار ، فقد كان بعض أصحاب القوارب يغنون :

« آه يا نهر لييامبى ، لا أحد يعرف ، من أين تأتى وإلى أين تذهب »

The leembye Nobody knows, whence it comes and wither it.
Goes

وفى كل مكان ينظر الناس الى تلك الألوان فى السماء على أنها لا تعدو أن تكون قوس قزح أما هم فقد تذهب أفكارهم إلى أن هناك بيت الله - وقد كان بعض الماكولولو الذين ذهبوا معى الى قرب جونيى Gonye ينظرون لهذه الظاهرة بخوف غيبى فاذا رأوا قوس قزح فى السماء صاحوا موتسى أوا باريمو Motse' oa barima وهى عبارة تعنى أيدى الآلهة (المترجم : لعل المقصود مثوى الآلهة Pestle of the gods) انهم هنا لا يستطيعون الاقتراب من الرمز أو المعنى الكامن ، فهم

يرون في قوس قزح ذلك العالى الصامد بثبات فوق كل
ما تحته ، وكل ما تحته متغير ، فهو يغير ولا يتغير ، وهم غير
واعين بطبيعة هذا الإله الذى لا يحرك فى صدورهم نوازع
حب الجمال والخير . . .

رحلة

فريدريك سيلوز

FREDERICK SELOUS

عن شعب الماشوكولومبوى

Mashakulumbwi

ولد فريدريك سيلوز فى لندن سنة ١٨٥١ م . وبعد ان قام برحلات الى فرنسا والمانيا امتهن الطب ، ورحل الى جنوب افريقيا فوصلها سنة ١٨٧١ م . وفى العام التالى (١٨٧٢ م) قام بزيارة لزعيم قبيلة (شعب) الماتابيلى Matabele وهو الزعيم لوبنجولا Lobengula وارشده جان فلجون Jan Vilpoen فى رحلة صوب الشمال . وقام باصطياد الفيلة فى وادى الامنياتي the Umniati وتاجر فى العاج . وفى سنة ١٨٧٣ م مارس الصيد على طول المناطق الغربية لجاواى Gweai وفى العام التالى (١٨٧٤ م) وصل لمناطق شوبى Chobe وشلالات هكتوريا . وزار انجلترا وعندما عاد الى جنوب افريقيا قضى موسم صيد كاملا فى مناطق البتشانانا Bechuanaland وفى سنة ١٨٧٧ م ، سافر هابطا فى نهر الزمبىزى من وانكى Wankie حتى مصب الكافو Kafue حيث عبر هضبة مانبا Manipa وكان قد خطط فوصل الى انياتى Inyati لكن اصابته بالحمى منعه من الوصول الى هدفه . وفى سنة ١٨٧٨ ذهب الى مناطق :امنياتي Umniati وهونياني Hunyani وامسندس Umsengedsi وفى ١٨٧٩ ذهب الى مسطحات موبابى Mobabi flats ومناطق الشوبى Chobe . وفى سنة ١٨٨٠ م خطط لزيارة مناطق (بلاد) الماشوكولومبوى ، ولكنه لم يتلق ردا بالموافقة على الحصول على كمية من البارود . وقد

استقر في هذه ان نهر اومفولي Umfuli يتجه الى املياتي
لا الى الزمبيزي . ولما زار انجلترا قام بنشر كتابه (جولات في
افريقيا) Wanderings in Africa . ولما عاد الى جنوب
افريقيا في نهاية عام ١٨٨١م بدأ في جمع العينات المختلفة بالإضافة
لممارسة الصيد ، وتابع نهر امنسجدي الى نهر الزمبيزي واجر صاعدا
في مجرى نهر زمبو Zumbo وفي سنة ١٨٨٣م كان بالفعل
عند منابع نهري مازو . Mazoe وسابي Sabi ، وفي
سنة ١٨٨٤م كان في مناطق امفكوير Umvukkwe .
وفي سنة ١٨٨٦م قطع رحلاته التي كان يمارس
اثناءها الصيد وزراء انجلترا مرة اخرى . وفي العام
التالي اكتشف كهوف سينويا Stnoie Cares ووصل
موقع سالزبوري Salisbury وامتالي Umtali او
بالقرب منها . وفي سنة ١٨٨٨م قصد لزيارة بارونسلايد
Barotseland لكنه سمع عن وجود اضطرابات هناك فعبر
نهر الزمبيزي عند ونكي Wankie وهبط في هذا المجرى الأخير ،
وليتحاشى ابتزاز زعماء الباتونجا Batonga فقد اتخذ
طريقا شماليا قاصدا المنابع العليا لنهر كافو Kafue .

Selous's Travel and Adventure in South-East.
Africa. London, Rawland Ward and Co.,
1893.



تلال مخروطية جرداء :

• • • أثناء اليومين التاليين استمر طريقنا وعرا في
منطقة أظنها أصعب منطقة في العالم للسائر على قدميه .
انها منطقة مكونة من كتل مشوشة من تلال مخروطية منفصلة
يتراوح ارتفاعها بين خمسمائة قدم الى ألف قدم . انها تلال
حجرية جرداء الى أبعد حد لها منظر جاف مرعب ، فالماء
عزيز جدا وليس ما يمكن اصطياذه من طرائد الا نادرا .
الحق أقول لكم انه لا يمكن لأي حيوان من ذوات الأربع أن
يعيش في هذه المنطقة البائسة . وعلى أية حال فان مرشدينا
كانوا يعرفونها جيدا فتتبعوا الطريق (الممر) - او بالأحرى

ما كان ذات يوم ممرا أو طريقا - الذى لم يكن من اليسير تبينه . لقد تعبنا حميرنا تعباً شديداً خلال سفرنا فى هذا الطريق طيلة يومين . وقد اعترتنى الدهشة وأنا أرى هذه الحيوانات (الحمير) تقفز صاعدة وهابطة فى مواضع خطيرة ، وهى تفعل ذلك دون مرشدين مهرة ورغم نقص المياه وصعوبة الأرض ، فقد كان أمرا مرهقا جدا أن تمر هذه الحمير بين التلال .

مغادرة زونجوى Zongwi :

وبعد الظهر غادرنا زونجوى ، وأصاب أحد رجال الباتونجا Batongas - وكان قد صعبنى لتناول اللحوم - مرض الدوسنتاريا (الزحار) بشكل حاد . لقد كان رجلا شابا تبدو عليه سمات القوة والنشاط ، لكنه مات فى صباح اليوم التالى فى حوالى الساعة السادسة .

القاء جثة الميت فى أقرب حفرة

الموت كحدث عادى ، بل وفكه :

وقد بقى أصدقاء المتوفى الى جوار الجثة ، وعلمت - بعد ذلك - أنهم لم يتكبدوا عناء فى الدفن ، فقد ألغوه - ببساطة - فى حفرة مليئة بالماء تقع أسفل معسكرنا . وقد خفت أن يؤدى هذا الحدث المفاجئ الى متاعب بين الأولاد المرافقين لى لكنهم بدوا غير منشغلين أبدا بما حدث بل راح بعضهم يقلد التقلصات التشنجية لأصابع الميت البائس ، كما راحوا يقلدون بعيونهم تحولات عينيه ، ويقلدون بالسنتهم تدلى لسانه وبروزه خارج فمه وهو يحتضر ، هم يضحكون أثناء ذلك . وقد أخبرنى بول أن أصدقاءه أرجعوا مرضه المفاجئ

لمكيده دبرها له أعداؤه في قريته his own krael اذ أعدوا
له سحرا يورده موارد الموت .

وفي اليوم الثالث بعد مغادرتنا زنجوى تغيرت الطبيعة
الى الأفضل كثيرا فبدت التلال أكثر استدارة وانتظاما وغطتها
غابات أشجار الماهوبو - هوبو Mahobo-hobo والما شابل
Machabel (★) ، وكانت هذه الأشجار مورقة تماما ،
وبينها وتحت ظلالها تمت الحشائش بكثافة ، وقد قضيت
ساعتين في منتصف النهار اصطاد الفراشات وكان من بينها
بعض الأنواع الجميلة مثل نوع Achraea acrita . وقد
وجدتها مماثلة للفراشات التي اصططتها في المنحدرات
الشمالية والشرقية في مناطق الماشونا Mashuna الى الجنوب
من الزمبيزي على ارتفاع يتراوح بين ثلاثة آلاف قدم وأربعة
آلاف قدم ، وفي مناطق الماشونا أيضا التقيت بغطاء نباتي
كالغطاء النباتي فوق التلال التي أنعم بصيد الفراشات
فوقها الآن .

وفي مساء اليوم التالي عسكرنا عند قرية باتونجا
Batonga الصغيرة والتي تقع في واد خصب عند سفوح
سلسلة من التلال - وهي التلال نفسها - كما أظن - التي
تمتد من مساقط فكتوريا حتى الكافوكوي Kafukwi . وهن
(أي في قرية باتونجا هذه) اصططت دليلا آخر (مع أن
الرجلين الآخرين وهما من زونجوى Zongwi ظلا معي) .
وذلك ليصحبنى (أي هذا الدليل الجديد الى مونزي Monzi
زعيم الباتونجا Batonga الذي يعيش في الهضبة العليا

(★) لم نستدل على مقابل عربي لها في المعاجم الزراعية المتاحة .

التي علمت من خريطة رافنشتين Ravenstein أن الدكتور ليفنجستون قد مر فوقها منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة وذلك أثناء رحلته من بلاد الماكولولو Makololo الى الزمبيزي الأدنى . وقد أخبرنا دليلنا الجديد أنه ليس أمامنا الآن الا أن نتسلق هذه التلال لنكون بعد ذلك فوق هذه الهضبة حيث تكثر الطرائد وتكون الرحلة سهلة هينة بالنسبة لحميرنا ، وقد سعدت كثيرا بسماع هذا ، وفي الصباح التالي شرعنا في تسلق التلال بسهولة مستخدمين ممرا متوجعا قطعناه سيرا على الأقدام ، ولما وصلنا للقمة سرنا زهاء ساعة خلال منطقة تكسوها الغابات حتى وصلنا الى مجرى مائى توجد خلفه مرتفعات مكشوفة تكسوها الأعشاب والحشائش ، وهنا أطلقت نيرانى على بقرة وحشية كستنائية اللون ، ومن ثم توقفنا لتناول افطارنا من صيدنا هذا ، ولم أطلق النار على قطيع كبير من الحيوانات هرولت مقتربة من خميرنا ، وذلك لأننى كنت أتوقع أن أصطاد - غير بعيد من هذا المكان - طرائد كثيرة . وفي المساء أطلقت النار على بقرة وحشية أخرى وفي صباح اليوم التالي كان من حظى اصطياد خنزير ذكر وحشى . ومن هنا حتى مونزى Monzi قطعنا الطريق. ونحن فى الغاية من السعادة ، اذ كان طريقنا بين غابات يتلو بعضها بعضا وتلال مكشوفة . وكانت المنطقة غير مأهولة بالسكان ، كما كان الماء متوافر بها ، وكانت عامرة بالطرائد . وكان المناخ أيضا - فى هذه المنطقة المرتفعة - منعشا حتى تحت أشعة الشمس ، أما ليلا فقد كان الجو باردا جدا ، وكنت أصطاد ما أريده من الطرائد كل يوم. لقد كنت أود صيد حيوان الهرتبسيس (التيتل - بفتح التاء وتشديد ها وتسكين الياء وفتح التاء الثانية) والحمر المخططة وحيوانات العنيدة (ظبى أفريقى ضخمة - بفتح العين

واللام) ، وكانت جميعا متوفرة * وأخيرا وصلنا الى
مونزى *

ولما كان الدكتور ليفنجستون هنا سنة ١٨٥٣م ، كان
الزعيم مونزى يعيش بالقرب من تل صغير يسمى أو
- كيسا - كيسا U-kesa-Kesa (وقد أشارت خريطة
رافنشتين الى هذا التل باسم كيسى - كيسى kesi-kesi)
ومنذ زاره الدكتور ليفنجستون ، فان هذا الزعيم ربما يكون
قد غير مقر اقامته (نقل قريته) أكثر من مرة ، أما أثناء
زيارتي فقد كان يقيم قريته على بعد ثمانية أميال الى الشمال
الشرقى من (أو - كيسا - كيسا) *

لقد وجدت الزعيم مونزى رجلا عجوزا مزيلا ضعيف
البصر ذابل العينين ، دامعهما ، كما كان قلقا غير مستقر ومع
هذا فقد كان حلو الحديث ودودا * لقد تذكر الدكتور
ليفنجستون الذى زاره منذ خمسة وثلاثين عاما ، ومنذ ذلك
الحين لم يزر المنطقة رجل أبيض سوى ، ومن ذلك استنتجت
أنه يوجد مشروع أوربى فى هذه الأنحاء من أفريقيا * لقد
كان الزعيم مونزى البائس يعانى من نقص فى قطعانه أثناء
زيارتي ، فقد سلبت قطعانه كلها منذ شهرين على يد جانب
من قوات ليوانىكا Lewanika التى كانت تلاحق قوات
ماراناسينيان Marancinyan الذى كان - كما سبق أن
ذكرت - طامحا لزعامة الباروتسى Barotsi chieftainship
وقام بشن غارة على سيشيكى Seshenki فى عمق المناطق
التابعة لليوانىكا Lewanika * ويعرف مارانسيان بأسماء
أخرى اذ يطلق عليه أيضا سيكابنجا ، وماكونجورا وكان
يعيش وقتها مع عدد كبير من أتباعه بالقرب من تلال
نياندا بانجى Nyandabonji الى الشمال من مقر مونزى

بحوالى خمسة عشر ميلا ، وبدأ واضحا أن رجال ليوانيكال
كانوا خائفين من مهاجمته منذ عادوا . إلا أنهم على أية
حال - عندما كانوا على بعد عدة أميال من مدينته - جمعوا
كل قطعانه التى استطاعوا الوصول اليها من قرى الباتونجبا
الصغيرة ، ولم يواجهوا مقاومة تذكر ، وبذلك لم يعودوا
دون غنيمة .

وقد توقفت أكثر من يوم عند مقر مونزى ، وكنا على
علاقة طيبة جدا بشعبه ، وتعاملنا معه ، فقد أعطيناهم أفضل
العائدات (بفتح العين واللام) . والحمر الوحشية ، ووجد
الصبية التابعون لى متعة كبيرة فى تناول البطاطا والفل
السودانى (قد يكون المقصود حب العزيز - groundnuts)
بالاضافة لكميات كبيرة من اللحوم الجيدة - والحقيقة أنهم
استمتعوا استمتاعا كبيرا وكانوا سعداء تماما ومستعدين
للسير معى الى أى مكان .

وكان كثير من الرجال هنا عراة تماما . وقد رأينا أيضا
بعضهم قد جعل شعره على نسق جماعة (قبيلة) ماشوكو لمبوى
Mashuku-Lumpwi وهو نسق فى التصفيف يجعل
كتلة الشعر مربوطة فى مؤخرة الرأس ، أما بقية الرأس
فحليقة . ووجدت من غير الممكن أن أحصل على معلومات
دقيقة عن المنطقة عند التقدم ، فلم يبد أى واحد فى المنطقة
ملما يابعد من عشرين ميلا الى شمال البقعة التى ولد فيها .
وأقام . وأخيرا اهتديت الى رجلين قالوا انهما سيرشدانى الى
الطريق الى كافوكوى Kafukwi لكننى اقتنعت انهما لم
يندبأ هناك أبدا ولا يعرفان شيئا عن الناس فيها . وبعد
مغادرة مدينة مونزى سافرنا عبر تلال لا أشجار بها ، وكانت
الحشائش تغطى جانبا كبيرا من المنطقة . وكانت حشائش

عالية يبلغ طولها ما بين ست أقدام وسبع أقدام . وعلى أية حال فقد سرنا فى طرقات جيدة حددتها لنا آثار أقدام أهل البلاد ، فأتت بنا من قرية الى قرية وتناولنا افطارنا بالقرب القريب من احدى هذه القرى وبتنا بالقرب من قرية أخرى . وكان البشر فى القرية التى بتنا عندها - كلهم من الماشوكو لومبوى Mashukumbwi وكانوا جميعا - بلا استثناء - عراة تماما ، وشعر الواحد منهم على النسق الذى سيق أن ذكرته ، وطريقة التصفيف هذه قصر على هذه القبيلة (هذا الشعب) . وعند القرية التى بتنا عندها لم نستطع أن نجمع من فروع الشجر والقش ما يكفى لعمل (خص) أو مأوى لنا ، كما لم نستطع جمع الأخشاب الكافية لايقاد النيران لأعداد طعامنا ، فقد كانت المنطقة حولنا عبارة عن سهل مكشوف معشوشب . لذا فقد كنا مضطرين لبذل قصارى جهدنا فى اعداد مقرنا باستخدام أعواد القمح ، كما استعمرنا من الماشوكوا أخشابا لاستخدامها كوقود ، وهم يجلبون أخشاب الوقود هذه من مناطق بعيدة .

وبعد حلول الظلام أخبرنا أحد أدلتنا - وكان قد دخل القرية وعاد إلينا - أن عددا كبيرا من رجال السيكابنجا Sikabenga قد وصلوا الى القرية ، وأنهم قد أتوا فى اثرى . وعلى أية حال فانهم لم يصلوا لمسكرنا هذه الليلة ، ولكنهم زارونى فى اليوم التالى - فى الصباح الباكر . وكان من بينهم حوالى خمسة عشر رجلا - كلهم من الباروتسى Barotsi ، وكلهم يحملون معهم بنادق ، وقد أتوا مصحوبين برجال من مختلف القرى التى مروا بها ليلا ، وليس رجال الماشوكو فحسب .

وكان كل رجل من رجال الماشوكو يحمل معه حزمة من سهام القذف ، وكانت - أى هذه السهام - مستدقة بشكل دقيق . ويبلغ طول السهم منها حوالى سبع أقدام ، وكانت السهام جميعا ذات رءوس . وقد وضعت الخراطيش حول وسطى ، واتخذت حذرى وحملت بندقيتى . على أية حال ، فان الباروتسى كانوا ودودين ، قالوا ان أخبار مرورى بمقر مونزى قد وصلت لزعيمهم سيكابنجا ، وأن الباتونجا هم الذين أخبروه بذلك ، ومن ثم فقد أرسلهم فى اثرى محملين بنايين من العاج ، لمبادلتهم بذخيرة ، فأخبرتهم أننى لا أملك بارودا للبيع ، فليس لدى منه سوى ما هو موجود فى خراطيشى وأننى احتفظ به لتعمير بندقيتى . وأخبرتهم أننى لا أستطيع اقتسام خراطيشى معهم لأن رحلتى طويلة ، لذا فكل ما معى من البارود يلزمنى لاستخدامى الشخصى . ولم يصدقوا مقالتي - على أية حال - وظنوا أن بعض صفائح البسكويت التى احتفظ بها وكذلك بعض الحقائق التى تحوى كتباً طبية وبعض الأشياء الأخرى - تحتوى على بارود .

فطلبوا منى أن أعود معهم الى سيكابنجا قائلين ان الماشوكو سيقتلوننى - يقينا - قبل أن أصل الى كافوكوى . فسألتهم لماذا جمعوا الماشوكو ليلا فقالوا انهم رجال سيكابنجا وأنهم قدموا لدفع المال لهم باعتبارهم ممثلين لسيكابنجا ، وراحوا مرة أخرى يحثوننى على العودة الى مدينتهم ولما رفضت سألونى عما اذا كنت قد سمعت أن معسكر الدكتور هولوب Holub قد هوجم ونهب منذ عامين خليا ، وأن ذلك كان على يد الماشوكو وأخبرونى أننى لن أعبر - أبدا - الكافوكوى . وقالوا : « لن تعيش أكثر من يومين ، وفى اليوم الثالث سينفصل رأسك عن جسدك » . وعلى أية حال فاننى لم أعر تهديداتهم اهتماما وأخيرا أعطيتهم بطانية

كهديه الى سيكابنجا ، ويارات قليلة من قماش الكاليكو
لأنفسهم . ومن ثم غادرونا ومعهم الماشوكو ، وحملنا خميرنا ،
وتابعنا رحلتنا .

الوصول لنهر ماجويى Magoi-ee:

وبعد ساعتين وصلنا لنهر ماجويى الذى ينبع الى الجنوب
قليلا من (او - كيسا - كيسا) . ويتجه شمالا ليلتقى
بكافوكوى . وهنا أطلقت النار على حمار وحشى ، وقررت
أن نعسكر عند نهر ماجويى هذا لتوفر المياه ولأن النهار كاد
أن ينقضى . وأكثر من هذا فقد رغبت أن أسأل مرشدينا
بالتفصيل عن المنطقة التى سنصل اليها ، فالحق أننى لم أكن
مرتاحا لمنظر الماشوكو ولم أكن راغبا أن أكون فى قلب
بلادهم متذكرا ما حدث للدكتور هولوب بين هذه الجماعات
المتوحشة ، منذ وقت غير بعيد . وكانت فكرتى أن من الحكمة
أن أغير طريقى فبدلا من الاستمرار شمالا - فى خط
مباشر - الى الكافوكوى - يستحسن أن أتجه شرقا وأن أعبر
(النهر) فى منطقته الدنيا عند سيمالمبوى Semalembui
حيث عبره الدكتور ليفنجستون منذ سنوات قبل ذلك ، وبهذه
الطريقة يمكننا تجنب مناطق سكناهم خلا المرور ببعض
قراهم (قرى الماشوكو) النائبة ، وقد وافقنى على ذلك كل من
بول وتشارلى الا أننا - لسوء الحظ - سمعنا لأنفسنا بأن
نقتنع برأى مرشدينا الجهلة الذين قادونا لنكون بين فكى
الموت . لقد قال لنا مرشدونا انهم لا يعرفون الطريق الى
الشرق ولا يعرفون مواضع المياه (وقولهم هذا كان صحيحا
الى حد كبير ، بلا شك) وأنه يمكننا بالاتجاه شمالا أن نتجنب
مدن الماشوكو والا نمر الا ببعض القرى المنعزلة حيث السكان
مسالمون .

وهكذا تم اثناؤنا عن اتخاذ طريق كان سيؤدي بنا الى الكافوكوى .

وفى الصباح الباكر تجاوزنا قرية صغيرة أخرى حيث كان الناس خائفين منا بشكل واضح ، وبعد أن غادرناها تتبعنا طريقا يتجه شمالا ، وكان هذا الطريق موازيا لمجرى نهر ماجويى ، ويشار لهذا النهر فى خريطة رافنشتين باسم ماكوى Makoe . وخلال النهار عبرنا منطقة تعج بحيوانات العلندة (بفتح العين واللام) والحمير الوحشية وغير ذلك من الطرائد .

ومررنا خلال قطاع غابى حيث كانت توجد ذبابة تسي تسي Tse-Tse بأعداد كبيرة ، وبعد الظهر وصلنا لنهر أنجويزى Ungwesi حيث وجدنا عددا أكبر من قرى الماشوكو ، ولأن شطرا كبيرا من النهار كان قد انقضى بالفعل ، فقد قررنا أن نعسكر على الشاطئ الأخر للنهر ، وفى البداية كان الناس خجولين منا ، فراحوا يراقبوننا عن بعد ، وان كان المقاتلون العراة ذوى نظرات خطيرة ويحملون رماحا طويلة مزودة برءوس . وسرعان ما قدم إلينا رئيسهم headman مصحوبا بعدد قليل من الأتباع وتأكد أننا لا نقصد به ولا بشعبه شرا ، فأصبح ودودا جدا ، وأشار علينا بإقامة معسكرنا فى موضع جيد ودل رجالى على مواضع جمع أخشاب الوقود ، ومواضع جمع الحشائش للحمير . . الخ واقتنعت أن هذا الرجل كان طيبا بالفعل فقد كان ودودا ذا وجه مريح . وقدمت له هدية بسيطة جعلته مسرورا تماما ، وبعد عودته لقريته رجع إلينا محملا بسلة طعام أهداها لى وكان معه هذه المرة زهاء ثلاثون رجلا كانوا عراة تماما ، الا أن الواحد منهم كان يضع فى شحمة أذنه شوكة من شوكات

حيوان الشيهم (بتشديد الشين وفتحها وتسكين الياء - ويسمى أيضا النيص) ، فهل يمكن اعتبار هذه الشوكة قطعة ملابس ؟! وكان كل واحد منهم يحمل مجموعة من الرماح فوق كتفه اليسرى ، وفي الوقت نفسه يحمل رمحا أو رمحين في يده اليمنى . واني أعترف أنني لم أرتح لرؤية هؤلاء المتوحشين المقاتلين ، وذلك لأنني خلال كل رحلاتي لم أقابل أبدا قبل ذلك أفراد قبيلة لا يخرج أفرادها من أكواخهم اذا لم يكونوا مستعدين تماما لخوض معركة . وقد عرفت من رئيس هذه المجموعة أن نهر أونجويزي Ungwesi هو النهر نفسه الذي عبره الدكتور ليفنجستون في منطقة قريبة من منبعه بين مونزي وسيمالمبوي ويشار لهذا النهر في خريطة رافنشتين باعتباره نهرا يسير ليلتقى بالكافوكوي . وهذا خطأ - على أية حال - فهو يجري ليلتقى بالماجوي Magoi-ee على بعد أميال قليلة من هنا .

وفي صباح اليوم التالي زارني الزعيم (رئيس المجموعة) مرة أخرى وقدم لي رجلا (مرشدا) ليصحبني الى ميننجا Minenge الزعيم الأكبر للمنطقة Canoes الذي تقع القرية التي يقيم فيها على شاطئ نهر ماجوي على بعد ستة أميال الى الشمال من هنا ، وهو ليس بعيدا عن الكافوكوي . وقد أخبرني أن ميننجا يمتلك قوارب Canoes في هذا النهر الأخير (الكافوكوي) ويمكنه أن ينقل مقتنياتى وحميرى عبر النهر . وباختصار فبعد أن بدأنا مواصلة رحلتنا رأيت قطيعا من حيوانات الهرتبيس (حيوان التيتل الأفريقى الضخم) يرعى على شاطئ نهر أونجويزي Ungwesi ولأننى عرفت أن (الزعيم) ميننجا كان خارج مقره فى رحلة قصيرة لمدة نصف يوم ، وأننى لن أستطيع مغادرة زمام

منطقته ، لذا فقد فكرت أنه من الحكمة أن أطلق النار على واحد أو اثنين من هذه الحيوانات ، ان تمكنت من ذلك ، وبذلك أوفر امدادات من اللحوم ، وأطلقت النار على ثلاثة منها وتوقفنا لتناول الافطار بينما كان الصبية التابعين لي يقطعون لحومها . وأرسلت كذلك أحد المرشدين التابعين لي ليعود للقرية التي كنا قد غادرناها لتونا ليسلم لرئيسها عارضا عليه فيها أن أعطيه بعض اللحوم اذا أرسل لي رجلين من رجاله ، وأقبل الرئيس بنفسه مصحوبا بعدد كبير من رجاله الطيبين وقد أحضر معه - كهدية لي - وجبة جيدة وحب العزيز (فول سوداني ؟) ، فأعطيته هو ورجاله قدرا كبيرا من اللحم وبدأ لي أنه كان مبتهجا وسعيدا .

وبعد الافطار تتبعنا نهر أنجويزي Ungwesi حتى قرب التقائه بنهر ماجويي ، وهنا تركنا أنجويزي وعبرنا نهر ماجويي . وسرعان ما وجدنا أنفسنا بين عدد من قرى الماشوكو الصغيرة ، ووجدت أننا قد أصبحنا - فجأة - وسط منطقة مزدحمة بالسكان . وأصبحت الأرض - الآن - مزدانة بقطعان الماشية من سلالات صغير حجمها ، وسرعان ما أحاط بنا جمع غفير من العراة ، يحمل الواحد منهم مجموعة من الرماح ، وعلى أية حال ، فقد بدت هذه الجموع طيبة لا خطر منها ، وبدأ الرجال سعداء تماما أثناء سيرهم الى جانب حميرنا ، وراحوا يضحكون ويصيحون ويصخبون بصوت عال ، وأخيرا وصلنا الى قرية ميننجا ، وكانت - كالقرى الأخرى - صغيرة جدا . وكانت تقع بالقرب من شاطئ نهر ماجويي في وسط مساحة من الأرض تم تطهيرها من الحشائش الطويلة التي تغطي معظم الأرض هنا ، وتم عزقها في خطوط غير منتظمة وتنظيمها في حقول، تمهيدا لبذرها بالذرة فيما

بعد • وكان ميننجا فى قرية صغيرة أخرى - على بعد ياردات قليلة من قريته - عندما وصلنا هنا وسرعان ما أرسل اليه أحد الرجال يخبره بقدومنا فقدم • لقد كان شخصا طويلا نحىلا وهمجيا بدائيا ، أما تعاير وجهه فكانت محايدة ، فلا هى طيبة حسنة ولا هى رديئة منكرة • ولما سألته عن الموضع الذى سنعسكر فيه أجاب أن نقيم على طول الجانب الأيمن لقريته ولما اعترضت بأن هذا الموضع ليس به أشجار قريبة يمكننا قطع فروعها لاقامة الاخصاص المقلوبة ، ولربط الحمير ، لكنه أجاب أن هذه المنطقة لا يجب أن يفكر المسافرون عبرها بالنوم بأمان بين الأشجار ، واقترح أن نقيم أخصاصنا من أعواد الذرة ، وأن ندق أوتادا نربط بها الحمير • وقد أدركت أننا الآن فى عرين الأسد ولا بد من الانصياع للأمر فطلبت من رجالنا انزال الحمولات من فوق الحمير واقامة أخصاص من أعواد الذرة فى الموضع الذى حدده •

والآن فان البقعة الوحيدة المستوية كانت تمتد على طول القرية ، ومن هنا فان ظهر معسكرنا كان على بعد ياردات قليلة من كوخ الزعيم وعلى جانب زرائب القطعان • لقد كانت القرية اذن تقع الى الخلف مباشرة من معسكرنا ، وبينها وبين النهر الذى لم يكن يبعد أكثر من مائتى ياردة • وأمامنا تمتد مساحة مكشوفة تم تطهيرها من الخشائش الطويلة ، وتم عزقها فى خطوط غير متوازية ، وتم تقسيمها الى حقول غير منتظمة وتحفها الحشائش الطويلة على بعد حوالى ستين ياردة •

وأرسل لى ميننجا Minenga الآن جرة مليئة بالبيرة ، وبعد ذلك بفترة قصيرة ذهبت مع بول الى كوخه وقدمت له

هدية كانت عبارة عن بطانية وقطعة من قماش الكاليكو (القطنى) الملون المزخرف وأخبرته أنني أود منه أن يجول بى حول نهر كافوكوى وأثنى أود عبور النهر فى اليوم التالى . فقال لى ان الطريق مفتوح أمامى وأن أولاده سيأخذونى فى جولة فى النهر فى قاربه الشخصى ، لكنه أردف قائلا انه يود أن أمكث معه فى اليوم التالى لأشرب معه البيرة أو أن أخرج لاصطياد الطرائد له وقال ان منطقته غاصة بحيوانات العنودة eland والحمير الوحشية . الخ . وقال أيضا ان قاربه الكبير موجود على مسافة بعيدة نسبيا ، وأثنى اذا بقيت معه اليوم التالى فانه سيرسل فى طلب هذا القارب ليكون عند أقرب مكان للعبور ، وبذلك يمكننى عبور الكافوكوى دون أى تأخير فى اليوم التالى . وقد دفعنى هذا الكلام الى الاستجابة لرغبته اذا أمدنى برجال يدلوننى على مواضع الطرائد وأثنى سأخرج بكور الصباح وأحاول اصطياد بعض الطرائد له . فشكرنى وقدم لى مزيدا من الجعة (البيرة) ، وغادرته وقد حملت انطبعا أنه رجل طيب جدا ، وأثنى سأتمكن من عبور الكافوكوى دون أية متاعب . وقبيل الغروب أعد الصبية التابعون لى أخصاصا (جمع خص يضم الخاء) من أعواد الذرة الجافة ووضعوا حميرنا فى زرائب قطعان ميننجا . وعندما حل الظلام جاء الى معسكرنا كل أهل القرية وجلس النسوة والبنات حول النيران الموقدة ، ورحن يأكلن اللحم مع الصبية التابعين لى ، ورحن يقدمن لهم حب العزيز (أو الفول السودانى وهو الأرجح) والبطاطا مقابل تناولهن اللحوم . وذهب الشباب - غير حاملين للرماح - للرقص مع رجال الباتونجا Batounges المرافقين لى ، وكانت الموسيقى المصاحبة للرقص تصدر عن آلات مكونة من قطع مسطحة من خشب قوى موضوع على فوهة

قرعات . . (يقطينات) ضخمة ، ويضربون الخشب بعصا ،
فيصدر عن القرع ضوضاء هائلة أبعد ما تكون عن الموسيقى .
لقد كانت الجلبة مرعبة حتى أنني قدمت - كرشوة - لقرع
هذه الآلة قطعة صغيرة من قماش الكاليكو ليمتنعنا بالكف عن
القرع (العزف) . وبعد تأمل والقاء نظرة على هؤلاء البشر
خلصت الى أن هؤلاء البشر رغم بربريتهم وتوحشهم الا انه
من السهل التعامل معهم اذا عاملناهم على نحو لائق .

لقد كانت الساعة التاسعة - فيما أظن - عندما ارسل
ميننجا Minenga ابنه ليطلب من بول وشارلي ومنى أن
نأتي لنشرب معه الجمعة . لقد كنت قد خلعت ملابسي بالفعل
وتدثرت بالبطانية وكان علي اما أن أواصل نومي أو أن أقوم
لألبس ملابسي مرة أخرى ، فقلت ان الوقت متأخر جدا الآن
وان علي أن أصبحو مبكرا في الغد لممارسة الصيد ، ولم يذهب
شارلي أيضا ، أما بول فقد كان - كمعظم الزولو - مولعا
ولما شديدا بالجمعة الوطنية فلم يستطع مقاومة العرض ،
فذهب بمفرده . ولما عاد مرة أخرى قال لنا ان ميننجا
Mangwate سأل أسئلة كثيرة عن سبب مجيئي الى هذه
البلاد ، وعن البلاد التي سأذهب اليها ، وعن الغرض من
رحلتي ، وعما أنوي فعله بالبضائع التي أحملها . . . الخ
وأخبره أن البشر في الجانب الآخر من كافوكوي من النوع
الخطر ، وأنه سيرسل معي أحد أبنائه ليصحبني خلال المناطق
غير الآمنة .

وفي ضوء الأحداث التي حدثت بعد ذلك ، فأنني أعتقد
الآن أنني لو كنت قد ذهبت مع بول وشارلي لشرب الجمعة مع
ميتنجا ، وكان من الطبيعي أن نكون غير مسلحين - لثم

اغتيالنا بالتأكيد ، وأشعر بالاعتناء أن العازف (القارع)
على الآلة الموسيقية (آنفة الذكر) كان سيتم إرساله ببساطة
مع أحد الشباب لأحداث جلبة (موسيقية) والقيام بالرقص
وأحداث اضطراب في الوقت الذي يجري فيه قتلنا . لقد
كنا نحن الثلاثة نتصرف بطريقة نظامية ، وكانوا هم يعرفون
أنه ليس من شخص رابع يخشونه ، فقد كانوا يرون بأنفسهم
أن رجلى المانجواتو Mangwate ورجلى الماشونا Mashunas
الذين يحملون البنادق - كانوا جميعاً في حالة رعب وخوف .
وعلى أية حال فقد كانوا يودون أن يجمعوا ثلاثتنا معاً ،
ليتم اغتيالنا دفعة واحدة ، ولأن بول قد ذهب بمفرده فانهم
لم يتحرشوا به .

وأخيراً ذهب الراقصون ، وذهبت لأنام ولم أحلم بشيء
سيء يمكن أن يحدث وانما وطنت نفسي على أننا في علاقات
ممتازة مع هؤلاء البشر ، وفي الصباح الباكر ذهبت الى كوخ
ميننجا مع بعض الصبية التابعين لي وطلبت منه تزويدي
بالرجال الذين وعد أن يزودني بهم ليدلونى على موضع
الطرائد التى سأصيدها . واعترتنى الدهشة عندما أخبرنى
أن أحداً من الرجال المطلوبين غير حاضر الآن ، بينما كان
يبدو في مساء اليوم السابق شغوفاً للغاية بقيامى بصيد
بعض الطرائد له ، وعلى أية حال فبعد تأخير طفيف أرسل
ابنه ورجلين آخرين معى . وعبرنا النهر من مخاضة تقع
خلف القرية مباشرة ، حيث كان الماء في هذه المخاضة بارداً
جداً ولا يتجاوز ارتفاعه خصر الرجل . ثم سلكنا طريقاً
ضيقاً يؤدي الى الجنوب ، سرعان ما أدى بنا الى مساحة حرق
الحشائش الطويلة بها ، وهنا سرعان ما لمحنا بعض الحمير
الوحشية وبعض الهرتبيس (التيتل) . وسمعت الحمير

بالاقتراب منها لأكون على بعد يزيد عن مائة وخمسين ياردة ، وقد قتلت حمارين منها بطلقتين ، وكان يمكنني اصطلياد عدد أكبر منها ، لكنني كنت أود اصطلياد حيوان الهرتبيس لأتناول لحمه مع مجموعتي ، وأطلقت بنديقتي على هرتبيس من بعد مائتي ياردة فلم أصبه الا انني سرعان ما أصبت أحد هذه الحيوانات . وقدمت لرجال ميننجا حمارا وحشيا ونصف الهرتبيس واحتفظت بالحمار الآخر ونصف الهرتبيس الآخر لاستخدامي ورجالي ، ثم عدت الى المعسكر الذي لم يكن يبعد أكثر من ميلين .

وقد شكرني ميننجا كثيرا عندما أخبرته بعد عودتي أنني سلمت رجاله حمارا وحشيا ونصف هرتبيس وقد شكرتني زوجاته أيضا ، وقدم لي وعاء جعة . قضيت بقية النهار في القراءة والكتابة في الخصر ، وكان يحيط بنا دائما زحام من الماشوكو الذين تجمعوا من كل الجوانب لرؤية الرجل الأبيض . وكان بعضهم يضع حول خصره خيوطا قليلة تضم خرزاً أما الآخرون فكانوا عراة تماما . ولا يرجع العرى الى فقرهم ، فهؤلاء البشر يملكون أعدادا كبيرة من قطعان الماشية يمكنهم استخدام جلودهم كأغطية ويمكنهم أعداد الملابس منها - انها عادة الناس - في هذه الأنحاء - أن يسيروا عراة تماما . ويمتلك عدد كبير من الرجال قطعة صغيرة من جلود القطط هيئوها على هيئة حقيبة يضعون فيها التسويako والداشا dacha (؟) وغير ذلك . وعلى أية حال فهذه القطع الصغيرة من الجلود (الحقائب) يعلقها الواحد منهم - دائما - اما حول عنقه أو فوق كتفه وتسدلى وراء ظهره أو حول فخذه ولا يتوقع المرء أن يراها معلقة حيث يعلق الأوريبيون حقائبهم . ويصفف بعض الرجال شعرهم

على هيئة مخروط يشبه سلة الفراولة يبلغ ارتفاعه قدمين ونصف القدم بالتمام . وقاعدة هذا المخروط هي مؤخرة الرأس لكن الواحد منهم يدفع بهذا المخروط الى أعلى وإلى الأمام لتكون ذؤابة المخروط فوق منتصف الرأس ، ويثبتون في أعلى هذا المخروط شريحة طويلة قائمة من قرن بقرة وحشية ، تبدو وكأنها قطعة من عظام فك حوت ، ومع أنها ثابتة إلا أنها تتمايل مع كل حركة من حركات الرأس ، ويرتفع هذا المخروط بما فوقه من قطعة قرن البقرة فوق الجمجمة بأكثر من خمس أقدام . ولا بد أن هؤلاء الناس يعيشون في مناطق مكشوفة تماما فهم لا يستطيعون السير في الأحراش والغابات بهذا المخروط المرتفع فوق رأس الواحد منهم . وكان يزور معسكرنا أثناء النهار بضع مئات من هؤلاء الماشو مما أتاح فرصة طيبة لملاحظتهم . ان منظرهم لطيف ويوحى بالقوة والثبات ، وكثيرون منهم لهم ملامح معقوفة تجعلهم كالنصور ، ولونهم أقل دكانة من ألوان الآخرين من بنى جنسهم ، وبدا لي أن من بينهم من اختلطت دماؤه بدماء غير زنجية بشكل واضح ، ربما اختلطت دماؤهم بدماء عربية أو دماء عناصر أخرى من الشمال الأفريقي .

وأخيرا غربت الشمس ، وغادر زوارنا (من الماشو) وقبيل الغروب بقليل زرت - مرة أخرى - ميننجا ومعى بول وقلت له اننى أود أن أرحل في الصباح الباكر فأجابنى أن الطريق مفتوح أمامى وأنه يمكننى أن أواصل رحلتى في الوقت الذى أريده وأن ابنه سيصبحبنى عبر الكافوكوى ، وأنه لن يتركنى إلا بعد أن يواصلوا الرحلة معى ثلاثة أيام في الجانب الآخر من النهر . وطلبت منى زوجته بعض الأسلاك النحاسية فعدت وقطعت لها حلقة من هذا السلك وقدمته

لها ، فشكرت شكرا وافرا وطلبت منى أن أشرب معها الجمعة قبل أن أغادر المنطقة صباحا . وعدت الى المعسكر وأنا لازلت أظن أن ميننجا رجل طيب وأن زوجته صديقة وطيبة . وفى هذا المساء وضعنا الخمير مرة أخرى فى زرائب القطعان وكان الصبية التابعون لى يستبدلون باللحوم الفول السودانى وغيره الا أنه عند حلول الظلام لم يعد فى المعسكر غريب واحد . وبعد أن تناولنا عشاء طيبا ناقشنا موضوع عبور النهر فى صباح اليوم التالى . وكان قلبى مضطربا . وفى يوم ٨ يوليو - وهو اليوم الأخير للقمر (آخر يوم للقمر) غمر الظلام الدامس الليل فلم يكن ثمة الا ضوء النجوم .

ورغم أنه فى المساء السابق كان معسكرنا يخصص بالزائرين والمتطفلين من رجال ونساء وأطفال ، كانوا يرقصون ويغنون ويشترثون حتى ما بعد منتصف الليل فان هذا المساء كان ساكنا سكونا لم يغب عن بالى ، فلم يكن فى معسكرنا غريب واحد ، ولم يكن ثمة صوت سوى مناقشات هامسة ، كما بدا لى أن القرية خلف معسكرنا لم يكن بها أى مظهر من مظاهر الحياة ، كما كانت ساكنة لا حركة بها . ولا بد من الاعتراف أننى لم أشعر بالارتياح لكل هذا ، فقد كان هذا يتناقض تماما مع الضوضاء والجلبة والحيوية التى غمرتنا فى اليوم الأول لوصولنا للقرية . وبدا الصبية التابعون أيضا غير مرتاحين فجلسوا فى مجموعات حول نيرانهم وراحوا يتهامسون وهم يحملون رماحهم فى أيديهم ، وعلى أية حال فكلما أوغل الليل راح الواحد منهم اثر الآخر ينطرح نائما كما راحت النيران تخبو شيئا فشيئا فغمر المكان صمت وسكون كاملين .

لم أستطع النوم ، وكنت - على أية حال - مندلر حاتحت بطانيتى ، وراح عقلى يفرض على كثيرا من الأفكار كما رحت

أقلب كثيرا من الخطط فى نفسى ، وفى حوالى الساعة التاسعة لاحظت رجلا يتقدم بحذر حول طرف معسكرنا ومرت بسرعة الى الأدنى من خط دخان النيران ، ولما توقف بالقرب من النيران عند طرف بطانية بول وشارلى اكتشفت انه أحد الرجلين اللذين كانا قد اضطحبانا كمرشدين من مقر مونزى ، ورأيتة ينحنى ويهز بول بقدمه ، ثم سمعته يهمس له بعجلة وقلق ، ثم سمعت بول يقول لشارلى : « أخبر سيدنا بالأخبار ! أيقظه ! » فهبت وقلت : « ماذا فى الأمر يا شارلى ؟ اننى مستيقظ ! » فقال شارلى « لقد ذكر الرجل لنا فى التو يا سيدى ان كل نسوة القرية قد غادرنها ، وأنه يظن ان تدبيرا سيئا يحاك لنا » لقد كنت أنا أظن ذلك فلبست حذائى بسرعة وارتديت معطفى ، ووضعت نطاقى الذى لم يكن به على أية حال سوى أربعة خراطيش ، وأصدرت أوامرى للصبية باطفاء كل النيران ، ففعلوا بالبقاء الرمال عليها - وذلك حتى يلف الظلام معسكرنا تماما ، فنختبئ فى جنح الظلام .

لقد كان بول وشارلى الآن جالسين على بطانيتها وقد حملا البنادق فى أيديهما ، وذهبت اليهما وأجريت معهما مناقشة هامة واقترحت على بول أن يذهب معى ونزحف حول القرية لنتعرف ونتتصت حتى نكتشف ما يزمع أهل القرية فعله . وقلت : « انتظر لحظة » بينما كنت أخرج مزيدا من الخراطيش القليلة وما كدت أنحنى على بطانيتى لأخرج الحقيبة التى تحوى الخراطيش حتى وجدت ثلاث بنادق مصوبة لوجهى ، وأن بندق أخرى مصوبة حول الخصى (بضم الخاء) . لقد كانت فوهات كل البنادق متغلغلة داخل حصننا (كوخنا) ، عندما انطلقت منها النيران . لا بد أن يكون المهاجمون قد

زحفوا الى خلف معسكرنا وأطلقوا النيران من بين أعواد
الذرة . لقد كانت الطلقات الثلاث التي مرت أمامي مباشرة
تهدف لقتلى وقتل بول وشارلي ، وهذا بلا شك ، الا أن أحدا
منا لم يصب ، وهذا حظ باهر . وبمجرد أن توقفت لالتقاط
بندقيتي التي كانت فوق البطانية بجوارى قفز بول وشارلي ،
وتجاوزاني ، فقلت لهما بالهولندية « داخل الحشائش »
وأعددت نفسي لألحق بهما ، وسرعان ما أعقب إطلاق النيران
إطلاق السهام .

ويمكننى القول اننى احتفظت برياطة جاشى فى هذه
الظروف . لقد كانت بندقيتى - عندما التقطتها - غير
معمرة (غير محشوة) فكان على أن أدس فيها الخرطوشة .
وكما قلت آنفا ، فقد كان بيننا وبين الحشائش الطويلة
مسافة قصيرة فى الأرض المكشوفة ، وكانت الأرض معزوقة
ومقسمة الى حقول بشكل غير منتظم ، وتراجعت فى هذه
الأرض بين زحام من الصبية التابعين لى ورجال الماشوكو .

وبذلت قصارى جهدى لأطلق النار على واحد من
الغادرين المهاجمين لنا ، ولكن فى مثل هذا الظلام الحالكة
يستحيل أن يميز المرء بين الصديق والعدو ، لقد وجهت
بندقيتى ثلاث مرات لإطلاق النار على أحد الماشوكو لكن كان
يقع فى مسار الطلقة أحد الصبية التابعين لى ، فأحجم . لقد
أصبحت على بعد عشر ياردات من الحشائش الطويلة ، لكن
عندما كان ظهرى لها ، صدرت صرخة وانطلقت منها مجموعة
من الماشوكو لتقطع علينا خط التراجع ، فتراجعت وسقطت
فوق أحد خطوط العزق وسقط فوقى رجلان من الرجال
المدفعين من الحشائش فركلنى أحدهما فى ضلوعى وسقط
فوق جسدى . وسقط الآخر فوق ساقى . ووقفت على قدمى

مرة أخرى وانطلقت داخلا الحشائش الطويلة لحسن الحظ.
فأحسست بالأمان الى حد ما ، وسرعان ما زحفت للامام لحوالى
عشرين ياردة ثم جلست ساكنا أسمع . ووقفت مرة أخرى
فرايت الماشوكو يجولون في معسكرنا ، وان كان من المحال
— على أية حال — التحقق من أى شخص بالقدر الذى يمكننى
من اطلاق النار عليه فالنيران لم تشتعل بشكل جيد بسبب
ما ألقى عليها من رمال (فيما سبق) .

ولم أعد أفكر في اطلاق النار ، فقد أصبح لدى من
الوقت ما يكفى للتفكر في الوضع المرعب الذى وجدت نفسى
فيه . رجل انجليزى منعزل وحده فى قلب أفريقيا فى
وسط منطقة يتسم شعبها بالعدوانية ، بدون بطاطين وليس
من شىء معه سوى ما يقف فوقه ، ويندقيته ليس من ذخيرة
لها سوى أربعة خراطيش . اننى أشك فى أن مارك تابلي
Tapley نفسه يمكن أن يجد شيئاً جذاباً فى موقفى هذا
أيمكننى فقط أن أجد بول أو شارلى أو حتى واحداً من الكافير
Kafirs التابعين لى . لو أن ذلك حدث لكنت فرصتى فى
العودة الى بندا — ما — تنكا Mend-ma tenka متزايدة لأننى
ساعتها سيكون معى مترجم ، فانا لا أعرف من لغات شمال
الزمبيزى الا القليل . لقد رحت الآن أحرك الحشائش للخلف
وللامام يحذر أملا فى أن يكون أحد الصبية التابعين لى كامنا
بالقرب منى ، لكن ذلك كان بلا جدوى ، وأخيرا خطر بعقلي
أن كل الرجال المرافقين لى الذين هربوا من الموت لابد أنهم
أوغلوا بعيدا فى أعماق الظلمة وابتعدوا بأقصى
ما يستطيعون عن مقر ميننجا حتى يكونوا بآمن قبل طلوع
النهار ، فقررت أن أفعل مثلما فعلوا . لقد عرفت أن
الصبية التابعين لى ، ماداموا قد قرروا الهرب فرادى أو

مجتمعين سيتخذون طريقهم الى الجنوب عبر الفلد (المرج
ذى الأشجار المتناثرة Veld) وأنهم سيخافون من السير فى
الطرق المطروقة كما سيخافون من الاقتراب من القرى التى
كان احتمال نجاتى من الوقوع فى يد أهلها احتمالا يسيرا .
لقد كانت القرية الأولى التى ظننت أنهم سيجسرون على
الذهاب اليها هى قرية الزعيم مونزى فالتاس هناك لبسوا من
الماشوكو كما أن علاقتنا بهم كانت طيبة . ومن ثم فقد قررت
أن أفضل الخطط هى التى تؤدى بى الى قرية مونزى وأن
أسلك مناطق الفلد (مروج الأشجار المتناثرة) وأن أنتظر
عند مونزى وصول الرجال المرافقين لى .

وكنت أحتفظ فى حزامى بسكين وصندوق كبريت
وساعة نظرت اليها وتمعنت فى ضوء النجوم فوجدتها تشير
الى الحادية عشرة . وكان على فى البداية أن أعبر نهر
ماجويى Magoi-ee . لقد قمت الآن بنصف دورة حول
القرية وأنا مختبئ دائما داخل الحشائش الطويلة حتى
وصلت الى الشاطئ ثم اتخذت طريقى بحذر الى المخاضة
(موضع من النهر يسهل خوضه) . ووجدت - على أية حال -
عددا من الرجال يراقبون الموضع وكان أحدهم يتحدث مع
رفاقه بصوت خفيض بينما أنا أقترب ، وقد نبهنى حديثه
لحسن الحظ للخطر المرتقب ، وتوقفت ساكنا أسمع لشوان
قليلة وتراجعت بحذر الا أننى بعد أن ابتعدت بحوالى
ثلاثمائة ياردة قررت أن أجازف بعبور النهر . ووجدت
الشاطئ يهبط عموديا ووجدت المجرى يبدو أسود كثيبا
وكنت أعلم أنه ملىء بالتماسيخ ، وبدأ الماء عميقا وقررت
ألا تبتل ملابسى فخلعتها ووضعتها مع حذائى فى صرة فى يدى
اليسرى ونزلت للنهر . ووجدت الماء عميقا ولما كنت سباحا

ماهرا فأننى لم أجد صعوبة فى عبور النهر محتفظا ببندقيتى
بعيدا عن الماء ، ووجدت صعوبة فى اجتياز المنطقة الطينية
عند الشاطئ الآخر لكننى نجحت أخيرا ووضعت ببندقيتى
بين الغاب (البوص) ثم عبرت النهر مرة أخرى وأحضرت
ملابسى بأمان . لقد كان الماء باردا وارتديت ملابسى داخل
الحشائش المرتفعة ، وألقيت نظرة على البعد لمسكرى .
ورأيت الماشوكو وهم يوقدون النيران الآن ويزيدون اشتعالها
بمزيد من الحشائش الجافة ، وفى ضوء النيران رأيت
واستنتجت أنهم يقتسمون ممتلكاتى فيما بينهم ، فأدركت
ظهري للمنظر البشع ، وبدأت رحلتى وحيدا ليس من دليل لى
سوى نجم الصليب الجنوبى .

دليل
المصطلحات والتعبيرات
الأفريقية
الموارد بالرحلات

(١)

النجوانا Ingwana : العدد ألف .

انكواجى Inquagee وتعنى الشوكة بلغة الماتشاي (واحدة من لغات البانتو) .

أوتشيكانجو Otchikango : كلمة تعنى نبع القرد ، وهو نبع فى بلاد الأوفامبو Ovambo (راجع رحلة جالتون) .

أوماكورو Omakuru الرب : معبود بلغة الدامارا (رحلة جالتون) .

الأوندونجا Ondonga : كلمة تدل على الأرض الزراعية بلغة الأوفامبو - (رحلة جالتون) .

ايتى Aite : كلمة متاف لتوقير الملك - (رحلة موفات الثانية) .

(ب)

باكوبا Bakoba : هذه الكلمة تعنى (عبد) وتطلقها بعض القبائل على قبائل أخرى ، وهو اسم غير مقبول ، أما القبيلة نفسها فتطلق على رجالها اسم بايى Bayeiye وتعنى الرجال المتفوقين المبرزين .

بالا Palla ، نوع من الأيائل بلغة البتسوانا .

البانتو Bantu :

أطول قامة وأقوى بنية من البشمن والهورنتوت ورغم اقتنائهم الماشية - كالبشمن والهورنتوت - إلا أنهم يتفوقون عليهم من حيث اتقانهم للعمل الزراعى فهم يزرعون مساحات واسعة ويحصدون كميات كبيرة من الحبوب وغيرها ، فاقتصادهم يجمع بين الزراعة والرعى وقد عرفوا أشغال الحديد ، واستطاعت أعداءهم المتزايدة البقاء اعتمادا

على ما يزرعون وعلى منتجات الماشية . وفى القرن العاشر للميلاد كان البانتو يشغلون بالفعل جانبا من جنوب افريقيا ، وقد وصلوا تدريجيا وفى مجموعات يتلو بعضها بعضا وانتشروا فى أكثر من مكان فى جنوب القارة ، وفى منتصف القرن السابع عشر كانوا بالفعل مستقرين فى الناتال وأجزاء من مديرية الكاب ، وكان هذا نتيجة قرون عديدة من الهجرة والاستقرار والتوسع ، ومن أقسام البانتو : النجونى Nguni والتسوانا Tswana والسوثو Sotho والهيريرو Herero والأوفامبو أو الأفامبو Avambo .

البريكوا Briequas اسم يطلق من قبل بعض الجماعات الأفريقية على البتسوانا أو البوسهوانا Booshuanas .

البشمن Bushmen :

يظن أن البشمن كمجموعة بشرية معاصرة هم أقدم سكان المنطقة . وهم يعرفون بأسماء متعددة ، فالأوروبيون يسمونهم بشمن أى رجال الأحرار ، والزوسا (الأكروسا) يسمونهم توا Twa والسوثو Sotho يسمونهم روا Roa والهورنتوت يسمونهم سان San or Sean وهم موجودون الآن فى مناطق بتسوانا وفى نامبيا وفى أنجولا ، وقدر الباحثون عددهم سنة ١٩٨٠ بحوالى ١٠٠٠٠ نسمة وهم قصار القامة وجلودهم صفراء أو بنية وتتميز لغتهم باستخدام الطقات Clicks .

بورو مولوتسانا Borow Molutsana : صباح الخير بلغة البتسوانا .

بوكو bucku هو الاسم الذى يطلقه الهوتنتوت على النبات المعروف باسم الديسنة واسمه العلمى Cliosma مشتق من الكلمة اليونانية نفسها والتي تعنى العطر .

بيتي Baite كلمة متاف لتوقير الملك (رحلة موفات الثانية) .

(ت)

تاتى - كورول Tati-kurul : عبارة تعنى إنها الأب ، ويخاطب بها الدامارا نصب الإله - (رحلة جالتون) .

تاو Taw : وتعنى الأسد بلغة الماشابى .

التسوانا Tswana : فرع من فروع البانتو ، يعيشون في المنطقة التي عرفت باسم بتشوانا لاند .

تسى تسي Tse Tse : ذبابة تسبب مرض النوم . (راجع رحلة سيلوز ورحلة لفنجستون مثلا) .

تشهوفر Tchehovre بمعنى المجنون بلغة إلماتشابي . (احدى اللغات البنتوية) .

التوانا Twana فرع من البانتو يتسم بالشجاعة والمثابرة واستطاع الاستقرار حول بحيرة نجامي Ngami .

توم - توم Tom-Tom : الطبل أو أداة تشبهها - (راجع رحلة جالتون) .

تيون هافل Tecon havel : بمعنى الصيد غير الناجح أو عدم تحقيق الهدف أو عدم إصابة الطريدة - بلغة الكورونا (واحدة من لغات البانتو) .

(ج)

جاكال Jackal لسان جلدى يغطي عورة الرجل أو المرأة من الأمام بالإضافة لقطعة أخرى من الخلف ، يستخدمه الهوتنتوت ، وعند المشي أو الجري ينتفى الهدف من هذا الجاكال ويظهر ما كان يراى أخفاؤه ، وجاكال نسبة الى ثعلب يحمل الاسم نفسه منتشرا في المنطقة يستخدم جلده في عمل هذا اللسان .

جاكوكو Jacocco : حيوان وحيد القرن بلغة بعض القبائل المحيطة بنهر أوكوفانجو Okovango .

جالب المطر Rain maker : رجل في المجتمعات البدائية الأفريقية (وفي حضارات أخرى أيضا) يدعى القدرة على انزال المطر .

(راجع رحلة جالتون) .

الجريكا Griqua : أدنى التوسع الأبيض المنطلق من مستعمرة الرأس ناحية الشمال الى الاحتكاك بالجريكا (أو الجريكوا) القاطنين في بلادهم الجريكالاند ، ورغم أننا لا نعرف كثيرا عن تاريخهم إلا أنه يمكن القول أنهم عناصر مختلطة من الهوتنتوت والناماكوا والبشمن

والكورانا بل والأوربيين فيما بعد . ومع توسع البوير فقد الجريكا
أراضيهم وأصبحوا شعبا تابعا .

جماپ Gmaap تعني نهر الطين .

حرب الكافير Kaffir : بدأت سنة ١٨٣٤ بين الزوسا
(الاكزوسا) وهم أحد فروع البانتو من ناحية والبوير من ناحية أخرى
(اشارات لها في رحلة الان جاردينر) .

(د)

داكا dakka : عشب له أثر الحشيش - بلغة البشمن .

(ذ)

ذقن الكافير ، هي شجرة الزاميا المنتشرة على سفوح جبال
دراكنزبرج ، راجع رحلة جاردينر .

(ر)

روميلا Ruméla . . . روميلا : كلمة ترحيب بالغرباء لدى قبائل
البانجو اكتسى Bangwaketse - (رحلة موفات الأولى) .

(ز)

زاميا Zamia : أو شجرة ذقن الكافير ، شجرة منتشرة على
سفوح جبال دراكنزبرج ، راجع رحلة جاردينر .

زكوا - سبك Zeekoe-Spek : كلمة تعني منحة البحر ، ويطلقها
الهوتنتوت على فرس النهر (راجع رحلة بورشل) .

(س)

سيوجسلانج ، من لغة الهوتنتوت وتعني نفث الأفعى - (رحلة وليم
بورشل) .

السوثو الجنوبيون Sotho : فرع من فروع البانتو يعيشون في ليسوتو Lesotho (باسوتولاند سابقا) .

سييريا Cyprea نوع من الأصداف يستخدمه الهوتنتوت وبعض الشعوب الأفريقية الأخرى في الزينة .

سيريبال Serebaal تعنى الضائع (الضايح) الذى لا وطن له ولا جماعة ، وقد تعنى المنبؤ وذلك بلغة الماتشابى (واحدة من اللغات البانتوية) .

(ش)

شونجوى Shongwe اسم تطلقه بعض قبائل نهر الزمبيزي على ما عرف بعد ذلك باسم شلالات فكتوريا (وهناك قبائل أخرى تطلق عليها اسم موزيواتونيا) .

الكارو Karro : نوع من الأشجار الشوكية .

الكاروسو - Carosooe وتعنى الأحشاء أو الأمعاء بلغة الماتشابى (واحدة من لغات البانتو) .

كائين دى هارى Kaeen de harree عبارة تعنى بهجة الشمس المشرقة ، بلغة الكروانا .

كرال Kraal : ترد هذه الكلمة في هذه الرحلات بعدة معان يحكمها السياق ، فهي في الغالب (حظيرة) أو زريبة Cattle's Kraal كما ترد بمعنى تجمع سكانى خاصة اذا كان الحديث عن البشمن Kraal of Bushmen وفي هذا السياق اثرتنا ترجمتها (قرية) . ويبدو أن هذه الكلمة (Kraal) منتشرة بين أكثر من لغة أو لهجة أفريقية ، فقد وردت أيضا في سياق رحلات غرب أفريقيا .

كروس Krosse : فراء خروف متصل بفراء آخر بسير جلدى يضعه الواحد من الهوتنتوت على كتفه اذا اشتد البرد أو يطرحه باهمال على كتفه أو ذراعه اذا اشتد الحر ، والكلمة ترجع لأصل هولندى - Karosse

الكنو knoo حيوان فى حجم البقرة العادية .

كواكا Kwaka الخبى أو البقر الوحشى بلغة البشمن - (رحلة بورشل) .

الكودو Koodo : نوع من الظباء بلغة قبائل بحيرة نجاسى ،
وايضا حول نهر الفال - (راجع رحلة هاريس Harris) .

كورهى Korhee الحجر الأبيض بلغة الكورانا .

كورى Kori : طائر يشبه الطاووس ، والكلمة بلغة الشسوانا
Sichuana.

كوكو kookoo ، كلمة منتشرة فى شرق جنوب افريقيا ، (لغات
البانتو) بمعنى شروق الشمس ، وتطلق على بعض الينابيع - (راجع
رحلة كمبل) .

كومو كومو Como Como : اسم تطلقه القبائل الافريقية فى جبال
الدراكنزبرج على نبات السرخس أو الخنشار (بضم الخاء وتسكين
النون) .

الكى جاريب Ky-Gariep : الاسم المحلى لنهر الفال .

الكيبابا Quebaba : وحيد القرن بلغة قبائل بحيرة نجاسى .

كيزى جات Kysi-gat : أو ثيزى جات Thysi-gat : اسم
يطلقه الهوتنتوت على الحفر التى يعدها البشمن للايقاع بالحيوانات ،
والكلمة مزيج من اللغة الهولندية ولغة الهوتنتوت - (رحلة بورشل) .

(ل)

اللمبا Lemba : فرع من البانتو فى زمبابوى الحالية .

اللورى Lorie طائر أحمر صغير فى جنوب افريقيا .

ليرا Leraa : بمعنى الزعيم أو المغوار فى فرقة من اللصوص
بلغة الماتشابي .

الليشى Léché : حيوان منتشر حول بحيرة نجاسى .

(٤)

ماب Maa) : مرادف لكلمة جماب Gmaap ، وكلاهما يعنى نهر
الطين - (راجع رحلة وليم بورشل) .

ماجاجا Magaaga : تعنى جبل الحديد فى لغة الشعوب الناطقة
بلغة البانتو .

مارو ماشينا Maroo Machina : بمعنى رمح القرية ، وهو ايضا اسم .
علم يطلق على بعض الأشخاص - (رحلة كامبل) .

الماشابل Mashabel : نوع من الشجر فى جنوب شرق أفريقيا -
(راجع رحلة سيلوز) .

ماشونو Machanoo : بمعنى سقف الفم .

ماكاتامى Makatame : تعنى نبع البطة Duct-Spring لغة
البانتو .

الماكوس Makoas : الحضر أو أهل المدن بلغة قبيلة الزعيم ماكابا
(راجع رحلة موفات الأولى) .

الماهو بو هو بو Mahobo-hobo : نوع من الشجر فى جنوب شرق
أفريقيا - (راجع رحلة سيلوز) .

مدفع ميدان محمول field piece - كان هذا السلاح شائعاً
فى القرن السابع عشر ، وغالبا ما كان مصاحباً للحملات الكشفية المنظمة
فى هذه الفترة .

مستقى Meste : كلمة محلية تعنى المياه - سمعها وليم أوزويل وهو
فى طريقه لبحيرة نجامى ، بالقرب من لوبوتانى : انظر رحلة وليم أوزويل .

الموتسورى Motsouri : أشجار أوراقها داكنة الخضرة .
شاهدها ليفنجستون على نهر الزمبيزى .

موتسى آباريمو Motsé oa Barimo عبارة تعنى أيدى الآلهة (؟)
وهى عبارة تقولها القبائل القريبة من الزمبيزى ، ومنها قبيلة الياكولولو
عند رؤيتهم قوس قزح .

موزى أو تونيا Mosi oa Tunya : عبارة تعنى أن الصوت يصدر
دخانا ذلك أن القبائل المحيطة بشلالات فكتوريا كانوا يظنون أن الرذاذ
الشديد المنبعث من الشلالات مرافق للصوت وأنه دخان - (راجع رحلة
لفنجستون) .

موزيواتونيا Mosioatunya اسم تطلقه قبائل الزمبيزى على
ما عرف بعد ذلك باسم شلالات فكتوريا . وهو الاسم الذى أطلقه
ليفنجستون عليها .

الموشوشونج Mochuchong : أشجار تحمل ثمارا تؤكل ، متوفرة
حول بحيرة نجامى . اعتبرها الرحالة أوزويل Oswell خير مثال
للجمال فى عالم الأشجار لا فى أفريقيا فحسب وإنما فى العالم كله .
موكها Mookha : النظرة الحادة بلغة الكورونا (واحدة من لغات
البانتو) .

موكرى Mooquee بمعنى الصحة أو ادراك الأمور على نحو
صحيح ، بلغة الكورانا .

المورلواناهس Morlwanahs : نوع من الأشجار ، سميك الساق
فقد يبلغ محيطها سبعين قدما . غير منتشرة كثيرا .

المونا Moona : ربما كان معناها جوز الهند بلغة البشمن -
(راجع رحلة شابمان) .

موهونونو Mohonono : أشجار ذات أوراق شاهدها ليفنجستون.
على نهر الزمبيزى .

ميونسستوى Meoonstwee : تعنى أسود بلغة الماتشبابى -
(واحدة من اللغات البانتوية) .

نجامى ، بحيرة : عند خط ٢٠١٩ ر ٥٠ جنوبا وخط طول ٥٥٤ شرقا ،
ولها أسماء متعددة منها انجهابى Inghabe ونوكا أمبورى .
Noka a Mampoore ونوكا أ . باتلاتلى Noka a Batlatli . انظر .
رحلة وليم أوزويل .

النجونى Nguni : هم بان্তু ينطقون بلغة خاصة بهم وهى لغة
النجونى ، فهذا الاسم يشير لمجموعة لغوية بين النانتو ، وليس لمجموعة
عرقية بالمعنى الضيق . كانوا يعيشون فى الساحل الشرقى لجنوب أفريقيا
التي تمتد من بلاد الزولو وناتال الى حدود مستعمرة الرأس (الكاب) ،
وفى سنة ١٩٧٥ كانوا يشغلون أجزاء من الترنسفال والناتال والكاب .
وبلاد الزولو ، ويرى بعض الباحثين أن الزولو والنديبيلى Ndebele
والسوازى Swazi والزوسا (الاكزوسا) Xhosa يتحدثون لهجة
أو أخرى من لغة النجونى .

نخوسى انكولو Nkhosi enkolu : تحية تقال عند مرور الملك .
(راجع رحلة موفات الثانية) .

النهر الأسود Black river : ويقصد به نهر الأورانج .
النهر الأصفر Yellow River : الاسم الذى أطلقه الانجليز
على نهر الفال .

نهر اليفانت (نهر الفيل) : هناك نهران بهذا الاسم أحدهما يصب
فى المحيط الهندى الى الشمال من الساحل الشرقى لاتحاد جنوب أفريقيا .
الحالى ، والثانى يصب فى الأطلنطى الى الشمال من مدينة الرأس (الكاب) .

النهر العظيم Great river : يقصد به نهر الأورانج وأحيانا
الفال .

نهر فال Vaal River هو الاسم الذى يطلقه هوتنتوت كلاروتر
Klaarwater على نهر كى جاريب (النهر الأسود) .

نهر الطين Maap أو Gmap

النوجاريب Nu Cariep ، الاسم المحلى لنهر الأورانج وتعنى
النهر الأسود .

نوكا باتلاقلى : هى بحيرة نجامى . انظر رحلة وليم أوزويل .

نوكا لمبورى ، بحيرة : هى بحيرة نجامى . انظر رحلة وليم أوزويل .

هاساجاى Haseagai الرمح بلغة الهوتنتوت .

الهركييس : حيوان التيتل الأفريقى الضخم .

الهوتنتوت Holtentots : أطول من البشمن ، وان كانوا مثلهم
صفر الجلد . لغاتهم زاخرة بالملقات (كلغة البشمن) وهم يسمون أنفسهم
الخوى خوان Khoikhoi ومعناها أسياد الرجال (أو رجال من
أصلاب رجال) وعندما وصل البرتغاليون الى جنوب افريقيا فى اواخر
القرن الخامس عشر ، وجدوا الهوتنتوت يعيشون فى منطقة خليج تابل
Table ومنطقة خليج موزل Mossel ومنطقة خليج سالدانها
Saldanha وفى حوالى منتصف القرن السابع عشر كانوا يعيشون حول
منطقة الرأس (الكاب) على طول شاطئ نهر أورانج وعلى سواحل
ناتال وفى كثير من مناطق ما يعرف الآن باسم زامبيا .

الهيرورو Herero فرع من البانتو الجنوبيين الغربيين أو بانتو
الجنوب الغربى .

هيلامبا أماندي Hlamba-Amanzi : عبارة تعنى الرجل الذى عبر
الماء ، بلغة الزولو ، وقد أطلق الملك شاكّا هذا الاسم على أحد الهاربين
اليه - (راجع رحلة هنرى فين) .

(ى)

ييبو Yebo : نعم ، أو كلمة تفيد الموافقة بلغة الزولو .

المحرر

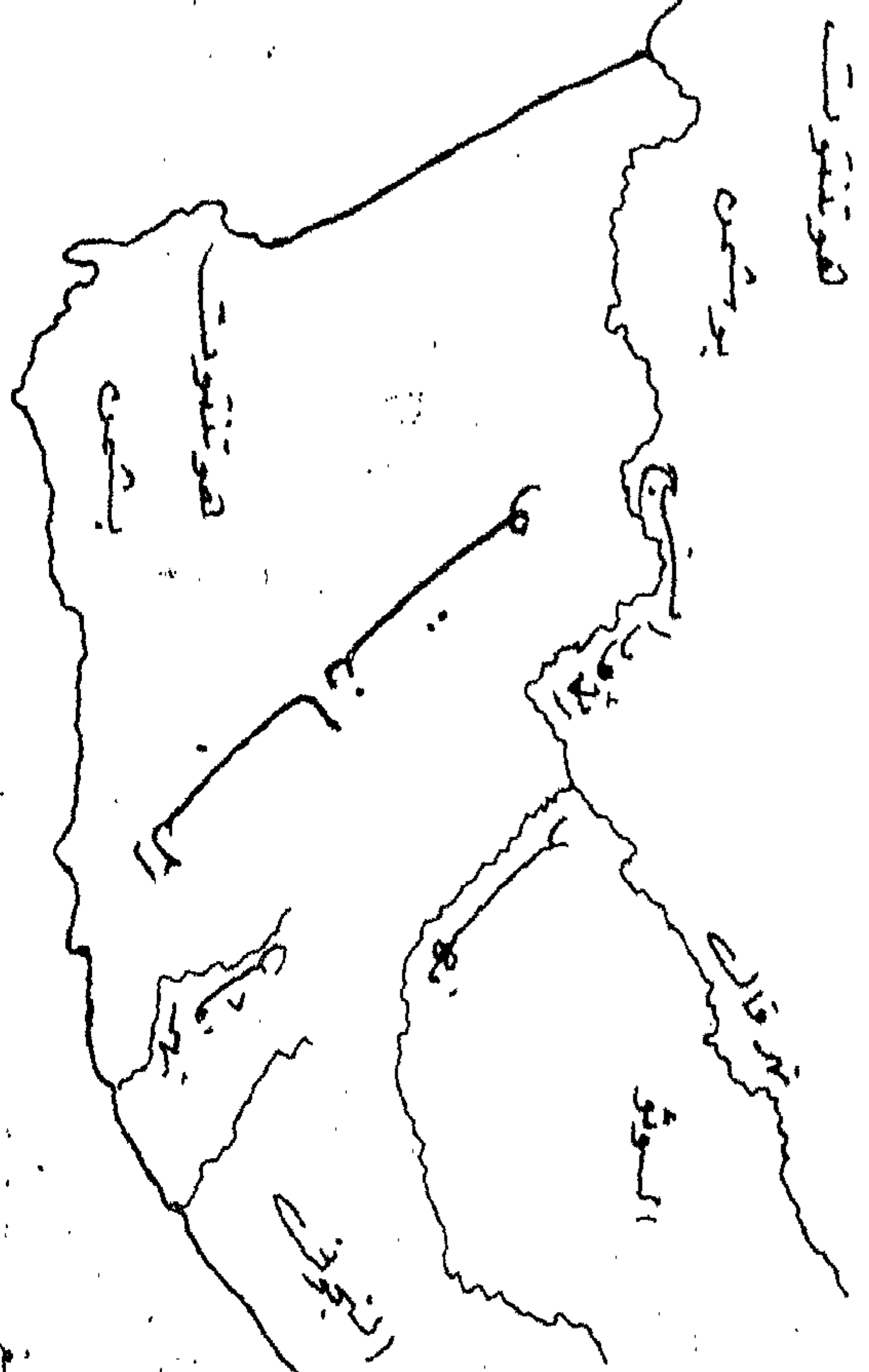
- اريك أكسيلون •
- باحث انجليزى مهتم بأدب الرحلات •
- عمل فى الجمعية الجغرافية البريطانية فترة من حياته •

المترجم

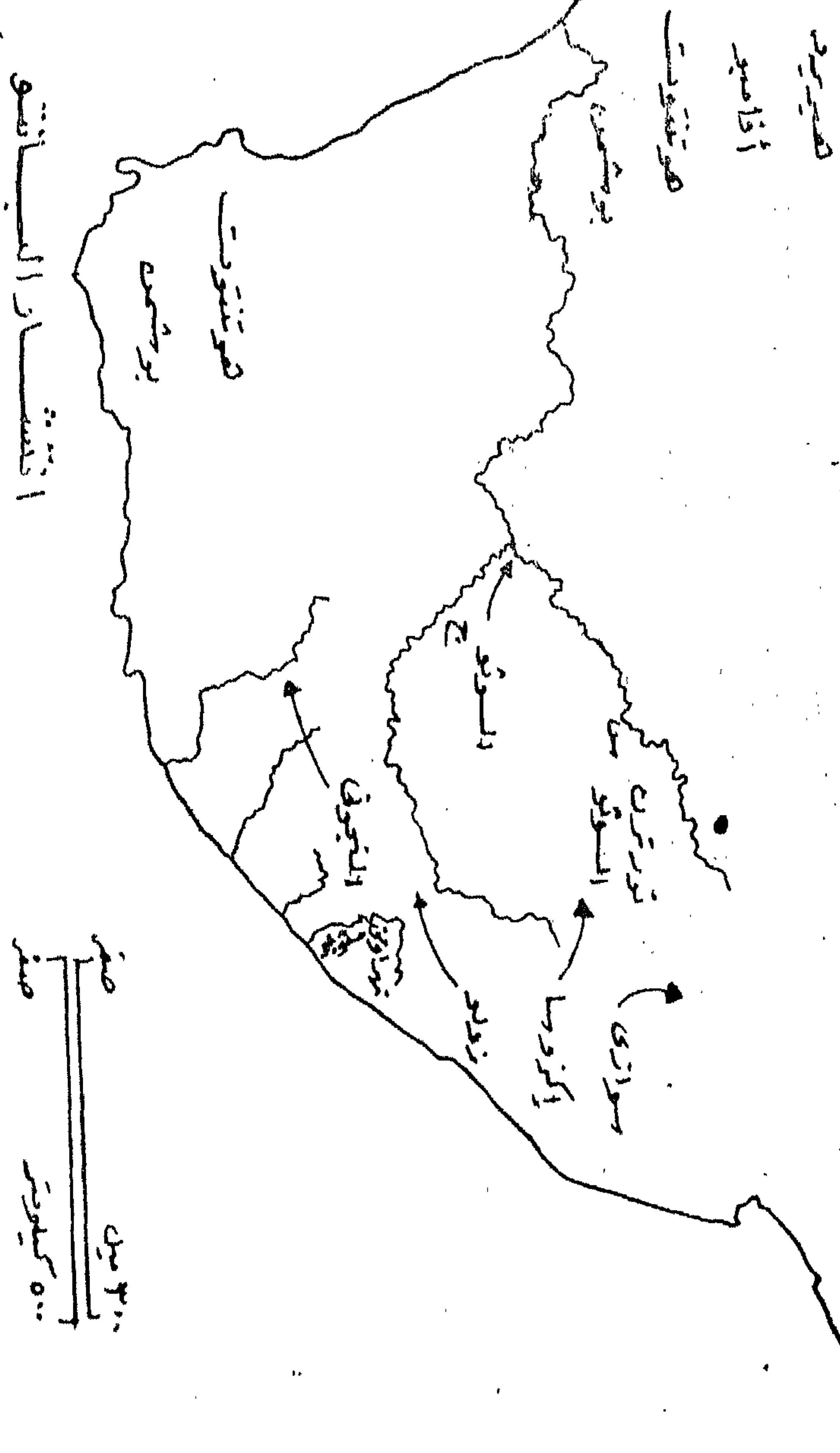
- د • عبد الرحمن عبد الله الشيخ •
- حصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة القاهرة ،
معهد البحوث والدراسات الأفريقية •
- أستاذ مشارك (جامعة الرياض) •
- قدم للمكتبة العربية ترجمات كاملة لأشهر الرحالة الأوربيين
منها : رحلة بيرتون الى مصر والحجاز ٣ ج — رحلة ردولف الى
مصر وفلسطين ، ٣ ج — رحلة فارثيما — أشهر الرحلات
فى غرب أفريقيا ٠٠٠ الخ •

الخسائر والمصروف

توزيع البوم شحوبه والروتنوت والبانتو في جنوب أفريقيا

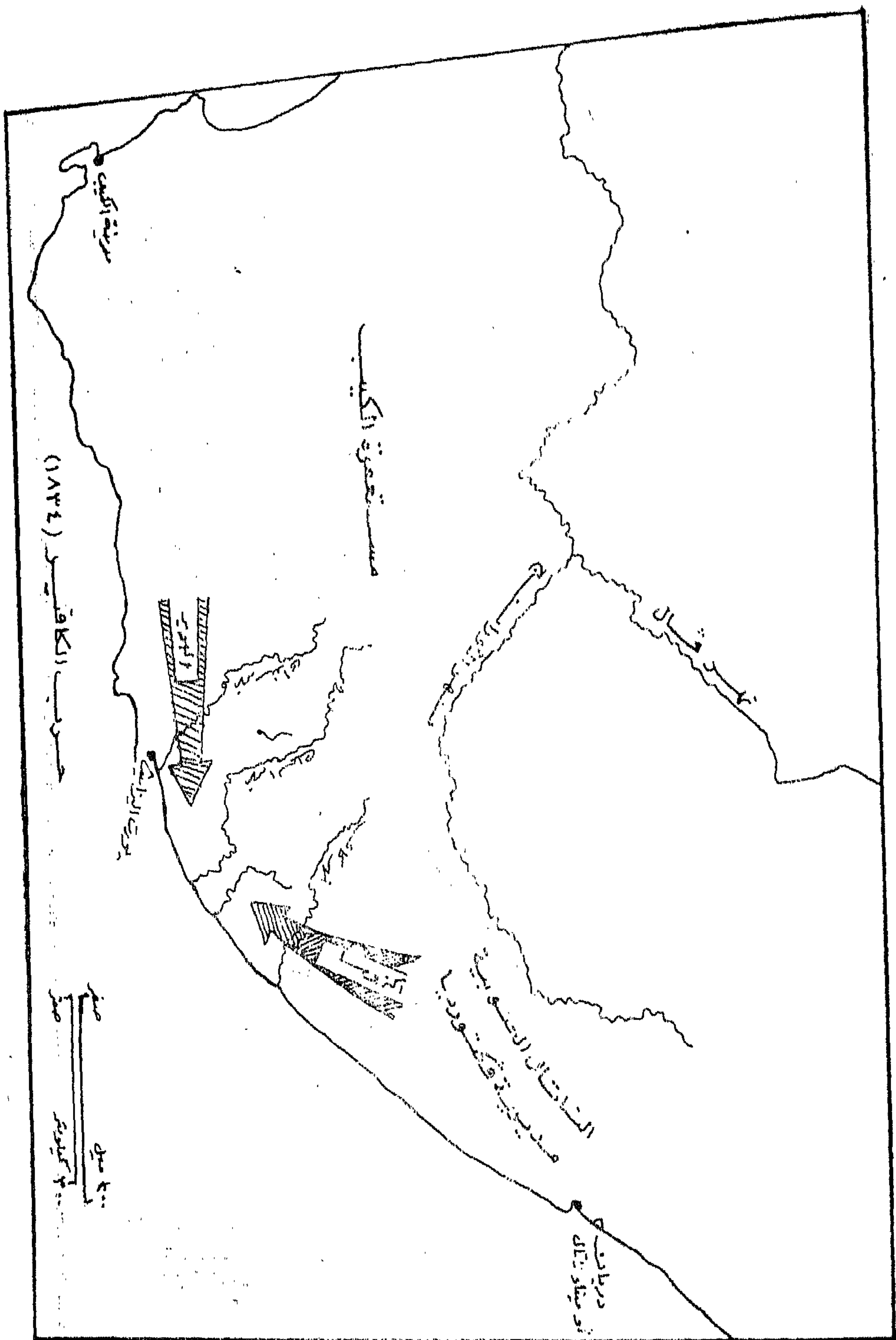


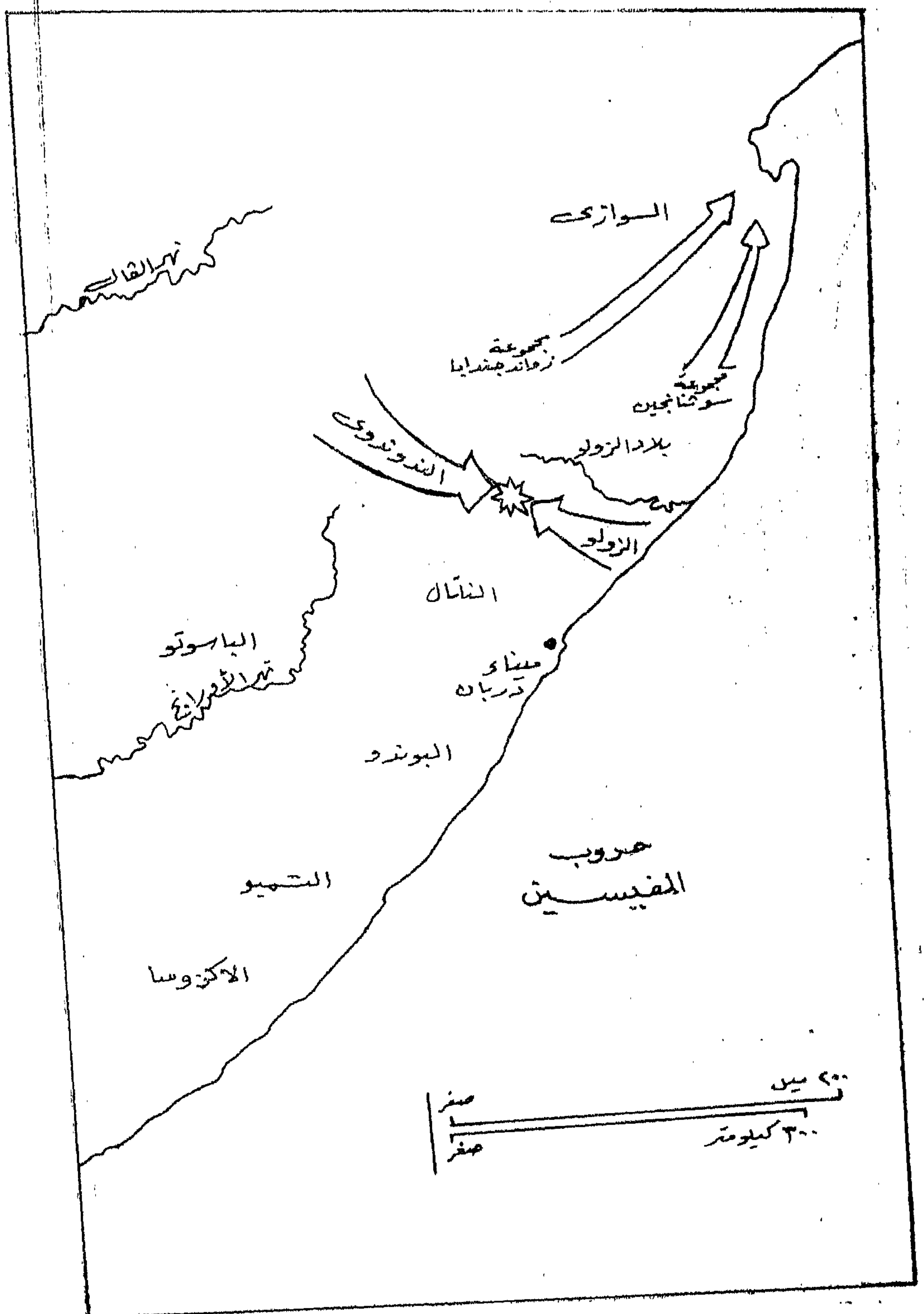
قلمرو لیبیا



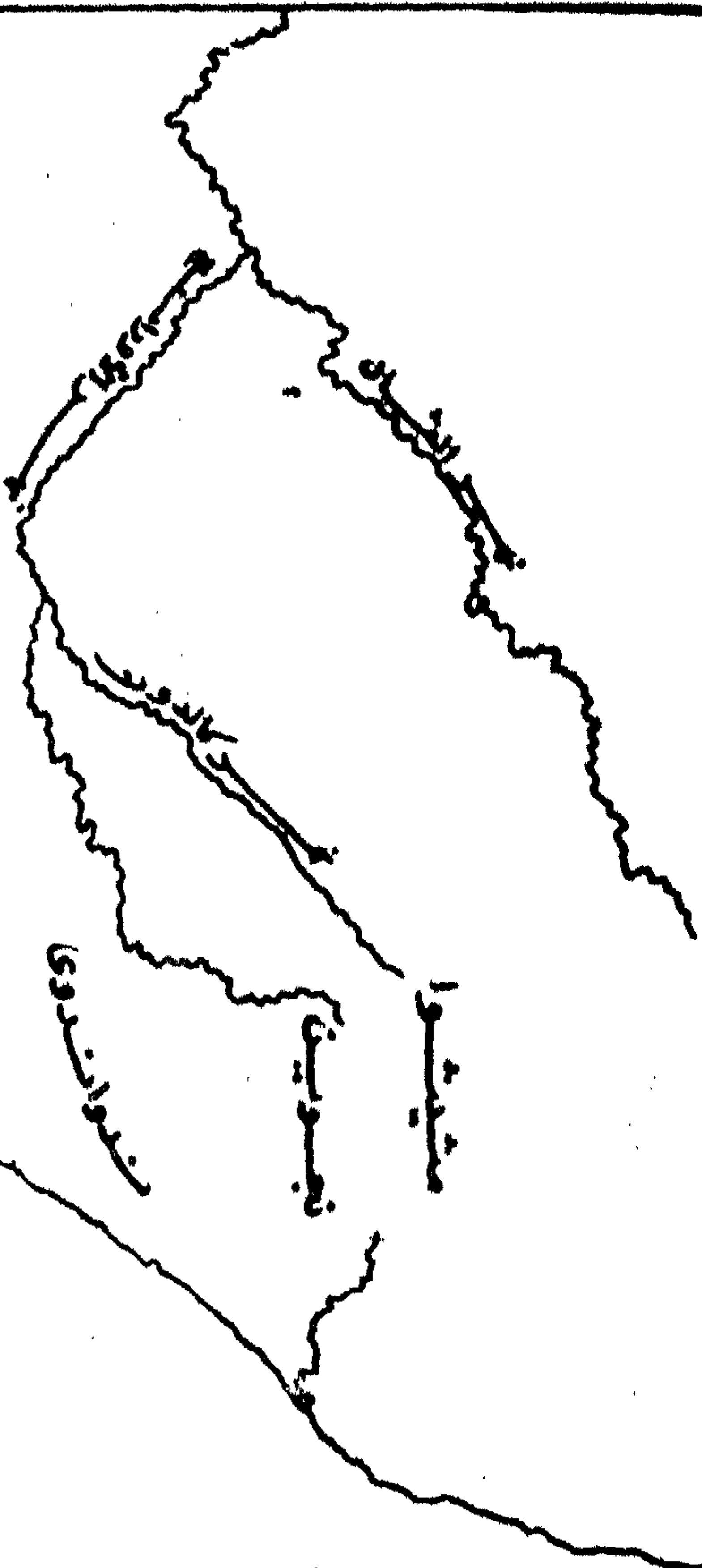
۱۰۰ کیلومتر

۳۰۰ میل
۵۰۰ کیلومتر





مستنقعة الكيب



٢٠٠ ميل
٥٠ كيلومتر

موزمبيق

البرتغال

المستعمرات

بريتوريا

جوهانسبرج

بلاد السوازي

خليج داجوا

دولة الأوراننج الحرة

الناخال

بلاد اليا سوتو

بيترسبرج

دريبان

جريكالاند الشرقية

البوتسوانا

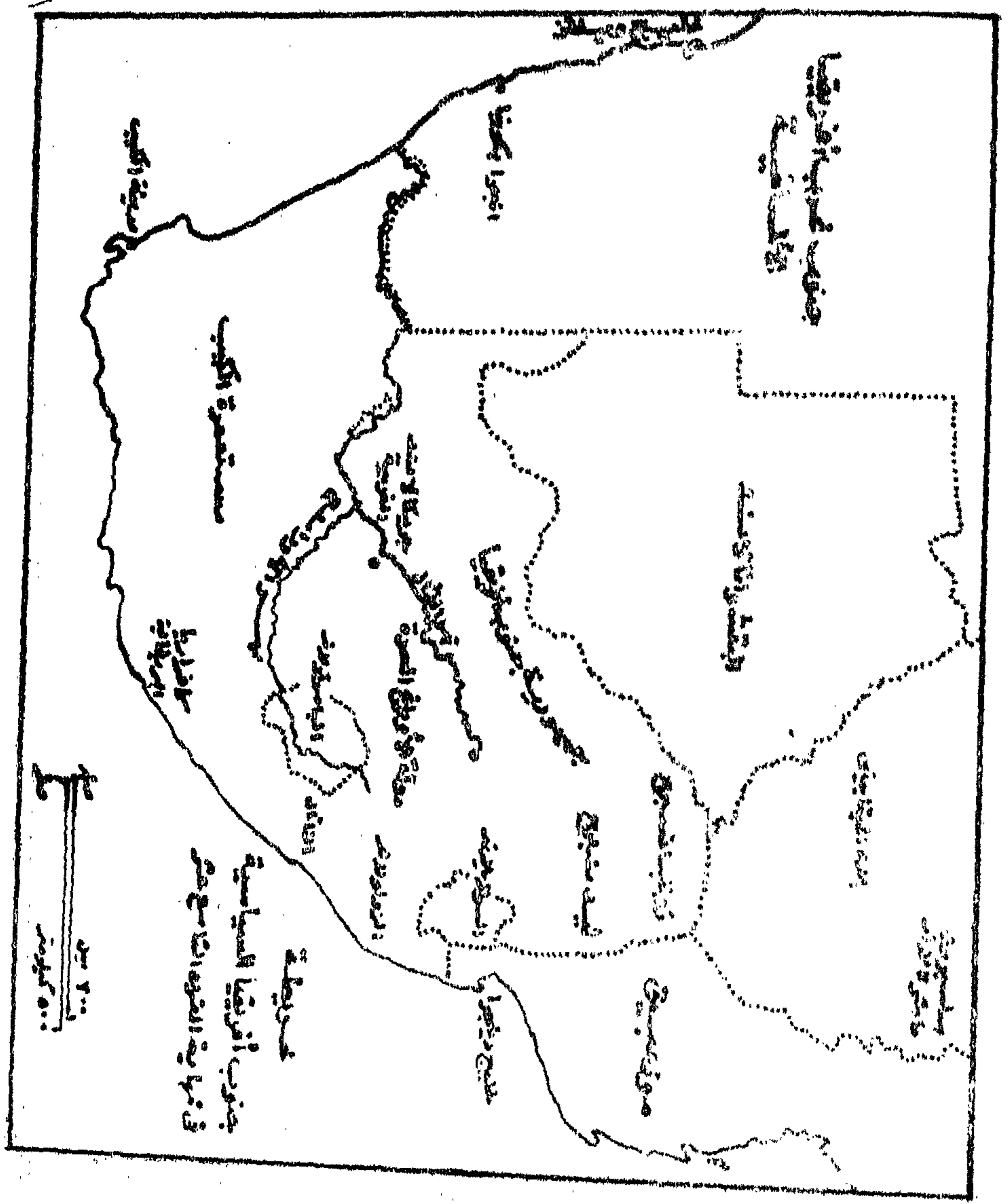
السنغافورة
والسوازيلاند

٢٠٠ ميل

٤٠٠ كيلومتر

مستعمرة الكاب

الترانسكال



البحر الأبيض المتوسط

البحر الأحمر

البحر الأحمر

البحر الأحمر

مصر

ليبيا

الجزيرة العربية

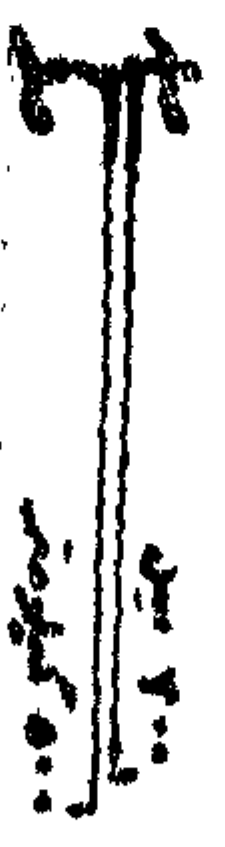
البحر الأبيض المتوسط

مصر

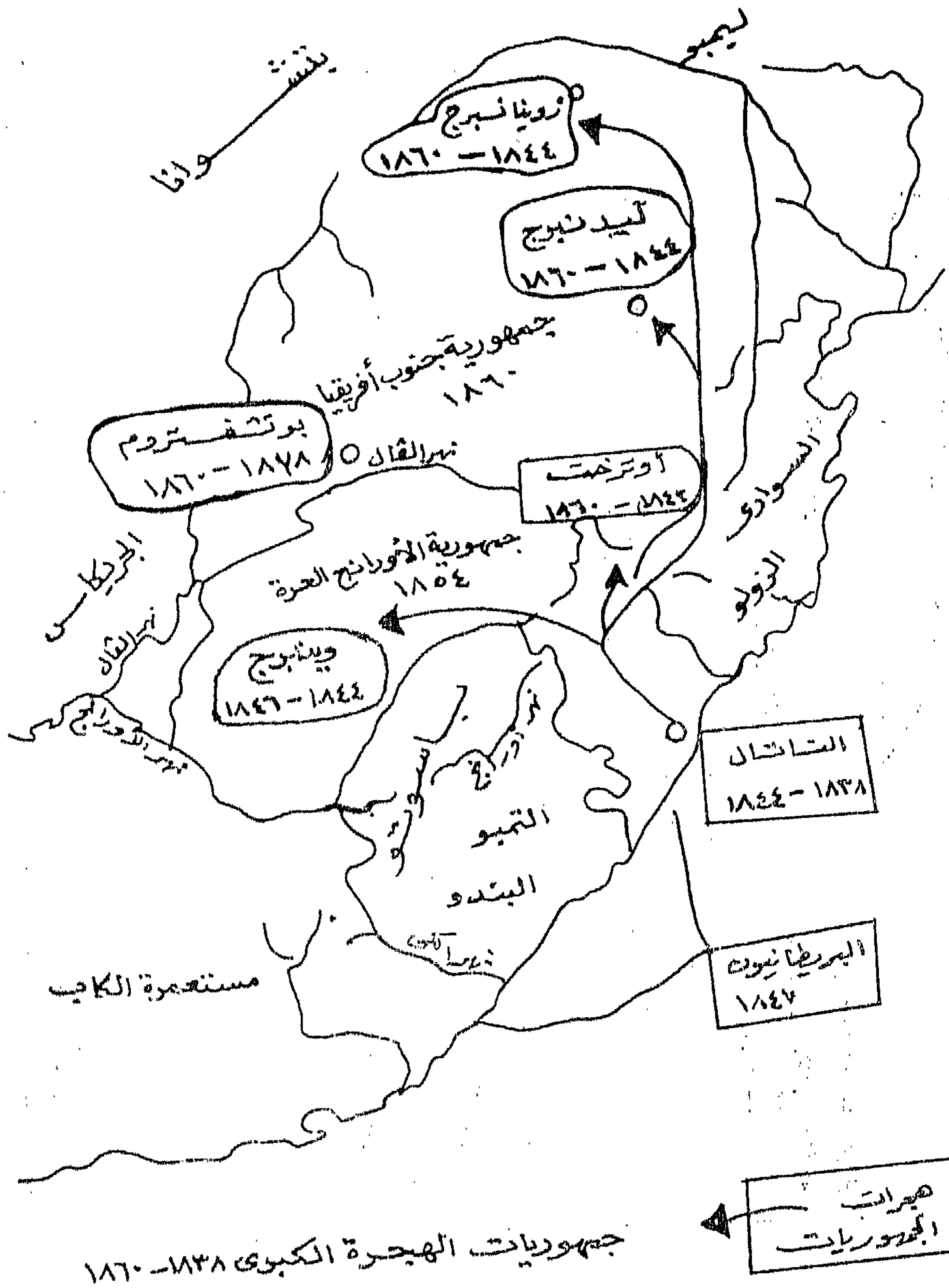
ليبيا

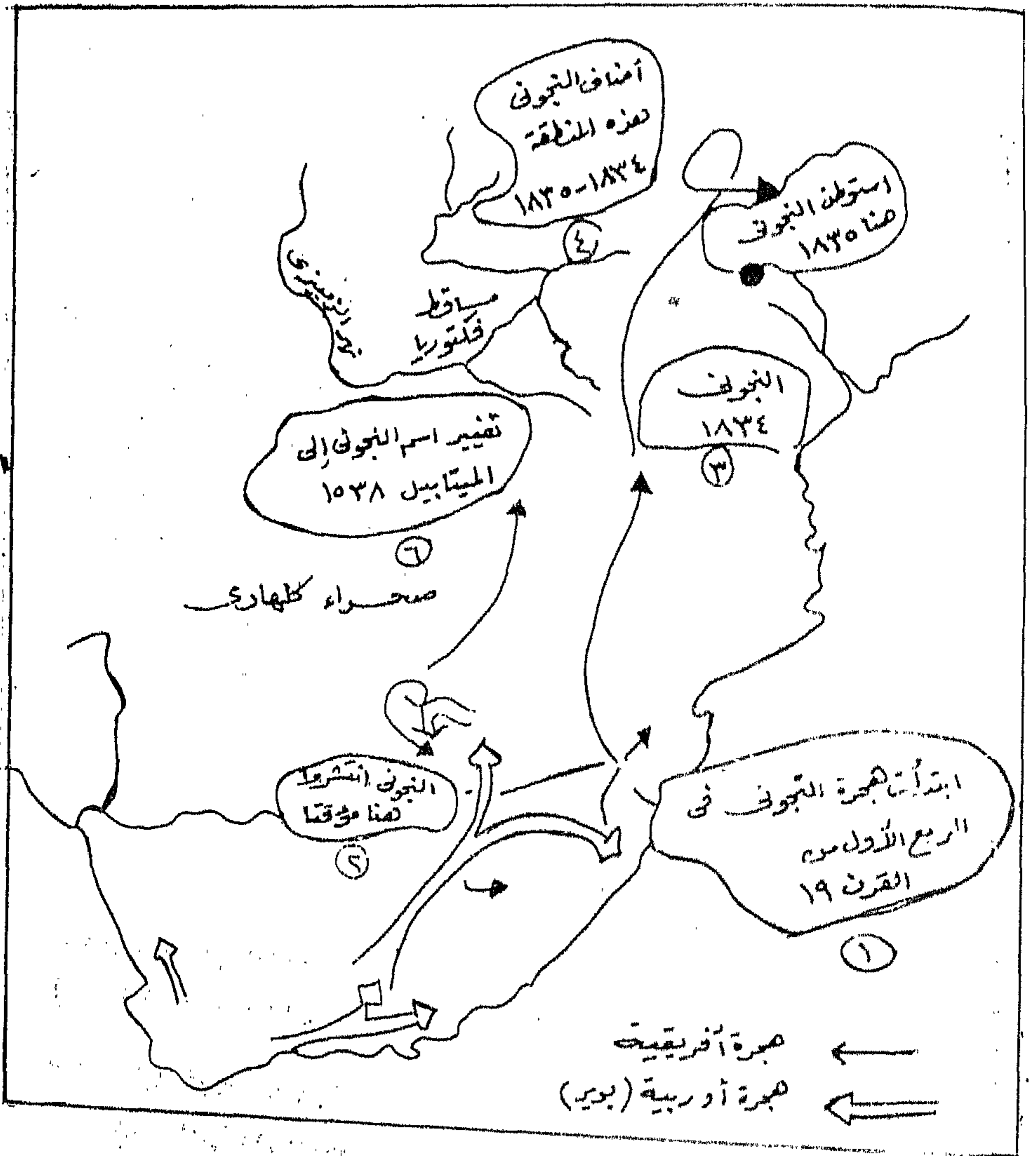
مصر

البحر الأبيض المتوسط

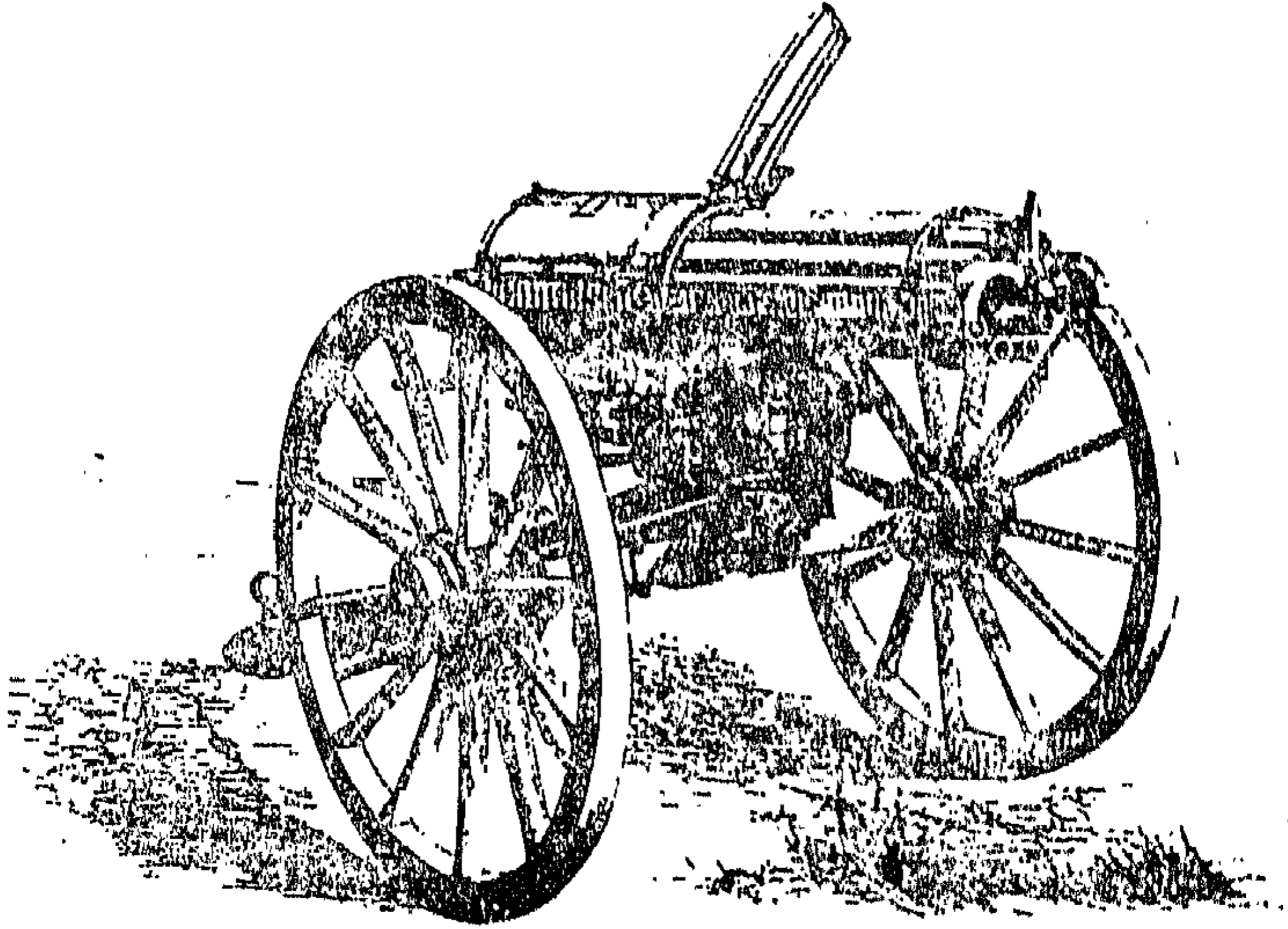


أفريقيا الشمالية
في نهاية القرن التاسع عشر





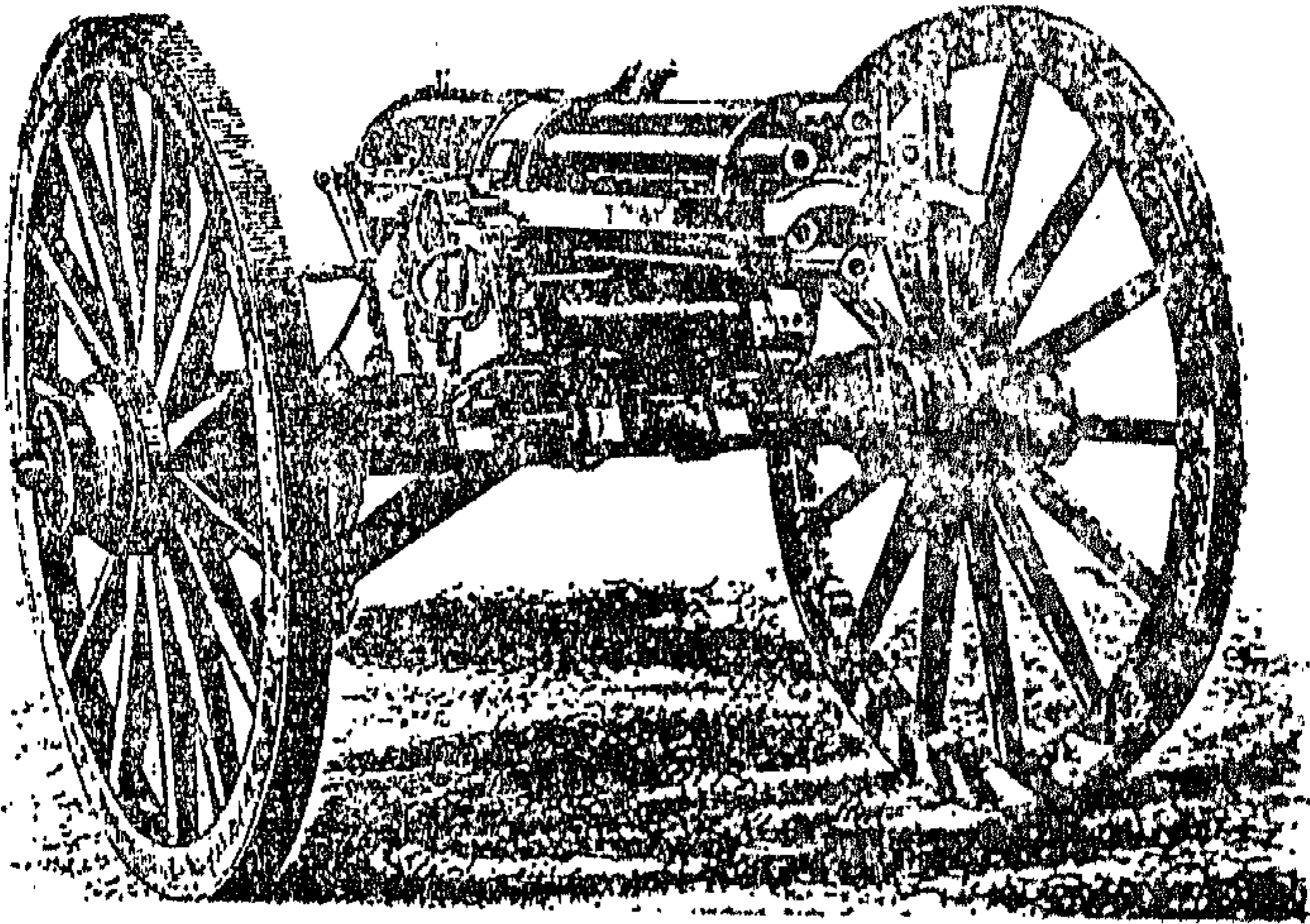
هجرات النجوني وبداية الهجرة الكبرى



شكل (١)

ال Gatling Gun ، وكان يتميز بكثافة النيران وفقا لمقاييس
المصدر .

المصدر : Ellis, John : The Social history of the machine
Gun. London, Croom Helm, 1975, p. 21.



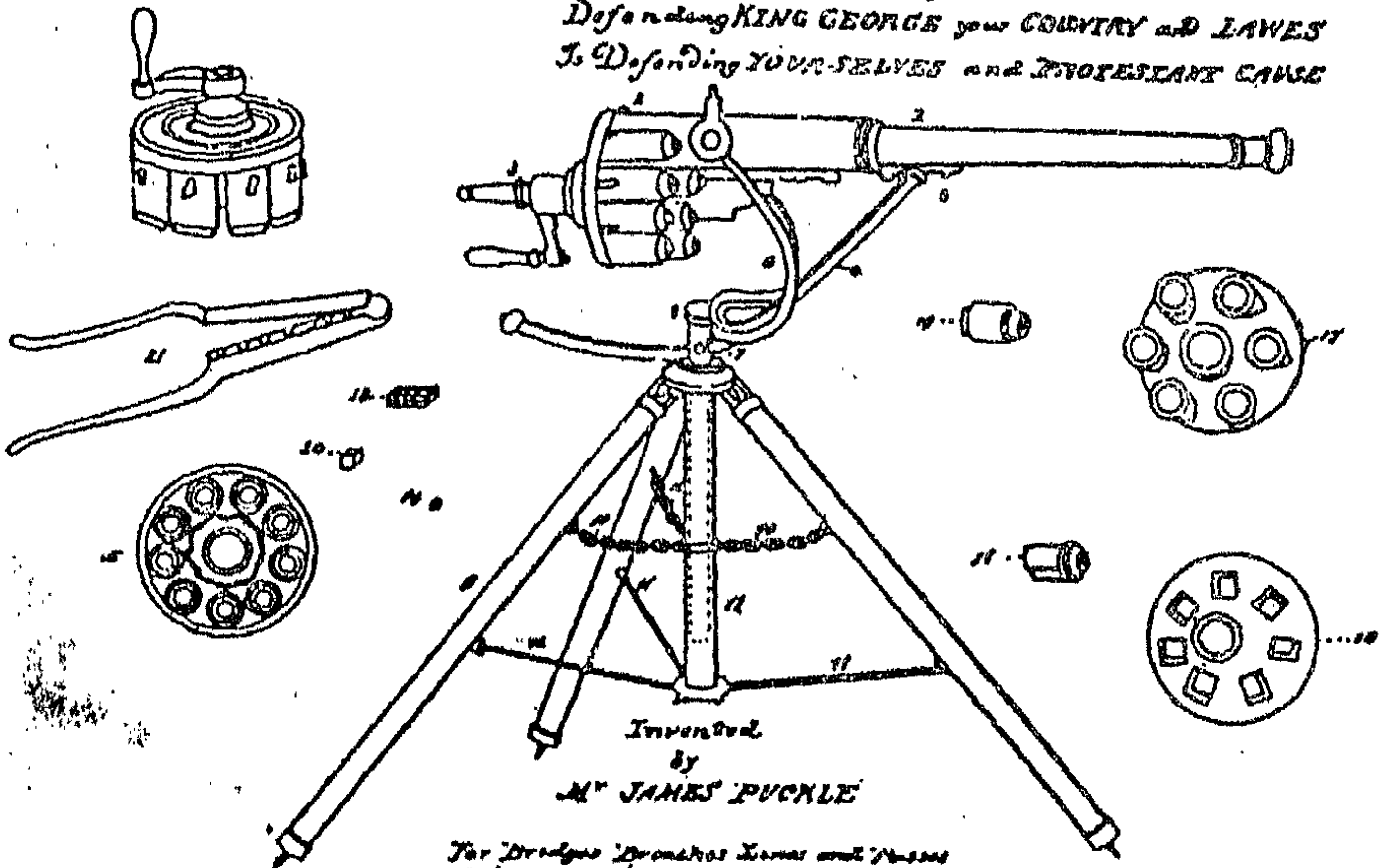
شكل (٢)

منظر آخر للـ Gatling Gun على عجلات (هناك نوع آخر يطلق
من السفن الحربية بلا عجلات) . لقد استخدم الانجليز هذا السلاح ضد
الاشناقى (فى غانا) وضد الزولو (فى جنوب افريقيا) . وهو يصلح
للدفاع من وراء سائر (ولكنه استخدمه للهجوم ايضا) والصورة لطراز
١٨٦٥ .

المصدر : Ellis, John : The Social history of the machine
Gun. London, Croom Helm, 1975. p. 27.

A Defence

Defending KING GEORGE your COUNTRY and LAWS
Is Defending YOURSELVES and PROTESTANT CAUSE



- | | | |
|---|--|--|
| <p>No. 1 The Barrel of the Gun
2 The Set of Chambers Charg'd put on ready for Firing
3 The Screw upon which every Set of Chambers play off and on
4 A Set of Chambers ready charged to be Slip'd on when the first Set are pull'd off to be recharg'd
5 The Crane to rise fall and Turn the Gun round
6 The Work to Level and fix the Gun
7 The Screw to rise and fall it</p> | <p>8 The Screw to take out the Crane when the Gun with the Tripod is to be folded up
9 The Tripod whereon it plays
10 The Chain to prevent the Tripods extending too far out
11 The Hooks to fix the Tripod and Unhook when the same is folded up in order to be carried with the Gun upon a Man's Shoulder
12 The Tube wherein the Pivot of the Crane turns</p> | <p>13 A Charge of Twenty Square Bullets
14 A single Bullet
15 The front of the Chambers of a Gun for a Boat
16 The plate of the Chambers of the Gun for a Ship shooting Square Bullets against Turkey
17 For Round Bullets against Christians
18 A single Square Chamber
19 A single round Chamber
20 A single Bullet for a Boat
21 The Mould for Casting single Bullets</p> |
|---|--|--|

Whereas our Sovereign Lord King George by his Letters patents bearing date the Twentieth day of May in the Fourth Year of his Majesty's Reign was graciously pleased to Give & Grant unto me James Puckle of London Gent my Exors Adors & Assignes the sole privilege & Authority to Make Exercise Work & use a Portable Gun or Machine (by me lawfully Invented called a Defence) in that part of his Majesty's Kingdom of Great Britain called England his Dominion of Wales Town of Berwick upon Tweed and his Majesty's Kingdom of Ireland in such manner & with such Materials as should be ascertained to be the first Invention by writing under my hand Seal and sealed with the Signet of Chancery within Three Calendar Months from the date of the sd patent as in & by his Maj's Letters Patents Relating therunto had Duth & may amongst other things more fully & at large appear NOW I the said James Puckle Do hereby Declare that the Materials whereof the sd Machine is Made are Steel Iron & Brass and that the Tripod whereon it stands is Wood & Iron And that in the above print (to which I hereby Refer) the said Gun or Machine by me Invented is delineated & Described July the 25th 1718.

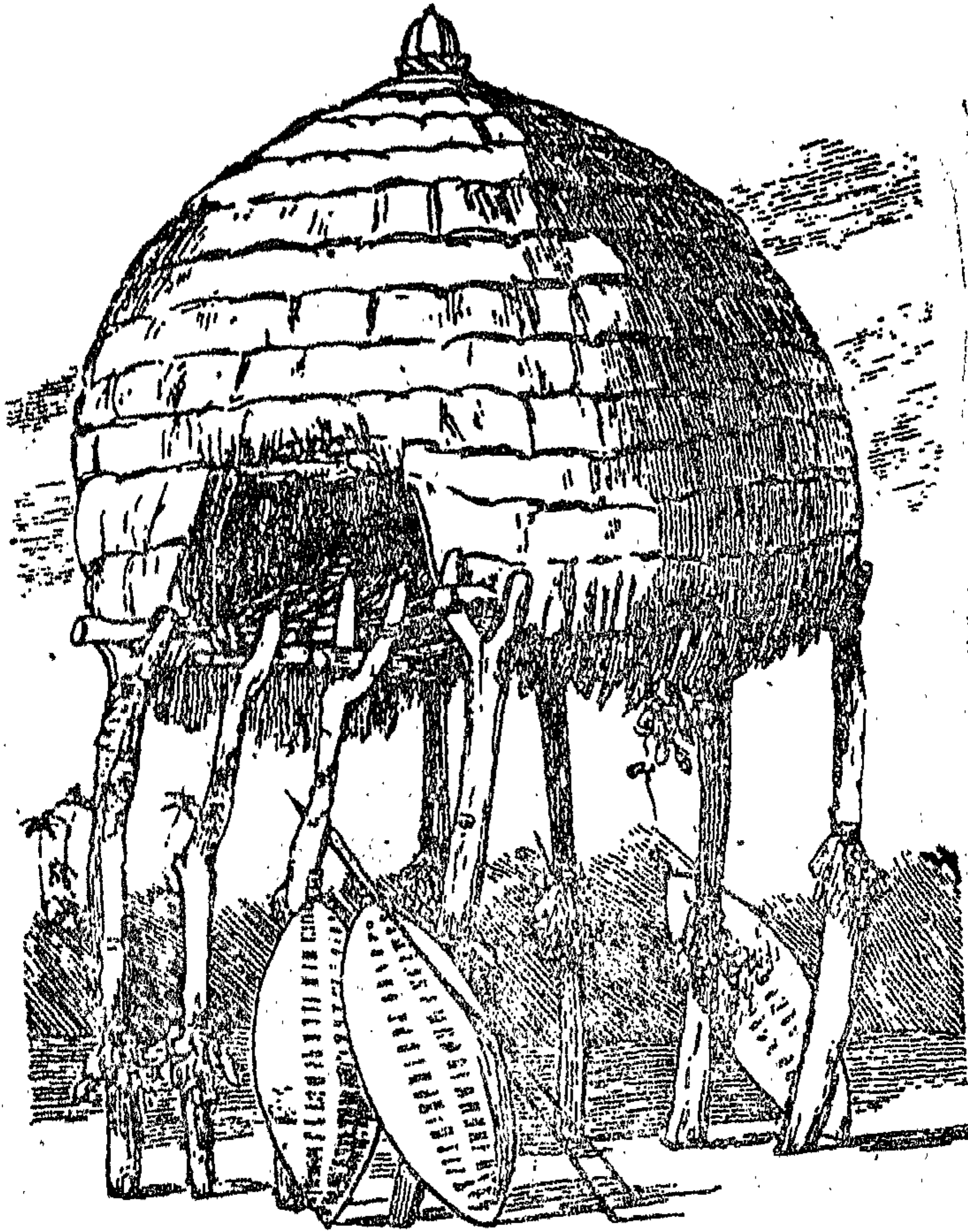
James Puckle



شكل (٤)

لا زال البشمن حتى اليوم يستخدمون الأقواس والسهام المسمومة في
الصيد • (كانوا يستخدمونها أيضا في القتال) •

المصدر : Were, Gideon S. : A history of South Africa.,
Lonron, Evans, 1974, p. 5.

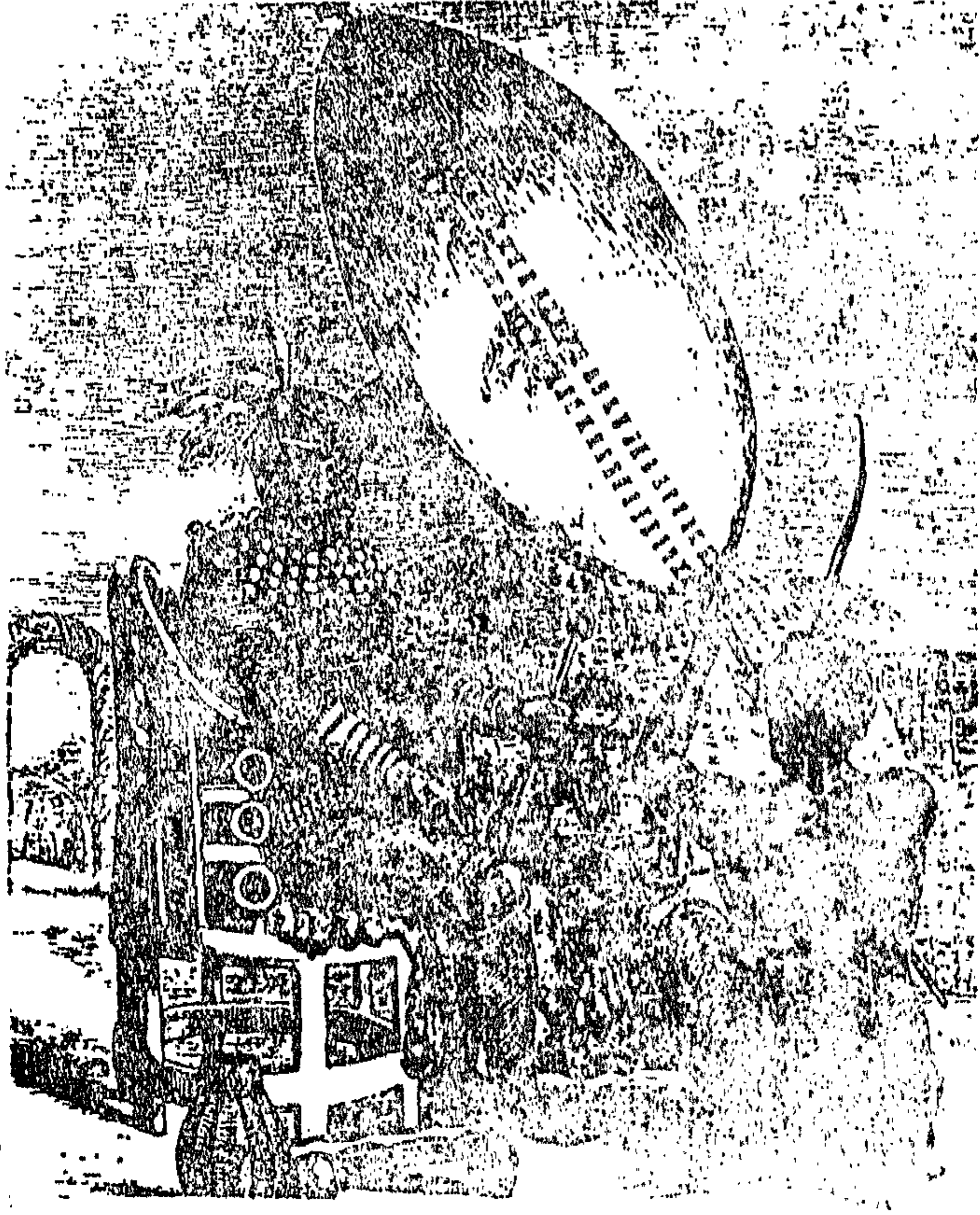


شكل (٥)

هكذا يبدو مخزن السلاح عند الزولو .

Were, (Gideon S. : A history of South Africa.

London, Evans, 1974, p. 72.



شكل (٦)

ملك الزولو مباندي على عرشه (١٨٤٠ - ١٨٧٣)

المصدر :

Were, Gideon S. : A history of South Africa.
London, Evan, 1974, p. 89.

اقرأ في هذه السلسلة

جوزيف داميرس
سبع سنوات فاصلة في العصور
الوسطى

د. اينواير تشامبرزلايت
سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية أزاء مصر

د. جون شستلر
كيف تعيش ٣٦٥ يوما في
السنة

بيير البير
الصحافة

د. غبريال ومبة
أثر الكوميديا الإلهية لهالقي
في الفن التشكيلي

د. رمسيس عوض
الأدب الروسي قبل الثورة
الاشيكية وبعدها

د. محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز في عالم
متغير

فرانكلين ل. باومر
الفكر الأوروبي الحديث ٤ ج

شركت الريبي
الفن التشكيلي المعاصر في
الوطن العربي

د. منى الدين أحمد حسين
القضية الأسرية والبناء المنطوق

ج. دانيال اندرو
نظريات الفيلم الكيرى

جوزيف كونراد
مختارات من الأدب القصصى

د. جوهان دورشتر
الحياة في الكون كيف نشأت
وأي توجد

طاقلة من العلماء الأمريكيين
مباشرة اللطاع الاستراتيجى
حزب الفضاء

د. للسيد عليوة
لدولة للصراعات الدولية

د. مصطفى عناني
الميكروكمبيوتر

مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء
والحديثين

مختارات من الأدب الياباني
« الشعر - البراما - الحكاية -
القصص القصيرة »

بيل شول واندريت
القوة النفسية للأهرام

د. صفاء خلوصى
فن الترجمة

رالف ثي ماتلر
تولستوى

فكتور برومبير
ستندال

ليكتور موجد
وسائل وأحاديث من الفن

فيرنر هيرنبورج
الجزء والكل - محاورات في مضمار
الفيزياء الذرية «

سنتي هوك
التراث القامض - ماركس
والماركسيون

ف. ع. ايرنكوف
فن الأدب الروائي عند تولستوى

هادى نعمان الهيتى
أدب الأطفال « فلسفته ، فنونه
وسائطه »

د. نعمة رحيم المزوى
أحمد حسن الزيات كاتبا وثقافة

د. فاضل أحمد الطائي
أعلام العرب في الكيمياء

جلال المشوى
فكرة المسرح

منرى باربوس
الجميل

د. السيد عليوة
صنع القرار السياسى في
منظمات الإدارة العامة

جاكوب برونولسكى
التطور الحضارى للإنسان

د. روجر ستروجان
هل نستطيع تعليم الأخلاق
للأطفال ؟

كاتى ثير
تربية النواجن

١- صينير
الموتى وعالمهم في مصر
القديمة

د. ناعوم بيتروبيتش
التحل والطب

برتراند رسل
أحلام الإعلام وقصص أخرى

ي. زار نكايانوم جابريلسكى
الالكترونيات والحياة الحديثة

ألس هكساي
ثقافة من أيار ثقطة

ت. و. فريمان
الجغرافيا في مائة عام

رايموند ويلامز
الثقافة والذ. شمع

د. ج. فوديس و. ج. ديكنستر موز
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليسترديل راي
الأرض الغامضة

والتر آلن
الرواية الإنجليزية

لويس فارجاس
المشهد الذى فى المسرح

فرانسوا دوساس
آلهة مصر

د. قبرى حلفى واخرون
التصانح المصرى على الشاشة

اراج فولكف
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة

هاشم اللحاس
الهوية القومية في السينما

بيليد وليام ماكروال
مجموعات النقود - صيانتها
كصنيتها - عرضها

عزيز الشوان
الموسيقى تصوير نفسي وملحق

محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

ميلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الإنسان ذاك الكائن الفريد

جول ريمت
الرواية الحديثة - الإنجليزية
والفرنسية

د. عبد المعطى شعراوى
المسرح المصرى المعاصر
أصله وبدايته

انور المعداوى
على محمود طه الشاعر والاشعاع

جابريل باير
تاريخ ملكية الاراضى فى مصر
الحديثة

انطونى دى كرسبى وكينيث هيلوج
اعلام الفلسفة السياسية
المعاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما
زافيلسكى ف . س
الزمن وقياسه (من جزء من
البليون جزء من الثانية وحتى
مليارات السنين)

مهندس ابراهيم القرضاوى
اجهزة تكييف الهواء

بيتر رداى
الخدمة الاجتماعية والانضباط
الاجتماعى

جوزيف دامروس
سبعة مؤرخين فى العصور
الوسطى

س . م . پورا
التجربة اليونانية

د . عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة فى مصر
الاصنامية

رونالد د . سيمسون ونورمان د .
اندرسون

العلم والطايب والمدارس

د . انور عبد الملك
الشارع المصرى والفكر

ولت ريمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

فريد . س . هيس
تجسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية
من الامثال الشعبية فى عهد
محمد على

الان كاسبيار
الاتفاق السيمائى

سامى عبد المعطى
التخطيط السياسى فى مصر
بين استكشاف والتشويق

فريد هريل وشاندرا ويكراما سيلج
البذور الكوكبية

جسبن علمى المهندس
براما الشاشة (بين النظرية
والتطبيق) للسينما والتلفزيون
٢ هـ

روى روبرتسون
الهيرويين والايدين والثرهما فى
المجتمع

دور كاس ماكليتكوك
صور افريقية - نظرة على
حيوانات افريقيا

هاشم النحاس
فجيب محفوظ على الشاشة
د . محمود سرى طه

الكومبيوتر فى مجالات الحياة

بيتر لورى
المخدرات حقائق نفسية

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف
وظائف الاعضاء فى الالف
اليساء

ويليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد الدركون
تربية اسماك الزينة

احمد محمد الشنوائى
كتب غيرت الفكر الانسانى

جون . ر . بورر وميلتون جولدينجر
الفلسفة وتضاييا العصر ٣ هـ

ارنولد تورينج
الفكر القارئى عند الافريق

د . صالح رخسا
ملاحق وتضاييا فى الفن
التشكيلى المعاصر

م . د كنج وآخرون
التغذية فى البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

د . السيد طه السيد ابو سندرة
الحرف والصناعات فى مصر
الاسلامية منذ النتج العربى
حتى نهاية العصر الفاطمى

جاليليو جاليليه
حوار حوار الثقاتين الرئيسيين
للكون ٣ هـ

اريك موديس والان مر
الارباب

سيرل الدريد
الحقائقون

ارثر كيستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود
اليوم

ب . كومان
الاساطير الاثريكية والرومانية

د . توماس . ا . مارييس
التوافق النفسى - تحليل
المعاملات الانسانية

لجنة الترجمة .
الجلس الاعلى للثقافة
الدليل البيليوجرافى
روائع الاداب العالمية ١

روى آرمن
لغة الصورة فى السينما المعاصرة

ناجاي متشيرو
الدورة الاصلاحية فى اليابان

بول مارييسون
العالم الثالث غدا

ميكايل البى وجيمس انلوك
الانقراض الكبير

آدامز فيليب
دليل للقيام المتاحف

فيكتور مورجان
تاريخ اللقود

محمد كمال اسماعيل
القائى ر . زعيم الاورستروالى

ابو التاسيم الفردوسى
الانهاثمة ٢ هـ

الحياة اسريسة ١ هـ

اك كرايس جولديور
كتابة التاريخ فى مصر القرن
التاسع عشر

محمد فؤاد كزوبلى
قيام الدولة العثمانية

تونس يار
للتمثل للسينما والافريقيون

تاجور ، شين ين بنج وآخرون
مختارات من الاداب الصينية

ناصر خاسرو عارى
سنة ثقافة

نادين جرينر ز . بريس اوجوت
والاردين
سقوط المطر وقصص اخرى

احمد محمد الشنوائى
كتب غيرت الفكر الانسانى
٧ هـ

جان اريس بورر وآخرون
فى نقد السينما فى الفرنسى

العثمانيون فى اوربا
بول كولز

دوريس بير براه
صناع النلود

لوجموند دير
جماليات فن الاخراج

جوناثان ريلي سميث
العملة الصليبية الاولى وفكرة
الحروب الصليبية

الدريه ج. يتار
الكنايس القبطية القديمة في
مصر ٢ ج

ريتشارد شاخز
رواد الفلسفة الحديثة

نرلنيم زرادشت
من كتاب الافيستا المقدس

الحاج يونس المصري
رحلات هارتيما

هربرت ثيلر
الاتصال والهيمنة الثقافية

برتراند راسل
السلطة والفرد

بيتر نيكوللز
السينما الخيالية

ادوارد ميرى
من النقد السينمائي الامريكى

نفتالى لويس
مصر الرومانية

ستيفن اوزمنت
لتاريخ من شتى جوانبه ٣ ج

موني براج واخرون
السينما العربية من الخليج الى
المحيط

مانس بكاره
انهم يصنعون البشر ٢ ج

جابر محمد الجزار
ماستريخت

ابرار كريم الله
من هم المتار

ج. س. فريزر
الكاتب الحديث وعالمه
٢ ج

محوريل عبد الملك
حديث النهر
من ورائع الاداب الهندية

لوريتو تود
ممثل الى علم اللغة

اسحق عظيموف
للموسيقى المقفزة
لهزار السوير توف

مارجريت روز
ما بعد الحداثة

د. بيارد تودج
الزهر في الف عام

ستيفن رانسيما
العمليات الصليبية

د. ج. رلز
معالم تاريخ الانسانية
٤ ج

جوستاف جرونياوم
حضارة الاسلام

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيرتون الى مصر والعجائز
٣ ج

جلال عبد الفتاح
الكون ذلك المجهول

ارنولد جزل واخرون
الطفل من الخامسة الى العاشرة
٢ ج

بادى اونيومود
افريقيا - الطريق الآخر

د. محمد زيلهم
فن الزواج

برنسلار مالبينوفسكى
السحر والعلم والدين

انيم متز
الحضارة الاسلامية

مانس بكاره
انهم يصنعون البشر

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة فاسكو داجاما

ابنرى شاتومان
كونكا المتعدد

سوندارى
الفلسفة الجوهرية

مارتن فان كريفند
حرب الاستقلال

فرانسيس ج. برجين
الاعلام التطبيقية

عبد مياشر
البحرية المصرية من محمد على
للسيادات

ج. كارليل
تبسيط المفاهيم الهندسية

توماس ليبهارت
فن المايه والبانترميم

ادوارد دويونر
التفكير المتجدد

ويليام د. ماثيوز
ما هي الجيولوجيا

كريستيان ساليه
السينما في السينما الفرنسية

بول وارن
خلفاء نظام النجم الامريكى

جورج مستاينز
بين كولستوى ودوستوفسكى
٢ ج

يانكر لافرين
الرومانتيكية والواقعية

محمود سامى عطا الله
الفيلم التسجيلي

جوزيف بلس
رحلة جوزيف بلس

ستانلى جيه سولومون
انواع الفيلم الامريكى

مارى ب. ناش
الحمر والبيضا والسود

جوزيف م. يوجز
فن الفرقة على الاطلاق

كريستيان ديروش تويلكور
المرأة الفرعونية

جوزيف يندهام
موجز تاريخ العلم والحضارة
في الصين

ليوناردو دافنشى
نظرية التصوير

د. ج. د. جيبز
كتوز القراءة

رودولف فون هابستيج
رحلة الامير ريدولف الى الشرق
٣ ج

مالكوم براينيرى
الرواية اليوم

وليم مارسدن
رحلة ماركو بولو ٣ ج

هنرى بيربين
تاريخ اوربا في العصور الوسطى

ديفيد شتيدز
نظرية الانب المعاصر وقراءة الشعر

اسحق عظيموف
العلم وافاق المستقبل

رونالد دافيد لانج
الحكمة والجنون والحماقة

كارل بوبر
بحثا عن عالم الفضل

فورمان كلارك
الاقتصاد السياسى للعلم
والكنولوجيا

السيد نصر الدين السند
اطلالات على الزمن الآتى

ممدوح عطية
البرنامج القوى الاسرائيلى
والامن القومى العربى

د. ليوبوسكاليا
الحب

ايغور ايفانوس
مجلد تاريخ الادب الانجليزى

هيربرت ريد
التربية عن طريق الفن

وليام بينز
معجم التكنولوجيا الحيوية

القين توفلر
تحول السلطة ٢ ج

يوسف شهارة
مشكلات القرن الحادى والعشرين
والعلاقات الدولية

رولاند جاكسون
الكيمياء فى خدمة الانسان

ت. ج. جيمز
الحياة ايام الشراعية

جرج كاشمان
لماذا تشب المروپ ٢ ج

حسام الدين زكريا
الطون بون

ازرا فت. فوجل
المعجزة اليابانية

ارنست كاسيرن
فى المعرفة التاريخية

روبرت سكولز
اتفاق ادب الخيال العلمى

ونفرد هولز
كانت ملكة على مصر

جيمس هنرى پرستد
تاريخ مصر

بول دافيز
الدقائق الثلاث الاخيرة

جوزيف ومارى فيلدمان
دينامية الفيلم

ج. كوتتنو
الحضارة الفينيقية

ارنست كاسيرو
فى المعرفة التاريخية

كنت ا. كتشن
ومسيس الثانى

جان بول سارتر وآخرون
مختارات من المسرح العالمى

يوزالند. رجسك يانسن
الطفل المصرى القديم

نيكولاس ماير
شركاء هولز

ميچيل دى ليس
الفران

جوسيبى دى لونا
موسيقى

الوين جرادتر
موتادات

د. على عبد الرؤوف البمبى
مختارات من الشعر الاسبانى

ونفرد هولز

كانت ملكة على مصر

الن شورتر

الحياة اليومية فى مصر القديمة

روبرت سكولز وآخرون
اتفاق ادب الخيال العلمى

ب. س. ديفيز
المفهوم الحديث للسكان والزمان

س. هرارد
الشهر الرحلات الى غرب افريقيا

و. يارتولد
تاريخ التوك فى اسيا الوسطى

فلاديمير تيمانسانو
تاريخ اوربا الشرقية

هابريل جاجارسيا ماركيز
الجنرال فى المتخامة

هنرى برجسون
الخمسة

د. مصطفى محمود سان
الزلال

م. و. ثرنج
تقسيم الهندس

ا. ر. جرنى
الميتيين

ستيفر موسكالى
المختارات السادة

د. البرت حورانى
تاريخ الامم

محمود قاسم
الادب العربى المكتوب

بالفرنسية

ج. كوتتنو
الحضارة الفينيقية

يانيس ريتوس

اليعيد

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/١٤٢٨٦

ISBN — 977 — 01 — 5524 — 1

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثانى أن تواصل مسيرة المشروع الأول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربى فى شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتأليف فضلاً عن إعادة طبع الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التى أسهمت فى تكوين الثقافة المصرية والعربية فى العصر الحديث، والتى بات الاطلاع عليها اليوم متعزراً لشباب هذا الجيل لعدم طبعاتها.

وفى هذا الإطار يهتم المشروع بكتب الجغرافيا والرحلات، ومن أهم ما صدر منه فى هذا المجال:

(١) رحلة بيرتون ٣ ج (٢) رحلة الامير رودلف ٣ ج

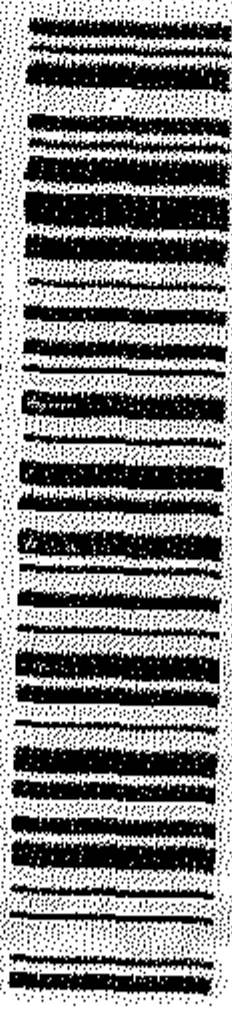
(٣) رحلة بتس

(انظر قائمة الاصدارات آخر الكتاب)

يطالعُ القارئ فى هذا الكتاب عشرين رحلة غطت جنوب أفريقيا بمعناه الجغرافى الواسع الذى يشمل الآن: اتحاد جنوب أفريقيا وناميبيا وزامبيا وزمبابوى وموزمبيق وأنجولا، على مدى أكثر من مائتى عام، بدءاً من حوالى سنة ١٦٨٥ حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

وأروع ما فى هذه الرحلات هو الملاحظات البشرية العميقة التى تُعين على فهم الإنسان فى مرحلة فطرته الأولى مما يُساعد على فهمه بعد أن تدرج فى مدارج الحضارة.

Bibliotheca Alexandrina



0553594

كتاب



مطابع المين

٩٢٥ قرشاً